



کتابخانه ملی و بایگ جمهوری اسلامی ایران

ديوان الشعر العربي في تشاد

جمع وتقديم

د. محمد فوزي مصطفى



ديوان الشعر العربي في تشاد

جمع وتقديم

د. محمد فوزي مصطفى

الكويت

التزويد

2013

التدقيق الطباعي

عدنان بلبل الجابر
محمود إبراهيم البجالي

الصف والتقييد

قسم الانتاج في الأمانة العامة للمؤسسة

إخراج وتصميم الغلاف : محمد العلي



جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 22430514 فاكس: 22455039 (+965)

E-mail kw@albabtainprize.org

تصدير

ديوان الشعر العربي في تشاد هو كتاب جمع قصائده الدكتور محمد فوزي مصطفى عندما كان يعمل أستاذًا في إحدى الجامعات التشادية، وشعراء تشاد أعدادهم كثر، ولا يقتصر العدد بالتأكيد على الشعراء الذين اشتمل عليهم هذا الكتاب، فهذا البلد من الناحية الجغرافية والتاريخية هو امتداد لمحيطة العربي الزاخر بالشعراء وإبداعاتهم.. وهو جهد يشكر عليه الدكتور محمد، إذ إن معرفتنا بشعراء تشاد، ونتيجة لظروف كثيرة، تعدّ هذه المعرفة قليلة جدًّا، مقارنة بما نعرفه عن شعراء المنطقة ذاتها إن في موريتانيا أو المغرب أو الجزائر أو ليبيا وغيرها من بلدان المنطقة.. فبال تأكيد لن تقلّ تشاد عن هذه البلدان في إنجاب الشعراء والأدباء.. ولكن لم يجدوا من يأخذ بأيديهم ويبرز أسماءهم وأعمالهم.

وبالاطلاع على تراجم هؤلاء الشعراء الذي ضمهم الكتاب بين دفتيه، نجد أنهم كغيرهم من الشعراء العرب، كانت لهم الاهتمامات السياسية والاجتماعية والإنسانية نفسها، ونجد كذلك قوة في هذه القصائد من حيث اللغة الراقية والتعبير الصادق وحرصهم على انتقاء ألفاظهم ومعانيهم مما يجذب من يطلع على هذه القصائد إلى متابعة قراءتها والاستمتاع بموضوعاتها وبما فيها من معانٍ وألفاظ جميلة..

ونجد أيضًا من ناحية أخرى، التباين الجلي في أساليبها فمنها ما هو أقرب إلى النثر ولغة الخواطر منه إلى الشعر، ومنها سليم الوزن ومنها مختله، ولست

هنا معنيًا أو في وارد التقييم النقدي لهذا الشعر، فنقده إيجابًا أو سلبيًا ليس هذا مجاله.. ولكن المؤسسة عندما وافقت على طباعة هذا الكتاب فإنما تنفيًا من وراء ذلك إطلاع القراء على المجمل العام للخريطة الشعرية في تشاد والتعريف بتراجم عدد من شعرائها الذين ظهرُوا في فترات زمنية متباعدة، وبهذا تكون المؤسسة عملت على إثراء حركة الشعر وعملت كذلك على تشجيع التواصل بين الشعراء والمهتمين بالشعر العربي ووثقت الروابط من خلال إصدار هذه المطبوعات والكتب..

فهذا الكتاب يقع ضمن الإصدارات الخاصة التي درجت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على طباعتها بالرغم من أن هذه الكتب لا علاقة لها بإبداعات الشعراء الذين تختارهم المؤسسة أعلامًا على دوراتها الرئيسة أو ملتقيات الشعرية المختلفة.

وأخيرًا.. يسرنا أن نقدم هذا الكتاب لأحبائنا الشعراء والأدباء ومتذوقي الشعر في دولة تشاد الصديقة، وإلى قراء الشعر العربي ومتذوقيه في سائر أقطار الوطن العربي على ضفاف جناحيه الشرقي والغربي..

ونأمل أن نكون قد قدمنا بهذا العمل ما يفيد الناس ويمتعهم ويطلعهم على جزء يسير من الموروث الشعري في تشاد.

والله ولي التوفيق

عبدالعزیز سعود البابطين

٢ من ربيع الآخر ١٤٣٤ هـ

١٢ من فبراير ٢٠١٣ م

إهداء وشكر

إلى الأخلاء والأصدقاء والزملاء في تشاد، فمهما طال العهد وبعدت المسافات وأخذتنا الأيام فإن حُبِّي لكم ما زال موصولاً بحبكم الجم لي، وهذه الدراسة وغيرها من دراسات سابقة من باب الوفاء لأجمل سنوات قضيتها معكم في الجامعة..

مع جزيل الشكر والتقدير للأديب الشاعر الشيخ عبدالعزيز سعود البابطين، فلولا أياديه البيضاء ما خرج هذا العمل للنور.

أخوكم

د. محمد فوزي مصطفى

جامعة قناة السويس – كلية التربية بالعرش

السادس من أكتوبر ٢٠١١

مدخل

الحمد لله الذي يفضلته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث
رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا كتاب في ديوان الشعر العربي في تشاد، أقدمه لكل قارئ وباحث بعد جهد
استغرق سنوات ... ومن حُسن الطالع أن تسهم مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود
البابطين للإبداع الشعري - كما عهدناها دائماً - بكل إمكانياتها المباركة في إخراج
هذا العمل البكر في نوعه ليرى النور بعد قناعة تامة مني ومنها أن ديوان الشعر
الإفريقي يستحق الرصد والدراسة؛ لأنه بكرٌ وقرٌ.

والأمانة العلمية تقتضي القول إنه قد عقدت عدة مؤتمرات دولية^(١) في تشاد
عن اللغة العربية وأدائها، وقد شرفت بالمشاركة البحثية في كثير منها داخل تشاد
 وخارجها. لكن هذه الدراسة تنفرد بأنها لجمع ما تبعثر من نتاج الناطقين والشعراء،
 ووضعه بين دفتي كتاب بمنهجية دقيقة، تُشجّع كل باحث وقارئ ومهتم بالأدب الإفريقي
العربي أن يقدم إضافة تضاف إلى إسهامات المبدعين.

(١) أهم المؤتمرات التي عقدت في الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٤، وشارك فيها المؤلف:

- المؤتمر الدولي الأول (اللغة العربية .. الواقع والمأمول) في جامعة الملك فيصل بتشاد، أكتوبر ٢٠٠٠م.
- المؤتمر الدولي بالجامعة الإسلامية بجمهورية النيجر (من أجل أدب إسلامي فاعل ومتفاعل) في أبريل ٢٠٠٢م.
- المؤتمر الدولي بجامعة الملك فيصل بتشاد (عالمية الأدب الإسلامي) في أكتوبر ٢٠٠٣م.
- المؤتمر الدولي بجامعة أنجمينا بتشاد (الدراسات اللسانية لدول الصحراء والساحل الأفريقي) في أكتوبر ٢٠٠٣م.

وقد وجدت أمورًا كثيرة أخذتني نحو هذا الموضوع «ديوان الشعر التشادي العربي» والغوص في أنهار المخطوطات والقصائد المتناثرة، كان من أهمها أن جمهورية تشاد يتمتع سكانها بنعمة الإسلام منذ قديم الزمان. إذ يعتنق أكثر من خمسة وثمانين في المائة ٨٥٪ من سكانها الإسلام، منذ أن أشرق فيها نور الإسلام سنة ٤٦هـ، واستتب ذلك تعلم اللغة العربية، فانتشرت حتى صارت اللغة الأولى في دستور البلاد مع اللغة الفرنسية.

فأفرز الإسلام بتعاليمه السمحة كثيرًا من العلماء والشعراء وقادة الفكر مشكاة الأمة وصنّاع الحضارة، ولمست هذا كله عن قرب خلال مدة إعارتي^(١). وخاصة أن الشعر التشادي ثرٌ بموضوعاته وتشكيلاته الجمالية وتنوع مدارسه الفنية، واتجاهاته الفكرية، من أجل ذلك كله - ومن باب الوفاء للغة العربية وحماتها وكل مبدع تشادي - توجّهت بكل حب فياض نحو هذا النتاج المطور - فهو ثروة إبداعية لكل ناطق بالضاد - لجمعه ورصده وتأصيله، ولم يتم الرصد له اليوم فحسب بل منذ أن كنت أعيش معهم، ومن يومها بدأت رحلتي العلمية في التأصيل والتأليف والمشاركة البحثية في الشعر التشادي الغائب كثيرًا عن ساحتنا البحثية العربية.

وأزعم أن هذا الكتاب سوف ينقل الشعر التشادي من الضيق إلى السعة أو قل المحلية والإقليمية إلى العالمية، وفي هذا تأصيل وتشريف للحضارة العربية في قارة نرة اغتصبتها المحتل وسقاها من مستنقع الفقر والجهل والمرض.

على أية حال فإن الدراسة تقوم على رصد الإبداع الشعري التشادي، إضافة إلى المنظومات، والتي تعد بداية موعلة في التاريخ لرحلة الشعر التشادي. واستطعت - بتوفيق الله - أن أرصد مخطوطات ومطبوعات وأوراقًا مبعثرة أتى على جلّها غوائل الزمن، لثلاثة عشر ما بين شاعر وناظم.

(١) أعير الباحث من الأزهر الشريف للعمل في التدريس ونشر الثقافة الإسلامية في جامعتي أنجمينا بكلية الآداب وجامعة الملك فيصل بالدراسات العليا في كلية اللغة العربية في الفترة من سنة ٢٠٠٠ حتى سنة ٢٠٠٤م وهي فترة ثرة بالمؤلفات والأبحاث العلمية من أهمها كتاب الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي دراسة تحليلية فنية نقدية، ط١، ٢٠٠٣م، العالمية، مصر.

وحاولت - بكل ما أملك - أن أصل إلى نتائجهم من عدة طرق أهمها: وأصر الصداقة القوية التي حظيت بها، أو من أماكن أكاديمية موثوقة^(١)، أو عن طريق المراسلات. واستطعت أن أرصد أشعارًا تشادية من شتى المدارس الشعرية، ولم أهمل نتاج شاعر، مهما كانت قيمته الفنية لقناعتي التامة أن قضاة النص والدارسين سوف يأتي دورهم النقدي، وأن مهمتي الآن تتمثل في الرصد، والتعريف بالشعراء، وتوضيح ما استغلق من ألفاظ ومصطلحات تشادية وإفريقية، وذكر المناسبات التاريخية وغيرها، ثم الإشارة إلى الموسيقى الشعرية.

وارتأى الباحث تقديم الدراسة بمنهجية تاريخية، تركز على سبق ميلاد الشاعر؛ لكي يتسنى للقارئ والباحث - على حد سواء - السير في هذا الدرب الجديد، ومعه خارطة شعرية، فيتعرف على كل فترة زمنية وما فيها من سمات فنية وموضوعية. وله الحق بعد ذلك بين الالتزام بمنهجنا أثناء دراسته، أو أن ينحون نحو مناهج علمية أخرى كلاسيكية أو حديثة، يُقسّم الشعراء من خلالها أو حسب رؤيته النقدية.

لذلك أخذت بالنسق التاريخي؛ لقناعتي التامة أنه سوف يعطي صورة كاملة ومحيدة للشاعر وشعره أو قل لخط سير الشعر التشادي. أما المناهج الأخرى، فقد تتسرب فيها الذاتية، وتقديم شاعر على آخر دون قصد أو بقصد، فتقع منهجية البحث في إشكالية خطيرة.

(١) ثم رصد ديوان الشعر التشادي من عدة مصادر وثيقة أهمها:

١- الشعراء أنفسهم إذ جمعتني بهم صداقة قوية.

٢- النادي الأدبي بأنجمنينا.

٣- مكتبة جامعة أنجمنينا «المعهد الوطني».

٤- مكتبة جامعة الملك فيصل «مركز المخطوطات».

٥- مكتبة القصر الجمهوري.

٦- طلاب المترويز في الجامعتين.

٧- مراسلات بين المؤلف والشعراء.

وسوف تسير الدراسة بعد هذا المدخل نحو تمهيد موجز من باب إتمام الفائدة، يعطي للقارئ والدارس - على حد سواء - إطلالة موجزة عن الحياة التشادية وتاريخ الشعر فيها، ثم تنتقل الدراسة إلى الشعراء ونتاجهم وهم كما ذكرت أنفاً أربعة عشر شاعرًا وناظمًا وكل مبدع حظي بسيرة ذاتية وردت في هامش يقع في نهاية النماذج الشعرية لكل شاعر.

ومهما يكن من شيء، فإنني أمل أن تكون دراستي قد استوفت المادة المرصودة؛ لنعم الفائدة.

وأتفق مع مقولة الإمام الشافعي رضي الله عنه: «إذا رأيتم الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهدوا له بالصحة».

ولذلك أسأل الله تعالى أن يكون الكتاب كشجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بتوفيق الله أولاً، ثم بالرعاية الطيبة المباركة من مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الكويتية ورئيس مجلس إدارتها الأديب الشاعر الذي لا يألو جهداً في تقديم يد العون لمثل هذه الأعمال، وأن تكون رعايتهم هذه بداية للرصد والبحث والتأصيل لأدب قارة أفريقيا، التي نسيناها كثيراً في الماضي، وحققها علينا أن نذكرها اليوم وغداً.

وما زال باب البحث مفتوحاً فطوبى للداخلين، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمد فوزي مصطفى

تمهيد: «جمهورية تشاد»

أولاً: إطلالة موجزة

يطيب لي في هذا التمهيد أن أقدم بين يدي القارئ صورة مصغرة لجمهورية تشاد، والتي اتسم ديوان الشعر فيها ببراء المضمون وجمال التشكيل. ومرد ذلك إلى تضافر عدة حيوات ساهمت في إفراز كوكبة من الشعراء ذوي الاتجاهات الفنية المتعددة.

ومن ثم رأيت من البدهي أن أقدم نبذة موجزة عن كل حياة: لتكون الرؤية واضحة؛ ولتتكامل منظومة ديوان الشعر التشادي العربي، وفي الوقت نفسه يمكن للباحث إصدار الأحكام النقدية بكل دقة علمية، بعد اختياره لأي شاعر، أو ملمح فني. تقع جمهورية تشاد بين الشمال العربي والجنوب الزنجي في القارة الإفريقية، مما جعلها تتميز بنشاط واسع، وبحياة مزدهرة مع غيرها من الدول المجاورة، وخاصة الدول الإسلامية، فهي تمثل - إلى حد كبير - البوابة الشرقية لوسط وجنوب أفريقيا، إضافة إلى خصوصية أرضها، التي جذبت كثيراً من الأجناس المختلفة فامتزج بعضها ببعض كالعرب والزنوج والنوبيين واليمنيين.

«وتمتد منطقة تشاد بين درجتي خط العرض ٨° و ٢٣° شمالاً، وبين درجتي خط الطول ٤° و ٢٤° شرقاً. تحيط بها السودان في الشرق، وليبيا في الشمال، والنيجر ونيجيريا والكاميرون في الغرب، وأويانجي في الجنوب.

وتبلغ مساحتها ٢٨٤،٠٠٠ كم^٢، وتختلف فيها الفصول اختلافاً بيناً، وهي تتقلب بين رطوبة ممطرة إلى معتدلة، فحارة منعشة إلى حارة مفرطة في الصيف.

وتوجد فيها ثلاثة فصول فقط تتراوح حرارتها تبعاً لدرجات البعد عن خط الاستواء... الخريف، الشتاء، والصيف^(١).

وساعدت الحركة التجارية، وكثرة الهجرات، والموقع الجغرافي على قيام أبرز وأهم ثلاث ممالك تشادية «مملكة كانم، ومملكة باقرمي، ومملكة وداي».

ونذكر المؤرخون أن مملكة كانم تنقسم إلى عصرين «العصر الكانمي، ويمتد من قيام المملكة شرقي بحيرة تشاد عام ٨٠٠ م إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي... والعصر البرنواوي ويبدأ من انتقال الأسرة الكانمية إلى غرب بحيرة تشاد إثر الاضطرابات والحروب الأهلية في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي إلى نهايتها في غمرة الاستعمار الأوروبي الحديث^(٢)».

وسرعان ما تدهورت هذه المملكة؛ بسبب ضعف الخلفاء، والتدخل الأجنبي والفتنة الداخلية. فعندما تواتت الأحداث على مملكة (كانم برنو)، وأصابها الوهن والفتنة معاً، ظهر الشيخ «عثمان دان فويو» في عام ١٨٠٤م بحركته الإصلاحية «ونتيجة لذلك تولى الشيخ محمد الأمين الكانمي الحكم وفي عام ١٨٩٣م غزا (رابح غازي) مملكة كانم برنو وبعدها قُسمت أول تقسيم استعماري بين فرنسا وإنجلترا وألمانيا، وبذلك تلاشت بعد عمر دام حوالي ١٢ قرناً من الأمن^(٣)».

ومما يثير الدهشة أن هذه المملكة/ كانم على الرغم من توالي المصائب والنكبات عليها، إلا أنها ظلت محافظة على الطابع الديني، ومن استخدام اللغة العربية محادثة وكتابة «وكان ملوكها يفضلون الحج إلى الأماكن المقدسة عن طريق القاهرة، وكانت لهم علاقة وطيدة بالحفصيين في تونس والليبيين في طرابلس والمصريين في القاهرة، وكذلك بملوك مالي وكانوا يستخدمون اللغة العربية في دواوينهم والشرعية الإسلامية في محاكمهم وكان الحكم شورى بينهم، ولكن الإمارة وراثية^(٤)».

(١) د. عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، ص ١٧.

(٢) إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنوا إسلامية، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص ٤٣.

(٣) د. عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ص ١٦.

(٤) د. أحمد شليبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط. نهضة مصر، ١٩٩٠، ص ٢٩٣.

ومن الممالك التشادية التي دخلها الإسلام منذ ستة قرون مملكة «باقرمي» ودخلها الإسلام في أواخر القرن الخامس عشر، وكانت تعيش في رغد وسعة من العيش «وقد أصبحت لها حياة اقتصادية منعشة نظراً لغناها بالمنتجات الزراعية والثروات الطبيعية غير أنها أصيبت بالتدهور والانحطاط بسبب حروبها مع مملكة وداي من جهة، ومملكة كانم برنو من جهة أخرى... حتى اضطرت إلى طلب الحماية الفرنسية في أكتوبر ١٨٩٧م»^(١).

أما عن مملكة «وداي» المعروفة الآن باسم «أبشة»، فببداً تاريخ مملكة وداي الحديث من عام ١٦١٥م ومرّ على هذه المملكة مراحل عديدة من الصراع منذ عهد «عبد الكريم بن جامع» وقد لعبت مملكة وداي دوراً كبيراً في نشر الإسلام، وتطور اللغة العربية والثقافة الإسلامية خاصة، وفي تشاد عامة، وذلك يرجع لعدة عوامل تمتاز بها عن غيرها من الممالك التشادية الأخرى. ومن هذه العوامل: موقعها المتاخم للسودان، ومصر، وليبيا، وإن الحكام فيها كانوا من عناصر عربية يستخدمون اللغة العربية في دواوينهم الرسمية، والشرعية الإسلامية في محاكمهم المحلية، وكان لها اتصال وثيق بالباب العالي في إسطنبول عن طريق القاهرة^(٢).

وعن الحياة الاقتصادية في تشاد أزعّم أن معرفة الوضع الاقتصادي في أمة من الأمم، يعطي صورة جلية للحالة السيكولوجية للشعراء، وخاصة ونحن نعلم أن جُلّهم في كل وادٍ يهيمن، وعلى أبواب ذوي الأموال يقفون «كان التشاديون يهتمون كثيراً بالرعي، والزراعة، والتجارة، والحرف اليدوية، والصيد البري والنهري، ولم يسلم التوسع في النشاط التجاري من الانغماس في تجارة الرقيق. وكان سلاطين كانم، وباقرمي، ووداي، والأقاليم الإسلامية الأخرى ينزلون عند بعض هؤلاء التجار

(١) د.عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال ص ١٧.

(٢) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا ص ٧٣ نقلاً عن كتاب: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال.

عبد الرحمن الماحي ص ٣٠.

المصريين في أثناء مرورهم بالقاهرة، وهم في طريقهم إلى الأماكن المقدسة، لأداء فريضة الحج، إذ كانت الغالبية العظمى من حجاج غرب ووسط أفريقيا يمرون عن طريق مصر.

ويرتبط النظام الاقتصادي التشادي بالعادات والتقاليد الشائعة في المجتمع كاحتفالات الزواج والولادة والختان، والأعياد الدينية، وكذلك بالسحر والعرافة والوقاية من العين والحسد، والحياة الاقتصادية كلها في تشاد تتوقف على ما يوجد به المطر^(١).

وتتشكل التركيبة الاجتماعية للمجتمع التشادي من مزيج من القبائل المتعددة، والشعوب المختلفة، وكل شريحة من هذه الشرائح له تقاليده وسلوكياته، إلا أن رباط الدين يربطهم برباط قيم، ومعه اللغة العربية. وخاصة بين المسلمين وذكركت - أنفاً - أن تشاد قامت فيها ثلاث ممالك، وهذا يدل على وجود نسيج اجتماعي واحد «وكانت منطقة تشاد تضم مجموعة كبيرة من الشعوب والقبائل، وهذه القبائل والشعوب تختلف وتباین أشد ما يكون الاختلاف والتباين لغة ودينًا وعادات وتقاليد، ويقدر عددها بحوالي (١٥٠) قبيلة تتحدث (١٠٠) لهجة محلية. ومن بين هذه القبائل نجد العنصر الزنجي، والعنصر الحامي، والعنصر السامي، وعناصر لا تزال تثير لغزًا يستعصي حله»^(٢).

والإسلام منذ دخوله تشاد، في القرن الحادي عشر الميلادي، ظهر أثره بصورة جلية في مظاهر الحياة الاجتماعية. فالإسلام في تشاد، يستمد رواقه من القرآن والسنة والإجماع والقياس على مذهب الإمام «مالك بن أنس» بالإضافة إلى قانون فرنسي، فرض نفسه بالقوة في عام ١٩٤٦م، لكن هذا القانون لم يلق اهتمامًا من المجتمع التشادي المحافظ «وينتشر كل من الإسلام والمسيحية والوثنية في تشاد، ويوجد ٨٥٪ من مجموع السكان يدينون بالإسلام و١٠٪ يدينون بالمسيحية، و٥٪ من الوثنيين. ويعتبر

(١) د عبد الرحمن الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال ص ٤١.

(٢) المصدر السابق ص ٧١.

الدين الإسلامي في تشاد حجر الزاوية في كل أنواع النشاط السياسي والاقتصادي، وفي كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية كالزواج والطلاق والميراث والتربية والأخلاق^(١).

وتتميز تشاد بتوفر مجموعة من المعاهد الدينية الأزهرية: كمعهد (أبشة) العلمي، ومعهد الأبرار بمدينة (سار)، ومعهد السلام الأزهري بـ (أنجمينا)، وتوجد كذلك كلية بافتتاح قسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة أنجمينا وافتتاح جامعة الملك فيصل، بالإضافة إلى آلاف من الخلوات «الكتاتيب» القرآنية، ونضيف إلى ذلك دور رجال الطرق الصوفية، من: قادرية، وتيجانية، وسنوسية...

ثانيًا: تاريخ الشعر التشادي

ترجع جذور الشعر التشادي إلى النصف الثاني من القرن السادس الهجري إذ ظهر الشعر في هذا الزمان على يد الشاعر «إبراهيم الكانمي» الملقب بالشاعر الأسود المتوفى في سنة ثمانٍ أو تسعٍ وستمئة وله أشعار قليلة تصطبغ بالإسلام، ومن ذلك قوله عند الموت^(٢):

أفي الموتِ شكٌ يا أخي وهو برهانٌ

ففيهم هجوع الخلق والموت يقظانٌ

اتسلو سلو الطير تلقطُ حُبَّها

وفي الأرض أشراكٌ وفي الجو عقبانٌ

وقوله في الإشارة إلى نيل المعالي بحسن الأخلاق، وتقوى الله، بغض النظر عن اللون والعرق^(٣):

بكل لون ينال الحرُّ سؤدده

مهما تجرَّد من اخلاق السوء

(١) السابق ص ٧٤.

(٢) د. محمد بن شريعة: من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، ط. منشورات معهد الدراسات الإفريقية،

الرباط، ١٩٩٥م، ص ٣٣.

(٣) المرجع السابق ص ٣٠.

والناس حافظ العود مشترك

لكن يرجح بين العود والعود

ويعد «الكانمي» البداية الحقيقية لتاريخ الشعر التشادي، لكنها انقطعت ولم يستمر عطاؤها، ولم نعرف شيئاً عن نتاجها الشعري الحقيقي، فسوف تظل علامة استفهام أمام هذه البداية الغائمة.

وما أن نصل إلى منتصف القرن الثامن عشر، إلا ويظهر في سماء الشعر الشيخ (محمد الوالي سليمان). وورد عنه ترجمة وجيزة، وبعض منظوماته القليلة كقوله^(١):

أوصيكمُ يا معشر الإخوانِ

عليكمُ بطاعةِ الرُحَماءِ

إياكمُ ان تهملوا أوقاتكم

فتندموا يوماً على ما فاتكم

وإنما غنيمةُ الإنسانِ

شبابه والخُسْرُ في الثَّوانِ

ثم تأتي فترة زمنية ثرة بالعطاء الفني، ويمكن تسميتها بفترة «اليقظة»، وهذه الفترة تبدأ تقريباً من أواخر القرن الثامن عشر من سنة ١٨٥٠م وهي فترة تأسيس مدينة «أبشة»، واستمر عطاء شعراء هذه الفترة بشكل متواصل، إلى أن وقعت مأساة الككب سنة ١٩١٧م، وبعدها خمدت جذور الشعر كرد فعل طبيعي مؤقت.

ومن أبرز شعراء هذه الفترة رائد البعث والإحياء في الشعر التشادي «عبد الحق السنوسي»، وجلة من الشعراء كالطاهر التلبي، والرماسي بن يعقوب.

وعلى الرغم من غزارة النتاج الشعري لهذه الفترة/ اليقظة إلا أنه يغلب عليها طابع المنظومات التعليمية، وضعف التشكيل الفني، واهتزاز العمود الشعري مع غلبة

(١) محمد بيلو: إنفاق الميسور في بلاد التكرور. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ١٩٩٦م، ص ٥١.

الكمية الفكرية على الكمية الوجدانية، ومرد ذلك إلى أن أكثر شعراء هذه الفترة من العلماء والفقهاء، وهذا أمر طبيعي.

وثمة فترة تاريخية أخرى للشعر التشادي، يمكن أن نسميها «الراقي والازدهار»، وتبدأ بعد حادثة الككب سنة ١٩١٧م إلى يومنا هذا.

والمراد بالراقي، هو ارتقاء الشعر، إذ ظهر الشعراء الذين عبّروا عن آلام أمتهم وأمالها، والعروج بها إلى سماء الشعر الأصيل.

وأعني بالازدهار، رقي الشعر التشادي من حيث البناء الفني، ثم ازدهاره وانتشاره، ليس في موطنه التشادي فحسب، بل في خارج حدوده، وخاصة في المؤتمرات الدولية. ومرد ذلك إلى بزوغ نجم كوكبة من الشعراء المحدثين، وقد تم رصد وتأصيل نتاجهم في دراستنا هذه، وهم ثمانية شعراء ويسبقهم زمنياً ستة شعراء، وهم جميعاً أربعة عشر شاعرًا على النحو الآتي حسب تاريخ ميلاد الشاعر:

- ١- الطاهر التليبي ١٨٢٤م.
- ٢- عبد الحق السنوسي ١٨٥٣م.
- ٣- عبد الله يونس المجيري ١٩١١م.
- ٤- محمد جرمة خاطر ١٩٣٠م.
- ٥- حسين إبراهيم أبو الذهب ١٩٤٣م.
- ٦- عباس محمد عبد الواحد ١٩٤٤م.
- ٧- عيسى عبد الله ١٩٤٨م.
- ٨- عبد القادر محمد أبه ١٩٦٥م.
- ٩- عبد الواحد حسن السنوسي ١٩٦٧م.
- ١٠- محمد عمر الفال ١٩٦٨م.

١١- أحمد عبد الرحمن إسماعيل ١٩٧٣م.

١٢- حسب الله مهدي فضلة ١٩٧٤م.

١٣- صبورة أرمياؤ محمد ١٩٨٠م.

إن هؤلاء الشعراء وغيرهم من بني وطنهم، حملوا راية الشعر التشادي فكانوا إضافة متميزة لديوان الشعر العربي، كما كانوا - من قبل- منارة لديوان الشعر التشادي، وسوف يستمر العطاء الإبداعي، وإن غاب عن الدراسة شعراء لم تتعرف عليهم الدراسة، فأزعم أنه في الغد سوف نستكمل ديوان الشعر التشادي؛ ليخرج وقد استوفى كل الشعراء التشاديين.

وعلى الله قصد السبيل ومنه التوفيق

الشعراء

الطاهر التليبي^(١)

(١)

[الوافر]

رجوْتُكَ يا حبيبَ اللهِ طه
تدَاوَكُنِي أحاطَ بِي البلاءُ
بفضلِكَ عُمْنَا والخلق طرًّا
وأسعدهم وأشرفهم علاء
ففضلِكَ يا أَمِينَ اللهُ فضلُ
دوامًا لا يَلِيْقُ به انتهاء
وجودِكَ يا أَمِينَ اللهُ جودُ
كوايِلٍ لا يماثلُه عطاء
ووجهكَ يا مَليحَ الخد شمسُ
تَشعِشُعُ نورها وقت الضحاء

(١) الشيخ محمد الطاهر بن عيسى الملقب ابن التليبي (١٨٢٤ - ١٨٩٢)، ولد في قرية مراية والقرية من أم التيجان بجمهورية تشاد، وكان والده من أبرز علماء عصره، واشتهر بالفقه والورع. وحفظ القرآن الكريم في طفولته بدارفور في السودان. ثم انتقل إلى اليمن، والتقى بالشيخ أحمد بن إدريس صاحب الطريقة الإدريسية، فتبحر في علم التصوف. ثم عاد مرة أخرى إلى السودان والتقى في دارفور بالشيخ محمد المختار الشريف الشنقيطي شيخ الطريقة التيجانية في دارفور، ثم عاد إلى وطنه تشاد، وأسس الطريقة التيجانية. فحياة الشيخ مليئة بالترحال والاعتكاف مع شيوخ الصوفية، لذلك فإن جُلُّ نتاجه الشعري كان في المديح النبوي وذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم ومدح الطريقة الصوفية خاصة شيخ الطريقة التيجانية، أحمد التيجاني، ثم باب التوسل والاستغاثة. وترك الشيخ منظومات مبمثرة وتم طباعتها بالألة الكاتبة بعناية حفيده الحاج محمد قمر السليكي من رجال التعليم في تشاد.

لقاء تم بيني وبين حفيد الشيخ الأستاذ محمد قمر السليبي في أنجمينا بحج مرجان، دفن في ٢٥/٢/٢٠٠٢م.

ولونك يا جليل القدر أزهى
 كبسر لا يشابهه ضياء
 جمالك يا شفيخ الخلق فائق^(١)
 جمال الكل لا فيه خفاء
 نشأت من رُما من غير كيف
 «كأنك قد خلقت كما تشاء»
 وعلمك يا رسول الله بحر
 لأهل الأرض طرًا والسما
 وجأفك يا إمام الرسل واسع
 عريض لا يضيق بذى خطأ
 ذكي صادق من غير ريب
 خيار الخلق محمود السخاء
 صلاة الله مولانا دوائنا
 على المختار ما دام البقاء

(١) تشيع القاف عند القراءة.

(٢)

[الكامل]

يا ربَّ صلِّ على الرسول الأمجد
بحر الحقائق للخلائق مُرشِد
بدرًا تجلَّى على الوجود بأسره
وسعى على كُلِّ البرية مقعد
هو وأبْلُ عمِّ الجميع بفضله
ومراحمُ شات بلطفِ توؤد
هو سابق، هو لاحق، هو سائق
هو ناطق، كافي بغير تردّد
هو شافع، هو طائع، هو خاشع
هو نافع، يعطي الجميع ويرشد
يا سيّد الكونين طه محمد
يا من له جسمٌ يضيء توقدا
يا قائدَ الرسل الكرام بأسرهم
يا مَنْ له كُلُّ الدلائل تشهد

لولاكَ ما كان الوجودُ بأسره
أبدًا وما نال السعادةُ مُستعد
يا جسم ما بيدي لأمرِك حيلة
لكن أمدُّ لا ين أمانةً يدي
وعليك صلى الله يا علم الهدى
وعلى صحابتك الكرام السُّجُد

عبد الحق السنوسي^(١)

[البيسطة]

(١)

أضحى مريضاً فزّادي ناكس الراس

يبكي لفرقة أحبابي وجُلّاسي

(١) الشيخ عبد الحق محمد السنوسي (١٨٥٣ - ١٩١٨م) وُلد البعث والإحياء للشاعر التشادي الحديث، ولد بقرية ترمج التابعة لمدينة أبشة. حفظ القرآن الكريم على يد والده، وسافر إلى بلاد الحجاز للحج، ثم ذهب إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف، وتفرغ لتدريس العلوم الدينية والعربية بأبشة، ونظرًا لمقاومته للمستعمر الفرنسي وأذناؤه، فقد ذل شرف الاستشهاد في منبحة الككب الماساوية سنة ١٩١٧م (منبحة الككب: منبحة شهيرة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصر الحديث، ضد المستعمر الفرنسي، فأحدثها وقعت سنة ١٩١٧م في إقليم وادي/ أبشة وهي مدينة تقع شرق تشاد، مُتاخمة للحدود السودانية، وتعد البوابة الشرقية لشرق أفريقيا وعندما استنصر المستعمر الفرنسي الخطر الذي سوف يلحق به من هذه المدينة المألة المجاهدة، قام بجمع العلماء والأئمة ونجحهم بالسيوف، فصعدت أرواحهم إلى بارئها في جنات النعيم، ولكن أولادهم وأطفالهم حملوا راية الجهاد من بعدهم حتى تطلعت تشاد من براثن المستعمر الفرنسي. فالمنبحة نقلة سوداء مظلمة في تاريخ فرنسا الصليبية، وفي القابل صفحة بيضاء من صفحات الجهاد الإسلامي المشرف في تشاد، لإعلاء كلمة الله والنود عن الوطن).

ومن أشهر قصائده «التوبة الكبرى»، وتبلغ نحو مائة وخمسة وثمانين بيتًا، و«التوبة الصغرى»، والسينية، إضافة إلى كتب له في الاستفانة والأوزار، وتم الحصول على فتاح الشعر من معهد الدراسات الوطنية التابع لجامعة أنجيمينا ومن مركز المخطوطات التابع لجامعة الملك فيصل، وعاصر الشيخ مفكرين وأدباء في مصر منهم الشيخ جمال الدين الأفغاني فاستفاد من فكره الإصلاحية، وتأثر بشاعر البعث والإحياء محمود سامي البارودي، فكانت لهذه المعاصرة أكبر الأثر في تكوين شخصية الشاعر الإبداعية، إضافة إلى الأحداث التي عاصرها. خاصة مقاومة المستعمر الفرنسي، ومعاربة البدع والجهل المتفشي في مجتمعه.

ومن مؤثرات تكوين شخصيته الشعرية أنه يتحدر من أسرة شاعرة: فجدّه أبيه الشيخ يعقوب أبو كويسة وغيره من شعراء أبشة، وتعددت موضوعات قصائد الشيخ ما بين الفصح النبوي والمديح العام والرتاء والغزل والوصف، وتسم أشعاره بالمحافظة والالتزام بعمود الشعر، وأثر فيمن أتى بعده.

انظر: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي في دار وادي، د محمد صالح أيوب، رسالة دكتوراه بجامعة الملك فيصل، بشاد، ط١، ليبيا.

الشيخ عبد الحق السنوسي ومكانته الأدبية، بحث مقدم لنيل شهادة التأهيل التربوي، حبيب عمر - ملامح الأعمال الأدبية والأغراض الشعرية لعبد الحق السنوسي، بحث محمد الحبيب ٢٠٠١.

تَشْتِيَهُمْ شَتَّى الْحَاجَاتِ مِنْ أَمَلِي
وَشَتَّى النَّوْمِ عَنْ عَيْنِي بِإِخْلَاسٍ
فَجَلْتُ فِي النَّاسِ كِي الْقَى لَهُمْ بَدَلًا
فَلَمْ أَجِدْ غَيْرَ وَسْوَاسٍ وَخَنَاسٍ
تَاللهِ لَوْ لَمْ أَذُبْ مِنْ فَقْدِهِمْ كَمَدًا
مَا بَاتَ سَاقِي جُفُونِي مُنْفِقَ الْكَأَسِ
وَوَظَلْتُ وَالْهَمُّ مِنِّي غَوْلَةً سَلَبْتُ
بِرِزْقِ اضْطِجَارِي وَعِضَانِي بِاضْرَاسٍ
يَا حَسْرَتِي مَنْ لِسْوَاشِ رَقْتِي اسْقَا
لَوْلَاهُ مَا عَزَلْتَنِي عَيْنُ حُرَاسٍ
يَا سَيِّدِي فِي الْهَوَى الْعُزْرِي مِنْ وَلَهٍ
لَرِيمِ أَنْتَسِ وَأُسْدٍ فَوْقَ أَفْرَاسٍ
قَدْ هَامَ قَلْبِي لِوَادِي آبِشَّةٍ^(١) عَلَّ بِهَا
خَيَالُهُمْ فَوْقَ مَاءٍ أَمَّ كَامِلٍ رَاسٍ
إِذَا النُّسَيْمُ عَلَيْهَا مَرَّ فِي سَحَرٍ
وَعَادَ يُنْشِئُ قُنِي مِنْ رِيحِ إِينَاسٍ
وَقَدْ دَعَانِي لِنُجُوحِ التَّكَالُفِ لَهُمْ
دَاعِي هَيَلٍ عَلَى أَغْصَانِ مِيَاسٍ
وَهَاجَ بُلْبُلُ أَشْجَانِي عَلَى شَجَرٍ
نَاعِي إِمَامِ الْهُدَى مُحَمَّدٍ نَبِيَّ رَاسٍ^(٢)
فَوَا لِيَسْمَسْ هَدَى مِنْ أَفْقِهَا أَفْلَتْ
وَتَلِكْ حُجَّتُنَا فِي مَوْكِبِ الْجَاسِ

(١) عاصمة مملكة وادي.

(٢) وهو شيخ عبد الحق المتوسلي استاذ.

كائن في صدره بُسْتَانِ مَعْرِفَةٍ
 سَقَاهُ مِنْ عَيْنِ خَضِرٍ^(١) خَيْرُ غُرَاسٍ
 فَالْبَحْرُ مَعَ مَدَّةِ السَّبْعِ الْبَحَارُ نَدَى
 أَقْلُ مِنْ مَدَّةِ لِرْزَقِ قِرْطَاسٍ
 يَا مَنْ تَطَوَّقَ حُبَّ الْعِلْمِ فَاشْدُ بِنَا
 لِسِرِّةِ الْمُتَنَتِّهِى فِيهِ مِنَ النَّاسِ
 أَوْدَاقُ كُتُبٍ فُنُونِ الثَّيْنِ قَدْ نَهَبَتْ
 مَعَ اضْلِيلِهَا وَتَصَالَتْ بَعْدَ إِبْيَاسٍ
 يَا تَكَلُّ أُمِّ الْكِتَابِ فِي ابْنِ بَجْدَتِنَا
 وَثَانِ كَفَّتِهَا فِي وَزْنِ قِسْطَاسٍ
 وَيَا تَلَائِمِ ابْتِكَارِ الْحَوَاشِي لَهَا
 عَنْ زَوَاجِهَا الْمَاهِرِ النُّفَاقِ وَالْكَاسِ
 تَاللهِ لَوْلَا انْتِظَامُ الْإِمْنَانِي لَهُ
 مَا كَانَ خَالَفَهُ الْحَبِيرُ ابْنُ عَبَّاسٍ
 صَحِيحُ فَنِّ الْبُخَارِيِّ ظَلُّ فِي عِلَلٍ
 مِنْ بَعْدِهِ قَرَقَا مِنْ مَسِّ دَلَّاسٍ
 وَقَزَعِ غُضَنِ خَلِيلِ ضَاعَ مُورِقُهُ
 وَزَفَوهُ بَعْدَهُ مِنْ خَبِطِ هَوَاسٍ
 أَلَا فِ كُتُبِ فُنُونِ الثَّيْنِ قَدْ نَسَجَتْ
 فِيهَا عَنَّا كِبُ جَهْلٍ بَعْدَ كُنَاسٍ
 فَرِيدَةُ النُّحُورِ وَالْكَافِيَةِ انْطَمَسَتْ
 إِذِ الْخُلَاصَةُ صَارَتْ ذَاتَ أَذْنَانِ

(١) وهو نبي الله خضر.

والشَّاطِطِي لَنَا شَطَطٌ مَسَافَتُهُ
 مِنْ بَعْدِهِ لَمْ يَحِيفْهُ شَمُّ حُسَّاسِ
 جَمْعُ الْجَوَامِعِ مِنْ كُلِّ الْأَصُولِ مَعَ الشِّدِّ
 شَتَاتَيْنِ شَتَّ فُرَادَى بَعْدَ حُسَّاسِ
 وَكُلُّ صُفْرَى وَكُبْرَى فِي الْكَلَامِ لَنَا
 مِنْ بَعْدِهِ انْعَقَمَتْ مِنْ كُلِّ مِقْيَاسِ
 وَانزَاخَ جِصْنُ حَصِينِ الصُّرْفِ إِذْ عَجَزُوا
 عَنْ وَزْنِ أَزْكَانِهِ بِمَوْتِ هُنْدَاسِ
 لَوْلَمْ يَكُنْ قُطْبُنَا التَّجَانِي^(١) خَلَقَهُ
 فِي مَنْهَلٍ لِلْوَزْدِ مِنْهُ خَيْرُ رِئَاسِ
 مَا كَانَ فِي مَنَاشِي^(٢) مِنْهُ مُسْتَتِرًا
 بِغَيْنِ مَاضِي^(٣) ضَمِيرِ الشَّانِ مِنْ فَاسِ^(٤)
 لَوْ يَقْبَلُ الْمَوْتُ مِنْهُ فِيهِ ذُبْحٌ فِذَا
 لَمَدَّ عُنُقَ فِدَاهِ كُلُّ ذِي رَاسِ
 إِنَّا إِلَى اللَّهِ إِنَّا رَاجِعُونَ لَهُ
 كَيْفَ الْمَقَامُ بِلا شَيْخٍ وَسَيَّاسِ
 يَا طَوْلَ نَوْجِي بَنَاتِ فِكْرَتِي أَشْفَا
 وَخَوِّ مَعَهَا الْبُكَاءُ مِنْ كُلِّ أَجْنَاسِ
 وَلَوْ أَتَتْ بِالْأُدرَارِي فِي الرُّثَاءِ لَهُ
 لَقُلَّ عَنْ قَنْدَرِهِ مِنْ بَيْتِ أَكْيَاسِ

(١) الشيخ أحمد التجاني صاحب الطريقة التيجانية المنتشرة في حاضرة وادي.

(٢) المنطقة التي يقيم فيها الشيخ محمد أبو راس (شيخ عبد الحق المستوسي).

(٣) مسقط رأس الشيخ أحمد التجاني ومنطقته.

(٤) مدينة فاس المغربية مصدر الطريقة التيجانية.

يَا سَيِّدِي أَنْتَ فِي الدُّنْيَا إِثْمُ أَمَلِي
 فَلَا تَكُنْ لِي يَوْمَ الْحَشْرِ بِالنَّاسِي
 وَابْشِرْ بِوَفْدٍ عَلَى الرَّحْمَنِ إِذْ سَبَقَتْ
 رَحْمَاتُهُ غَضَبَ الْعَاصِي لَهُ الْقَاسِي
 يَلْقَاكَ بِالرُّحْبِ وَالزُّلْفَى مُبَشِّرَةٌ
 فِي رَوْضِ قَبْرِهِ بِوَجْهِ غَيْرِ عَبَّاسٍ
 وَلَمْ تَزَلْ نِعَمَ الرُّضْوَانِ بِاعِيَّةُ
 عَلَيْكَ مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى بِمِقْيَاسِي
 وَيَزِدُّ ظِلَّ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَشْمَلُنَا
 مَعَ كُلِّ أَخْبَابِنَا مِنْ غَيْرِ إِبْلَاسٍ
 مَعَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُخْتَارِ شَافِعُنَا
 أَذْكَى سَلَامٍ لَهُ مِنْ بَعْدِ أَنْفَاسِ

(٢)

[الكامل]

وَأَيْمُ صَلَاتِكَ لِلنَّبِيِّ وَالهِ
وَالصَّخْبِ كَاتِبِ خُصَيْنِهِمْ عِمْرَانِ
سَائِلِ بِيَارَ (أَبْشَةَ)^(١) عَنْ جِيرَةٍ
وَارِوِ الْحَدِيثَ لَهُمْ عَنِ الْجُنَرَانِ
وَاطْلُ وَقُوفِكَ لِي بِرَمْلٍ أَمْ كَامِلٍ^(٢)
نَقْضِي لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْعَانِي
وَاعِذْ لَذِيذِ حَدِيثِ سُكَّانِ اللَّوَى
مُنْتَزِعِ سِلَاقِ لَابِي زَنَادِ جَنَانِ
وَأَنْشُدْ هُنَاكَ عَنْ فُؤَادِي ذَابِلِي
أَسْفَا بِمَنْزِلِ زَهْرَةِ النَّسْوَانِ
مَغْنَى فَقَدْتُ بِهِ عُصُونِ فَرَانِدِ
تَهْتَرُ فِي وَبَقِ الْحَرِيرِ الْقَانِي
مَنْ كُلِّ بَرْقَاوِيَةٍ^(٣) فِي خَلْقِهَا
حُسْنٌ وَلَيْسَتْ مِنْ ذَوِي الْإِحْسَانِ
إِذْ حَلَلْتَ سَفَكَ الدَّمَاءِ بِسِخْرِهَا
وَقَضَيْتَ بِهِ جَوْزًا عَلَى الشُّبَّانِ

(١) عاصمة مملكة وداي.

(٢) مسطح مائي يرتاده الناس للتزويد منه، ويقع الآن داخل أبشة.

(٣) يعني الفتاة البرقاوية إلى وداوية.

وَأَمَرُّ عَلَى السُّوقِ الْقَبِيمِ وَقِفْ بِنَا
نَبْكِي لِيَالِي يَوْسُفَ السُّلْطَانِ^(١)
أَيَّامَ كَانَ اللَّهُ دِينِي وَالْهَوَى
شُغْلِي وَلَا لِي لَاتِمٌ أَوْ شَانٍ
وَالْعَيْشُ رَغْدٌ بَيْنَ أَنْسِ (غَزَائِلِي)
وَأُسُودَ غَابَ لِي مِنَ الْخُلَانِ
أَكْرِمَ بِهِ مَلِكًا عَهَدَتْ كَفَّهُ
بَدْرُ تَوْسُطِ هَالَةِ السُّودَانِ
فَاعْكِفْ بِمَنْزِلِهِ وَتَخَّ وَأَنْتَبُ بِهِ
نَهَبَ الْمَجَالِسِ وَأَنْتَزَاهُ لِمَانٍ
اسْقُ لِفَقْدِ بَنِيهِ إِبْرَاهِيمَ أَوْ
عَبْدِ الْعَزِيزِ وَعَابِدِ الرَّحْمَانِ
وَأُتُوبُ إِنْ نَكَّرُوا خَمِيسَ سَلَامِهِ
بَعْدَ الْجُزُولِ أَوْ السُّنُوسِي الثَّانِي
نَهَبَ الْكِرَامُ فَمَا تَرَاهُ وَفَرَّقُوا
مَنْ بَعِيهِمْ شَمْلِي عَلَى الْبُلْدَانِ
وَعَسَدَتْ أَضَالِيلُ الْمُئْتَى تَحْكِي لَنَا
أَخْبَارُكُمْ عَنْ كَانِيَاتِ أَمَانٍ
وَسَرَى التَّسِيمُ عَلَى رُسُومِ رِيوَعِهِمْ
وَهُنَا يُنَاوِجُ نَاعِي الْبُنْيَانِ
وَحَكَى عَلَيَّ إِشَارَةً مِنْ عِلْمِهِمْ
سِرًّا فَتَنَّبَهُ وَاسْنُ الْأَخْزَانِ

(١) السلطان يوسف، صديق وجليس الشيخ عبد الحق السنوسي.

فَسَلَكْتُ نَهْجَ الذَّاعِيَاتِ مَدِينَهَا
وَكَمَا تُنَاشِدُ لَاعِبَ الْأَغْصَانِ
وَضَجِبْتُ سِرِّبَ الثَّأْكِلَاتِ وَجِدَهَا
لَيْلًا بِهَا ضَرَبَ مِنَ الْهَيْئَانِ
وَرَجَوْتُ ثُلُوبَ الزَّمَانِ لَعْلَهُ
يَأْتِي بِهِمْ فَبِطْطِلِهِ أَغْيَانِي
يَا صَاحِبِي إِنْ الْفِدَاءُ فَاشْتَعِدَا
تَعْمِي فَإِنْ لَمْ تُسْعِدَا فَتَذَرَانِي
فَلَقَدْ دَعَانِي لِلْبُكَاءِ مُغَرَّدُ
سِرِّي الْخَفِيِّ وَسِرُّهُ سَيِّئَانِ
عَرَفَ السُّجُوعَ وَاحْنَهُ فَلَطَالَا
عَنِّي فَأَغْنَانِي عَنِ الْأَلْحَانِ
وَالْيَنِّكَ عَنِّي يَا عَذُولُ فَإِنَّنِي
قَدْ كُنْتُ فِي شَانِي وَأَنْتَ بِشَانِ
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَدْرِ الْفِرَامَ وَأَهْلَهُ
سَلْنِي فَإِنِّي قَيْسَةُ اللَّبْنَانِ^(١)
لَمْ أَصْخُ مِنْ ثَمَلِي بِرَاحٍ (قَوْلُهُمْ)
إِلَّا إِذَا ذُكِرْتُ لِي الْحَرَمَانِ
بَلَدٌ بَاتَّطَحَ تَجْدُ أُمُّ الْقُرَى
فِي بَيْتِهِ الْعُمُورُ رَيْنُحُ أَقَانِ
أَكْرِمَ بِهَا مِنْ حُرَّةٍ مَخْرُوسَةٍ
لَيْسَتْ شِعَارَ شَقَائِقِ الْإِيمَانِ

(١) قيس بن ذريح، المعروف بقيس لبيد.

وتبرقعن باللَّيْنِ تَحْتَ مَلَاةٍ
مَضْرِيَّةٍ زُرَّتْ بِشَادِ رَوَانٍ
فلقد جَعَلْتُ لَهَا رُوجِي فِدَاً
من بعدِ جَفَلِ بَمِي مِنَ الْقُرْبَانِ
لم أنسِ وَدَّ أَحِبَّةٍ لِي عِنْدَهَا
يُنْسِيكَ بِأَقْلُهُمْ^(١) زَكَّى سُخْبَانِ^(٢)
من كُلِّ سُنِّيِّ الطَّرِيقَةِ لَمْ يَلِنِ
بِقُلُوقِ سَيْسِينَ أَوْ رُقْبَانِ
كُلُّ اللَّيَالِي لِي بِهِمْ قَدَرُوتُ
وَالْيَوْمَ عِيدٌ وَالرَّيْغُ زَمَانِي
يَا سُوءَ حِظٍّ عَنْهُمْ قَدْ عَاقَنِي
إِذْ حَضَبُوا وَسَرُوا مَعَ الرُّكْبَانِ
وَالِي الْعَقِيقِ بِهِمْ خَذَا الْحَادِي فِيَا
بُشْرَى لَوَاءٍ أَبْرَكَ الْوُدِيَانِ
يَهْنِيهِمْ بِوَصَالِهِ لُقْيَا قُبَا
وَقُبَابُهَا مَرْفُوعَةُ التَّيْجَانِ
وَإِذَا الْبِلَادُ كَانَتْ كُلُّ جِهَاتِهَا
لَيْسَتْ بُرُودَ شَقَائِنِي النُّعْمَانِ
وَإِذَا الْبِقَاعُ كَانَتْما انتَشَرَتْ بِهَا
خَضِبَاءُ ثُرٍ مِنْ عُقُودِ جُفَانِ

(١) واحداً من أحقق العرب.

(٢) أفصح رجل من العرب.

مَا كَانَ أَخْلَى صَوْتُ سَاجِعِهَا إِذَا
 هُوَ مِنْ تَنِيَّاتِ الْوُدَاعِ نَعَانِي
 وَأَنَاخَ بِي بِمَدِينَةِ سَيِّئَةٍ
 رَجَعْتُ أَيْدِيهَا بِكُلِّ مَكَانٍ
 فَسَأَلْتُ أَخْذًا عَنْ حَدِيثِ مُحِبِّهِ
 فَرَأَوَهُ مُطَرِّبًا مِنَ الْأَشْجَانِ
 إِذْ قَالَ هَذَا رَبُّنَا عَزَّتْهُ فَتُخِ
 وَأَطْلُ بِكَ لِبْنِ أَهْلِ الْبَنَانِ
 وَالْثَمَّ ثَرَى أَثَارَهَا ثُمَّ اعْتَنَقَ
 حَوْرًا وَوَلَدَانًا مِنَ السُّكَّانِ
 فِي ظِلِّ طَوْبَى مَسْجِدٍ لَوْ شِئْتَهُ
 لَوَجَدْتَهُ إِرْمًا بِنَاهَا الْبَنَانِ
 قَدْ أَسْهَنَتْهُ يَدُ الثَّقَفَى فِي رَوْضَةٍ
 أَضْحَى بِهَا بِفَلِيزُ سَبْعِ جَنَانٍ
 حَيْثُ النَّبُوءَةُ وَالرَّسَالَةُ وَالْهَدَى
 فِي قُبَّةٍ رُفِعَتْ عَلَى الْعَذْنَانِ
 بَيْتُ الْقَصِيدِ وَجِيدُ نُفْيَةِ قَضَرِهِ
 وَثَمِيرُ نَوَازِلَةِ كُورَةِ الْأَكْوَانِ
 وَجَدِيرُ رُسُلِ اللَّهِ مِنْكَ خَتَامِهِمْ
 وَمُحِيطُ سَبْعَةِ أَنْحَارِ الْعِرْفَانِ
 مَا لِلْوَسِيلَةِ وَالشَّفَاعَةِ وَاللَّوَى
 إِلَّا ابْنُ بَجْدَةِ خَضِرَةِ الدِّيَانِ

رفعت عناية ربه ذكرى اسمه
 معه بعرش منار كل اذان
 إذ شق من معنى اسمه علما له
 وبنى عليه دعائم الأيمان
 فاعجب لأعيد خلقه فكأنما
 ولدته من بين الورى القمران
 وكلن يوسف^(١) عاد في حد وقد
 تمّت لنظم جماله الشطران
 فلذا استقل البدر قطع يده
 واتى بشق جبينه المزدان
 واتى له الإنجيل قبل مبشرا
 بقميص بغتته مع الرُفبان
 والجن غنت إذ روت أخباره
 مسنونة بمدارس الكهان
 لم تكن أن الثمر كان له الخ
 حتى أتى فتثلت المَلَوَان
 والدين أصبح في العرائس ضاحكا
 لشرك عند جنائز الأوثان
 وعيون فارس انشفت إذ أجمعت
 نيرانها بتشقق الإيوان
 والمؤيدان رأى الخيول بنجلة
 ورأى هرقل الروم ملك ختان

(١) يوسف عليه السلام.

والضُّبُّ قامَ مقامَ قُوسٍ قبلَهُ
 فحكى الخطيبُ به رِفاقَ بَیانِ
 ومن السَّما تَبِعَتْهُ رِثَةُ عَمَامَةٍ
 في الأرضِ فَيئُ مَالٍ عن أَفنانِ
 والنُّنْبُ ظاهِرُهُ فازْشَدَّ راعِيًا
 ورعى لَهُ غَنَمًا بشرطِ ضَمَانِ
 ووَفَّى الغَزالُ لَهُ بشرطِ ضَمَانَةٍ
 والفحلُ خَرَّ بِسُجْدَةِ الإِذْعَانِ
 والجذْعُ خَنُّ مع الفِراغِ لأجلِهِ
 وأَتَتْهُ أشجارُ بطرُوعِ عِنانِ
 لوقابلتْ مِرْزَاكَ طَلْعَةً وَجْهَهُ
 لرأيتْ شَفَسَ السُّعَدِ في إنسانِ
 ومكارمِ الأخلاقِ عِقدَ سَئِالِهِ
 نظمتُهُ في حَيَاطِي هَما الفُجْرانِ
 وحوى بِاتِّجَدِهِ الخِصالَ جَمِيعُها
 وتساوَرَت بِحُروفِها التُّقْلانِ
 من لي بِنَفْحَةٍ نَظَرَةٍ وَفَبِئْتَةٍ
 في رَوْضٍ وَجْهِ زاهرِ البِستانِ
 ذا شَجَّةٍ يَظُنُّ الفؤادُ لَهَا فيلِ
 قاما هلالَ الفِطْرِ في رَمْضانِ
 هو رَحْمَةُ اللهِ الَّتِي قد أُنْزِلَتْ
 للعالمينَ بِها يَدُ الرَّحْمانِ

وخيارهم كالرُّسُلِ والأَمَلِكِ لَدِ
 خُلُقِ الْعَظِيمِ لَهُ ابْتَدَأَ عُنوانِي
 إِذْ جَاءَتِ التَّكْوِيرُ فِي تَكْوِيرِهِمْ
 فَلَهُ أَتَتْ مِنْ بَعْدِ سَبْعِ مَثَانٍ
 تَبَعَ الْخَلِيلَ بِخِلَّةٍ فِي مِلَّةٍ
 وَازْدَادَ كَأْسُ مَحَبَّةِ الْمَنَانِ
 وَانْخَفَى مِنْ ذَاكَ التَّجَلِّيَ قَلْبُهُ
 وَتَعَبُّدًا غَسَلَتْ لَهُ الْمَلَكَانِ
 وَعَلَى السَّمَاءِ تَتَرَى فُسُوءَى خَلْفَهُ
 رُتِبَ الْكَلِيمِ مَعَ السُّورَةِ الدَّانِ
 وَزَقَّى وَجَاوِزَ عَرْشِ قَرْشِ الْإِسْتَوَا
 وَنَبَا بِقَابِ الْقُرْبِ أَيُّ نَدَانِ
 مَا زَاغَ مِنْهُ وَلَا طَفَى بَحْصَرُهُ
 عَنْ نَظَرَةٍ مِنْ غَيْرِ كَيْفِ عَيَانِ
 كَلًّا وَلَا كَذَبَ الْفُؤَادِ بِمَا رَأَى
 طَبَقًا لِعَيْنِي رَأْسَهُ الرُّوحَانِ
 إِذْ ذَاكَ طُودَ الصُّدْرَ مِنْهُ وَخَرَّ جَسَدُ
 مُمْ كَلِيمِهِ وَيَقِي إِذَا نُورَانِ
 وَانْزَاغَ مَعَ جَسَمِ الْفَنَاءِ ظِلُّهُ
 كَثَاوَيْهِ وَتَنَاطَرُ الدُّبَّانِ
 وَالنُّوْمُ وَالْأَضْفَاءُ مِنْ أَخْلَامِهِ
 وَرَاتَ لَهُ مِنْ خَلْفِهِ عَيْنَانِ

فَكَاتَمَا نَجَّمُ السَّمَاءَ عَلَى الْخُلَا
وَالنَّاسُ نَجَّمُ الْمَاءِ ذُو الْخِيَلَانِ
وَمَتَى تُحَدِّثُ عَنْ يَدِيهِ مِنَ التَّنْدَى
حَدِّثْ بِمَا هَرَجَ هُمَا بِخِرَانِ
فَلَذَا ارْتَوَتْ مِنْهُ الْأَكُوفُ وَسَبَّحَتْ
خُورَتْ الْحَصَى مِنْ نَهْرٍ كُلِّ بَنَانِ
لَوْ وَافَقَتْ سَفْدَاكَ يَوْمَ عَطَائِهِ
لَطَوَّيْتُ سِيرَةَ حَاتِمِ الْغُرَيَّانِ
إِذَا صَبَّحْتَ فِي الرُّكْبِ مِنْهُ سَكَابَةٌ
فَطَلْتُ لَهُمْ مِنْ وَبْلِهِ النَّسِيَّانِ
قَلَبْتُ عَلَى الْأَحْيَاءِ حَبَّ غَمَامِهَا
ذَقْبًا وَحُمُرَ النَّعْمِ وَالْقُنُصَانِ
مَنْ بَعْدَ مَا انْقَلَبَتْ عَلَى أَعْدَائِهِ
خَمَسُ السَّحَابِ مِنْ حَمِيمٍ أَنْ
أَوْ صَانَفْتُ لُقْيَاكَ يَوْمَ لِقَائِهِ
لَعَنْتُ عَنْتَرَةَ مَعَ الْغُرَيَّانِ
وَوَجَدْتُ عَيْنَ شَجَاعَةٍ وَجَرَاءَةٍ
فِي وَجْهِ ضِرْغَامٍ بِسِرْجِ حَصَانِ
وَوَجَدْتُ ابْنًا مَكَّةٍ أَوْ قَيْلَةَ
مِنْ كُونِ بَيْشْتِهِ أَشْوَدَ طِعَانِ
أَطْفَارُهُمْ خَطِيئَةٌ أَنْيَابُهُمْ
مِنْ كُلِّ مَخْنِيٍّ التَّصَالِ يَمَانِ

نَزُّوا نُرُوعًا مِنْ ثِيَابِ أَرَقِمٍ
 خَلَقَاتُهَا مَكْرُوفَةُ الْأَلْوَانِ
 مَا شَتَّهَا جُرُّ الذُّيُولِ وَلَا اشْتَمَا
 لُهُمْ، بِهِ الصُّمَاءُ فِي الْحَيْنِ
 يَتَلَمُّطُونَ تَلَمُّطَ الْأَقْعَى إِذَا
 اخْتَذَتْ جِهَازَ الْحَزْبِ وَالْمُنَوَانِ
 يَا يَوْمَ بَنِي إِذْ أَبَوِ الْأَشْبَالِ قَدْ
 لَاقَاهُمْ فِيهِ ضُكُورُ الضُّفَانِ
 وَيَكُلُّ شِبْلٌ هُمَةً مِنْهَا يَزَى
 كَبُشَ الْكَتِيبَةِ أَهْوَى الْخِرْفَانِ
 مَا قَالِ قَائِلُهُمْ كَمَا قَالَتْ لِمُو
 سَى^(١) قَوْمُهُ أَتَهَبُ أَنْتَ غَيْرُ مَعَانٍ
 إِذْ كُلُّ قَزْنٍ مِنْهُمْ طَالُوْتُ بَعْدَ
 سِدِّ النَّهْرِ تَحْتَ سَكِينَةِ أَطْمِئْنَانٍ
 فَتَبَادَرَتْ جِدَّةُ لَهُمْ وَتَخَاطَفَتْ
 أَيَّتَامُ أَفْرَاحٍ عَلَى الْكُتُبَانِ
 وَتَلَاغَبَتْ أَيْدُ الْبِلَا بِرُؤُوسِ مَوَ
 تَاهُمْ وَيَا الْأَسْرَى مِنَ الْفِيرَانِ
 وَجَرَى وَلَيْدُ الْكَلْبِ مِنْهُمْ بَعْدَمَا
 وَسَمُوهُ فِي خُرْطُومِهِ لِرَبَّانٍ
 سَبَقَ السُّلْعَيْنِ مُعَوَّذِيهِمْ إِذْ أَبَوِ
 جَهْلٍ لَهُ أَنْطَخَنْتَ بِهِ السَّيْفَانِ

(١) نبي الله موسى عليه السلام.

وَعَشَى أَبُو الْقَلْبَيْنِ مَكَّةَ سَائِلًا
عنها ضَحَى وَيَكْفِيهِ النُّغْلَانِ
وَالِى الْمَدِينَةِ عَادَ فِي غَابَاتِهِ
وَتَبَاتُهُ لَيْلَتُ الْعَرِيسِ الْجَانِ
قُلْ لِلْمَنَافِقِ ذِي السُّحَاوِلَةِ اقْتَصِرْ
يَا نَاطِحِ الصُّخَّرَاتِ مِنْ تَهْلَانِ
بَحَثَ الْيَهُودُ بَظْلَ فِئَتِهِمْ عَنْ حَتْفِهِمْ
لَحْدِيثِ كُلِّ خُرَافَةٍ مُجَانِ
مِنْ مَاءِ اثْنِ طَارِطَانِ شُؤْمِهِمْ
لِسَرَابِ أَخْرَابِ عَلَى قِيَعَانِ
نَزَلُوا وَحَطَّ الْبَنْدُ حَالَةَ خَنْدَقِ
خُرِسَتْ لِشُهْبِ لَوَاجِظِ الْغِيْلَانِ
فَتَطَايَرَ الْغَرِيْبَانُ عَنْهُ وَخَلَفُوا
خُلَفَاءَهُمْ فِي الشُّدُقِ وَالْأَسْنَانِ
بِضْرَاعِهِمْ مِنْ فِتْنَةٍ لَمْ يَشْفِهِمْ
إِلَّا وَلِسُوعٌ مِنْ الشُّجْعَانِ
وَجَوَارِحُ فِي خَيْلِهِمْ مَا هَمُّهُمْ
إِلَّا تَصَيُّدُ مَارِدِ الْقُرْسَانِ
نَصَبُوا شَبَاكَ ثُرُوعِهِمْ إِذْ نَزَّوْا
شَرَكَا لِنَقْصِ كَوَاسِرِ الْأَثْرَانِ
فَنَجَا الْمَنَافِقُ نَافِقَاهُ إِذْ رَأَى
شَجَرَ الْقَنَا أَرْفَعَتْ بِسْمَرِ لَدَانِ

وَأَبِيَّ أَوْلَادِ النُّعَامَةِ إِذْ رَأَى
لَدَغَتْهُ رُمُوحٌ مِنْ قَمَرِ الثُّغْبَانِ
أَفْسَدِي الْحُنَيْبِيِّينَ يَوْمَ تَبَايَعُوا
بِتِلْأَ عَلَيْنِهَا سِلْعَةُ الرُّضْوَانِ
لَمْ أَنْسَ مِنْهُمْ لَحْفَةً فِي عَقَبَةٍ
مَا كَانَ بَانِيهَا أَبُو غَشِيَانِ
كَلًّا وَلَا فَتَحَ بِمَكَّةَ إِذْ مَشَّوْا
بِعَرَقَرَمٍ مُتَخِضِّمِ الْأَرْكَانِ
زَفَعْتُ لَدَى نَضْرِلِهِ يَدُ سَفِيهِمِ
فَمَحَتْ بِمَا خَطَّتْ يَدُ الدُّبْرَانِ
وَبِنَاتُ نَعَشٍ جَهَّرَتْ جَيْشَ الصُّبَا
مَعَهُ وَطَارَ بَقَى لَهُ الدُّخْرَانِ
وَسَرَتْ بِهِ شَهْرًا فَفَتَحَ رُغْبُهَا
أَبْوَابَ مَكَّةَ مَعَ أَبِي سَفِيَانِ
لَا تَحْكُ مَعَهَا مِنْ سُلَيْمَانَ الرَّحَا
مَا سُخِّرَتْ إِلَّا عَلَى الْحَمْلَانِ
إِذْ لَمْ يَكُنْ وَادٌّ لَهُ وَجَنُودٌ وَ
دِي النَّمْلِ مِثْلَ الْجَحْفَلِ الظُّهْرَانِ
جَبْرِيلُ مِنْ قُرْوَادِ عَزْدَانِيلَ مِنْ
عُرْقَانِهِ مِيكَالُ فِي الْأَغْوَانِ
تَالِهِ لَوْ أَبْصُرْتَ تُبَّعَ قَوْمَهُ
وَالْفُلُوقَ الشُّعْرَا مَعَ النُّعْمَانِ

وَرَأَيْتَ حَظْمَ خُيُولِهِمْ وَصِهْلِهِمْ
 فِي اللَّيْلِ تَنْفَعُ تَحْتِ شُهْبِ سِنَانِ
 وَرَأَيْتَهُمْ فِي زَاهِدٍ مِنْ بَيْنِهِمْ
 لَحَسِبْتُ نُوحًا جَاءَ بِالطُّوفَانِ
 وَيَخَالِدٍ صَاحِبَ حَمِيرٍ كَدَى وَقَدْ
 فَزَتْ لَوْزِدِ الْقَسْوَرِ الْعَطْشَانِ
 أَمَا الْحُجُونَ فَمَا بِهِ مِنْ تَابِجٍ
 لِلْأَزْقِطِ الرَّفْلُولِ ذِي الْجِرْوَانِ
 بَلْ قَابَلُوهُ مُسَخَّرِينَ وَقَوْفُهُمْ
 مِنْ دَامِيَاتِ الشَّغْرِ صَوْتُ لِسَانِ
 حَتَّى اسْتَفَانُوا مِنْهُ بِالْقَرِي فَقَدْ
 وَجَدُوهُ يُوسِّفُهَا مَعَ الْإِخْوَانِ
 فَرِحَ الْحَطِيمُ بِحَطْمِهِمْ قُبَلَ الْبَلَا
 وَذَمُّ ابْنُ خَطْلٍ ظَلُ فِي الْقُضْبَانِ
 وَالْحَقُّ جَاءَ مَعَ النَّبِيِّ لَبِيتِهِ
 وَالْبَاطِلُ انْتَرَفَقَتْ بِهِ الرِّجْلَانِ
 وَإِلَى حُنَيْنٍ خَنَّتِ الْعَضْبَا بِهِ
 إِذْ جَانَهَا كَالْعَارِضِ الْهَتَّانِ
 فَتَوَقَّمُوهُ مُنْطَرِفًا فَتَعَرَّضُوا
 فَبَحَثْتُمْ رَجَعُوا لِدَارِ قَوَانِ
 مَنْ بَعْدَهُ الْقَى الْحَصَى مِثْلَ الْعَصَا
 مِنْهُمْ تَلَقَّفَ إِنْكَ كُلُّ جَبَانِ

وسبا سبائاهم ولكن ردها
بِرًّا لِحَلَّتْ فِيهِ ذَاتُ حَنَانٍ
وَنِيَامٌ طَائِفُهُمْ أَتَاهُمْ طَائِفٌ
مِنْهُمْ فَأَضْبَحَ كَالصُّرِيمِ الْعَانِي
وَالِىَ الْمَدِينَةَ عَادَ فِي غَابَاتِهِمْ
بَذْرًا نَعْلَى قَلْعَةِ السُّلْطَانِ
أَنْصَارُهُ كَانُوا شِعَارَ وَقَايَةِ
لِدَثَارِ كُلِّ مُهَاجِرٍ الْأُظْطَانِ
قَوْمٌ إِذَا شَاهَدْتَهُمْ أَيْقَنْتَ أَنَّ
خَلْفَهُمْ نَجْوَى هِدَايَةِ الْحَيْرَانِ
وَوَجَدْتَ كُلَّ خَلِيفَةٍ مِنْهُمْ كَذِيٍّ أَلِ
قَزْنِينَ أَوْ ذِي الْكِفْلِ أَوْ لُغْمَانِ
يَا سَيِّدَ الْكَوْنَيْنِ وَالْثَقَلَيْنِ فِي الدُّ
نَا رِيحِنِ يَا بَا قَاسِمَ الدُّيَانِ
فَبِحَقِّ صَنِيْعِي وَفَارُوقِ الْهُدَى
وَأَبِي الثُّرَابِ وَجَامِعِ الْقِرَانِ
وَالْأَلِّ وَالْأَصْحَابِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْأَلِ
وَالْوَالِدِ وَالْأَسْبَاطِ لَا تُنْسَانِي
أَوْ تَجْعَلْنِي عَبْدَ حَقِّ جَنَابِيَةِ
فِي مَا جَنَى بَلْ قُمْ بِفَكَ رَهْمَانِ
حَاشَا سَخَاكَ يَسْرُدُ وَجْهَ تَطْفُلِي
عَنْ قَيْضِ فَضْلِ مَالِهِ طَرْفَانِ

أَوْ أَنْ يَضِيقَ نَدَاكَ بِي لَوْ أَنَّ لِي
 عَرُوضَ السَّمَاءِ وَأَرْضَهَا كَفَّانِ
 وَجَمِيلَ ظَنِّي فِيكَ أَكْذَلِي الرَّجَا
 بَلْ قَدْ قَضَى لِي فِيكَ بِالْإِيْقَانِ
 مَا كَانَ أَحْسَنَ لَوْ قَبِلْتُ قَصِيصِي
 وَعَدَّتَنِي مَعَ كَغَيْبٍ أَوْ حُسْنِ
 وَجَعَلْتَ جَانِزَتِي إِلَيْكَ شَفَاعَةً
 مِنْ كُلِّ نَذْبٍ لِي وَمَنْ وَالْآنِي
 وَلَيْسَ بُلَيْتُ لَشُؤْمٍ نَذْبٍ عَاقِنِي
 أَوْ سِوَهُ حَظٌّ مِنْ نَدَاكَ ثَنَانِي
 فَمَتَى سَأَلْتُ اللَّهَ الْخَافَا بِهِ
 فَعَرِيضُ جَاهِكَ فِيهِ لَوْ عَاطَانِي
 يَا رَيْنَا يَا رَيْنَا يَا رَيْنَا
 يَا رَبِّ كُلِّ قُلَانَةٍ وَقُلَانِ
 فَكَمَا بَلَا سَبَبٍ مَنَنْتَ بِنِعْمَةٍ الـ
 إِيْمَانِ قَامَنْتُنْ مَعَهُ بِالْعُفْرَانِ
 وَكَمَا أَمَزْتَ بِسَيْثَرِ عَوْرَةٍ مُسْلِمِ
 أَسْبَلْ لَنَا سَيْثَرًا وَحَزَزْ أَمَانِ
 وَكَمَا تُجِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ جَمِيعَ مَا
 مَنَّا عَلَيْنَا وَخَطُّهُ الْمَلَكَانِ
 وَكَمَا نَدْنَيْتَ إِلَى الْعِتَاقِ تَشْوِيقًا
 فَاغْتِثْ وَأَشْقِطْ كُلَّ نَذْبٍ جَانِ

لولا رجاءُكَ كان قُبْحُ ذنوبِنا
 نَمْشِي على جُرُفٍ مِنَ الْخِذْلَانِ
 لَكِنْ رَحِمْتَكَ الَّتِي سَبَقَتْ لَنَا
 بِالْفَضْلِ نَرْجُوها رجا الظُّلَمَانِ
 فَانْظُرْ لَنَا مِنْها بِعَيْنِ عِنايَةٍ
 تُنْجِي مَساعينا مِنَ الْجِزْمَانِ
 وَتَلْقُنَا فِيها بِصالِحِ توبَةٍ
 تَمْحُو فِئَاتِنا مِنَ الْعِضْيَانِ
 وَاشْبِغْ لَنَا مِنْها بِأَطْيَبِ عِيشَةٍ
 مَرْضِيَّةٍ مَفْرُوجَةٍ بِحَنَانِ
 وَارْزُقْ بِها عَنَّا الْحَواشِدَ وَالْعِدَى
 فِي كَذِبِهِم بِالسَّرِّ وَالْإِغْلَانِ
 وَابْعِدْ بِها عَنَّا الْهَوَى وَجُنُودَهُ
 كَالنَّفْسِ وَالشُّهُواتِ وَالشَّيْطَانِ
 وَأَقْضِ لَنَا عَمَلًا وَعِلْمًا نَافِعًا
 مِنْ كَأْسِ خَضِرَةِ قُدْسِكَ الْمَلَانِ
 وَاخْتِمْ لَنَا مِنْها بِأَسْقَدِ خاتَمٍ
 يَمْشِي بِأَخْبَرِنا على الْإِيْمَانِ
 وَأَخْضِرْ بِنَا فِي مَوْتِنا وَبِقَبْرِنا
 وَيَنْشُرْنا وَالْحَشَرَ وَالْمِيزَانَ
 وَأَجِرْ بِنَا فِيها الصُّرُاطَ كُلَّ مَحْجَةٍ
 مِنْ فَوْقِ كُلِّ قَنَاطِرٍ النَّيِّرَانِ

وبها ازوينا من حوضِ أَكْرَمِ مُرْسَلٍ
 وانخُلْ بنا فيها بِعَنَنِ جَنَانٍ
 واكْشِفْ لنا عَنْ حُشْنِ وَجْهِكَ عِنْدَمَا
 فِي ظِلِّ قُزْبِ الرُّوحِ والرُّحَانِ
 واشْمَلْ جميعَ أَصُولِنَا وَقُرُوعِنَا
 والصُّحُبِ والأَشْيَاخِ والإِخْوَانِ
 واقْرَأ السَّلَامَ مَعَ الصَّلَاةِ لِأَحْمَدٍ
 والآلِ والأَصْحَابِ مَعَ عُفْرَانِ
 مَا دَامَ قَدْزُكَ بِالْكَمَالِ مُتَمِّمًا
 وتَعاقِبَتْ بِخَتَامِهِ الْمَلَوَانِ

عبد الله يونس المجيري^(١)

(١)

[الطويل]

أيما من لهم في الأمر عهدٌ تقنُّما
ومن بين أبناء البلاد تزعمُما
وكان لهم في مجلس الحكم نائبُ
يُمثِّلُ سُكَّانَ البلاد معظما
أخلاءَ صديقٍ لا إذا ما تشعبت
(عليك أمورٌ ظلَّ يلحَاك لاتما)
إذا ما بدا بالأصدقاء تخانُلُ
ومن بينهم حبل الوصال تصرُّما
وافشى قرين السوء سرَّ قرينه
وسرَّ خيار الأصدقاء مُكتما
إذا فيكما إن قلت لست مبالغا
بأنكما نعم الصديقان انتما
بمثلكما يا مصطفى ومحمد
تخفُّ أثقالُ الصديق إذا انتمى
لأنكما كالنهل العذب سائغا
مرثيا لأبناء العشيرة فيكما

(١) عبد الله يونس المجيري (١٩١١ - ١٩٧٨)، شاعر تشادي ولد في أبشة من أب ليبي الأصل، ومن أم تشادية، وسافر إلى مصر، والتحق بالأزهر الشريف، ونال الشهادة الجامعية سنة ١٩٤١م ثم مارس الأعمال التجارية، بالإضافة إلى ممارسته للنشاط التعليمي في أبشة، وله قصائد معبودات لم تطبع بعد.

وكان لذيذ الطعم كالشهد شافياً
 يطيب ولالأعداء داء وعلقما
 ولا خاب مأوئ لمن جاء قاصداً
 من الناس إلا عاد بالفضل منكما
 وإنسي على ما نلتَه مُتواترُ
 تَفجّر شعري بالثناء عليكما
 نشأتم على المجد التّليد وراثَةً
 ومن طسارق المجد المائثل نلتما
 صبيوتم إلى حسن الثناء بهمةٍ
 وكان لكم من أوفر الحظ فرتما
 تدوم لأبناء العشيرة ملجأ
 يعد لهم في حالك الدهر مغنما
 وإنسي لأرجو أن تحيطوا شكايتي
 بشيء من العطف الذي شاع عنكما
 نظيراً لما لاقيتُ من ظلمٍ جائرٍ
 تصرّف مغروراً لنيماً تحكّما
 تجنّى على ما يملك الابن يونس
 ثلاث ملايين من النقد أمّما
 وأودعه سجناً على غير موجبٍ
 به صار موقوفاً كمن كان أجراما
 فلا عاش ميسوراً (مبوتو) وحزبه
 وجازاه ربُّ الناس بالخزي والعمى
 تجرد مفصولاً عن الحكم يائساً
 ومن بين حكام البلاد تحطما

جدير بما يلقاه من سوء فعله
وكان جزاء الظالمين جهنما
رجوت له من يدرك الأمر حازماً
يردُّ به الجاني إلى الرشد مرغماً
فانتتم لها يا آل جابر سئماً
وفيكم أبو بكر الرئيس المُقَدِّماً
لدى مجلس الثوار عضواً وإنه
تسرَّأس أركاناً لجيش منظماً
هو القائد الموصوف والعارم الذي
إذا ما بدا يوم الكريهة ضيفما
خلاصة أبطال البلاد وفخرهم
هنيئاً لأبناء المجابر انتما
لنن ضاع مسلوياً وكان وراءه
مثال أبي بكر به عاد ملزماً
وذو همة كالصطفى ومحمد
أعادوه مهما كلف الأمر منهما
أولئك ممن يستعان برأيهم
إذا حارت الأفكار والقرح أوجما
رجال لهم في النائبات سماحة
لنيل رفيع المجد مهما تقوُّما
وما منهم إلا فتى ذو مهابة
مُجَدِّداً إلى العلياء بالجد مغرماً
قَراطسةً من أرفع الناس همةً
وانبلهم في النائبات وأكرماً

إذا ما بدا منها فتى في جماعة
 جدير بما أن سادهم أو تقدما
 أعينهم بالله من شر حاسدٍ
 ومن كل ذي حقد على القلب قد خما
 حبوتهم من خالص الفكر نخبةً
 من الشعر كالدر الثمين مُنظَّمًا
 عليهم سلام الله ما خرُّ ساجدُ
 مدى الدهر أو طيرُ الأراكِ ترنُّما
 وأزكى صلاةٍ الله ثم سلامهُ
 على خير خلق الله طرًّا واجلما
 نهبت لأعضاء السفارة شاكيا
 فلا من يسألني شكوتي أو تالما
 وكنت بإبراهيم لا شك واثقُ
 بإبرشاده إذ جنته متظالما
 ولكنه لم تكتنفهُ عواطفُ
 من اللطف أو مستنكرا ما تقدما
 وعدتُ قليلَ الحظِّ منه ولم يكن
 نصيبي سوى خُفِّي حُنينٍ تحتما
 كمن جاء موهومًا وحسب أنه
 ستشفيه أعلام السُرَّاب من الظما
 فلا الفضل منسوبٌ إلى غير أهله
 ولا التَّبرُّ إلا في معانده نما

(٢)(١)

[الوافر]

أَرْفُ لها من القلب التَّهاني
لأخذ مكانها في البرلمانِ
مُوجَّهة لهم عن قلب صَبٍّ
يحنُّ لأهل هاتيك المعاني
أهناها يداك ومن يليها
من الواحات ربات السَّواني
وكلُّ مواطنٍ من أرض قومي
عزيز النفس ذو شرف مصان
أناب اليوم عنها من بنيتها
ليُذكرك من به كانت تعاني
ويرفع صوتها حرًّا منيعًا
ويشرح من تقاسي عن هوان
وإن يك لاهيًّا بالعزَّ عنها
ويعطي من مواعيد اللسان
يحاول أن يَشُقَّ لها طريقًا
مُعَبَّدَةً من الطرق الجسان

(١) وهذه قصيدة السيد الحاج عبد الله يونس المجبري التي ألغاهها بمناسبة فوز نائب الجابرة في البرلمان عن الوطن العزيز ليبيا «جالوا».

ونأمل أن يكون لها معيًّا
على جلب المياه العذب داني
فإن نالت به ما تشتهي
لَعَنَري إنهنَّ مهمتان
لتسعد من تكون له مقامًا
يعود به المواطن في أمان
عليها يا بني الأعمام حقًا
أزفُّ لكم من البُعد التهاني
إلى الوطن العزيز يحنُّ قلبي
وشوقي ليس يبلّيه زماني
ولكن يا بني وطني إليكم
محبُّرة حَسَوْتُ عِزَّ المعاني
خزوها من بنات الفكر بكرًا
معللة بسحر من بيان
تعبير من محيَّاتي وشوقي
وكل الطيبات من الأمانني

محمد جرمة خاطر^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم ناصر الحق الهادي وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وعلى نزيته الطيبين الطاهرين وعلى آل بيته ومن ألحق بهم من الأولين والآخرين وسلم تسليمًا حق قدره ومقداره العظيم.

الحمد لله، اللهم صغر الدنيا في عيوننا وعظم جلالك في قلوبنا ووفقنا لمرضاك وأمتنا على دينك وطاعتك.

اللهم إنك لست بغائب تنتظر ولا بعاجز تنتصر ولا ببعيد يأتيك الخبر وقلت وقولك الحق «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» كلمح البصر أو هو أقرب. هكذا عرفناك بك وهذه المعرفة التي عرفتنا أمناك إياها وهي عندك وديعة أزلاً وأبداً.

(١) محمد جرمة خاطر (١٩٣٠ -)، شاعر تشادي معاصر، ولد في مدينة «أبشة»، وفيها تلقى تعليمه الأولي، ثم انتقل إلى العاصمة أنجمينا، واشتغل فترة في التدريس. وهو من أتباع الطريقة التيجانية، واعتقل عدة مرات في سبيل تحرير الوطن، وعين وزيراً، ثم عين عمدة للعاصمة أنجمينا. وله ديوان شعري مطبوع بعنوان «بوادير الفتح في مدح التيجاني»، د.خ.ط. من الحجم الصغير، وله عدة قصائد طويلة منها «در الحقائق في مدح سيد الخلالق»، والشيخ من الشعراء التشاديين الذين أخذوا التصوف منهجاً وطريقاً وفلسفة في حياتهم وتبلى ذلك كله في عديد من قصائده البينية، وقد قال في عن التصوف: «هو مرتبة الإحسان والإنسان لا يمكن أن يدخل في مرتبة الإحسان ما لم يتصوف فالتصوف هو كمال الدين... أما عن علاقة التصوف بالتيجانية فأقول: إن التيجانية طريقة صوفية ظهرت على يد الشيخ أحمد التيجاني في قصر أبي سمعون في الجزائر». ويغلب على إبداع الشيخ طابع المنظومات، فهو من رواد التصوف في تشاد وصاحب زاوية فيها. وسوف نلاحظ في منظوماته بعض الأفكار التي قد تصطبغ بالدين ومرد ذلك إلى ولعه بالتصوف. وبرزنا تقديم عمل قد يتسم بالإبداع الفني. (ديوان بوادر الفتح في مدح القطب الشيخ أحمد علي أبو الفتح التيجاني الإبراهيمي البرواوي نفعا الله بنفحاته تأليف المرید الفانی محمد جرمة خاطر التيجاني أنجمينا - جمهورية تشاد).
[لقاء تم ببني وبين الشيخ في منزله بالعاصمة أنجمينا بحي السيسبان في ٢٥/٢/٢٠٠٢م.]

نقدم هذه التحفة في مدح القطب الجامع أحمد علي أبو الفتح للمحبين والواصلين
والغارفين فمن أحبها فنعم الرجل ومن أبغضها نسأل له الهداية.

وما أوجبنا الشيخ أحمد علي البرواوي وما اقتدينا به إلا ليقيننا إنه عبدالله وسيد
أقرانه ونشم فيه رائحة جده المصطفى صلى الله عليه وسلم فمدحه مدح المحبوب.

أهدي هذه القصيدة للمشاركين في الاحتفال بالمولد النبوي في زاوية الشيخ
بميدغري - نيجيريا لعام ١٤٢١هـ.

(١)(١)

دارَ الزُّمانُ بما أوْحَى الكمالُ به
أزْلاً وإبْداً وسرُّ الكونِ فيه غُدا
ما خاضَتْ الجِنَّ والإنْسَانُ معرفة
تَوَقَّعتْ أنها قد تُسْدرِكُ الصُّمُدا
إلا بَرَزْنَ لها الأنوارُ حاجِبَةً
فهي الحجابُ ومنها ذا الوجودُ بدا
دارتْ ضمانُها في الكونِ سارية
تُقَسِّمُ العينَ للأعيانِ كي تُردا
حوضَ الظُّهورِ إلى أفلاكِ حَيِّزِها
تَحْتَ الجلالِ سوى هذا الذي حمدا
فَرَحْمَةٌ، نِعْمَةٌ، حمْدٌ، ومُطْلَقُها
من جوهرٍ واحدٍ بل كان مُتَفَرِّدا

(١) بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من لا نبي بعده نجوم الهدى بمناسبة ذكرى المولد النبوي سنة
١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

فَمَعْدُ مَا مَدُّ مِنْ أَسْرَارِ مَظْهَرِهِ
نَالِ الصَّحَابَةِ مِنْهُ الْفَضْلُ وَالرُّشْدُ
هَذَا أَبُو بَكْرٍ الصُّنَّيْقِيُّ أَفْضَلُنَا
نَجْمُ النُّجُومِ لَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ صَدِيقُ
بِالصُّنْدُقِ أَهْلُهُ الْهَادِي وَأَنْزَلَهُ
بَعْدَ النَّبِيِّينَ أَسْتَاذًا لِمَنْ سَجَدَا
نَادَيْتُ يَا عَمْرَ الْفَارُوقِ أَشْجَعَنَا
بَعْدَ الرَّسُولِ وَعَدْلًا صَانِعَ الْمَجْدَا
مَنْ بَعْدِهِ جَاءَ عُثْمَانُ السُّخِيُّ وَنُو الذِّ
خُورِينَ مِنْ أَجْلِ مَدِّ الرِّسُولِ يَدَا
مُبَايَعًا يَوْمَ نَحْرٍ كَادَ يَنْهَجُرُهُ
بِعُضِّ الصَّحَابَةِ يَمْنَنُ فُسْرُهُ الْوَعْدَا
هَذَا عَلِيُّ أَبِي السُّبُطَيْنِ سَيِّدُنَا
بَابُ الْعُلُومِ وَحِيدًا جَاءَ مُنْفَرِدًا
جَدُّ الشَّرِيفِ الْمُزَيَّفِ الطَّاهِرِ الْفَاسِي
عَيْنُ الْمَعَارِفِ مَا أَقْصَاكَ يَا مَدَدَا
يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا أَمَلِي
هَذِي نَجُومُ الْهُدَى سَمَّيْتَهُم رُشْدَا
وَلَا حَقَّ بِهِمْ كُلُّ الصَّحَابَةِ مِنْ
أَصْحَابِ بَسِيرٍ وَأَحَدٍ كُلُّهُمْ سَعْدَا
فَالسَّابِقُونَ بِهِذِي السَّابِقِينَ سَعَوْا
مِنْ بَيْنِنَا بِضَعَةِ فَاغْنِدُوا إِلَيْنَا يَدَا

مِنْ بَايَعِ الشَّيْخَ بِالْإِخْلَاصِ فَهُوَ هُمْ
 وَهُمْ لَهُ أُنُوفَةٌ فِي الْبَيْعِ وَالْعَهْدِ
 وَالسُّنُودُ سَارَ إِلَى يَوْمِ الْلِقَاءِ فَمِنْ
 صَحْبِ الْيَمِينِ صِحابِي كُنْ لَنَا سَنَدًا
 مَفْدُوتَ شَيْخِي مَدَا لَا حُدُودَ لَهُ
 حَارَتْ عُقُولُ الْأَلَمَى مَا سَافَرُوا أَبَدًا
 مَا سَافَرَ السَّائِرُونَ الْمُتَقَمُّونَ إِلَى
 سَفْنِ السَّعَادَةِ بِالْإِنْكَارِ وَالْوِزْدِ
 إِلَّا اتَّهَمَ رِيَاءُ غَيْرِ عَادَتِهَا
 تُنْجِي الطَّرِيقَ بِإِخْلَاصٍ إِذَا شَهِدَا
 عَيْنَ الشُّهُودِ أبا الزَّهْرَاءِ سَيِّدِنَا
 مُحَمَّدًا بَيْنَنَا سَارٍ وَمَا فُقِدَا
 عَيْنَ الطَّرِيقِ (تَجَانِي أَحْمَدُنَا)
 سِرُّ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ يَنْتَهِي السُّنْدَا
 حَتَمَ الْوِلَايَةِ عَيْنَ الْفَتْحِ مَطْلَعُهَا
 كَتَمَ الْحَقَائِقِ بِرَهَامِ الْفُيُوضِ بَدَا
 فَالْأَوَّلُ الْآخِرُ الْمَشْهُودُ بَاطِنُهُ
 دَارَتْ وَدَارَتْ وَدَارَتْ كُلُّمَا مَدَدَا
 مَتَى قَصَدَتْ مَدَارًا لِلْحَقَائِقِ أَوْ
 سِرُّ الْمَظَاهِرِ فَاظْطَرَّ أَحْمَدًا تَجِدَا
 إِنَّ الْفُتُوحَ جَمِيعًا تَحْتَ قَبْضَتِهِ
 مَا فَاضَ شَيْءٌ سِوَى مِنْ بَابِهِ صَعْدَا

هذا أبو الفتح مفتاح الولاية في
 هذا الزمان إليه تنغمي السعدا
 ابن البتول فكم من فيضيه شربوا
 حتى أفاضوا وساروا في الظلام مدى
 شئت رجال إلى (يرو) لرؤيته
 هذا الولي فمعه يجتنى الشهدا
 خليفة الشيخ أصل من تفاعله
 ونسخة حازت الإجلال والرشدا
 مرشح الحضرة العليا وخادمها
 تحية لكم من (تشاينا) فردا
 ما رحمة أنزلت إلا ببابكمو
 فازسل يدا حتى ينتهي الحسدا
 وأغمرن جميع الصحب حبكم
 فحبكم حب في المختار والشهدا
 وغاية السر حب في الحبيب وما
 إنا وصلنا إليكم فافتح السددا
 وأشهد الشاهدين الحاضرين هنا
 جنأ وإنسا وروحاني وما وجدا
 إني ابن جزما محب مآدح ومتى
 ما قام داع إلى المولى فنحن فدا
 صلى عليك إلهي يا محمد ما
 هبت رياح تثير التراب كل مدى

(٢)

حرف الهمزة

طال ليلُ بنا وطال المساءُ
فتنَّى الصُّبْحُ والصُّبْحُ ضياءُ
طلَعَتْ شَمْسُنَا مِنَ الْغَرْبِ سَعْدًا
فَتَعَجُّبُ إِن شِئْتَ قُلْ مَا تَشَاءُ
لا غريبًا ان تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَرْقًا
بل عجيبٌ من غربي جاءَتْ نُكَا
هذه (يسرو) أنجيتْ خَيْرَ قُحْلٍ
بامر النُّورِ، أنجِبِ النُّجَبَا
دَارُهُ رَوْضَةٌ تَفُوقُ عَبِيرًا
من جلالٍ ومن جمالٍ سَوَاءُ
يُسْمَعُ الذَّكْرُ حَوْلَهُ كُلَّ لَحْظٍ
كان في الصُّبْحِ مِثْلَهُ وَالْمَسَاءِ
كَمَ عَلِيلٌ فِي قَلْبِهِ مَرَضُ النُّفْ
سِ اتِّسَاءٌ قَدْ نَالَ مِنْهُ الشُّفَا
إنَّه الْغَيْثُ يَمْطُرُ الْفَتْحَ مَطَرًا
فَيَغْمُرُ الْأَبْسَاءَ وَالْأَبْنَاءَ
عُمْنًا يَا أَبَا الْفُتُوحِ بِفَتْحٍ
يَغْمُرُ الْكُلَّ مِنْ رِجَالِ نِسَاءِ

وَاعِثْنَا يَا غَوْثُ مَنْ ظَلَمَ الظُّلْمَ
 سَمِ اضْرُتُّ بِنَا النُّحُوسُ الْبَلَاءُ
 لَا تَجِدَ مَنْزِلًا مِنَ الْعُوزِ نَاجٍ
 بِلَ مِنْ الرُّوعِ مَلُوءُهُ وَالشَّقَاءُ
 فَرَجُونَا السَّلَامَ إِنَّا فُجِعْنَا
 مِنْ حُرُوبٍ أَذَلَّتِ الشَّرَفَاءُ
 شَهِدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَنْتَ قَطْبٌ
 أَرْفَعَ الْكَفَّ مُسْتَجَابُ الدُّعَاءِ
 وَاسْتَجِرْنَا مُسْتَمْسِكِينَ بِحَبْلِ
 مِنْكَ نَالَتْهُ قَبْلَنَا السُّقْدَاءُ
 خَصُّكَ الشَّيْخُ بِالْخِلَافَةِ عَنْهُ
 فِيهَا صَارَ فِي يَدَيْكَ الْكُلُوءُ
 أَنْتَ مُصْبِحُ فِي الطَّرِيقَةِ تَرَسُّ
 مُلْجَأُ مُؤْمِنٍ وَفِيكَ الرَّجَاءُ
 مَظْهَرُ مَا دَرَى الْحَقَائِقُ عَبْدٌ
 غَاصَ فِي الْبَحْرِ وَاعْتَرَاهُ الْفَنَاءُ
 نَائِبًا فِي الْجَلَالِ مَنْ قَالَ صَدَقًا
 أَوْ جَمَالٍ أَوْ فِي الْكَمَالِ سِوَاءُ
 صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ أَحْمَدَ عَبْدًا
 مَظْهَرُ الْإِسْمِ رَسْمُهُ الْمَعْطَاءُ
 أَحْمَدُ أَحْمَدُ مَتَى مَا نَظَرْنَا
 لَكَ، لِمَاذَا اخْتَرْتَ هَذَا الْخَفَاءُ
 أَنْتَ ذَا الْعَبْدِ ذَا الزَّمَانِ فَمَا لِلْمُذَّ
 حِنَاسِ تَعْمَى وَهِيَ هِيَ السَّقَاءُ

لا تراءَ عين الشُّقاءِ من البُغْد
 بضٍ، ولكن تحبُّهُ السُّعْداءُ
 يشهدُ الله أننا من محبِّب
 لك فعجل خلاصنا من شقاء
 ولساني لم يالف الشطح قطعاً
 بل إلى الشيخ مثله لا السُّخاء
 لم أُبغ بالذي دريئت من المش
 ررب، فيكم من غيرتي والوفاء
 خُصّني يا أبي بشيء من الفت
 ح، قريباً يزيلُ عني الغطاء
 وسألنا أبا الفتوح فقرباً
 منك قريباً من الحبيب رضا
 ثم يومَ اللقاءِ قل يا ابن جرّما
 أنت من فوج سيّد الشُّفعا
 سيدي خادم الحبيب عرفنا
 ك، خديما بك تكشف الغمّاء
 سيدي خادم الرسول ومن حو
 لِكَ، أبناء كلهم علماء
 منكم ما بقيت من شُزب برها
 م، يكونوا من بعدك الخلفاء
 وسألناك في الختام صلاةً
 وسلاماً لسيّد الأنبياء
 وعلى الصُّحْبِ كلهم وبنيه
 وذوئهم والآل والأوفياء

(٣)

أيما ظِلٍّ من هَامِ الفَوَازِ بِحُبِّهِ
أنا مُسْتَظِلٌّ جِئْتُ لِلْقَرَبِ سَائِلًا
رَأَيْتُ ظِلَالًا عَمَّتِ السَّكُونُ جُمْلَةً
وَمَنْ يَبْرُو يُغْلِي الْغَرَسَ فِي الطَّوْلِ كَامِلًا
وَمَا شَدُّ حَبْلٍ مِنْكَ إِلَّا وَقَدْ عَلَا
وَمَنْ قَطَعَ الْأَوْصَالَ يَهْوِي مِنَ الْعُلَا
وَلَيْمَ لَا وَأَنْتَ الْيَوْمَ مِفْتَاحُ فَيْضَةٍ
أَبُو الْفَتْحِ إِفْتَحْ لِي بِسَدَارِكَ مَنْزِلًا
وَانْجِلْنِي فِي قَلْبَةِ الْقَلْبِ أَفْنِيَنِي
فَنَاءً بِهِ أَبْقَى مُطِيعًا وَمَائِلًا
أَمَامَكَ لَا مَخْجُوبَ مِمَّا طَوَّقَتْهُ
مِنَ السَّرِّ وَالْأَشْرَارِ فِي السَّرِّ دَاخِلًا
وَمَا خَطُ إِبْرَاهِيمَ خَطٌ.....
سِوَاكَ فَلَمْ أَشَقَّ بِمَا أَنْتَ حَامِلًا^(١)
أَجْزَنِي وَأَبْنَانِي صِبَايَ وَأَخَوْتِي
وَشَيْدُ لَنَا صَرْخًا مَنِيعًا وَفَاصِلًا
يُؤَمِّنُنَا جِسًّا وَمَقْنَى إِحَاطَةً
وَالْبِسْنَا عِزًّا وَبِالْمَجْدِ كَلًّا

(١) هكذا ورد البيت وفيه نقص.

وَأَغْبِقْ لَنَا الْإِصْلَاحَ وَالْمُلْكَ وَالْغِنَى
 وَفِي اللَّهِ كُلاًّ ذَاكَ بِاللَّهِ فَاعِلَا
 فَاقْسَمْتُ أَنْ التُّحَصِرَ جَاءَ خَلِيفَتَنَا
 يُبَايِعُ عَهْدًا مِنْهُ أَنَا وَأَجِلَا
 فَإِنْ أَمَرَ الْمِقْدَامُ فِي الْحَالِ تَنْجَلِي
 كُرُوبٍ يَرَاهَا الْبَعْضُ مِثْلَ السَّلَاسِلَا
 وَمَا كَانَ أَمْرُ الشَّيْخِ إِلَّا مُسَلِّمًا
 لِأَقْدَارِ رَبِّ الْعَرْشِ مَا شَاءَ فَاعِلَا
 وَإِنِّي أَبِي سَكْرَانٌ بِالشُّوْقِ وَالْهَوَى
 لِيَذَاتِكَ فَاسْتَقْبَنِي كُفُوسَ الشُّمَانِلَا
 لَا لَبِيسُ سِرًّا مِنْكَ يَسْرِي بِهِيْكَلِي
 فَلَزْدَادَ مَرَقَى فِي رِحَابِ الْمُكْمَلَا
 فَلَا تَنْظُرُنَّ الْعَيْنَ مِنِّي فَإِنِّي
 عُيُوبٌ وَابِقَتْنِي لَدِيهَا مَكْبَلَا
 وَهِيَ جِئْتُ غُرِيَانًا مِنَ الْخَيْرِ عَلَنِي
 أَنْسُوزُ بِإِمْدَادِ الصُّفُوفِ الْأَوَانِلَا
 مَتَى سَابِقَ الْمُدَاخِ فِي مَدَحِ أَحْمَدِ
 أَبِي الْفَتْحِ يَلْقَوْنِي أَمَامًا مُسْجَلَا
 وَإِنْ فَاتَنِي التَّعْبِيرُ نَظْمًا وَمَنْطِقًا
 فَمَا كَنْ صَفَرِي مُفْرَدٌ لَا يُمَانِلَا
 فَمَا عَرَفْتُ يَزُومِنَ الشَّيْخِ ظِلُّهُ
 فَفِي الْقُرْبِ غَيْمٌ عَاتِمٌ (وَهُوَ حَانِلَا)
 وَقَدْ رَأَتْ الْأَفْئَاتُ أَنْوَارَ ذَاتِهِ
 تُضْئِي مَصَابِيحًا إِذَا اللَّيْلُ أَسْدَلَا

فَإِنْسَا وَجَنَّا قَادَهَا النُّوْزُ فِي النُّمَى
 (١) فَمَا شَاقَدَتْ لِلْقُطْبِ (ثَانٍ مَعَانِلًا)
 وَمَا قَاطَنَ السَّخْبُوبُ طَهْ مُصَاجِبًا
 سِوَاكَ فَمَا الْإِيَامُ تَسْرِي وَلَا
 هُنَاكَ مَكَانٌ يَحْصِرُ الْأَمْرَ مُطْلَقًا
 تَلَاشَتْ وَذَابَتْ كُلُّ أَوْهَامٍ سَائِلًا (٢)
 فَفَهْمَا سَرَى الْإِمْدَادُ فِي الْكَوْنِ جُمْلَةً
 فَانْتَتْ لَهَا عَيْنُ الْوِعَاءِ الْمُغْزِيَلَا
 فَيَا سَيِّدِي اغْرِفْ لَنَا شَرْيَةً
 مِنْ الْخَوْضِ أَرْوِنَا بِمَا (أَنْتَ نَائِلًا) (٣)
 وَافِلَا لُبِّي كُلُّهُ حُبُّ أَحْمَدٍ
 لِأَسْعَدَ حَقْمًا بِالَّذِي جَاءَ مُرْسَلَا
 شَفِيعِي رَسُولَ اللَّهِ بِرَهَامٍ مَضْعُودِي
 وَتَجَانِي أَسْتَاذِي وَسَيْفِي عَلَى الْمَلَا
 بِهِمْ كُلُّهُمْ نَوُزْتُ سِرِّي وَظَاهِرِي
 فَزَالِ جَبَابِي لَا تَرَانِي مُعْطَلَا
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
 صَلَاةُ بِهَا أَبْقَى عَزِيزًا مُبْجَلَا
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
 مَنْ الْعَبْدُ جَرْمًا لَا تَرَاهُ تَخَاذَلَا
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
 وَالْوَاصِحَابِ كَرَامِ أَفَاضَلَا
 مَوْلِدُ ١٤٢١ هـ

(١) هَكَذَا وَرِدَتْ فِي الْأَصْلِ.

(٢) هَكَذَا وَرِدَتْ فِي الْأَصْلِ.

(٣) هَكَذَا وَرِدَتْ فِي الْأَصْلِ.

(ديوان دُرُرُ الحَقَائِقِ في مدحِ سَيِّدِ الْخَلَائِقِ تَآليفِ مُحَمَّدِ جَرَمَةِ خَاطِرِ التَّجَانِي
أُنْجَمِينَا - تَشَاد)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر
الزكي وعلى آله وصحبه وسلم ، الحمد لله الأول الآخر الظاهر الباطن.

نحمده إذ جعل محبة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم شرطاً مُلَازِماً للإيمان
وخير وسيلة لمحبهه هي الإكثار من الصلاة عليه، ومدحه ومتابعتها في قوله وفعله،
اللهم أدخلني في قلب الإنسان الكامل وحببني إليه صلى الله عليه وعلى آله صلاة
تعرفنا بها إياه، اللهم حَبِّبْ إلينا كل من أحبه واجعل في قلوبنا البُغْضَ والعداوة لكل
من لم يُحِبْهُ أو من نقص في شأنه.

أما بعد:

أيها القارئ لهذه الأبيات المتواضعة أستسمحك عذراً لأن هذا الميدان له أصحابه
ولكننا معشر المتصوفة ولو أن للبعض منا باعاً كبيراً في الشعر وفنونه إلا وأن البعض
الآخر لا تهمة القواعد الشعرية كما يهمهم في الدرجة الأولى أن يعبر عن محبة تخالج صدره
وشوق يحرق أحشائه ولم يرتح إلا حينما يتلفظ بذلك - وأنا من هذا الصنف الأخير.

فإذا أردت أن تطرق أبواب العروض وقواعد اللغة فقد تلاحظ أخطاءً وأما إذا أردت
السُّبْح في بحار المعرفة فتجد ما تريد من سُكْرِ وَصْحَوْ وفناء وجود وغيرها، لأنه شبت
من فيضة الشيخ إبراهيم وممدوداً من أنوار القطب المكتوم والخاتم الحمدي المعلوم
أبو العباس أحمد بن محمد التجاني وتمسكاً بأهداب صاحب الوقت أحمد علي أبو الفتح
فلا يخل صادق في محبة هؤلاء من مداخل ومخارج هذا الفن الصوفي ولله الحمد.

أخرج هذا الديوان القليل في قصائده الكثير في معانيه (دُرُرُ الحَقَائِقِ في مدح
سيد الخلائق) أرجو من الله أن يجعله مقبولاً وسهلاً ومقروءاً.

(٤)

اجْزِنِي رَسُولَ اللَّهِ فِي الْمَدْحِ إِنَّنِي
وَلَوْعُ بِالنَّدَاحِ تُزِينُ مَجَالِسِي
يَقِينِي بِأَنَّ الْيَوْمَ أَمْسٌ وَقَبْلَهُ
بَأَنَّكَ إِنْ لَمْ تَسْمَعْ الْمَدْحَ قَاعَسُ^(١)
وَمَا مَدَحَ الْمُدَّاحُ غَيْرَكَ إِنَّمَا
يُخَيِّلُ لِلغَاوِينَ تِلْكَ النُّوَاوِسُ^(٢)
إِذَا مَدَحَ الْوَلَهَانَ لَيْلَى وَحُسْنَهَا
يُعَبِّرُ غَضْبًا عَنْهُ عَنْ خَيْرِ أَنْفُسِ
تَقَلَّقْتُ بِالمَخْبُوبِ طَهَ وَجَزِيهِ
أَصَابَا قُؤَادِي بِالسَّهَامِ الْغَرَائِيسِ
فَخَفَدَا لَكَ المَحْمُودُ حَمْدًا مَحْمَدًا
يَحْمُنُنِي فِي الْحُبِّ وَالْعَشْقِ غَاطِسُ^(٣)
وَأَجْعَلَ أَخَوَالِي إِلَهِي وَجُمَلَتِي
تُشِيرُ إِلَى أَصْلِ الْوُجُودِ الْمُقَدَّسِ
وَتَغْمِرُ ذَاتِي فِي الْمَقَانِي جَمِيعَهَا
أَتِيهِ هَيَامًا مِثْلَ إِنْ كُنْتُ مُلَبِّسِ

(١) هكذا ورد في الأصل.

(٢) هكذا ورد في الأصل وفيه إقواء.

(٣) هكذا ورد في الأصل.

وَتُبْهَرْنِي الْأَنْوَارُ حَقًّا مُغَيَّبًا
بِلا صَخْرٍ حَتَّى تَنْجَلِي آيَةَ الْكُرْسِيِّ
وَأُنْسِي وَلَهْفَانِ لَأَلْفَاكَ سَيِّدِي
وَأِنْ كُنْتُ مَسْجُونِ الْحِجَابِ الْعَرَنْدَسِ
لَتَغْسِلَ قَلْبِي عَنْ سِوَاكَ وَتَرْضِيَنِي
حَبِيبًا خَدِيمًا ذَلِكَ الْيَوْمَ ذَا عُرْسِ^(١)
وَأُؤَدِّئُنِي الْإِحْسَانَ نَوْمًا وَيُقَطِّعُ
لَا تُصِرَّ عَيْنَ الْعَيْنِ حَقًّا بِلا لُبْسِ
وَأُنْسِي رَسُولَ اللَّهِ نَادِيْتُ طَالِبًا
رِضَاكَ لِتَفْخَوْلِي النَّثُوبَ كَذَا رِجْسِ
وَتَحْقِيقِي سَفْهِي بِالسُّعَادَةِ وَالْهَنَا
وَتُضَرِّعُ وَجْهِي ثَوْنٌ ضَمِيرٍ وَلَا بَأْسِ
وَأَذْخِلْنِي الْجَنَّاتِ حَيًّا وَمَيِّتًا
مَمَاتِي مُجِبًّا فَيْكَ عُرْسَ الْعَرَانِسِ
جَعَلْتُ رِكَابِي وَزُدُّ شَيْخِي وَمُخْلِصًا
أُضْلِي عَلَى الْمُحِبُّوبِ لَا اخْشَى هَاجِسِ
قِيَامًا قُعُودًا وَاضْطِجَاعًا وَمَاشِيًا
يَلُجُّ لِسَانِي بِالْحُضُلَاةِ وَذَا أُنْسِي
فَطَنُّ أَصْنَحَابِي رِفَاقِي وَجَيْرَتِي
ظُنُونٌ يَرُونِي صِرْتُ سَكْرَانٌ وَاعْسِرُ
شَوَاهِدُ ذَاتِي لَا تَرَى غَيْرَ وَاحِدِ
يُدِيرُ كُؤُوسَ الرِّزْقِ لِلْجَنِّ وَالْإِنْسِ
هُوَ الْقَاسِمُ الْمَقْرُوفُ بِالْعَدْلِ بِاسْطَا
يَدُ الْخَيْرِ مِغْطَاءٌ مِنَ الْبَحْرِ أَطْلَسِ

(١) هكذا ورد في الأصل.

فَاتَجْعَلُ قِسْمِي كُلَّهُ فِيكَ مُخْلِصًا
فَنَاءً وَهُبًّا بِاجْتِنَابِ الْوَسَاوِسِ
أَشْرَ لِي أَشْرَ لِي إِنْ حَضَرْتُ زِيَارَةً
وَأِنْ لَمْ تَقْبَلْ قَطْعًا بِكُلِّ الْمَجَالِسِ
أَقْلَنِي أَقْلَنِي مِنْ عُيُوبٍ وَعَثَرَةٍ
فَأَنْتَ فَقِيرٌ لِلشُّفَاعَةِ لَا مِسْ
وَاطْلِقْ لِسَانِي بَلِّ جَنَانِي وَخَاطِرِي
تَسِيلُ مَدِيحًا فِي جَنَابِ الرُّؤُوسِ
حَدِيثِي وَأَنْفَاسِي خِيَالِي وَوَارِدِي
يَطْوِفُونَ بِي حَوْلَ الرُّسُولِ الْمُؤَسَّسِ
وَقَبِّلْتُ حَيَاتِي لَا أَبَالِي بِقَيْرِهِ
وَأَوْدَعْتَهُ بَيْنِي وَرُوحِي وَأَنْفَاسِي
خَوَاتِيمَ أَعْمَالِي وَسِرِّ طَرِيقَتِي
وَقَلْبِي لِيَخَيَّرَ كَلِمًا صَارَ يَابِسًا^(١)
فَتَأْوِدُ سِرِّي ثُمَّ لُبِّي وَظَاهِرِي
لَطَائِفَ غَابَتْ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ
فَقُرْتُ بِأَنْوَارِ تَفِيضٍ وَتَحْتَفِي
بِجَيْشٍ مِنَ الْإِلَهَامِ جَرَّارِ هَامِسِ
وَلَكِنْ قَدَرُ الْمُضْطَفَى لَا يُحِيطُهُ
كَلَامٌ وَلَا أَسْفَارُ كُلِّ الْمَدَارِسِ
فَصَلَّى عَلَيْهِ الْحَقُّ فِي حَقِّ قَدْرِهِ
وَتَقْدِيرِهِ فِي الْخَلْقِ أَضْوَا مِنْ الشَّمْسِ

(١) هكذا ورد في الأصل.

(٥)

سَلَكْتُ إِلَى سِرِّ الْحَقِيقَةِ إِذْ بِهَا
بُروْقٌ وَنُورٌ مِنْ بهاءِ الْمَطْهَرِ
بِهَاءِ أَعَارِ الشَّمْسِ نُورًا وَمَدْمَا
سِرَاجًا وَلِلْأَقْمَارِ ضَوْءًا مُسَدُّورًا
بِهَاءِ لَهُ ذَاكَ وَلِلْغَيْرِ عَارِضٌ
جُفَاءً كَمَثَلِ الزُّنْدِ إِنْ جَاءَ عَابِرًا
بِهَاءِ بِهِ سَتَرُ الْقَبِيحِ وَثَوْبُهُ
وَلَوْلَاهُ يَلْقَى الْبَعْضُ بَعْضًا مُنْكَرًا
بِهَاءِ بِهِ الْحَسَنَاءُ حَسَنَاءُ غَادَةً
وَلَوْلَاهُ لَا حَسَنَاءُ لَا غَادَةً تُرَى
جَمِيلٌ بَلَا تَفْصِيلٍ مِشْكَاةٌ كَوْنَنَا
وَجُمْلَتُهُ فِي الْأَصْلِ قَدْ كَانَ جَوْهَرًا
فَمِنْهُ شُعَاعُ الْكَائِنَاتِ جَمِيعُهَا
وَمُطْلَقُ نُورٍ لَيْسَ فِي حَيْثُ يُرَى
وَمِنْهُ اسْتَعْمَدَ الظُّلُّ إِمْكَانَ عَيْنِهِ
وَمِنْشُورٌ رَقٍّ فِي كِتَابٍ مُسَطَّرًا
فَإِنْ قُلْتُ كَلًّا كَانَ كَلًّا وَجُزْءُهُ
وَإِنْ قُلْتُ جُزْءًا فَهُوَ أَصْلُ بَلَا مِرَا

فلا عبدَ إلا العبدُ قالُوا به بلى
 ولا رَبَّ إلا الربُّ فَرَدُّا وقابرا
 ومُفَرَّدُ كُلِّ الشَّاطِطَيْنِ أتى به
 ومن عَلِمَهُ عِلْمُ القَدَامَى وحاضِرا
 فلا عَجَبَ إنَّ ما طارَ صارُوحُ عَصْرِنَا
 ويُرْسِلُ لِلأَظْهِينِ صُورًا مناظرا
 وما القولُ في المعراجِ مِن غَيْرِ طاقَةٍ
 مُحَرَّكُهُ مِن ثَوْنٍ نَقَطَ به سرى
 وكان ابُوحَفْصٍ يَقُودُ جُنُودَهُ
 وفي يَحْرَبٍ مَوْجُودٌ مِن ثَوْنٍ أَقْمُرَا
 ولا حَضَرَ لِلأمثالِ لا تُفْنِ حاجةٌ
 بل الحُبُّ في المحبِّوبِ عَيْثُ المُفَسِّرَا
 حبيبِي رَسُولَ اللهِ ياسينَ مُنْذِرَا
 تَفَتَّتْ قَلْبِي فِي السَّراجِ المُبَشِّرَا
 تُجَانِبُهُ الأَشْواقُ فِي كُلِّ رُثْبَةٍ
 وفي نَسَبِ الأَعْيَانِ إِنِّي المُسَيِّرَا
 سَرَيْتُ وما السَّارِي أَنَا فِي رِجَابِهِ
 وما ليس غَيْرِي جَلُّ شَأْنِ المُتَبَرِّرا
 وما نِلْتُ ذِي النُّفْحَاتِ إلا بِحُبِّهِ
 تطايَرتِ الأوصالُ لم أدر ما جرى
 وقُلْ كان شَيْءٌ غَيْرَ حُجْبٍ تَكَاثَرَتْ
 عَلَيَّ وأَوْدَارَ وما كُنْتُ أَجْنَرَا

مِنَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَاللَّهُوِ وَالْمِرَا
 وَلَغَوِ وَفُخْشِ كَانَ جَهْرًا وَمُضْمَرًا
 وَأَفَاتِ قَلْبٍ يُبْغِضُ الْغَيْرَ حَاسِدًا
 وَفِيهِ نِفَاقٌ كَنِيدٌ جَفَدٌ تَكْبُرًا
 فَلَا يَطْمَعُنْ مَنْ كَانَ هَذَا مِثَالُهُ
 إِلَى رُؤْيَا الْمُخْتَارِ نَوَقَا وَمَنْظَرَا
 وَيَا حَسْرَةَ الْمُحْتَالِ يَقْضِي نَهَارُهُ
 وَلَيْلَا وَلَا يَزْدَادُ إِلَّا تَحَسُّرَا
 فَكُنْ مُخْلَصًا وَالصُّلُوقُ مِنْ بَعْدِ تَوْبَةٍ
 وَكُنْ مُسْتَقِيمًا وَأَتَّقِ اللَّهَ صَابِرَا
 وَكُنْ مُطْمَئِنًّا تَشْهَدُ الْحَقُّ جَهْرَةً
 فَرَاقِبْ مَعَ الْأَنْفَاسِ تَلْقَاهُ حَاضِرَا
 هُنَا تَسْبَحُ الْأَزْوَاجُ مِنْ غَيْرِ اجْتِنَاعٍ
 تَهَيِّمُ فَتَجْنِي وَارِدَاتِ خَوَاطِرَا
 وَتَهَيِّطُ فِي الْحَضَرَاتِ طَيْفًا مُكَرَّمًا
 صُعُودًا نُزُولًا مِثْلَ طَيْرٍ مُهَاجِرَا
 فَفَرِّقْ لِنُعْطِي كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ
 وَخُذْ مَا حَوَاهُ الْقَلْبُ بِالْعَقْلِ نَوْرَا
 وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ مَوْلَاؤُكَ مَكَّةَ
 يَتِيمًا تَرَى وَفَوْقَ الْعِزِّ غَامِرَا
 وَعَاشَ كَكُلِّ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ
 وَمِثْلَكُمْ بَشَرٌ يَقُولُ الْمُبَشِّرَا

وقال نَبِيًّا كُنْتُ وَالْحَيُّ اَنَّمْ
 حَدِيثُ اَتَى لِلْعَلَمِ لَا لِالتَّفَاخُرِ
 وَكُلُّ شُؤْنٍ الذَّاتِ فِيهِ تَكَامُلَتْ
 وَمِرَاتِهَا ذَاتِ الرَّسُولِ الْمُطَهَّرِ
 وَقَبِلْتُ كُلَّ الْكُونِ قَبْلًا وَآخِرًا
 اُنَيْتُهَا فِي ذَا الْكِتَابِ الْمُحَرَّرِ؟
 تَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَاتِ حِكْمَةٍ
 تَسْلَاوَةُ قَرَانٍ كَلَامٍ مُسْطَرِّ
 بِهِ عَلِمَ الْمُخْتَارُ مُذْ كَانَ نُورُهُ
 شَرِيعَةً تُنِيلُ لِلَّهِ تِلْكَ الْمُجَرِّدِ
 لِإِسْأَالِ جِبْرِيلَ بِوَحْيٍ مُنَزَّلٍ
 وَلَوْلَا مَا جَبْرِيلُ كَانَ الْمُحَاضِرِ
 نَنَّا فَتَدَلَّى لَيْلَةَ الْقَدْرِ جُمْلَةً
 وَتَفْصِيلَ أَيْ الْحَقِّ فِي اللَّيْلِ مُضْمَرِ
 كَمَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهُ بَاطِلُ
 كَذَلِكَ مِنْ بَعْدِ ابْنِ عَنَنْانَ مُنْبَرِ
 فَلَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ لِلذَّاتِ غَيْرَهُ
 فَعَبْدُ وَمَحْمُودُ صَفِيٍّ مُسَوَّرِ
 وَحُمْدُهُ مِنْ رُتْبَةِ الرَّبِّ مِثْلُهُ
 مُحَمَّدُنَا سَجَادُ اللَّهِ شَاكِرِ
 هُوَ الشَّاهِدُ الْمَشْهُودُ فِي كُلِّ رُتْبَةٍ
 وَكُلِّ مَقَامٍ نِسْبَةٌ مِنْهُ أَثْمَرِ

فما ساجدٌ غيرَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 وما صامَ يوماً غيرُهُ سيِّدُ الوَزَى
 وما جافَدَ الكُفَّارَ إلا مُحَمَّدُ
 وقد نَشَرَ الإسلامَ قبلاً وأخراً
 هوَ النُّورُ يسري ساقياً كُلَّ نَرَّةٍ
 ولا يُدركُ الإِنِّدَادَ غيرُ المَحْصُورَا
 فكيفَ يكونُ المَذْحُجُ مِنَّ أَيْنَ بَنُوهُ
 ومنَ أَيْنَ ذاكَ الكَيْفُ مِنَ أَيْنَ قُدْرَا
 تَذَكَّرْ لي وَقُتَّ مَعَ الرَّبِّ قالها
 فنُصَحِي إِلَيْكَ الآنَ شَمَّرَ وسافِرا
 تَزَوَّدَ بتَسْبِيحٍ واستغْفِرِ الَّذِي
 إِلَيْهِ يَعُودُ العَبْدُ حَتَّى يُجَاوِرا
 وَهَلْ عَلَى المَخْتارِ ماضٍ وحاضِرٍ
 صلاةُ يَنُوبُ الحَقُّ فيها تَذَكُّرا^(١)
 هوَ الذُّكْرُ مِن ذِكْرِ الإِلَهِ صَلَاتُهُ
 فَصَلَّى عَلَيْهِ الدُّهْرَ أَبَدًا وَكَرَّرَا
 هوَ الذُّكْرُ إِنْ لَازِمَتَهُ الذُّكْرُ سِرُّهُ
 فَصَلَّى مَعَ الأنفاسِ خَضْرُهُ صَوْرَا
 واعْلَمْ يَقِينًا إِنَّهُ الأمرُ صابِرٌ
 صُنُورٌ تَجَلُّ وَهُوَ امرٌ تَكَرَّرَا
 ونابدي أبا العباسِ يا أحمدَ الوَزَى
 أباي الغَيْضِ شَيْخِ الكلِّ في الكلِّ سائِرا

(١) هكذا ورد في الأصل.

حَقِيقَةُ عَيْنِ الذَّاتِ فَاضَتْ وَرَائَهُ
 وَوَارِثُهَا الْمَكْتُومُ بِالْخَتَمِ عَبْرًا
 خَلِيفَتُهُ خَتَمٌ لَخْتَمٍ وَخَاتَمٍ
 فَدَارَتْ بِهَا حَدٌّ فَقَدْنُمْ وَأَخْرَا
 (وَيَرْزَاهُمْ) عَبْدُ اللَّهِ عَبْدٌ حَقِيقَةٌ
 وَإِنْسَانُ ذَاتِ الْإِنْسِ خَلَقًا وَجَوْهَرًا
 وَعَاشَ فَرِيدَ الْعَصْرِ قَبْلًا وَآخِرًا
 وَعَمَّتْ بِهِ الْفَيْضَا وَشُرَيَاتُ كَوْنُهَا
 وَخَلَفَ ابْنَاءُ لَجْسٍ وَوُجْهِ
 هُمْ مِنْ شِعَاعِ الْخَتَمِ سِرًّا وَمَظْهَرًا
 شَيْوَحِي شُمُوسُ اللَّيْلِ أَصْحَابُ بَهْجَةٍ
 مَذَارُ بُرُوجِ الْكَوْنِ فِيهِمْ تَبَصُّرًا
 تَجِدُ فِيهِمْ عَيْنَ التَّجَانِي وَسِرَّهُ
 فَمَا غَابَ عَنَّا لَحْظَةً مُذْ تَوَزَّوْا
 تَرَاهُمْ كَمِثْلِ الطُّوْدِ لَكِنْ سَيَرَهُمْ
 تَسِيرُ بِهِ الذُّرَاتُ كُلًّا وَتَشْكُرُهَا
 فَعَمَّ بِهِمُ الْخَلْقُ حَفْدًا وَنِعْمَةً
 وَمَا لِمِ يَفِضْ مِنْ سَيَرِهِمْ قَدْ تَبَخَّرَا
 هُمْ مِنْهُمْ الْخُلَفَاءُ قَطْعًا تَوَاتَرُوا
 فَلَا يَطْمَعُنَ الْغَيْرُ وَاللَّهُ قَلْبًا
 هُمْ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ قَرَابَةً
 هُمْ الثُّلَاةُ الْآخَرَى بِفَضْلِ قَبْشَرَا

فَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ سِرًّا وَجَهْرًا
فَنَابُوا عَنْ الْحَضَرَاتِ حَقًّا بِلَامِرَا
إِلَهِي بِخَيْرِ الْخَلْقِ حُبِّي مُحَمَّد
سَأَلْتُكَ عِزْفَانَا أَجْزَنِي مُبَكَّرَا
وَأَنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِنَبِيِّ وَعِلَّتِي
فَأَنْتَ كَرِيمٌ تُبِّ عَلَيْنَا إِيَّا جَرَى
وَسَجَّلَ إِسْمِي بِنُ جَرْمَا وَمَنْ مَعِي
مِنْ الْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ حَتَّى الْأَوَاخِرَا
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
فَمَا ضَرَّنِي هَذَا الْمُعَادِي وَنَاكِرَا
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
يَعْمُ جَمِيعَ الْأَلِّ وَالصُّحُبِ مُكْثِرَا

(٦)

تعرّض لي في كلّ شيء رأيته
جمال رسول الله والشأن أرفع
فما ذرة في الكون إلا مُجيبه
لمن قسّم الوجود وفرّ المجمع
فما ظهرت للعين والعلم نقطة
في حين محسوس ومعلوم اجمع^(١)
تدلّ على من خلّفه عناية
من الله في المريب والعين تابع
وكلّ كمال في الوجوه رأيته
يدلّ على ذاك الشفيع المشفع^(٢)
محمد عبد الله محمود أحمد
طوّت ذاته كلّ المعاني الجوامع
فما ناب عن شيء سوى عين ذاته
تقلب في الأزمان للعلم مرتفع
فما شاققته غير عين محبّة
تعرف إياها حمداً ونافع^(٣)

(١) هكذا وردت في الأصل.

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) هكذا وردت في الأصل.

وما رحمة إلا تُمرُّ ببابيه
إلى كُلِّ مخلوقٍ وللشُّرِّ دافع
ومهما بلغت العلم في كُفِّه ذاته
تدورُ بلا حدٍّ وإن كنت طامع^(١)
فحكَّك أن تعرفهُ عبداً ومُرسلأ
وما فوقَ ذا قالهُ أنزى ورافع
وقد صارَ لي في ظلِّ أنوارِ ذاته
تجلَّ به اخطو فافضي وانزع
ومهما تراني مُقبِلاً مُذْبِراً معاً
فلأنِّي عبدٌ للأوامر طائع
واشربُ أنفاس الأثيرِ وناهياً
ثمَّارَ صلاتي للنبي وقويانِع
وأمرُح في الأجواء أنِّي مصاحبُ
لسُخْبِ تَصَلِّي والرُّعودِ رواكِع
واذْخُلُ أحياناً مع الرِّيحِ عاصِفاً
نجوياً الفياضي والنُّجومِ اللوامِع
تصاحبُنِي في كُلِّ هذا محبَّتِي
وصنفي وإخلاصي لطفه المُشفِّع
فكم حُسْنِه أنفَى وأبقى مُجاهداً
يريدُ عبورَ الجسرِ والنُّورِ ساطِع
فأحمدُ ربي أن أراَنِي حقيقةً
تدورُ بذاتي وفي الحقِّ جامع

(١) هكنا وردت في الأصل.

وَخَلَفْتُ نَفْسِي أَمْرًا عَيْنَ ذَاتِهَا
 فَصَلَّيْتُ فَجَاءَ الْحَمْدُ وَالنُّورُ سَاطِعُ
 فَاصْبَحْتُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ مَصْلِيًّا
 وَلَسْتُ أَنَا مَنْ صَلَّيْتُ وَالْأَمْرُ وَاقِعُ
 تَقَبَّلْ إِلَهِي وَاعْفُ عَنِّي وَارْضِنِي
 حَبِيبًا لِمَخْذُوبٍ لَذِيكَ الْمُطَاوِعُ
 وَارْغُزْ ذَنْوِي مَا بَقِيَتْ وَعَافِنِي
 مَجِيرًا مِنَ الْأَعْدَاءِ وَخُلِّعِ الْخَوَالِجِ
 فَحَسْبِي رَسُولُ اللَّهِ إِنِّي التَزَمْتُهُ
 رَدَاءً يَقِينِي مَا حَوَّثَهُ الْوَقَائِعُ
 عَلَيْكَ صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامَهُ
 مُحِبُّكَ (جَزْمًا) جَاءَ لِلَّهِ رَاجِعٌ^(١)
 عَلَيْكَ صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامَهُ
 وَالْإِلَهِ وَصَخْبٍ هُمْ شَمُوسُ طَوَالِجِ
 عَلَيْكَ صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامَهُ
 قَبُولِي بِهِ تَمْنَعُنِي كُلَّ الْمَطَامِعِ^(٢)

(١) هَكَذَا وَرَدَ فِي الْأَصْلِ.

(٢) هَكَذَا وَرَدَ فِي الْأَصْلِ.

(٧)

تَوَجَّهْتُ لِلْحَقِّ الْوَجْهَ عَنَّتْ لَهُ
هُوَ الْحَيُّ وَالْقَيُّومُ قَرَدُ الْجَلَالَةِ
تَوَجَّهْتُ مِنْ هَذِهِ أَصْلَى عَلَى النَّبِيِّ
مَحَمَّدٍ الْأُمِّيِّ حَيِّ بِرُوضَةِ
عَجَزْتُ إِلَهِي أَنْ أَصْلَى وَهَذَا
لِسَانِي وَعَقْلِي بِلِ شَهْوَدي بِغِيبةِ
فَصِرْتُ أَصْلَى حَيْثُ كَانَتْ صَلَاتُهُ
صَلَاتِي عَلَى حَبِّي وَأَصْلَى وَغَايَتِي
بِهَا إِجْعَلِ اللَّهُمَّ نُورًا لِسَيِّدِي
إِمَامِي شَفِيعِي مُرْسِلِ الْحَقِّ أَسْوَتي
فَإِنَّ لَهُ عَيْنًا تَرَانِي بِحَيْرَتِي
لَاخْتِارَ لَفْظًا مِنْ صَلَاةِ الطَّرِيقَةِ
لَجَوْهَرَتِي مِسْكُ يَفُوحِ عَبِيرُهُ
وَفَاتِحِ مَقْلُوقِ عَظِيمِ الْإِشَارَةِ
فَلَمْ يَبْقَ لَفْظٌ مِنْ صَلَاتِي عَلَى النَّبِيِّ
يُقَبَّرُ عَنْ قَصْدي وَشَوْقي وَلَوْعَتِي
فَسَلَّمْتُ تَسْلِيمًا أَحَاكِي صَلَاتَهُ
عَلَى النَّاسِ كَيْ أَحْظِيَ بِتَبْلِيغِ رَغْبَتِي

بها استعين اللة في كُلِّ خُطوةٍ
 إلى الحقِّ أَخْطوها بهذي الفريضة
 فَصَلُّوا عِبَادَ اللّهِ مثلي فإِنني
 صلاةً وأنتم من صلاةِ الحقيقة
 فأنتم أنا في الجمعِ والحقِّ شاهد
 بسِرِّ وإعلانٍ ويسرٍّ وخُتْمَةٍ
 تفرّقنا في الحسِّ بَلَوَى وكُلْفَةٍ
 ويا ربِّ هلْ كُلفتَ فإنَّ وجِيفَةٍ
 ببابِ أبي الزُّهراءِ جَبَّيْ رُسُولُهُ
 وقِفْتُ أَصْلَى قاصِدِ السِّرِّ مَنِيَّتِي
 فَنُوبِيَتْ من سِرِّي وَوُجِهي وَقَلْبِي
 عُجْبِيْذُ صلاةِ الْعَيْنِ لِلذَّاتِ نَالَتْ
 فَهِنْتُ إِشَارَاتٍ بَدَتْ من إِشارةٍ
 إلى ذاتها لَاحَتْ وَغَابَتْ لِفَايَةٍ
 فَصَلُّوا عِبَادَ اللّهِ من حيثُ أنتم
 أَمِرْتُمْ بهذا فاسرعوا بِالْحُبَّةِ
 مُحِبَّتُهُ نَجَوَى مع القلبِ جُكْمَةٍ
 بها تعرفُ الْإِنْسَانُ تُذْخِلُكَ رُؤْسِي
 فَصِيحُ انتَ مِنْ جَهْلٍ وَخُجْبٍ وَظُلْمَةٍ
 وَأَنْخُلُ طَرِيقِي كُنْ معي في الوظيفةِ
 تنلُ خَيْرَ دُنْيَا ثُمَّ أُخَرِّى جَمِيعَهَا
 بِحُبِّ نَبِيِّ عِلَّةِ الْكَوْنِ آيَةٍ

حبيبِي رسولَ اللهِ ناديتُ طالباً
 تُخولَ رحابَ القُدسِ بالقُدسِ رَفعتِي
 بِحَقِّكَ قَدْرًا ثمَّ مَقْدَارِكَ الَّذِي
 خَفَاهُ الَّذِي يُدْرِكُ حَقَّ الحَقِيقَةِ
 أَجْرَنِي هَوَى نَفْسِي وَعَلَّمَنِي سِرَّهَا
 لِأَشْهَدَ مَنْ أَخْفَتْهُ ظُلُمًا وَرَيْبَةً
 لِأَسْجَدَ لِلرَّحْمَنِ عَبْدًا مُطَاوِعًا
 فَلَا سَائِلًا مَسْنُولَ لَا سُؤْلَ رَغْبَتِي
 هُنَا إِنْتَهَى سَيْرِي وَلِلسَّيْرِ عَوْدَةٌ
 إِلَيْهِ يَسِيرُ الْأَمْرُ فِي الْبَدءِ خَتَمَتِي
 هُنَا إِنْتَهَى سَيْرِي وَارْجُوهُ وَقِفَةٌ
 لَارْوِي لُبِّي نَاهِيَا الْفَرْغِ غَرْفَةٍ
 هُنَا إِنْتَهَى سَيْرِي هُنَا كَانَ بَدْءُهُ
 هُنَا كَانَ عَيْنَ الْعَيْنِ صِدْقُ الْمَحَبَّةِ
 هُنَا كَانَ لِي الْإِيمَانُ أَضْبَحْتُ مَوْلَعًا
 وَلَهْفِي إِلَى الْإِحْسَانِ عَيْنَ الشُّهَادَةِ
 هُنَا إِنْتَهَى مِنْ حَيْثُ لَا بَدْءَ سَيْرُنَا
 وَكَيْفَ يَكُونُ السَّيْرُ وَالْعِلْمُ نُقْطَةً
 فَلَا كَيْفَ لَا كَيْفَ وَلَا بَدْءَ الْإِنْتَهَا
 فَإِنْ شِئْتَ فَهَلْ فِي فَنَاءٍ وَصُخْرٍ
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْحَقُّ وَالْحَقُّ وَخَدُّهُ
 سِوَاهُ مُحَالٌ فِي شُهُودٍ وَعَذِيبَةٍ

فَصَلَّيْتُ مَخْبُوءًا مُحِبًّا وَمَا أَنَا
عَرَفْتُ مِنَ الْمَحْبُوبِ بِالْحَبِّ عُرْفَتِي
بِفَضْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ هَذَا مَرَامُنَا
نُحَلِّقُ فِي الرُّوضَاتِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ
صَلَاتِي عَلَى الْمُخْتَارِ نَهْمًا مُحِبَّةً
وَطَوْعًا لِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ كُفَّةٍ
عَلَى الْأَلِ وَالْأَصْحَابِ قَضْدِي تَحِيَّةً
صَلَاةً وَتَسْلِيمًا فِي سِرٍّ وَجَهْرَةٍ

(٨)

أصلُ الوجودِ أبو الزُّهراءِ سيِّدُنا
محمَّدُ سابقُ الأزلِ مولانا
طوى معاني وأسرارًا وجُملتُها
تَعَيَّنَتْ فَهُوَ لَلاكوَانِ أوطانا
هو الصِّفَاتِ تَمَعَّنَ فِيهِ تَعْرِفُهُ
صَلَّ عَلَيْهِ وَكَثِرَ وَامُشِ جَوْعَانَا
حَتَّى تَلَاقِيَهُ نَوْمًا أَوْ مُشَافَهَةً
تُصَافِحُ الرُّوحُ رُوحَا إِنَّمَا كَانَا
هَذَا الْحَبِيبُ حَبِيبُ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ
صَلَّى عَلَيْهِ مُبَدِّدًا مَحَضَ إِحْسَانَا
محمَّدُ أَحْمَدُ مُحَمَّدُ حَامِدُنَا
حَمْدَانُ تَشْكِيلُ إِشْمِ الْحَمْدِ عِزُّنَا
فَرَحْمَةُ رَاحِمٍ رَحْمَانٍ مِنْ أَبَدٍ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا أَيُّ قُرَانَا
هَذِي صِفَاتُ وَأَسْمَاءُ وَمَرْتَبَةٌ
عَمَّتْ خَصَائِصُهَا جِنَّا وَإِنْسَانَا
وَإِنْ نَرَيْتَ قَانِعِيَانِ الْوُجُودِ بِهَا
ظَهَرَ مِنْ غَدَمٍ لَا تَبْقَى حَيْرَانَا

لا تَأْخُذُ الْعَيْنُ إِلَّا قَدَرًا حَاجَتَهَا
 لَا زَانِدًا فِيهِ إِسْرَافًا وَتُقْصَانًا
 كُلُّ الْوُجُودِ مُتَنَبِّئِي سِرِّ خَالِقِهِ
 فَمَا تَرَاهُ سِوَى انْتَبَاهِي وَتُكْرَانَا
 فَلَا تُذَكِّرِ اللَّهَ لَا تَفْتَنُ وَكُنْ مَعَهُ
 وَلَا تَغِيبْ عَنْهُ فِي الْأَحْوَالِ اخْيَانَا
 تَكُنْ حَبِيبًا وَمَحْبُوبًا إِذَا صَنَعْتَ
 مِنْكَ النُّوَايَا فَقَدْ يَكْسُوكَ رِضْوَانَا
 فَبِالْزِمِ الشُّرْعَ وَاعْمَلْ بِالنُّوَافِلِ لَا
 تَغْتَرُ بِالقُرْبِ قَدْ يَلْتِيكَ خُسْرَانَا
 فَكَمْ تَظُنُّ قَرِيبًا وَهُوَ أَبْعَدُهَا
 يَكُونُ مِنْ رِيَّةٍ بِالسُّلْبِ غُرِيَانَا
 حَسْبِي إِلَهِي وَإِيمَانِي وَمُعْتَقِدِي
 أَوْعَدْتُهَا لَكَ إِسْرَارًا وَإِعْلَانَا
 أَسْلَمْتُ وَجْهِي فِي الدُّارَيْنِ أَقْبَلَنَا
 أُمًّا وَزَوْجًا وَأَبْنَاءً وَإِخْوَانَا
 وَاغْفِرْ لِحَرَمِ أَبِي مَا قَلَّمْتَ يَدَهُ
 وَوَالِدَيْهِ وَآخِيبَانَا وَجِيرَانَا
 وَصَلِّ رَّبِّي عَلَى الْهَادِي وَعِثْرَتِهِ
 أَذْكِي صَلَاةً تَعْمُ الْجَوْزُ زَيْنَانَا

(٩)

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صلّ على سيدنا محمد الفاتح الخاتم الهادي
ناصر الحق وعلى آله حق قدره. وهذه قصيدة: بطاقة تعريف في مدح صاحب الفيضة
الشيخ إبراهيم بن عبد الله نياس:

هَبْنِي الشُّوقُ إِلَى الهَادِي حَبِيبِي وَإِمَامِي
فَصَبَاحِي وَمَسَائِي هَمَّتْ فِي هَذِي الْمَعَانِي
لَمْ أَرِ الطَّلْعَةَ بِالحَقِّ سِوَى كُنْزِ الزَّمَانِ
فَاضَ مِنْهُ وَإِلَيْهِ بَعْدَ تَقْرِيبِ الْمَكَانِ

طَلْعَةُ ابْنِ رَزَاتِ السَّرِّ جَلِيًّا لِلْمَعْيَانِ
فَهِيَ لِلْسَّرِّ إِطَارٌ وَلِلْمَسَانِ التَّرْجَمَانِ
إِنَّمَا السَّرُّ حَبَاهَا صُورَةُ الشَّيْخِ التَّجَانِي
فَهِيَ لِلْفَاتِحِ عَيْنٌ وَفِي الخَاتَمِ ثَانِ

أَعْطَتِ التَّوْحِيدَ مَعْنَى لَمْ يَكُنْ فِي الحُسْبَانِ
وَفِي الكَثْمِ فَجَاءَتْ لَيْلٌ لَيْلٌ فِي الزَّمَانِ
حَايَرَتْ كُلَّ فُحُولِ الْعِلْمِ فِي كُلِّ مَكَانِ
عِنْدَمَا أَشْرَقَ فِي الْغَرْبِ شُمُوسُ الْعِرْفَانِ

أَبْسَرَزَتْ حَضْرَةَ طَه سِرُّ سِرِّ الْأَبْدَانِ
جَاءَ فِي ثَوْبٍ بِلَالٍ فِي بِلَادِ الْعِجْمَانِ
أَعْجَزَ الثَّرِيانَ نُطْقًا بِلِسَانِ الْقُرْآنِ
أَمْدَحَ الْمُدَّاحَ طَرًّا سَالَ سَيْلَ الْوَيْيَانِ

أَطْلَسَ الْعِلْمَ مُحِيطًا بِعُلُومِ الْأَزْمَانِ
فَاضَ بِالْفَيْضَةِ عَمَّتْ كُلَّ أَرْجَاءِ الْمَكَانِ
أَظْهَرَ لِلخَزُونِ فِي الْآيَاتِ حُبًّا بِتَفَانِ
أُسْوَةً بِالْحُبِّ طَه خَيْرُ سُكَّانِ الْجِنَانِ

إِنَّهُ الْعَبْدُ خَدِيمُ حَضْرَةِ الشَّيْخِ التَّجَانِي
إِنَّمَا الشَّيْخُ إِمَامٌ فَهُوَ مَنْ أُمَّ أَرَانِي
أَحْمَدُ مِنْ أَحْمَدٍ وَالْحَمْدُ مِنْ هَذِي الْمَعَانِي
دَارَتْ الْحَضَرَاتُ حَتَّى لَا أَرَانِي مَا أَرَانِي

إِنَّهُ الْهَادِي وَهَذَا رَابِعُ عِنْدِ التُّدَانِي
مَجْمَعٌ مِنْ مَجْمَعٍ فِي مَجْمَعِ الْعَبْدِ مُزَانِ
أَنْتُمْ الْأَسْمَاءُ وَالْأَوْصَافُ مَضْمُونُ الْحِسَانِ
رَحْمَةً لِلنَّاسِ جَاءَتْ مِنْ تَجَلَّى الرَّحْمَانِ

فَتَحَّ اللَّهُ بِهِ أَرْجَاءَ كُلِّ الْبُلْدَانِ
جَالَ حَوْلَ الْأَرْضِ بِالتَّوْحِيدِ مَثَلُ الطُّوفَانِ

نُضْمَرَةُ لِلدَّيْنِ هَامَ كُلُّ هَذَا الْهَيْمَانِ
لَمْ تَنْمِ عَيْنَاهُ يَوْمًا تَالِي السَّبْعِ الْمَثَانِي

إِنِّي جَنَّتُكَ مِسْكِينًا بِفَقْرِ الْحَفَيَانِ
مَا شَيْئًا مَشَى الْهُوَيْنَا عَاجِزًا أَمْرِي دِمَانِ
لَا يَسَا جَلْبَابَ هَمٍّ وَنَنُوبٍ وَطَلْعَانِ
عَارِيًا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ جَمَلِي قَدْ أَعْيَانِي

أَنْتَ يَا بَرْهَامَ وَضَلِي وَدِفَاعِي وَأَمَانِي
أَنْتَ نَزْعِي وَسِلَاحِي أَنْتَ تَرْسِي وَعَنَانِي
أَنْتَ حَصْنِي مِنْ صُرُوفِ الدُّهْرِ بَلْ أَنْتَ سِنَانِي
إِنِّي جَنَّتُكَ مِسْكِينًا بِفَقْرِ الْحَفَيَانِ

أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ وَالْعَبْدُ قَرِيبٌ مُتَدَانٍ
رَقْنِي فِي الدَّيْنِ سَلَكْنِي طَرِيقَ الْعَرْفَانِ
لَا تَعَامِلْنِي بِمَا لِي مِنْ عُيُوبٍ وَهَوَانٍ
بَلْ أَجِرْنِي وَأَقْلِنِي وَأَخْلِنِي فِي الضَّمَانِ

خَيْرَةٌ فِي الزَّوْجِ وَالزَّوْجُ مُثْنَى لَيْسَ ثَانٍ
هُوَ مِنْهَا وَإِلَيْهَا نَفْسُهَا مَا ثَمَّ ثَانٍ
ثُمَّ سُكْنَاهُ إِلَيْهَا حَبَّهَا حُبًّا مُصَانٍ
بَيْنَ إِمْدَادٍ وَإِيجَادٍ سَرَى فَيَضُ الْمَعَانِي

إِنِّي ادَّعَيْتُ الْحُبَّ إِنْ لَمْ أَكْ خَطَاةً مُدَانِ
عِنْدَمَا هُبَّتْ رِيَّاحُ الصُّبْحِ أَخْلَيْتُ لِلْكَانِ
كَتَبْتَنِي خُطُوتِي نَحْوَ الْهَوَى مَاضٍ وَإِنْ
الْهِمْنِي يَا إِلَهِي الْحُبُّ فِي غَوْثِ الزَّمَانِ

حَبَّبَنِي لِلرَّسُولِ الْمُجْتَبَى عَالِي الشُّانِ
لَا تُفَارِقْ مُقَلَّتِي عَنْ ذَاتِ عَيْنِ الْإِحْسَانِ
كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِيهِ ازْدَدْتُ شَوْقًا وَمَعَانِي
الْبِسْنِي حُبَّهُ يَا رَبِّ ثَوْبًا حُلَّتَانِ

الزَّمَنِي دَائِمًا اَعْتَابَ شَرْعِ الْقِرَانِ
عَمَّرَنَ قَلْبِي بِتَقْوَى بِصَفَاءِ الْإِيمَانِ
اجْعَلْنِي خَائِمًا عَبْدًا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ
ادْخِلْنِي رَحْمَةً مِنْكَ جَنَّاتِ الرُّضْوَانِ

(١٠)^(١)

أيا أحمدًا من أحمدٍ قُمتَ داعيا
وقد سَمِعْتَكَ الحُصْمُ والبُكْمُ عاليًا
لكَ الليلُ سِرْنا والنَّهارُ مُتابِعُ
نجوِبُ الفيافي في طريقكَ ساعيا
سَمِعْنَا نداءً يملأ الأرضَ والسُّما
فها أحمدُ اليزواوي كان الحُنَّايَا
لَهُ المجد في هذا الطريق خليفَةً
بلا ثاني فلتَخْرُسْ شفاهُ المُعَايَا
أفي الله شَكُّ أم بسَيِّدٍ خَلِقَهُ
فهذا أبوالعباس لا تَنْجُ نائيا
مَنْعُ إِذا استمسكَتَ بالسُّلْسَلِ الذي
أبوالفتح يسقي كُلَّ صاحٍ وفانِيا^(٢)
علا فوقَ فَوْقَ الفوقِ في مَنبَرِ العُلا
يُنَادِي أَنَا المَقْصُودُ هذا زَمَانِيا
لَهُ دَانَتْ الدُّنْيا فَأَعْرَضَ زَاهِدًا
ويعطي عطاءَ الرِّيحِ ما فيه من رِيا
يَمِيلُ إلى الضُّعْفَاءِ يَصْحَبُ جُلُهم
وما وَطِنَتْ قَدَمَاهُ قَصْرًا لوالِيا

(١) في مدح الشيخ أبو الفتح أحمد علي البرغلوي السلام عليك أيها الشيخ ورحمة الله وبركاته

(٢) هكذا ورد في الأصل.

كما إنَّهُ في حَضْرَةِ الرَّبِّ غَارِقُ
 دَوَامًا فَلَا تُلْهِيه أَمْوَالُ مُعْطِيَا
 كما (كولخ) فِاسَّ مَدِينَةٍ يَثْرِبُ
 ضَرَائِجُهُمْ تَدْعُوهُ يَمْشِي مُلَبِّيَا
 أَيَا مِنْ هَوَاهُ الذُّكْرُ وَالذُّكْرُ حَالُهُ
 خَرَفَتْ الطَّبَاقُ السَّبْعَ بِالذُّكْرِ دَاعِيَا
 يُوْثِّمُكَ بِالْقَصُودِ جَمْعٌ وَمُفْرَدُ
 فَتُورِيهِمْ بَحْرَ الْفَيُوضَاتِ دَانِيَا
 هَلُمُّ إِلَيْنَا نَخْرِقِ الْجَوَّ وَالسَّمَاءَ
 بِذِكْرِ وَتَسْبِيحٍ لِنَرْقَى الْعَوَالِيَا
 أَيَا مُعْرِضًا أَوْ مُنْكَرًا أَنْتَ غَافِلُ
 وَفِي قَلْبِكَ الْمَسْكِينِ عُشُّ الْمَلَارِيَا
 لَنَا فَيَضَةٌ تَجْرِي وَيَرْهَامُ دَرْعُهَا
 أَبُو الْفَتْحِ يَسْقِيهَا وَلِلْخَيْرِ سَاعِيَا
 شَرِينَا هَوَانًا وَفَرْدُوكَ وَطَاعَةً
 وَخُبُّ وَإِخْلَاصُ لَعَلَّهِ الْمُنَادِيَا
 يُكَالُ إِلَيْنَا السُّوءُ وَالشُّنْمُ وَالْأَذَى
 فَتَحْرِقْهَا الْأَنْوَارُ وَاللَّهُ رَاضِيَا
 خِصَالُ لَهَا عِشْنَا وَنَبْقَى لِأَجْلِهَا
 عَبِيدُ وَخُدَّاءُ مَدَى الدُّهْرِ سَارِيَا
 وَجَعْتُ أَبِي فَاذْفَعْ لَنَا السُّنْثَرَ بُزْمَةً
 مَتَى مَا عَرَفْتُ الْوَجْهَ هَذَا مُرَابِيَا

رَحِيمٌ مُنِيبٌ صَانِعُ الْخَيْرِ دَائِمًا
 مَسْفُوحٌ إِذْ اخْتَرْتَ التَّوَاضُّعَ رَاضِيَا
 جَمَاكَ أَيَا شَيْخِي أَتَيْتُكَ رَاجِعًا
 أَقْزُولُ عِنْدَ الْعَوْدِ مَرْفُوعٌ عَالِيَا
 مَتَى مَا بَهَانِي الدُّفْرُ بِزَعِي سَوَائِكُمْ
 وَسَيَفِي خَضُورِ الشَّيْخِ كَالْبَرْقِ مَاضِيَا
 تَشَادِي تُنَادِي يَا سَلَامُ تَعْمُنَا
 سَلَامًا كِفَانَا الْمَوْتُ وَالشُّرُّ دَاهِيَا
 أَيَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمَهِيْبُ دُعَائِكُمْ
 رَجَوْنَا بِهِ تَغْمِيمَ سَلَامٍ وَعَافِيَا
 لَكَ الشُّكْرُ إِذْ ااخْتَرْتَ (تَشَادِي)
 مُضِيْفَةٌ جَزَاكَ إِلَهِي فَوْقَ مَا نَالَ دَاعِيَا
 هُنَا يَنْتَهِي التَّعْبِيرُ إِنِّي مُقْصِرٌ
 وَصَفَحَكُمُ إِن نَلْتُ هَذَا جَزَائِيَا

حسين إبراهيم أبو الذهب^(١)

(١)

[مجزء الوافر]

سـلام ارض مطلوب
سـلام غرس محبوب^(٢)
سـلام لك من قلبي

سلامي كل أوقاتني
ولا زالت تحياتني
توافيك من الحب

وبالأشواق أمداحي
وفي الأمجاد انراحني
وتسليتي من الكرب

متى أنسو من الأقسا
متى أسعد بالزوا
فيا شوقي إلى القرب

(١) حسين إبراهيم أبو ذهب (١٩٤٣ - ١٩٧٩) شاعر تشادي، وهو من ضحايا الحرب الأهلية، ويقلب على شعره النزعة الصوفية والديح النبوي. وشعره لم يطبع، وقد عثرت على مخطوطتين له الأولى: في المديح النبوي، والأخرى: في مدح الشيخ أحمد التيجاني ويلاحظ أن المخطوطتين يقلب عليهما طابع المنظومات.
(٢) مخطوطة حسين إبراهيم أبو ذهب، دغوث القلوب في مدح صاحب الفيض المسكوب.

إلى (كُولِخ) فكم ساروا
أحبيائي وقد زاروا
رييب العجم والعرب

هو البدرُ ابنُ إسحاق
هو المشهور في الأفاق
هو الموصوف بالعُجب

زعيمُ الدين في الدنيا
له فينا اليدُ العليا
فلا تَجِدْهُ بالكذب

فَسَلِّمْ يا أخا الحسدِ
لكي تُهْدَى إلى الرُّشدِ
وَكَي ترقى إلى الرُّتبِ

فذا إرثُ التَّجاني بدا
بنور الحقِّ ثم هدى
إلى نور الهدى الوهبي

فنحمدُ ريننا الهادي
حبانا فيضَ إمدادِ
بلا حولٍ ولا سَبَبِ

فإنَّ الشَّيْخَ مِفْضَالُ
لَهُ فِي الْكُلِّ أَفْضَالُ
سَوَى مَنْ كَانَ فِي غَضَبٍ

أَلَا يَا طَالِبَ الرَّحْمَنِ
عَلَيْكَ خَلِيفَةُ التَّجَانِي
وَكُنْ فِي غَايَةِ الْأَدَبِ

وَيَجْأُلُهُ وَوَقْدُهُ
وَعِظْمُهُ وَقَدْرُهُ
بِذَا تَنَنُّوْا مِنَ الْأَدَبِ

وَأَيُّهَاكَ التَّعَرُّضُ فِي
أَمْرِ سِرِّهِ خَفَى
فَكُنْ فِي الصِّدْقِ فِي الدَّأَبِ

إِذَا مَا كُنْتَ تَجْهَلُهُ
وَمَا كُنْتَ تَخْضَلُهُ
فَطَالِعْ لِنِزَةِ الْكُتُبِ

فَكَمْ لَاشِیْخِ تَأْلِیْفُ
عَلَاكِلِ التَّصَانِیْفِ
لِمَا فِيهِ مِنَ الذُّقْبِ

غلبت معاشراً صافوا
وأعطوا الأمر إنصافاً^(١)
والقوا حُلَّةَ الْعُغْبِ

أبو إسحاق لا ثانٍ
له واليه في الآن
بفضل العلم والنسب

سما في الخُلُقِ والخَلْقِ
بدا بالنور كالفلق
فلم يحكيه ذي شَنْبِ

مايح شكأه فخم
رؤف كاه كرم
زكا كالتين والعنب

زكا أجوداده القدما
فكل جوده علما
وما فيهم يُقدُّ غبي

أتى من عنصر طاهر
بأمر فائق باهر
من الأسفار والحُجُبِ

(١) هكنا ورد في الأصل.

فَكَانَ الْغَوْثُ فِي الْعَصْرِ
وَعَيْتُ الْعَالِمِ لَا الْمَطَرِ
وَالْيُ لَمْ يَكُنْ يَنْبِي

لَهُ بِأَنْتَ كَرَامَاتُ
وَكَمْ جَاءَتْ عَلَامَاتُ
تَحْيُ رِفْكَ رُكُلِ أَبِي

تَسْلُمْنَا مَا فَوْفِي
تَخْلِينَا عَنِ الْعَنْفِ
فَأَسْكَنَنَا مِنَ النَّصَبِ

عَشَقْنَاهُ عَلَى السُّبْعِ
وَنَزَعَاهُ عَلَى الْقَهْدِ
وَوَلَّيْنَا الْخَيْرَ لَمْ يَغِبْ

وَمَنْ يَنْعَتُهُ بِالشُّرِّ
سَعَى بِالظُّنِّ لِضُرِّ
وَمَنْهُ الْبَرَاءُ لَمْ يَحُصِّ

أَيَا شَيْخِي وَيَا سِنْدِي
وَيَا كَهْفِي وَمَعْتَمِدِي
وَيَا كَنْزِي وَيَا حُبِّي

فَأَنْتَ الْقَصْدُ فِي غَرْضِي
وَأَنْتَ الْأَنْسُ فِي مَرْضِي
فَدَاوِي الْقَلْبِ يَا طَبِِّي

عَلَيْكَ تَحْيِيَّتِي أَبَدًا
تَعْمُ الْأَهْلُ وَالْوَلَدَا
وَتَشْمَلُ سَائِرَ الْحُجُبِ

مَدَى الْأَرْوَاحِ مَا هُبْتُ
وَمَا مَرُّ الْحَيَا ضَبُّتْ
وَقَالَ الْحُبُّ مِنْ حُبِّ

مَسِيحِي فَيْكَ يَا هَادِي
يَسَامِي كُلُّ إِنْشَادِ
وَمَا يُبْدِيهِ ذُو لُبِّ

فَمَا مِثْلُكَ فِي النُّصَحِ
وَلَا مِثْلُكَ فِي الْمَنْحِ
فَالْزَيْنُ الشَّمْسُ مِنْ شُعْبِ

فَأَقْبَلْ فَيْكَ أَبْيَاتِي
وَأَقْضِي كُلَّ حَاجَاتِي
وَيَلْغَنِي إِلَى الْقُرْبِ

أنا تلميذك الجاني
أنا في حُبِّكَ الفاني
وفي أمداحكم طسري

فأجفتني بأصحابك
وفي أختيار أحيابك
وقل لي أنت من صحتي

وعند الموت داركني
وفي الميزان باركني
وانقذني من اللهب

فإنك قد ضمنت جنان
لمن يهواك بعد أمان
وعندي غاية الحب

ولم اطلب سواك خليل
ولم أجعل سواك دليل
من الأعجام والغرب

(٢)

[الطويل]

إلى طيبة المختار عندي من الهوى
شديدٌ وقد أخلى جفوني من الكرى
فليلي طويلٌ مظلمٌ من بُعاده
وجسمي ضعيفٌ من بُعاده ومن أسي
وما طابَ لي أكلٌ ولا لذٌ مشرب
وكيف يطيبُ الأكلُ والشربُ للحشا
وجسمي مرهونٌ بذنبٍ مُقيدٍ
بعيدٍ عن المحبوب باقٍ على النوى
وسار رفاقي حيث جئوا بكلمات
أثوهُ وخلُّوا عن غرور وعن هوى
وقاموا بليلٍ مخلصين فخلُّوا
نفوسهم من كلِّ ملهى ومشتهى
ونمتُ بليالي لم أبال بحالٍ
كأنني على أمنٍ ولا أمنٍ للفتى
أنتُ فراشي والوسادة والغطا
وأحميتُ جسمي من عناءٍ ومن أذى
ولا فكرة لي لو على قدر لحظةٍ
بتخليصِ رُوحِي وهو أرفعُ مستوى

ظَلَمْتُ كَثِيرًا حَيْثُ ارْخَضْتُ غَالِيًا
 نَفِيسًا وَأَغْلَيْتُ الَّذِي يَلْقَاهُ الْبَلَى
 وَمَا الْجِسْمُ لَوْلَا الرُّوحُ مَا كَانَ لِحَظَةً
 فَلَوْلَى بَرُوحِي أَنْ أُخْلَصَ أَوْلَى
 فَمَوْتُ قَبِيلِ الْمَوْتِ وَالْعَيْشُ بَعْدَهُ
 وَعَيْشٌ بِلا مَوْتٍ هُوَ الْمَوْتُ لَا غُرُوبُ
 فَلَا رَاحَةَ لِلْخَائِفِينَ حَقِيقَةً
 وَتَلْفِي أَهْنِيلَ الْجَهْلِ فِي لَذَّةِ الْهَوَى
 عَصِينَا وَلَمْ نَبِكْ مِنَ الْخُوفِ مَرَّةً
 وَكَانَ عَلَيْنَا الْحَقُّ أَنْ نَلْزِمَ الْبُكَاءَ
 وَنَضْحَكَ مُشْرُورِينَ فِي كُلِّ بُرْهَةٍ
 وَذَلِكَ مِنْ مَوْتِ الْفُؤَادِ الَّذِي قَسَا
 رَضِيتُ بَعِيشَ الْجُحُمِ لَا عَيْشَ عَاقِلٍ
 وَكَيْفَ بِهَذَا الْعَيْشِ يَا إِخْوَتِي الرُّضَا
 إِلَّا نَظَرَةً مِنَ خَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
 تُغَيِّرُ هَذَا الْحَالَ أَوْ تَكْشِفُ الْغُشَا
 وَتُنْزِلُ عَنِّي كُلَّ سُوءٍ وَقَبْحَةٍ
 وَتَلْبَسَنِي أَنْوَاءَ حُلِيِّ مِنَ الثَّقَى
 فَمَا قَصْدُ هَذِي النَّفْسِ إِلَّا بَلِيَّتِي
 أَعُوذُ بِرَبِّ الْعَرْشِ مِنْهَا عَلَى السَّمَدَى
 أَعُوذُ بِرَبِّي خَالِقِي وَهُورَازْمِي
 مِنَ الْمَارِدِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَصَدَهُ الْغَوَى

أقولُ غَدًا مني المتاب وكم غدٍ
 وما زلت في فعل المعاصي وفي الخطا
 أظاهرُ بالخيراتِ بهري وأختفي
 تنويًا عظامًا لو تبذت على الورى
 قلوني جميعًا ما أَلَمُوا بمجلسي
 ولكن ربي يستر العيب إن عَرَى
 فهم يحسبون الخير منهم تقرُّبًا
 وليس أخو جهل بأمرٍ كمن نَرَى
 فأولى بنفسى أننى اليوم عالمٌ
 بكلِّ سقامي أن أفتش عن دوا
 يريدون منى كل حين دواهم
 وإنسى ومن يطلب منى على سوا
 ولو كنتُ ذا حنقٍ لخلصت مهجتي
 من الداءِ داءِ الغش إذ عندها ثوى
 لهذا ترى منى الزمان تسترًا
 لأنى مشغولٌ بنفسى عن السوى
 رأيتُ جميع السالكين تهذبوا
 نفوسَهُم عن كل ملهى ومشتهى
 وإنسى وإن قاصر السعى راقدٌ
 فلا رُشدَ لى حينًا خير ولا قوى
 أيا رب بالهادي الأمين محمد
 وبالصحب والأل الكرام نوى الهدى

تُبَلِّغُنِي أَقْصَى مَرَامِي بِمَكَّةَ
وَتُعْطِي مُرَادِي فِي الْمَقَامِ الَّذِي أُوِي
إِلَيْهِ خَلِيلُ اللَّهِ بِرَهَامِ دَاعِيَا
بِكُلِّ دَعَاءٍ الْخَيْرِ فَاسْتَقْبِلِ الدُّعَا
مُحَمَّدُ مَخْتَارُ مِنَ الْخَلْقِ مُصْطَفَى
وَخَاتَمُ كُلِّ الرُّسُلِ دَاعٍ إِلَى الْهُدَى
أَتَى بِكِتَابٍ مِنْ حَكِيمٍ مُبِينٍ
فَأَرْشَدَنَا لِلْحَقِّ عَنْ غَيْرِهِ نَهَى
عَرَفْنَا بِهِ الْحَقَّ الْقَدِيمَ حَقِيقَةً
وَلَوْلَاهُ لَمْ نَعْرِفْ مِنَ الْحَقِّ بِالنُّهَى
جَزَى اللَّهُ عَنَّْا كُلَّ خَيْرٍ مُحَمَّدًا
وَصَلَّى عَلَيْهِ الرَّبُّ تَعْدَدًا مَنْ هَدَى
مُحَمَّدُ مَحْمُودٌ لَدَى كُلِّ عَاقِلٍ
مُحَمَّدُ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَا
مُحَمَّدُ مَعْرُوفٌ لَدَى كُلِّ عَالِمٍ
مُحَمَّدٌ مِنْ خَيْرِ الْبَرَائِا بِلَا افْتِرَا
مُحَمَّدُ مَحْمُودُ الْمَقَامِ وَإِسْمُهُ
قَرِينٌ لِإِسْمِ اللَّهِ فِي الْعَرْشِ وَالسَّمَاءِ
وَمَنْ قَالَ رَبِّيَ اللَّهَ بِالْحَقِّ إِنَّهُ
يَقُولُ رَسُولِي الْمُصْطَفَى وَهُوَ مُنْتَقَى
وَوَاجِبُ حُبِّ اللَّهِ جَلُّ جَلَالِهِ
وَحُبُّ رَسُولِ اللَّهِ فَرَضٌ عَلَى الْوَزَى

أحبك يا خير الأنام محمد
فجذلي بما أهواهُ شرياً وبالروى
وهب مهجتي يا مصطفى الله قريباً
لتشف لي يا صاحب الحوض واللوا
عليك صلاة الله في كل لحظة
وأل وأصحاب دوائها على المدى

عباس محمد عبد الواحد^(١)

(١)

[البسيط]

شهرُ الصيام إذا أحياء محتسبٌ
أتاح للنفس خيراً غيرَ محدودٍ
إذ فيه تَسْتَجِلُّ الأرواح قُوَّتُها
بالصوم والنُّسكِ أو تسبيحُ معبودٍ

(١) عباس محمد عبد الواحد (١٩٤٤ - ٢٠٠٢)، شاعر تشادي ولد في مدينة «أبشة». وينا تعليمه بحفظ القرآن الكريم وانتقل إلى مدينة «بلتن» حيث كان أبوه يعمل إماماً للمسجد الكبير ومعلماً للعلوم الدينية وعاد الشاعر مرة ثانية إلى مدينة أبشة فالتحق بالمدرسة الثانوية العربية الفرنسية ثم التحق بمعهد المعلمين ونال الشهادة الثانوية المزدوجة. ثم سافر إلى العراق والتحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة المستنصرية، وعاد إلى وطنه ليعمل مدرساً ثم ناظراً، ثم مديراً للشؤون الدينية إلى أن توفاه الله سنة ٢٠٠٢م.

وقد تضافرت عدة عوامل أسهمت في تكوين شاعرية شاعرنا المحافظة أهمها كما تجلى في شعره: النشأة الدينية، وعشق اللغة العربية وإدائها، وقد ترك الشاعر ديواناً طُبع في أثناء ممته في العراق بعنوان «الملاح»، وكتب مقدمته الدكتور عادل جاسم البياتي، ومحمد حسين آل ياسين. وقد أثريا على الديوان، وما فيه من شاعرية متفتحة وشعور حي، وإحساس ينبض بالحياة.

يقول عنه الدكتور محمد حسين آل ياسين «... قرأت ديوان الملاح للأخ الشاعر (عباس محمد) أحد أدباء تشاد العزيزة، فرائيته حافلة بالشاعرية العنية ومضمخاً بآريجها الحلو، ووجدت قصائد متسمة باللطف والرفقة بعيدة عن التكلف مجانية للتصنع نابعة من إحساس مرهف صادق، فهي بنت تجاربها الواقعية التي عاشها الشاعر بتفاصيلها الذاتية والاجتماعية، وأود الإشارة إلى أن القصائد التي سوف أسجلها للشاعر بعد هذه السيرة الذاتية لم ترد في ديوانه، فهي عبارة عن قصائد مكتوبة بالآلة الكاتبة، وحصلت عليها من الشاعر قبيل وفاته إضافة لديوانه وهي ست قصائد «في رجب رمضان - من وحي الأسى - رثاء الشيخ زكريا حسين - إلى خادم الحرمين الشريفين - الشاذلي صالح - بزغ النور». وقد تصحني استاذي الدكتور أحمد محمد عوين بكتابة الديوان: لنعم الفائدة بعدما أن تم طباعته من قبل في العراق مطبعة أسعد ١٩٨٣م في سبع وأربعين صفحة من الحجم المتوسط. مقابلة تمت بيني وبين الشاعر في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بتشاد في ٢٥/١٠/٢٠٠١م وانظر مقدمة ديوانه «الملاح»، تقديم د. محمد حسين ط. أسعد، بغداد، ١٩٨٣م ص ١١.

تروى ثقات عن المختار مرشدنا
 ما جاء عنه بموثوق الأسانيد
 بأن فيه يُرى الشيطانُ معتقلاً
 بين السلاسل في أيامهِ السُّود
 وفتحت فيه أبواب الجنان وقد
 أعذ للنفس أقصى غاية الجود
 وليلة القدر تبقى فيه كامنة
 لكنها بقيت من دون تصديد
 والروح تنزل والأرواح تضحُّبها
 لمطلع الفجر قل له من عيد
 أمنية النفس أن تحظى بمغفرة
 من ننبها ودعاء غير مرئود
 مولاي عندك وصل غير منقطع
 نرجوه منك وياب غير مسدود
 أعذ إلى المسلمين اليوم وحدثهم
 وارث لهم كل مسلوب ومفقود
 وأنشئ مخطط من يبغي تفككهم
 بشن حرب وترويع وتنفيد
 والجيل فاحفظه من فكر يسمُّهُ
 بنهج أسلافه الغر الصناديد
 واحفظه من خطر الإلحاد منتشراً
 ومن مخاطر تنصير وتهويد
 فالكفر عند جماعات مضللة
 ترى له حق تصدير وتوريد

[الوافر]

لدى أفريقيًا شعبٌ توالث
 عليه عواصفُ الدنيا عتيا
 لقد فتكت به الويلات فتكا
 وأسفتة كؤوس الفم رؤيا
 وكبلة البلاء بكل رز
 فراخ يعيش والبأسى سويًا
 فقر البشُر يوم غزاه مد
 من الصحراء يطوي الأرض طيًا
 فرج الجمع أنواجًا وألقى
 به في عمق هاوية شجيا
 فما استثنى ولم يمتن شيئا
 يقل عصاه أو طفلا برئا
 ولم ير منه قط أشد بسا
 أشد ضراوة وأشد كيا
 فمن للبائس المنكوب غوثا
 سريعا إذ دعا «عطفًا عليا»

(١) تاريخ كتابة هذه القصيدة يرجع إلى عام ١٩٨٥م، وكانت المناسبة المجاعة في أفريقيا، وقد قمت السعودية بمساعدات إلى المحتاجين عن طريق مشروع سمي مشروع العون المباشر وقد لعبت هذه الطريقة دورًا كبيرًا في تخفيف الآلام أما العون المقدم عن طرق أخرى فلم يصل إلى أهدافه. وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة رابطة العالم الإسلامي ثم في مجلة جامعة الإمام، وعرضت أيضًا في التلفزيون السعودي، وشاهدها كثير من الناس، وفي القصيدة إشارة إلى سباق التسلح بين الكتلتين آنذاك.

وقد شَغَلَ الآخَ العَصْرِي هَمُّ
 وحلَمَ بات يرتادُ الثُّرَيَّا
 فحولَ نعمةِ الرحمنِ حريًّا
 وشكَّلَ للورى خطرًا جليًّا
 لينعمَ بالتفوقِ في سباقِ
 يدومُ على منافسه قويًّا
 ويحلُمُ لو رَأَهُ النَّاسُ رُئِيًّا
 غدا بالأرضِ جبارًا عتيًّا
 وإنَّ العالمَ المرعوبَ يصفي
 لما يملِيه أو يبقَى جثيًّا
 صدى صوتِ الضميرِ عن المآسي
 يُرَدُّ عند سامعه نويًّا
 فهبَّتْ نسمةُ الأمالِ لَمَّا
 غدا عطفُ القلوبِ به خفيًّا
 لذا أخذتْ بساعده أيارِ
 تمذُّ لثلهِ عونًا سخيًّا
 وأجدها يدًا قهيدٍ، سيبقى
 لواء الدين خفاقًا عليًّا
 تعهَّدَ مدهُ وأصر أن لا
 يكونَ لعهدِهِ إلَّا وفيًّا
 تعيشُ أيا ملكِ الشرقِ عدلًا
 تراعى الحقَّ عملاقًا نكيًّا
 وتبقى رائدًا وتقودُ شعبًا
 غنيًّا في مبادئهِ إبيًّا

(٣)(١)

[البسيط]

عرفتك يا أخسي شهماً نكياً
عرفتُ بأنك الرجلُ المثالي
عرفتك عبقرياً لا يُجازى
عرفتك صالحاً حَسَنَ الفعال
عرفتك مؤمناً سمحاً أبيعاً
وداعيةً إلى ربِّ الجلال
عرفناك التقيُّ فلا تبالي
بما يفضي إلى قيلٍ وقال
رزيناً لا تفيضُ القولُ إلا
لدرسٍ أو جوابٍ عن سؤال
عفيفاً صابراً برّاً قنوعاً
بما يأتيك من كسبٍ حلال
عرفتك بحرَ علمٍ الدينِ لُماً
غمرتِ النَّاسَ بالفيضِ الزُّلال
عرفتك عالمُما في كلِّ فنٍّ
سموتَ فكنْتَ مُنْقِذِ المِثال
فَقُزْتَ بسمعةٍ بيضاءِ فاقتَ
رواءَ البدرِ في شَرَفِ الكمال

(١) رثاء الشيخ زكريا حسن كان عالماً بالمربية والعلوم الدينية وكان ورعاً تقياً عاملاً وكان عضواً في اللجنة الإسلامية لجمهورية تشاد.

أَيْبُ أَنْتَ فَذُّ أَرْحِي
 مَلُومٌ بِالْجَمِيلِ مِنَ الْخُصَالِ
 رَفِيعٌ وَالتَّوَاضُّعُ فَيْكَ دَائِبُ
 يَقْرَأُ لَكَ الْجَمِيعُ بِلا جِدَالِ
 شَرِيفَ النَّفْسِ لَا تَخْشَى مَلَامًا
 عَنِ النَّصِيحِ الْجَمِيلِ وَلَا تَبَالِي
 فَسُوا اسْفًا عَلَيْكَ فَقَدْ تَدَاعَى
 لَنَا رَكْنٌ هَوَى تَحْتَ الرُّمَالِ
 تَخْطِفُكَ الْمَنُونُ وَأَنْتَ فِينَا
 مَثَالُ لَلْتُودِ وَالْوَصَالِ
 إِذَا مَا قَلْتُ إِنَّكَ رَمَزُ جِلْمِ
 أَقُولُ الْحَقُّ فَيْكَ وَلَا أَغَالِي
 فَسُوا اسْفًا لِقَدْ الْعِلْمُ أَنَا
 فَقَدْ نَبَا مَطْلَبًا صَغْبَ النَّالِ
 لَأَنَّ غِيَابَ أَهْلِ الْعِلْمِ حَتْمًا
 سَيُودِي بِالْعُلُومِ إِلَى زَوَالِ
 هِيَ الدُّنْيَا الَّتِي نَأْوِي إِلَيْهَا
 وَنَحْنُ نَجْدُ فِي طَلَبِ الْحَالِ
 سِرَابٌ لَا حَقِيقَةَ فِيهِ أَصْلًا
 فَهَلْ تُجِدِي مَطَارِدَةَ الظُّلَالِ
 وَإِنَّ الْعُمْرَ مَهْمَا طَالَ فِينَا
 فَإِنَّ الْمَوْتَ عَاقِبَةُ الْمَالِ
 عَزَائِي يَا أَخَا الْإِسْلَامِ.. إِنَّا
 أَصْبَيْنَا الْيَوْمَ بِالذَّاءِ الْعُضَالِ

(٤)(١)

[البسيط]

مشاعرُ السود والعرفانِ نبعثُها
إليكَ فهي من الأعماقِ تشتعلُ
لقد عرفناكَ عملاقاً تناطُ به
زعامةُ الدينِ نغمُ القائدِ البطلِ
أعدت ما كان للإسلام من شرف
بين الشعوبِ فعاد الجرح يندمل
فكنتَ مفخرةً للمسلمين كما
أصبحتَ مستنداً لاقت به نُؤلُ
وليس يجعلُ منا أن دولتكم
ترعى الذي قد بنَّته القادة الأول
قادوا الأنعامَ بإيمانٍ وقوتهم
عزَّمُوا كِباهُ في سيرهِ العملِ
وهُم أسودُ الورى لله نرُفُّمُ
لَهُم مواقفُ مضروبٌ بها المثل
خاضوا الملاحمَ أبطالاً ورائدُمُ
قلْبُ تشرُّدُ منه الخوفُ والوجَلُ
فكلُّ فردٍ بهم إن سَمَّته عَلَمُ
يصح أن قيل عنه الشَّامِخُ الجبلِ

(١) هيئت في إحدى المناسبات الإسلامية العالمية.

إن جامدوا فلأجلِ الله صولتُهُم
أو أمسكوا فلأجلِ الله ما فعلوا
حتى بنوا دولةً عظمى وليس لهم
في حفظها مقلّةٌ بالنوم تكتحل
فهابها كلُّ جبارٍ لأن لها
قيادةً لكتابِ الله تَمْتَرِل
فهذه شيمَةُ الأبياء واضحةٌ
للنّاس فهي لكم بالإرث تنتقل
يا عاهلاً فزُعْهُ يسمو إلى رُحلٍ
وأصلُهُ لعميقِ المجدِ يَتُجِل
ومن له سمعةٌ بيضاءٌ قد ظهرت
كالبحرِ حين يُرى بالنورِ يكتمل
أقبلُ تحيةً وفد الشاد منبعتاً
للحجِ فهو له المقصودُ والأمل
نَزَفُها لوليِّ العهدِ ثانيةً
فهو الذي لا يُرى في أمرِه الكسل

(٥)

[البسيط]

اقسمتُ والقولُ من تأكيدهِ القَسَمُ
أَنَّ الفضائلَ بينَ الناسِ تَنَقَّسِمُ
للِبعْضِ حظٌ وِبعْضُ قَلْ موهبةٌ
وِبعْضُهُمْ حظُهُ في القِسمِ مُنْقَدِمُ
فخْصٌ منَ بَينِهِمْ استِناذُ معرفَةٍ
وشَيْخُ عِلْمٍ تَجَلَّتْ عِنْدَهُ الحِكمُ
هَذَا هوَ الشَّاذِلِي صرَحَ بِشَادُ بِهِ
وَقِمةٌ تَتَهَاوَى دُونَهَا القِمْمُ
حوى منَ الحِظِّ قِسْطًا لَا تَزاحمُهُ
أَتْرَابُهُ وَهَوَ فِي أَقْرَابِهِ عِلْمُ
أَكْرَمُ بِهِ عَالِمًا قَلَّتْ نِظَانِرُهُ
نَوْهَمَةٌ قَصُرَتْ مِنْ دُونِهَا الهِمَمُ
إِنْ جَنَّتْهُ زَائِرًا تَلَقَاهُ مِبْتَسِمًا
مَهْذَبُ النَفْسِ بِنْرُ مَاؤُهُ شَبِيمُ
فَمَا خِلَا البِنْرُ مِنْ رَوَادٍ مِنْهَلِهِ
فَدْرَسُهُ بِجَمْعِ النَّاسِ مِنْ رَحِمِ
إِرْتُ أَتَاهُ مِنَ الْآبَاءِ مُكْرَمَةٌ
فَهُمْ كِرَامٌ تَنَاهَى فِيهِمُ الْكِرَمُ

أَبُوهُ صَالِحٌ نَوْ عَالِمٌ يَمَيِّزُهُ
مِنْ غَيْرِهِ اللَّطْفُ وَالْأَخْلَاقُ وَالشُّبُهَاتُ
طَلَقَ الْحَيَا تَقِيًّا مَخْلَصٌ وَدِعْ
وَصَادَقَ الْقَوْلَ بَيْنَ النَّاسِ مُخْتَرَمٌ
تَرَاهُ إِذَا مَقِيمًا فِي تَنَسُّكِهِ
أَوْ كَانَ فِي يَدِهِ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
وَلَمْ يَفْرُطْ بِحَقِّ فِي تَعَامُلِهِ
مَعَ مُسْلِمٍ فَهُوَ بِالْإِسْلَامِ مُلْتَزِمٌ
رَحِمَاكَ يَا رَبِّ رَمْسًا ضَمُّ أَعْظَمِهِ
يَوْمًا يَحَاسِبُ فِيهِ الْعُزْبُ وَالْعَجَمُ

(٦)

[الكامل]

وَلَيْسَ الْهَدَايَةُ يَوْمَ مَوْلِدِ أَحْمَدٍ
وَالْعَدْلُ فَانْتَظِمْتُ بِهَا الْأَشْيَاءُ
إِذَا كَانَ مَجْتَمَعٌ يُبَيِّنُ شَمْلَهُ
فَوَضَى فِيهِ تَشْتُّتُ وَجْهَاءِ
لَا شَرَعَ لَا مِنْهَاجٍ فِيهِ وَإِنَّمَا
فِي الْقَوْمِ دِينَ شَرْعُهُ الْأَهْوَاءُ
وَالِهَةُ الْمَعْبُودُ إِمَّا صُورَةً
يَخْتَارُهَا أَوْ أَلَةً خُرْسَاءِ
وَالْأَمْنُ مَعْدُومٌ فَكُلُّ قَبِيلَةٍ
تَسْطُو عَلَيْهَا الْغَارَةُ الشُّعْوَاءُ
وَمِشَاعِرُ الْأَحْقَادِ يُذَكِّي نَارَهَا
بَيْنَ الْقُلُوبِ تَنَابُؤُ وَهَجَاءِ
هَذَا يَقُولُ لَذَاكَ إِنَّ قَبِيلَتِي
سَلَاتٌ وَأَنْتُمْ أَعْبَادُ وَإِمَاءِ
وَالْحَقُّ مُلْكٌ لِلْقَوِيِّ يُزَيِّ فُلَا
يَرْضَى بِأَنْ تَسْعَى لَهُ الضَّعْفَاءُ

والواجب الأسرى يخلعه الذي
 لم تكتنفه شهامة وإباء
 إن انجبت زوج الفتى ذكراً فقد
 تلقى الوجوه تُنيرها السراء
 ويكاد يقطع قلبه غضب إذا
 وضعت بانثى في بنيه نساء
 فيدسها تحت الثرى مودة
 أو سامها بالذل حيث يشاء
 فكأنه بين البنات وبينه
 أو كل أنثى نعمة وعداء
 أولم يكن بين النساء وبينه
 زوجية وأمومة وبناء
 أعمال إجرام يزنها له
 شيطانه وجهالة عمياء
 فتكاثفت ظلماتها زمناً وقد
 طالبت عليهم ليلة سوداء
 فإذا الهلال يلوح فيهم نوره
 شهر الربيع فتختفي الظلماء
 ليل تشرف قنوره فكأنه
 بين الليالي غداة عزاء
 إذ كان إيذاناً لعهد ينقضي
 ويليه عهد كله أضواء

ضوؤه الهدى والحقُّ جاء به الذي
 أورهأ فامتلائت به الأرجاء
 لما غدا بدرُ الهدى متكاملأ
 في الأريعين وتم فيه رواء
 قام الرسولُ على الأنعام مبشراً
 برسالةٍ كانت لها أعداء
 من قومه إذ قال قوموا وخُذُوا
 رؤيا ليدية النفع والضراء
 واستهجنوا الأوثان فهي سفاهة
 وضلالة يرضى بها السفهاء
 وترفعوا عن فعل كل رذيلة
 يا قوم فهي لدينكم إنزاء
 قالوا أتيت لنا بدين ما لنا
 علم ولا علمت به الأباء
 هذي أساطيرُ الأوائل أو كما
 كتبت على أنماطه الشعراء
 فرمؤه بالكذب الذي لا ينبغي
 بمقامه واستحكم غلواء
 عابوه بالمكر العنيف فأوقدوا
 للحرب نارا ما لها إطفاء
 لكن هذا ما ثناءه عن الذي
 يسعى لعزته ولا الإيلاء

حتى أتى يومٌ يرفرفُ عنده
في نصرة الدين الحنيف لواء
فلقام مجتمعا قواعدُ صُرُجِه
يبني عرأه ترابطُ وإخاء
لا فرقَ بين - ملونين ومن - له
في لونِ تلك البشيرة البيضاء
الناسُ في نظر الشريعة كلُّهم
في الواجبات وفي الحقوق سواء

(٧)

وقفه في وارا^(١)

[الكامل]

«واراء» وَقَفْتُ عَلَى رِيعِكَ سَاعَةً
فَاكْتَظُّ قَلْبِي هَيْبَةً وَجِلَالًا
لَا حَثَّ مَعَالِهَا لَدَيْ بَعِيدَةٍ
فَقَطَعْتُ قَبْلَ وَصُولِهَا أَمِيالًا
فَإِذَا بِقَلْعَتِهَا بَدَتْ وَكَأَنَّهَا
أَهْرَاءُ مَصْرَ رُونَقًا وَجَمَالًا
تَصَوِّي مِنَ الْفَنِّ الْجَمِيلِ رَوَائِعًا
فَدَهَشْتُ مِنْ تِلْكَ الرِّوَائِعِ بِأَلَا
شَانَتْ عِبَاقِرُهُ الْفَنُونِ قُصُورَهَا
وَيَدُ الْمُلُوكِ تَمُدُّهُمْ أَمْوَالًا
حَتَّى غَدَتْ أُولَى الْقِلَاعِ بِأَرْضِهَا
قَدُمًا وَيَأْتَتْ لِلْفَنُونِ مِثَالًا
وَمِنَ الْفَرَائِبِ أَنَّ هَيْئَةَ قُصُورِهَا
مَضَتْ الْقُرُونُ بِهَا وَدَامَتْ حَالًا
عَكَسَتْ عَلَيْنَا مَجْدَ أَجْدَادًا سَمَوَا
فَنُوقَ الثَّرِيَا عِزَّةً وَمَحَالًا

(١) من ديوان دعباس محمد عبد الواحد، اللامح - قصائد - بغداد - مطبعة أسعد.

ما طافَ ساحتَها العريقةَ سائحُ
 إلا استكانَ لغنَّها إجلالاً
 بهرتهُ هيبتها فأصبحَ ينطوي
 ذاتَ اليمينِ تلفتاً وشمالاً
 مَنْ لَمْ يشاهدَ ما ذكرْتُ بنفسه
 ظَنُّ الظنونِ وكَذِبُ الأقوالِ
 أو شكُّ في تلكِ الحقيقةِ قائلاً
 «كأنتَ تكونُ خرافةً وخيالاً»
 ما ذاكَ بالقولِ الصحيحِ وإنما
 نسبوا أباطيلاً لها وخيالاً
 واليومَ لم تَرَ حولها شخصاً ولم
 تَرَ دونها نصيباً ولا تمثالاً
 فخلتُ مرأيتها الجميلةَ والتي
 ظلُّ البهاءِ إزائهما يتلالا
 وترى الوحوشَ تجوبُ في عَرَصاتها
 وترى حيالَ بنائِها أطلالا
 وممَرُّ يذكرُ عهدَ إرشادٍ مضى
 نوراً وانجيبَ قيادةً أبطالا
 عهدُ الفتى عبدِ الكريمِ المرتضى
 كانَ الثَّقَيَّ العادلَ المفضلاً
 أرسى دعائمَ سلطنةٍ قامت على
 نُشْرِ الهدى فَتَحَمَلَ الأثقالا

وأضاع في نشر الديانة عمره
في الله حتى حُقِّقَتْ آمالاً
العدلُ سادَ على جميعِ ربوعها
والظلمُ قَطَعَ جسمَهُ أوصالاً
ويذُ المنايا استأثرت فيه وقد
ولَّسي وخُلِفَ بعده أعمالاً
وضريحه ما زال مقصداً كُلَّ مَنْ
يرجو الإله به ندى ونوالاً
كتبت يَدُ التاريخ في صفحاته
حدثنا يُخَلِّدُ ذِكْرَهُ أجيالاً

(٨)

أَنَّهُ الْفِرَاقُ

[البسيط]

غادرتُ موطنَ آبائي وأجدادي
مخلِّفاً عنده أُمِّي وأولادي
تركْتُ فيه أناساً ليس لي بَدَلُ
عنهم ورؤيتُهُمْ شوقي وإسعادي
فهم حِمَايَةُ فكري من تشوُّدِهِ
وفُهم أحاسيسُ أحشائي وأكبادي
أكادُ أفقدُ وعيي حين أذكرُهُمْ
وناظري بات في دمعي وإسهاد

☆☆☆☆

رايتُ وجهك يا أماءَ يغمُرُهُ
دمعُ غداةِ النوى عن موطني (شاد)
يلتفُّ حولك إخواني وعائلتي
حيرى فلوجمني غمِّي وانكادي
فصرتُ أطرُقُ رأسي حين أرففني
مشاعراً نبضت قلبي بترداد
وقلنتُ في سهوةِ الغمى وقد أخذتُ
ترنو إليَّ بقلبي فارغ صادي

أماه هذا وداعي اليوم فانتظري
لي عربةً بالننى مِنْ بعد إيفادي
إنَّ الأمانى التي ما زلتُ أطلبها
تقضي عليَّ بأسفارٍ وأبعاد
عنكم وما زالتُ الأمالُ تبتغني
للمجدِ فارتقبي يا أم أنجادي

☆☆☆☆

فارقْتُها وتركتُ القلبَ مرتها
لها وواصلتُ أسفاري بإجهاد
مرسيليا وإلى باريس رحلتنا
ومنه تَوَّأ إلى أرجاءِ بغداد
أرضُ الأولى بلغوا شأواً وقد تركوا
للناس اثارَ تاريخٍ وأمجاد
أرضُ الرشيد ومأمونٍ ومعتصمٍ
وأرضُ من ملا الدنيا بإرشاد
للوافدين إلى بغدادَ مفتنمٍ
ونائلُ جُلِّ عن حصرٍ وتعداد
وأنَّ لي في حمى أعلامها أملاً
في العلم والود من جمعٍ وإفراد
أرضُ العراق أراضي اليوم مفتطبا
في العلم والود من جمعٍ وإفراد
وإن أرى فيك شعباً باتَ منفتحاً
للزائرين ومضيافاً لمرتاد

ففي محيّاہمُ أنستُ بارقةً
للضیف تحكي وميضَ العارضِ الغادي

☆☆☆☆

معلمي أرى منكمُ مصارحةً
تريخُ قلبي وتبقي سِرُّ إرفادي
مناهلُ العلم والآداب أنْ لكمُ
فيها مشاهيرَ كتّابٍ ونقاد
فما خَلَتْ أرضُكمُ من شاعرٍ لبيقٍ
عبر العصورِ ومن أقطابِ رواد
أمالُ قلبي أرى منكم أساتذتي
ما قد رأيْتُ لكم أيامَ إيفادي
أرجو دوائاً لجوِّ الودِّ مشتركاً
كي أخذَ العلمُ عنكم يا بني الضاد

(٩)

[الكامل]

حسبي فخاراً في سجلٍ مفاخري
ومنايٍ في ماضيه أو في الحاضرِ
إن نُسِلْتُ من كفِّ (البياتيِّ) الذي
أهدى إليّ كتابَ علمٍ فاخرِ
بيوانٍ أشعارٍ يُعزُّ منالُهُ
من فيضٍ بحرٍ لا يجدُ لعابرِ

☆☆☆☆

أفلا يحقُّ لي الثناء عليك يا
سيل المعارفِ والخضمِّ الزاخرِ
سرُّ البراعةِ أنتَ مصدرُ تبعها
ومليكُ ناصيةِ الغريبِ النادرِ
فإذا نكَّرتَ فانتَ أفضلُ كاتبٍ
وإذا قرَّضتَ فانتَ أحسنُ شاعرِ
شمعتُ الرزانةَ فيك خلقاً ثابتاً
املأتهُ فلسفةُ العراقِ النائرِ

☆☆☆☆

لئن الجوانبِ والتواضعِ شيعةُ
زانتُ غلاك ولم تكن بالقاصرِ

فالبدرُ في سَمَتِ السماء مكانه
ونراهُ في وجهِ الغديرِ الفاتر
تلك المشاعرُ عن رضاكَ أَكْثَرُها
وحفظُها لك في عميقِ خاطر
أرعى جميلَكَ ما بقيتُ ولم أكن
يومًا بما منحْتَ يسداكَ بكافر

(١٠)

أفريقيا النائرة

[الخفيف]

شعبُ أفريقيا المناضلُ يبقى
في كفاحٍ وغارةٍ شعواءِ
ضد مستوطنٍ طغى سامه الخس
سُفُ بعنفٍ وقسوةٍ وجفاء
ضد تمييزه المشين وما حا
كَ له من مخاطِرٍ وشقاء
كم رأى للمستوطنين عيوناً
سَكَرَتْ بالغرور والخيلاء
ورؤوساً تآبى وترفضُ أن تُف
سَقَةَ إلا بلهجةِ الانكاء
لغةِ النارِ فهي أجدرُ أن تو
صِلَ قولاً بأنْئبه الصماء
فيُلبِّي نداءَ شعبٍ يريدُ الد
عيشَ في مآمنٍ من الأزاء
رافضاً فكرةَ التمايزِ بالعُنْ
صر، واللونِ وفضةِ الإيذاء
فله الحقُّ في البقاء سعيداً
نائباً من مخاطِرِ الضُرَّاءِ

ويعيداً عن التحيز توأ
 قُأ، إلى خَلْقِ ثورة الإثماء
 أملاً أن يشيد صرحاً منيعاً
 للمعالي والعزة القفساء
 خطّة السير والقرائن تُبدي
 أنسه في جرأة وذكاء
 فهنا تظهر العوائق ممّا
 بُبروه بحنكة وبهاء
 بات في رجله النشيطة شوك
 شل ركب المسير بالإبطاء
 إن أفريقيا شمالاً وشرقاً
 وجنوباً وسائر الأنحاء
 جسم فرد ما مسّه السوء إلا
 بات يسري في سائر الأعضاء
 يا بن أفريقيا الفتية قاوم
 إثننا في غنى عن الإغراء
 لقن الغاصب المريع دروساً
 بشفاه البنساق الخرساء
 فلافريقيا عليك ديون
 أد عن حقها بكل وفاء
 كي يصير الجنوب حرّاً طليقاً
 بعد أن كان خافئ الأصداء

والذي نازهُ طَلَعَتْ وَالْمُنْت
فانزوى نُورُ فرقة الإطفاء
فاكشفِ الداءَ سوف تعلم حقاً
أنهُ من تَلأطَمِ الأهواء
ثُمَّ عَجَّلَ فما عليك سوى الجَد
ثِ سريعاً عن وصفةِ وداء
واستمعْ بالصديقِ لا من اتى بالرَّ
— زُودِ في نُوبِ خِلَّةٍ وإخاء
كيف ترجو دواءَ دائِكَ ممن
هو في الأصلِ مصدرُ الأدواء
إن يكنْ ما يقوله اليومَ حقاً
عن قضايا إفريقيا السوداء
فلماذا وما البررُ في دَعَا
مِ، نظامِ الجنوبِ بالإسواء
إنْ دعوى الإخاءِ ينقصُهُ الصَّد
قُ، وإنْ اكْسَدُوهُ بالإيلاء
فالصُّديقُ الصُّدوقُ في لونه الثا
بيتِ، لا في تلوَّنِ الحرياء
فمن الجبنِ أن نحابه أو نُضد
في لتلك المشاعرِ الجوفاء
بل علينا المضي في السيرِ والمط
لَبِ عبْرَ للعالمِ الوضْاء

وحدة الحُفِّ وحدة القولِ والخطِ
طَبَّةٌ، حالاً ووحدة الأراءِ
نتناسى ما فات من حملاتِ
ساهمت في تَفَكُّرِ الأجواءِ
فالنزاعاتُ والتُّناحرُ لا تخدِ
يُمُ، إلَّا مصالحُ الأعداءِ
فبذا نستعيدُ ما ضاعَ ظلمًا
وبذا نمتطي نُرا الجوزاءِ
سوف يأتي اليومُ الذي نكتبُ التَّأ
ريخَ، عنها في صفحةٍ بيضاءِ

(١١)

دور العلم والأدب

[البسيط]

غَذُّوا النُّفُوسَ بِمَا تَحْوِيهِ مِنْ أَدَبٍ
وَحِكْمَةٍ فَهِيَ لِلْأَدَابِ تَفْتَقِرُ
فَهِيَ النِّقَاءُ لَهَا مُمَّا يَشِينُ بِهَا
وَأَنَّهَا هَبَّةٌ تَقْوَى بِهَا الْفِكْرُ
تَسْمُو بِهَا النَّفْسُ حَتَّى أَوْجَ رَفَعَتَهَا
وَيَدُونَهَا لِحَضِيضِ السُّذُلِ تَنْدَثِرُ
لَوْلَا الْعُقُولُ وَمَا حَازَتْهُ مِنْ أَدَبٍ
وَحِكْمَةٍ لَاسْتَوَى الْإِنْسَانُ وَالْبَقَرُ
فَقَوَتْ عَقْلَكَ آدَابٌ تَلُمُ بِهَا
إِذَا غَنِمْتَ فَحَقًّا إِنَّهُ الظُّفَرُ
نِغَمَ الثَّرَاءِ ثَرَاءٌ لَا تَحْسُ لَهُ
خَوْفًا مِنَ اللَّصِّ أَوْ يَخْفِيهِ مُحْتَكَرُ
فَمَا أَخْفَ وَمَا أَحْلَى حَمُولَتَهُ
إِذْ إِنَّهُ خَيْرُ مَا يُعْطَى وَيُخْزَرُ
أَمَّا الْعُلُومُ فَفِي أَبْحَاثِهَا قِيَمٌ
فِيهَا الْإِنَارَةُ وَالْغَايَاتُ وَالْثُمَرُ
فِيهَا خَفَايَا مِنَ الْأَسْرَارِ يَكْشِفُهَا
نَوْ هِمَّةٌ بَاتَ يَسْتَقْصِي وَيَبْتَكَرُ

لكنّها تجمّع الضّدين لاعبةً
دورًا تَقَاوَلَ فِيهِ الثَّفْعُ وَالضَّرَرُ
أما منافعُها العظمى فليس لها
خَدٌّ وليس لها عَدُوٌّ فينحصر
تحقُّقُ اليومِ ما كنا نقولُ له
خرافةً ومن الأوهامِ يعتبر
غزو الفضاءِ تنمُّ اليومِ تجربةً
له ويُرتادُ في أجوائِهِ القمرُ
وسِرُّ ما في خبايا الكونِ تكشفُهُ
في بقيةِ مركباتٍ عندها صور
وما تقدِّمه تلكَ العلومُ فلن
يستغنيَ الناسُ عنها أينما حضروا
أما التحدُّثُ عن اضرامه فلقد
بدا على عصرنا الذريّ ينتظر
إذ أظهر اليومُ شرًّا كان مستقرًّا
فلحقَ الخوفُ بالإنسانِ والحذر
فما أعيدوه للويلاتِ إن بقيتْ
لا بدَّ يومًا من الأيامِ تَنفَجِرُ
ولا مجالَ لأمنٍ من مخاطرها
ما لم تَزَلْ فهي لا تُبْقَى ولا تذر
قلْبُ ابنِ آدمِ صلبٌ في تعامله
أو قلْ إذا شئتَ وصفًا إنّه الحجر

فما الذي كان يرجو أن يعود له
من صنع أسلحةٍ تغنى بها البشر
صنعُ السُّلاح جديرٌ أن يحققه
لأنهُ غايةٌ أو أثمُ السُّوطر
إنَّ الملايينَ ممن ساءَ طالعهم
في العيش أو شُرِّدوا في الحرب أو هجروا
ديارهمُ فقدوا المساوى وقد لجأوا
فماتَ أو ضاعَ من جرائه أُسر
لو خصصتُ نفقاتِ الكتلتينَ لهم
عوئًا لصارت على الفاقات تنتصر
وسادَ في الكون حُبٌّ من تعاضمه
يَغْنى العداة فلا يبقى له أثر
لكن هوى النفس بات اليوم منتصرًا
على العقل فكادَ العقلُ ينتحر
وبات عالَمنا مما يهدده
على شفا جُرْفٍ يهفو به الخطر

(١٢)

دار الفتاوى

[البسيط]

عقدت لجنة الفتوى الإسلامية في العاصمة التشادية أول مؤتمر لها حضره ممثلون من شتى أنحاء المحافظات للجمهورية وكان الهدف من وراء ذلك إتاحة الفرصة للمؤتمرين لمعالجة القضايا المتعلقة بالدين وأهمها مسألة ثبوت الهلال في رمضان ومسألة التربية في الطرق الصوفية، فكانت النتائج إيجابية وقد قرنت هذه القصيدة في دار الإذاعة التشادية من قبل اللجنة.

دارُ الفتاوى ودارُ المجمع الباني

تألفت من بني قومي وأوطاني

إنَّ الذي قدَّمته اليومَ من مِنج

ثمينة لنفوي دين وإيمان

كانت وما برحت تبدي نتائجها

على السرى دون إجحافٍ وحرمان

تعطي الرُّبودَ بفضل الله وافيةً

عبر الأثير بإيضاحٍ وتبيان

عون المدير ترجو أن يحالفها

في أمرها فهو حقًا خيرٌ مغوان

واليوم قد عملت في عقد مؤتمرٍ

أتى نتيجةً تفكيرٍ وإمعان

شعارُهُ أَن يَقُومَ الْمُؤْمِنُونَ بِمَا
 يَرْضَى إِلَهُهُ فَيَرْضِيهِمْ بِغُفْرَانٍ
 وَتَرْكِ مَا أضعَفَ الْإِسْلَامَ مِنْ حَسْبِهِ
 وَمَا إِلَى ذَاكَ مِنْ غُلٍّ وَإِضْغَانٍ
 الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا فِي تَأْلِفِهِمْ
 وَفِي التَّوَادُّدِ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ
 كَالْعَضْوِ يُوَلِّدُهُ دَاءُ فِصَارٍ لَهُ
 جَسْمُ الْفَتَى مِنْهُ فِي غَمٍّ وَأَحْزَانٍ
 وَاللَّهُ قَالَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاغْتَصِمُوا
 فَالْكُلُّ مَا بَيْنَ إِخْوَانٍ وَخَلَّانٍ
 وَمِنْ بَرَامِجِهِ مَوْضُوعُ تَرْبِيَةٍ
 كَمَا تَنَاوَلُ مِنْ مَوْضُوعِ رُفْضَانٍ
 الصُّومُ قَاعِدَةُ الْإِسْلَامِ نَعْلَمُهُ
 أَوْ أَنَّهُ الرُّكْنُ مِنْ مَجْمُوعِ أَرْكَانٍ
 لَهُ مَزَايَا تَزَكِّي نَفْسَ مُحْتَسِبٍ
 مِنَ الْخَطَايَا وَتَنْشِيطِ الْأَبْدَانِ
 تَفْتَحَتْ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَانِ وَذَا
 شَهْرٌ يُسَلِّسُ فِيهِ كُلَّ شَيْطَانٍ
 وَلَيْلٌ قَنَرٌ لَدَيْهِ بَاتٌ مَكْتُمُنَا
 لَيْلٌ تَعَطَّرَ مِنْ رُوحِ وَرِيحَانٍ
 وَلِلْمَلَائِكَةِ تَجَافُؤٌ بِلَايَتِهِ
 لِمَطْلَعِ الْفَجْرِ فِي أَرْجَاءِ أَكْوَانٍ

تَحْتَمُ الصَّوْمُ فِي أَمْرَيْنِ إِنْ وَجَدَا
رُؤْيَا تَحَقَّقُوا أَوْ إِكْمَالُ شُعْبَانِ
لِلْاِخْتِرَاعَاتِ دَوْرٌ لَيْسَ يَنْكَرُهُ
عَقْلٌ وَقَدْ سَهَلْتُ شَأْنًا بِإِمْكَانِ
فَالطَّائِرَاتُ الَّتِي عُمْتُ مَنَافِعُهَا
وَاللَّهُ أَرْسَلَتْ صَوْتًا لِأَذَانِ
وَمَا إِلَيْهَا فَقَدْ أَبَدَى وَأَنْجَزَهَا
لِلنَّاسِ عَصْرُ صِنَاعَاتٍ وَعِمْرَانِ
وَكُلُّهَا نِعْمُ الْبَارِي إِذَا حُسِبَتْ
عَدًّا وَذَا لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِ إِنْسَانِ
تِلْكَ الْوَسَائِلُ قَدْ أَضَحَّتْ مَقْرِيَةً
وَجَاءَ الْبَسِيطَةُ فِي قَاصِيهِ وَالذَّانِي
لِذَا فَلَوْ أَنَّ فِي أَقْطَارِنَا ثَبِتَتْ
أَهْلَةٌ وَكَفَى فِي الشُّرْعِ عَدْلَانِ
أَوْ أَنَّ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى تَشَاهَدَمَا
جَمَاعَةٌ أَوْ بَدَتْ فِي شَرْقِ سُودَانِ
فَمَا عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ بِمَا
تَقْرُؤُهُ سَادَةٌ تَفْتِي بِبِرْهَانِ
وَلَا يَجُوزُ لِشَخْصٍ أَنْ يَفْنَنَهُمْ
أَوْ أَنْ يَسِيءَ فَيَرْمِيَهُمْ بِبِهْتَانِ
أَمَّا التَّصَوُّفُ فَالْقِرَاءُ مُرْجَعُهُ
وَسَنَّةُ نَسَبِهَا لِابْنِ عَدْنَانِ

فمن أراد الهدى فليُمسِ متبِعًا
ما أوضَحَ الشُّرْعُ في آياتِ قرآن
فتلك صوفيةُ الإسلامِ واضحةٌ
بنى عليها أولو علم وعرفان
إذ قسموا النفس سبعًا في مراتبها
في كلِّ طورٍ لها ما ليس في الثاني
أَمارةٌ وفي أوليها منسقةٌ
وهذه هي نفسُ الفاجرِ الرواني
وعُدْ لآئمةٍ منها وملهمَةٌ
ببني مكارمِ أخلاقٍ وإحسان
ومطمئنةٌ إيمانٍ وراضيةٌ
أحكامِ ذي الطولِ من حُلُوِّ وأشجان
مرضيةٌ وهي من نالت بطاعتها
من المهيمن في الدُّنيا برضوان
واستوفِ عندك تَتميمًا بكامله
فتلك نفس تخطت كُلَّ ميدان
ومن يَدْعُ ملةَ الهادي وسَنَّةُ
أو شرعُه بآءٍ في الدُّنيا بخسران

(١٣)

ساحة المسجد

زار الملك فيصل جمهورية تشاد وعلى إثر الزيارة قرر بناء أكبر جامع في أنجمينا العاصمة التشادية، فوافته المنية قبل إتمامه.

ثم أتم المشروع الملك خالد بن عبد العزيز كما هو مقرر وبمناسبة افتتاحه اشترك عدد كبير من مختلف الدول الإسلامية ومن المشتركين فيه الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، وبهذه المناسبة كتبت هذه القصيدة والتي نشرت في مجلة الدعوة الإسلامية التي تصدر بالسعودية، وقد نشرت القصيدة في عدد ٦٦٥ في رمضان عام ١٣٩٨ هجرية.
[البسيط]

يا ساحةَ المسجدِ الميمونِ مركزهُ
ومعهدًا لفنونِ العلمِ والأدبِ
أصبحتَ مقصدَ ركبِ الوافدين إلى
رجابِ أرضٍ وقاهما الله من كَرْبِ
نستقبلُ اليومَ في أبهى مظاهرنَا
طوائفًا من بقاعِ الوطنِ العربي
شكرًا لرابطةِ الإسلامِ إذ بعثتْ
للاحتفالاتِ وفدًا خيرَ منتدبِ
كما يشاركنا في عيدِ مسجدِنَا
وإن يرى فيه وضَعَّ الدينَ عن كُتُبِ

فمرحبًا بقدوم طالٍ موعدهُ
 فقد رجوناهُ وقتًا غيرٍ مقترب
 ما أنتمو يا حماة المسلمين سوى
 مواطنين أتوا في ثوبٍ مغترب
 أوامرُ الدين والتاريخ تجمَعنا
 في ركنٍ حصنٍ منيعٍ غير مضطرب
 والذين جسرُ ودار الناس قاطبةُ
 يَحْضُمُ مختلفَ الأجناس والنسب
 من كان في المغرب الأقصى مساكنه
 ومن يقيم بأرض الصين أو حلب
 تَضُمُّهُمْ في رحابِ الله رابطَةٌ
 إسلام لا عروة الأنسابِ والصَّسَبِ
 إذ لا يرى الذين فرقًا في مبادئه
 فزال ما كان بين الناس من حُجُب
 وهكذا اثبت الإسلام قوتهُ
 في الأرض راسخةً الأركان والطَّنَبِ
 يا قلبَ أفريقيا السوداء يا وطني
 أرضُ الجودِ حماك الله من غَطَبِ
 ساقَتْ إليك يدُ الأقدارِ عارفةُ
 فنلتها دون جهدٍ منك أو تَعَبِ
 إذ زارك الفيصلُ الميمونُ طلعتُهُ
 محققًا لك ما ترجوه من أرب
 لِمَا رأى تلك العملاقُ أنَّ لنا
 ما كان في غاية الإصلاح والطَّلَبِ

أَرَادَ فِي الْحَالِ أَنْ يَبْنِيَ مَسَاجِدَنَا
وَأَنْ يَمُدَّ يَدًا بِالْعَوْنِ وَالرُّخْبِ
أَكْرَمَ بِهِ مَنْ زَعِيمٍ لَا مَثِيلَ لَهُ
كَانَتْ مَوَاقِفُهُ تَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ
دِعَامَةٌ ظَلَّلَ لِلْإِسْلَامِ حِينَ غَدَا
يُوْهِى دَعَائِمَهَا هَوْنٌ مِنَ النُّصَبِ
وَذَبُّ عَنْ دِينِهِ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَمَنْ
يَرْنُو إِلَيْهِ بَعِينَ السُّخْطِ وَالْغَضَبِ
لَكِنْ فَاجِعَةٌ كَبِيرَى مَرُوعَةٍ
تَمْسِي الْقُلُوبَ بِهَا فِي غَمْرَةِ اللَّهَبِ
إِنَّ النِّيَّةَ لَمَّا حَانَ مَوْعِدُهَا
قَدْ سَارَعَتْ وَيَشْيِي غَيْرَ مَرْتَقِبِ
رَحِمَاكَ يَا رَبِّ رَمْسًا ضَمُّ أَعْظَمِهِ
وَكَتَبَ لَهُ يَا كَرِيمًا حُسْنَ مُنْقَلَبِ
لَمَّا أَتَى خَالِدٌ مِنْ بَعْدِهِ أَخَذَتْ
تَزُولُ عَنْهَا دَوَاعِي الْخَوْفِ وَالرَّيْبِ
إِذْ تَمَمَ الْيَوْمَ مَشْرُوعًا وَسَاقَ لَهُ
مُسَاعَدَاتٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالنَّشَبِ
أَضْفَ إِلَيْهَا عَطَايَا لَيْسَ يَخْصُرُهَا
مَا جَاءَ فِي قَالِبِ الْأَوْزَانِ وَالْخُطَبِ
جَزَائِمُ اللَّهِ خَيْرًا عَنْ تَفَرُّغِهِمْ
لِدِينِهِ وَوَقَائِمُ شَرِّ مُخْتَرِبِ

(١٤)^(١)

[الوافر]

صياحاتٌ توالث أو مكاءٌ
بِقُبُرَاتٍ يهيجها البكاءُ
لتندبَ في كآبتها فقيداً
وتحزنُ حين ألها البلاءُ
نَوَارِي فِي حِمَى الرَّحْمَنِ نَوْحُ
وَلَاتِي حَيْثُ طَالَ لَهُ اللَّقَاءُ
بَكَتُهُ بِأَرْضِ أَبْشَى رَجَالُ
وَأَطْفَالُ وَتَتِيْعُهُمْ نِسَاءُ
أَصَابَهُمُ الذُّمُّوْلُ فَيَا لَخَطْبِ
أَمَاطُ الصُّبْرِ فَاَنْقَطَعَ الْعِزَاءُ
لِفَاجِعَةٍ تَلَمَّ بِهِمْ فَأَوْحَتْ
بِأَشْجَانٍ قَرَأَتْهُنَّهَا عَنَاءُ
أَتَيْتَ لَهُمْ أَيَا عَلَمًا تَسَامَى
بِإِنْجَازٍ يَحْقُ لَهُ الْبِقَاءُ
وَلَيْسَ مِنَ الْغَرِيبِ وَلَيْسَ بِذُعَا
إِذَا ارْتَاعُوا وَلَيْسَ لَهُمْ هَرَاءُ
لَأَنَّكَ كُنْتَ رَكْنًا قَدْ تَدَاعَى
فَلَوْ شِئْتَ مِنْهُ يَنْهَدُمُ الْبِنَاءُ

(١) رثاء الشيخ نوح محمد الأمين (من علماء مدينة أبشي).

ومنهله طالبى التعليم حقاً
 «ويحذر لا تكدره السدلاء»
 ونبراس تنزول به الدياجي
 ونور البدر تم له رواء
 خملت لواء نشر الدين حباً
 لوجه الله فارتفع اللواء
 وراحتك السخية كم أنالت
 ثراء لا يضارعه ثراء
 ثراء العلم لا أعني خطأ
 على كف يبده العطاء
 فللعلماء بين الناس فضل
 فكان من الإله لهم ولاء
 وأن لهم قيادة كل أمر
 وإرشاد الأنعام وفهم رعاء
 وفضلك بين أرباب التفاني
 وأهل العلم ليس لهم خفاء

(١٥)^(١)

[البسيط]

قلبي تُخالجُه الأحزانُ والكَدَرُ
ولو عةٌ بات منها الدُّمْعُ ينهمرُ
فقدتُ خلأً وفياً كنتُ معتمداً
عليه فانتابني الأشجانُ والضَّجَرُ
ماتَ الذي حَسُنَتْ في الناسِ سيرتُهُ
فكان بالحلمِ والأخلاقِ يَشْتَهَرُ
ماتَ التقى الذي لم يسعَ في عملٍ
إلا وكان له التفكيرُ والنُّظَرُ
طَلَقَ الحيا قوًى في إرادتِهِ
وفي المكارِهِ والضَّرائِرِ يَضْطَبِرُ
قد كانَ في الخيرِ ركناً يستعانُ به
واليومَ أصبحَ هذا الرُّكنُ ينكسرُ
وكانَ للحقِّ عوناً في مواقِفِهِ
لا ينثنِي عنه مهما ناله خَطَرُ
إن قال في النصيحِ قولاً غيرَ مكثرٍ
فطالما صاحبَتْ أقوالُهُ الفِكرُ
ففارقَ الأهلَ والأصحابَ عن مرضٍ
قد طالَ فيه وأوهى جِسْمَهُ الكِبَرُ

(١) رثاء المرحوم عبد الله يونس المجيري، وهو شاعر ليبي الأصل عاش في مدينة أبشي - تشاد وكان رئيساً للجالية الليبية في هذه المدينة، وافته المنية في أواخر رمضان عام ١٣٩٨هـ.

إِنَّ الْمَنِيَّةَ جَسْرٌ فَوْقَ هَاوِيَةٍ
 فَكُلُّ مَا فَوْقَهَا لَا شَكَّ يَنْحَدِرُ
 فَيَا بَنَ يُونُسَ كَمْ أَظْهَرْتَ مَوْهَبَةً
 عَظُمَى وَحَالَ فَكَّ التَّوْفِيقِ وَالظَّفَرِ
 تَرَكْتَ لِلْقَوْمِ أَثَارًا مَخْلُودَةً
 فِي الشُّعْرِ إِذْ فِي مَعَانِي الشُّعْرِ تَبَنَّىكَ
 فِي مَدَارِسِ (أَبَشِيٍّ) وَمَعْهَدِهَا
 بَانَ قِصَائِدُكَ الْغُرَاءُ تَنْتَشِرُ
 فَصَارَ ذِكْرُكَ فِينَا خَالِدًا أَبَدًا
 وَإِنَّا بِكَ بَيْنَ النَّاسِ نَفْخَتِخِرُ
 قَضَيْتَ نَحْبَكَ فِي شَهْرِ الصِّيَامِ لَكِي
 تَنَالَ مَا كُنْتَ عِنْدَ اللَّهِ تُنْتَظَرُ
 نَدْعُو لَكَ اللَّهَ أَنْ يَعْطِيكَ مَغْفِرَةً
 وَجَنَّةً مُدَّ فِيهِ الظِّلُّ وَالْثَمَرُ
 لَكِي تَجُوسَ وَتَرْعَى فِي خِمَائِلِهَا
 وَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا تَخْشَاهُ مُغْتَفَرُ
 مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْأَوْطَانِ مَسْكُونُهُ
 أَوْ كَانَ فِي لَيْبِيَا قَدْ جَاءَهُ الْخَبَرُ
 عَنْ مَوْتِهِ فَأَنَّا حَقًّا أَشَاطَرُهُ
 ذَاكَ الشُّعُورَ الَّذِي مَا زَالَ يَسْتَعْرِ
 إِيَّاهُ أَرْزَدُ أَهَاتِي مَكْرَرَةً
 إِذْ لَا مَرَدُّ لِمَا قَدْ سَاقَهُ الْقَدَرُ

(١٦)^(١)

[الكامل]

لنؤي الكارم شيمه وإياه
وفضيله وسماحه وسخاه
ورجاحة العقل السليم فهذه
هبة الإله وكلها آلاء
أثني على أهل الضمير لأنهم
للبنائين مسرة ورجاء
وأخص منهم بالثناء محمداً
رجلاً تداعى عنده الضعفاء
والوافدون متى أقاموا عنده
لا يشعرون بأنهم غريباء
يقري الضيوف فكل ركن شاهد
للبيت فيه من الطعام إناء
رجل السماحة والحيانة والوفا
تبدو عليه الشارة البيضاء
وله مزايا لا تُعد لحاسب
ومزيد فضل ليس فيه خفاء

(١) محمد إدريس كنانة (هو أحد التجار المشهورين والمروطين بالكرم والسماحة في التشاد).

الكل يعلم ما شمانلُ كما اغد
ترفت بفضل سخائِه الأعداء
هو خلقه تركته أباء له
فتوارثته بدورهم أبناء

عيسى عبد الله

عيسى عبد الله شاعر تشادي معاصر مجدد ولد سنة ١٩٤٨^(١) في مدينة أبشة شرق تشاد، وعاش فترة كبيرة من حياته في السودان وليبيا، وحصل على الشهادة الثانوية في السودان، والتحق بكلية الآداب جامعة الخرطوم سنة ١٩٦٨، إلا أنه لم يكمل تعليمه الجامعي، فانضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني التشادي المعروفة باسم «فرولينا»^(٢).

وله العديد من القصائد الشعرية المبعثرة، وجمع جُلّها في غلافين الأول تحت عنوان «باقية من لباقة» والآخر تحت عنوان «حذو ما قالت حذام» إضافة إلى ملحمته الإسلامية «كشف المطمورة عن أبيات مغمورة في نجوى نور المعمورة» وهي في باب المديح النبوي.

ويعد الشاعر من رواد التجديد في الشعر التشادي لغةً وصورًا وموسيقًا، وذكر لي الشاعر في إحدى جلساتي معه في النادي الأدبي:

«أنا دائماً أحاول أن أكتب الموضوع في قالب الذي أظنه يناسبه أكثر، ولكن هناك أشياء يناسبها شعر التفعيلة وأشياء يناسبها الشعر الحر، لكن في التجديد أبواب كثيرة وحاولت أن أطرقها، وعندما أفكر في الموضوع أفكر جيداً في القالب الموسيقي الذي أحبه للعمل الأدبي، وأنا أعتقد أن الخليل بن أحمد قد وجد اثنين وعشرين بحرًا ستة منها للبحر المهمة وستة عشر للبحر المشهورة. أما البحور المهمة فانا أستخدمها.

(١) لقاء تم بيني وبين الشاعر في النادي الشعبي التشادي بأنجمينا في ٢٤/١/٢٠٠١م.

(٢) ثورة فرولينا: وتسمى جبهة التحرير الوطني التشادي أسست عام ١٩٦٦ وهي حركة تحريرية لمقاومة النظام القائم وانخرط فيها معظم الشباب التشادي وتغنوا بها وبأهدها.

أما كشف المطورة فهي على «المتدارك/ فاعلن» وأعطيت نفسي فيها بعض الرخص وأعني الناحية العروضية، حيث اعتبرت فَعْلَن مساوية لفَعْلَن بكسر العين». فالشاعر صاحب جرس موسيقي جذاب اكتسبها من نشأته البدوية.

على أية حال فإن شخصية الشاعر الثورية التحررية، وتركيبته السوسيوثقافية وكثرة ترحاله في عديد من الدول، كل ذلك صنع شاعراً فريداً استحق أن يكون رائد التجديد في الشعر التشادي.

وذكر لي في لقاء آخر معه أن ثمة عوامل ساعدت في تكوينه الشعري وميله للتجديد أهمها^(١) «المحفوظات المدرسية، والمكتبات، وعشقه للغة العربية، وحضوره الحفلات والمناسبات الرسمية، والجمعيات الأدبية، وثورة فرولينا».

ويغلب على شعره النزعة الفكرية لكثرة كتاباته عن الثورة والوطن والمجتمع وما فيه من آمال والألم، فهو يشبه العقاد شعراً وحياءً، يفكر بالشعر ويشعر بالفكر.

(من ديوان «عيسى عبد الله» - حَذُو ما قالت حَذَام! - «ديوان شعر») من كلمات بين يدي ديوان «حذو ما قالت حذام» للشاعر عيسى عبد الله.

ليست بمقدمة

إذا رغب القارئ الكريم في أن يبدأ مطالعته بمقدمة مني لهذا الديوان، فعليه أن ينتقل إذاً إلى القصيدة القصيرة التي تحمل اسمه فإنها أصلح لتقديمه - بل لتقديم شعري كله! - من هذه الكلمات ... بالرغم من أن الترتيب الألفبائي الذي أثرته لما جمعته هنا من قصائد قد قضى لها بالموضع الذي هي فيه.

أما هذه الكلمات التي بين يدي القارئ الكريم فإنما هي محاولة مني للقيام بحق له - أولها - أحسه عليّ: هو الحق في شيء من التوضيح، فإن كان هو - أو كانت

(١) لقاء تم في النادي الثقافي الشعبي بيني وبين الشاعر. مارس ٢٠٠١م.

هي - ممن يرون هذا الحق مضياً في قراءتهما إياها، عسى أن يجنيا منها بعض الفائدة وفق ما يهويان: فالقارئ، والديوان بين يديه، هو الحاكم بأمره (أعني بأمر نفسه أو نفسها).

الجمع

ظالت أنظم الشعر منذ فترة مبكرة من عمري، ولكنني لم أسع قط من قبل إلى جمعه في شكل ديوان، بل كان لي موقف سلبي من هذه المسألة - حتى في وجه مساعٍ بذلها إخوة تشاديون وسودانيون وليبيون فيما سبق - مفضلاً أن أتركه مبعثراً هكذا، ليجمع - إن كان فيه نفع - عقب وفاتي. ولم يكن هذا الموقف يمنعي من نشر بعضه في بعض الصحف والمجلات، خاصة في تشاد وليبيا، أو من تقديم شيء منه أمام التجمعات ومن خلال الإذاعات فيهما؛ كما لو يسقني إلى التردد في مد من يطلب نسخاً من قصائدي المحفوظة بما طلب.

هذا الموقف السلبي من الجمع ربما اتخذته حرصاً ممي على ألا يطفئ الأدبي في حياتي على الثوري (مع إدراكي أنهما متكاملان وليس متناقضين)، أو لعله يعود إلى نزعة تطهيرية ساذجة كامنة في أعماقي، أو إلى رواسب أخرى يعلمها الله وحده! أو قد يكون مرده ببساطة إلى التهرب من النقد، أو حتى من مواجهة النفس... مهما تكن علة ذلك الموقف فقد ظلت به متشبهاً إلى وقت قريب «رغم إيماني بأن إنتاج المبدع ينبغي أن يوضع في خدمة مجتمعه»، ولكن عوامل طرأت تضافرت مع أخرى تصاعدت وثالثة تصاعد الإحساس بها لتدفعني دفعاً إلى العدول عنه كما يبرهن إخراجي هذا الديوان، ومن هذه العوامل:

- أنه قد استحکم أمر أزمة «الندرة»: أعني قلة المتوفر من الإنتاج الأدبي التشادي باللغة العربية بين أيدي قرائها؛ وهو أمر لا يخفي ضرره المزدوج: إشاعة «القحط» الثقافي وتعميقه من جهة، وإضعاف حجة القائلين بأصالة العربية لغة وحضارة وواقعاً في هذه الديار من جهة أخرى.

- أنه قد استفحل أمر الغثاثة. فقد تكاثر الغث من المواد المنشورة فيما يعرف في تشاد مجازًا بالصحافة العربية؛ وتلك المقدمة عبر البث الإذاعي المحلي بالعربية، ومن خلال وسائط تعميم أخرى؛ وهي أمور ينتج عنها - من بين ما ينتج - أثران لهما خطورتها البالغة: عرض صورة هزيلة مشوهة لثقافتنا في مواجهة ثقافة متفرنسة أرقى مظهرًا وأقوى حضورًا؛ وإبراز نماذج بانسة يتأثرها ناشئتنا في غياب البديل الذي يقتدى به.

- أنه قد تجلت بصورة أوضح، بعد الاستقرار النسبي الذي تحقق في تشاد، ضرورة التعجيل بإعادة إبداع هذا القطر في محيطه الثقافي العربي الواسع؛ فاعلًا ومنفعلاً، مؤثرًا ومتأثرًا، أخذًا ومعطيًا؛ ولن يتم ذلك إذا كنم كل من أهله العربية في تشاد ما عنده من علم أو إبداع؛ واجبهم هو - على الأقل - أن يسايروا دور الإخوة من العرب الآخرين في إغناء الحياة الثقافية والتعليمية والفنية العربية بالبلاد (وهل تخفي الجهودات المشكورة المصرية والسودانية والسعودية والخليجية الأخرى والليبية والمغربية والجزائرية؟).. وأن يعتبروا ذلك واجبًا عينيًا على كل فرد، كي تتسارع خطا النهضة المرجوة، فإن من لوازمها التفاعل الصحي مع بقية أجزاء الوطن العربي؛ وأقل ما يفعله الفرد من أهل العربية في تشاد - إن كان مبدعًا - هو العمل على جعل الحصول على إبداعه متاحًا أمام دائرة أوسع؛

- أنه قد بدأ، منذ سنوات، في جامعتي انجمينا والملك فيصل بانجمينا توجه محمود نحو الاهتمام بدراسة الأدب العربي التشادي. وقد أسس لمادته فيهما الأستاذ الدكتور/ عبد الله حمدنا الله، وساهم في ريادة الطريق معه الأستاذ الدكتور/ محمود العزب، ثم سار على خطاهما ثلثة من الأساتذة الأجلاء. منهم الدكتور/ محمد فوزي مصطفى صاحب أول كتاب مطبوع عن الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي... وقد قام المذكورون - وزملاء لهم آخرون لا يقلون عنهم دأبًا وتجردًا - بالإشراف على عشرات البحوث الجامعية في الأدب العربي بتشاد ومناقشتها إلى جانب إخوانهم من

الأساتذة التشاويين. نصوص الأدب العربي التشاوي قد أصبحت إذاً موضوع دراسة وتحليل ونقد في جامعات تشاد، فهل يستقيم ذلك مع بقاء هذه النصوص مبعثرة غير مجموعة وغير محققة؟

- أنه قد كان من آثار ذلك التوجه توجيه الطلاب إلى أن يجعلوا مواضيع بحوثهم الأدبية واللغوية - في الجامعتين المذكورتين، وفي ثالثتهما، إن شاء الله، ذات الاسم الذي تفتخر به الثقافة العربية في تشاد، عندما تصل إلى تلك المرحلة - مواضيع تشادية. ولما كنت مهتماً بأنني رائد الاتجاه التجديدي في الشعر التشاوي المعاصر فلقد انعكس ذلك التوجه عليّ نمواً كبيراً في طلب نسخ من قصائدي تتنوع بتنوع البحوث، وبتزايد الطلب بتزايد الطلاب في مرحلة التخرج ومراحل الدراسات العليا.. فكان لابد، توفيراً للوقت والجهد والمال على الجانبين، من أن أسعى إلى جمع شعري إسهاماً مني في هذا الجهد المبارك الذي ترعاه إدارتا الجامعتين وأساتتهما وطلابهما.

- أنه قد تبين، مع ازدياد المدارس العربية وتلك التي تدرس باللغتين ومع الارتفاع الملحوظ في عدد الجمعيات الثقافية وفعاليتها، قوة تعلق الأجيال الجديدة بالأدب عموماً والشعر منه على وجه الخصوص، لتبرز حركة شعرية متوثبة في تشاد. ومن حق هذه الحركة الشعرية المتوثبة على الجيل «المخضرم» من الشعراء والنقاد وسائر الدارسين أن ييسروا لها سبل الاستفادة من رصيدهم الإبداعي والمعرفي كي تبنى عليه وتتجاوزته.

إن توفر الإنتاج الأدبي الوارد من بقية أجزاء الوطن العربي ظاهرة إيجابية وعامل مهم في تغذية الحركة الشعرية الراهنة في تشاد، ولكنه لا يلغي ضرورة الاستفادة من الرافد المحلي إلى أقصى حد: فإن هذه الحركة لا ينبغي لها أن تنبت من جذورها، بل يجب عليها أن تنطلق من «خصوصيتها» و«محليتها» لكي يكون لها طعم ولون هما من مبررات وجودها أصلاً، ومن عناصر تحولها - إن شاء الله - إلى مصدر إثراء للأدب والثقافة العربيين على النطاق القومي.

حينما صح العزم مني، بناء على ما قدمت، على أن أشرع في المهمة، جابهتني صعوبتها.. بل تعذّر الوفاء بها على الوجه الأكمل: ذلك أنه يفترض فيما يُجمع أن يكون موجوداً في حال تشتت، والواقع أن هذه الصفة لم تكن تنطبق إلا على جزء مما نظمت؛ ويبقى الكثير منه مفقوداً، فلا هو في الذاكرة، ولا هو مقيد في وسائل الحفظ الأخرى! أما ذاكرتي فلا تعينني مطلقاً على حفظ أشعاري، ولا تكاد تستحضر إلا ما نظمتة منها في ظروف خاصة - كظروف السجن حيث تحظر الأوراق والأقلام - وحتى هذا فإنما تستحضره في الغالب جزئياً. وأما وسائل الحفظ الأخرى - وهي أساساً الأوراق عندي - فلقد عدتُ عليها العاديات وأضاععتها سني النضال والمطاردة لاسيما أثناء عهدي طاغيتي السودان وتشاد: نميري وهبري، لا سقى الله أيامهما.

لذا كانت حصيلة مسعائي: الكثير مما نظمت خلال العقد الأخير إلى جانب القليل القليل مما نظمت قبله، وذلك لأن اعتمادي في الجديد كان على الأوراق المحفوظ جلها، أما في القديم فقد كان على الذاكرة المضيق!.. ولقد كانت تسعفني أحياناً بالبيت والبيتين أو السطر والسطرين ثم تحزن، وتجد أحياناً بالكثر من ذلك، وقلماً تكملها قصيدة. فرأيتُ أن أصرف النظر عمل قل عن خمسة أبيات أو أسطر؛ وأن أختار مع ما زاد عن ذلك أحد سبيلين: إما أن أورد كما هو، وإما أن أقوم بما يشبه عملية ترميم الآثار عليه.

ولا ريب في أن النتيجة - في الحالة الأخيرة - لا تنطبق على الأصل انطباقاً تاماً، ولكني أجتهد في أن أجعلها أقرب ما يمكن إليه. وقد عقد من هذه العملية أنه يكون لديّ - ساعة الكتابة الأولى للنص الشعري - أكثر من تصور مبني، وربما أختار تصوراً ما وأسجله على الورق بينما تختزن الذاكرة أو اللاوعي غيره. وربما أكتب البيت أو السطر بصورة معينة ثم أجري عليه تعديلاً مرةً ومرتين وثلاثاً حتى تكون صورته الأخيرة مختلفة تماماً عن صورته الأولى؛ ويختلط الأمر عليّ عندما أحاول استحضار ما قرّرتُ عليه ما لم يكن مسطراً أمامي!

الاختلاف إذاً واردٌ بين صورة القصيدة هنا وصورتها المنشورة من قبل إلا إذا توفرت على نسخة من الإصدارة التي نُشِرت فيها لدى شروعي في الجمع؛ وهو ما كان مستحيلًا في أغلب الأحيان. فمن استطاع الحصول - مثلاً - على عدد مجلة «سلام» التشادية الذي ظهرت فيه «إجهاض» عام ١٩٨٠م لس فرقًا ولا بد بين صورتها هناك وصورتها هنا؛ وهي نفس الملاحظة التي سيلاحظها من يقارن بين «يا أسمرًا» في هذا الديوان و«يا أسمرًا» المنشورة في أحد أعداد مجلة «البلاغ» اللبنانية عام ١٩٧٤م أو ١٩٧٥م. وهذان مثالان فقط لما تسببه عملية إعادة البناء المشابهة - كما أسلفت - لعملية ترميم الآثار من تغيير.

إن العمودي عندي ينقسم إلى عدة أصناف:

١ - فهناك العمودي «الحض»، الملتزم بالقواعد العروضية، المدرج تحت بحر من البحور الستة عشر المعروفة، وهو كثير في الديوان.

٢ - وهناك العمودي الذي يوافق الصنف الأول في كل شيء عدا الالتزام بالقواعد العروضية، متمردًا على قاعدة منها أو أكثر، كما هو الحال في «أي صحو».

٣ - وهناك العمودي الخارج على البحور الستة عشر في صورها المستقرة، المنظوم على الصورة النظرية المفترضة لبعضها؛ تلك الصورة التي «اكتشفها» أوجد العربية ومنشئ العلمين الخليل بن أحمد الفراهيدي عندما صمم الدوائر الخمس، مبينًا أن العرب لم تنظم عليها. فهذا الصنف خارج عن البحور ولكنه ملتزم بالدوائر، مثل قصيدتي «ما لم» و«بلا إذن».

٤ - وهناك الصنف الذي يشاركه في خروجه على البحور المعروفة وفي كونه ضمن الدوائر الخمس. أعني الصنف المنظوم على أوزان البحور المهمة التي «اكتشفها» الخليل، رحمه الله، من خلال عملية فك الدوائر، وبين أيضًا أن العرب لم تنظم عليها. ومثالها في هذا الديوان قصيدة «وداعًا للرواغ».

٥ - وهناك «العمودي» خارج على البحور والدوائر معًا، الملتزم رغم ذلك نظامها الموسيقي من وزن وقافية. وهو كثير في هذا الديوان.

والمسافة بين أول هذه الأصناف وآخرها قد لا تقل عن المسافة بين آخرها وشعر
التفعيلة؛ فلماذا اعتبر إحدى المسافتين ولا اعتبر الأخرى؟ يكفي أنه - عندي - شعر
كله لكي أضمه بين نفس الغلافين!

السطور الفارضة والهوامش

يلاحظ القارئ الكريم وجود سطر فارغ يفصل بين الأبيات في كل القصائد:
يفصل أحياناً بين مجموعتين من الأبيات، وأحياناً بين بيتٍ وآخر أو بين بيتٍ وعدة
أبياتٍ أخرى... فلا يسبقن إلى ظنه أن في الأمر «سنسرة» أو أن ذلك دليلٌ على سقوط
أبياتٍ أو سطورٍ من القصيدة.. كلا، وإنما هو نظامٌ أتبعه يشير إلى اكتمال جزئية معينة
من الفكرة أو المعنى يحسن الوقوف عنده هنيئة أطول من هنيئة الوقوف بين كل بيتٍ
وآخر، أو بين كل سطرٍ وآخر؛ وقد وجدت أن ذلك يساعد على إيضاح المعنى المراد في
ذهن القارئ، وأنه يساعد أكثر في إلقاء القصيدة. وأمل - وأنا أتبع هذا النظام - ألا
يساهم، من حيث لم أرد، في إغلاق «الاحتمالات المفتوحة» التي ينبغي أن يكون فضاء
القصيدة المعنوي محملاً بها! ولو لم أكن حريصاً على إبقاء هذه الاحتمالات لناقضت
نفسي وأنا أحاول أن أجوب «الممكنات التي لم تتحقق» - أو لم تتحقق على نطاق
واسع - في دنيا الأوزان كما أجوب الممكنات التي تحققت فأصبحت بحوراً مألوفة
(والتي يحسب البعض أن ذلك يمنحها قداسة لا تجيز المساس بها أو الزيادة عليها).

وفقنا الله وإياهم، وسخرنا - مأجورين بإنه - لخدمة هذه اللغة التي نحبها، ونحب
أفصح من تكلم بها، صلى الله عليه وآله وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!.

أنجمينا، يناير ٢٠٠٤

١- رَدُّ فِعْلٍ

[المتقارب]

وَمَنْ لَمْ يَخَفْ مِنْ زَنْبِيرِ الْأَسْوَدِ
فَمَا بِالْمَبَالِي طَنِىَ الذُّبَابُ؟
وَأَنْتَ لِرُوحِ الْعَنَى يَسْوَدُ
بِهَذَا الْمُتَرَابِ وَفَوْقِ السُّحَابِ!
وَأَنْتَ لِقَلْبٍ وَفِيٍّ وَدَوْدَ،
وَأَنْتَ لِعَقْلٍ فَتَى عَجَابِ!
سَخِيٌّ كَدْنِيَا تَضُمُّ الْحَشَوْدَ،
وَحَسِيٌّ كَكُونٍ تَدْنَى الْخَرَابِ!
وَأَنْتَ لَأُغْيَى لِسَانِ الْحُسُودِ:
فَأَنْتَ أَعْنَى بَادِنَى اضْطِرَابِ؟
خَوْرَطَقَتِ الثَّانَوِيَّةُ
(قرب الأبيض)، ١٩٦٦م.

٢ - إجهاض^(١)

يتوازنُ أطلس^(٢) فوق الحوت، يُقلُّ النّيا كالنّابوت...
... رغم المستنكرِ أطلس باق!
والحمل ثقيلٌ مثل الذّكرى عند التّكلى في الأعماق؛
بطر الإنسان يزيّد الحمل فيرفسُ أطلس ظهر الحوت؛
والحوت الطّافي وسط اليمّ يعيش النّفي مع الإرهاق...
ضجراً إذ ينفث - كالنّافورة - في النّيا حمم الكبريت
وشعور اليأس من الأنساق!
.. فتحدّ الثّقته في المعمورة هذا الطّلسّم المنحوت:

«لا إنسانيّة في الإنسان سوى المرصودة للإغراق!»

انجمينا.. أم بيروت؟

☆☆☆☆

توقب الغريان - في الأجواء - أن يستحكم الطّاغوت
شأن مسعى غرفة التّجار باسم الدّين والأفكار والأجناس والأعراق
والألى قد شرّعوا التّطفيّف في المكيال والميزان: كلّ الطّاقم الممقوت...

(١) المناسبة: خلال حرب الأشهر التسعة يونيو ١٩٨٠م.

(٢) أطلس: الثور الأسطوري الذي يحمل الأرض على قرنيه.

كلّهُ يدعو بما يرويه عن هاروت أو ماروت^(١)...
راجياً أن تُصبح الأعياد ميداناً لبيع مراسم التّئين والتّكفين والإحراق...
ثم تُنخى أعينُ الأطفال أحجاراً من الياقوت...

☆☆☆☆

حيث البارودُ جوار القوت متاعٌ في كلّ الأسواق!!
انجمينا .. أم بيروت؟

☆☆☆☆

ساد مسٌ يشمل الأيام والاهواء والأحداق...
مُدّ بيعُ الجورج في الحانوت!
..مُدّ تعرّث نُخبَةٌ عاشت مدًى مستورةً بالقوت...
واستطابت حجّ أوروبا لأجل الجنس والأوراق:
منهم الآتي خبير القطر في القانون.. والأستاذ في اللاهوت!
في تعريضهم بأن الكلّ جزّازٌ للحم الكادح المبهوت...

☆☆☆☆

وبلا إشفاق!
انجمينا .. أم بيروت؟

☆☆☆☆

يا لوعدٍ كافي الإهلال بدرًا لوّنَ الأفاق...
كان عند النّاس مثل الماء...مثل القوت:
بشرى أجهضت بالصّاعق الموقوت:

(١) هاروت وماروت: الملكان ببابل، المذكوران في القرآن الكريم، اللذان يعلمان الناس السحر.

بضع أفراسٍ من الأخشاب جالوتية^(١) الألوان باریسة الأشداق!

فلنباشر بحثنا عن غوثنا طالوت...

عن سنا شمسٍ يظهر الغيب يصحو ضوءها المكبوت...

كي نَنقَى - إنَّ وجدناها - من الإنعان والإملاق...

من نهار الحاضر المستوحش المبتوت

من فرارٍ في الليالي ينشد السلوى بواق الواق...

مبتفانا سلّم المستقبل المنعوت...

.. في معاني تلكم الأسطورة السحرية الإشراق!

.....

امض بلِّغْ كلَّ بازوكا غداً: «كُفِّي عن الإطلاق!»

☆☆☆☆

وستستغني

عن أطلسٍ ثُمَّ ظهرِ الحوت..

عضلاتٌ أنجمينا وقوى بيروت!!

(١) جالوتية: نسبة إلى جالوت الذي قتله نبي الله داود عليه السلام. وطالوت: معروف في نفس القصة.

٣ - إلى متى؟!

حياتنا ... إلى متى ..
نعيشها تماوتا:
فندمن التلقّات،
ممكّنين مَنْ عنا؛
ودائماً مؤقّتات!..
إلى متى؟ .. إلى متى؟؟.

إلام نبدأ السُّرى بمُصلح
فننتهي - لدى الضُّحى - بطاغيه..
...«معظّم» و«ملهم» ولا يطيد
حق مِنْ حناجرِ الجموعِ لاغيه؟
وأيّن في ولّاتنا مَنْ استوى
فلم يعد يصول كي نناغيه؟
و«فرقة النّجاة»^(١) - إن نهّأت
لها كتائب الشُّراة مصغيه..
إذا بها - بُعِيدَ بذلُ جهدهم -
مضلّةٌ مِنْ الفئات باغيه
مليئةٌ تعنّتاً!
إلى متى؟ .. إلى متى؟؟

(١) فرقة النجاة: إشارة إلى الفرقة الناجية الوارد ذكرها في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. الشراة: هم المعروفون في التاريخ الإسلامي بالخوارج.

مِنْ الْحَيْطِ لِلْخَلِيجِ كَمْ سَرَى،
 وَكَمْ أَتَاكَ، مِنْ حَبِثٍ غَاشِيَةٍ...
 بِأَتَمَةٍ قَدِ اسْتَقَرُّ بِؤْسُهَا
 لِأَنَّهَا تَجَنَّبَتْ تَلَاشِيَهُ!
 وَثُمَّ حَاكُمُ عَلَا بِثُورَةٍ
 يَلُوحُ - بَعْدَ مِثْةٍ - بِلَا شِيَةٍ:
 مَلَامَحُ الصَّلَاحِ مَثَلَتْ بِهَا
 طَبِيعَةُ تَنْجَرِجَسَتْ وَحَاشِيَةٍ...
 تَصَايَحَتْ بِرَسْمِهِ مَفَكَّرًا،
 فَصَيَّرَ الْمَفَكَّرِينَ مَاشِيَةٍ...
 لِيَعْلَفُوا التَّهَافُتَا!
 إِلَى مَتَى؟ ... إِلَى مَتَى؟

وَتَمَضَّغَ الْكَلَامُ فِي تَحْزَلِقِي
 جَمَاعَةً عَلَى «الْيَسَارِ» رَاسِيَةٍ...
 عَنْ «الْمَكَاسِبِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي...»
 لَعَلَّهَا لُخَامَاتُ أَسِيَةٍ!
 وَيَطْرِبُ الزَّعِيمُ - قَهْقَرًا دَائِمًا،
 وَجَالِدُ عَمِيرَةٍ^(١) سَوَاسِيَةٍ -
 فَتَعْتَرِي «يَسَارُهُمْ» زِيَادَةٌ،
 تُحْجِرُ الْقُلُوبَ وَفِي قَاسِيَةٍ...
 فَلَا يُكَفِّفُونَ نَمْعَ شَعْبِهِمْ،
 وَلَا تَعْيِي عَقُولَهُمْ مَنَسِيَةٍ
 وَقَدْ تَقَرَّعَنَ الْفَتَى!
 إِلَى مَتَى؟ ... إِلَى مَتَى؟

(١) جالد صميرة: ممارس العادة السرية.

ويظهر الفتى لكم، مُتلفزاً،
إذا فتحتم الجهاز ثانيه...
وقد يُحُلُّ في جدار مسجد،
وقد يُطِلُّ من إزار زانيه
ويوم مهرجانه يرى مُنلـ
ينأ على سواعد الزَّيانيه
فإنه - وحقه! - لَمُولَعُ
بوجهه، مطالع معانيه...
لذا تمثَّلت رسومه له
مرائياً^(١) على السَّوامِ دانيه..
وحيثما تلقَّنا!
إلى متى؟... إلى متى؟
وَرُبُّ جَاهِلٍ يَلِي كَعَاهِلٍ،
فياخذ البلاد نحو هاويه...
فلأيزيننا المال حكمة،
ولا نُصَيِّخُ لِلنُّرُوسِ داويه:
ولم يزغه أنَّ قلبه عم
ورأسه - كما استبان - خاويه!
وكم (نوي فضيلة!) تجمَّعوا
وكلُّهم مهَيَّئٌ فتاويه...
فبايعوا المعفرتا!
إلى متى؟... إلى متى؟

(١) مرائيا: جمع مرآة.

ومثُلما تعالوا تشاعروا،
فكلُّ واحدٍ أبو العتاهيه!
وجلُّهم تطرُّقوا - تصوُّفًا!-
ورغم ذاك فالقلوب لاهيه..
ومثُّها النُّقودُ دونِ وازعٍ
تلُمُّها حريضةً مباهيه:
فكثرةٌ على الهوى تنافرتُ،
وقلَّةٌ عن الضُّلالِ ناهيه..
ليفتح الصِّفاء سَكَّةً بلا
سيولةٍ، وشارع الكُراهِيه..
مُعَبِّدًا مسفلتًا!

إلى متى؟ ... إلى متى؟؟؟

(نظمت - أولاً - بانجمينا في ٢٠/٥/١٩٩٨م

ثم روجعت بانجمينا وديالي في مارس/أبريل من عام ٢٠٠٠م)

٤ - رفاقي^(١)

[الوافر]

رفاقي يولدون ضحى..
وفورا تُلهمُ الأطيّار ذاك الشّدو والمَرَحَا،
ويغفو البرعم الوسنان - لم تمسح نداهُ اليدَ -
ولكنّ يوقظُ الإشراق جَفَنَ الكادح المجهّد:
فقد أن الضحى فصحا
ليُفَنّي يومه في كدّ..
كأنّ الكدّ غولٌ قد نفى أيّامه ومحا..
كما قد غال - أيضًا - ليله المُسوّد
وامسى يطحنُ المخضّر من أحلامه كَرَحَى
- وفيها مشهدُ الآلاف ألت أنّها لا بد..
لها من أن تنيق الظّلم ما لجّرحا..
ليبقى عدلُها الأوحد! -
وجاء القولُ مكتسحا
صلاة العيد في المشهد
ليقتاد الغد المرجو نحو الحبس الموصّد،
وبابُ السّجن ما انفتحا:

(١) (مقدمة قصيدة طويلة تمجد نضال الشعب الفيتنامي وشعوب كمبوديا ولاوس في وجه الإمبريالية، ولم يبق منها في الذاكرة - بعد ضياع النص المكتوب - [إلا هذه السطور]).

فما من مهجة تستنشق الفرحة،

وما من مخرج يوجد..

سوى السندان والمبرد..

سوى كدّ عدا الآلام ما منحا:

فقط نحو القنوط نحا!

ولكن فجأة يولّد..

من اشتاقت إليهم خضرة الدنيا لتشرحا

وملح الأرض أيضاً والسحاب ليبدأ في العذ!

.....

رفاقي يولدون ضحى،

وظهراً يطلقون الغد!

(المنطقة الرئيسية)

في الريف التشادي الحرر. ١٩٧٢م

٥ - النّوم في عَيْنَي وَطَنٍ

كان آدمو عبد الرحمن أحد أبطال الثورة التشادية. ولد البطل الراحل عام ١٩٤٩م ثم نشأ بالسودان، حيث التحق بصقوف جبهة التحرير الوطني التشادية (فرولينا FROLINAT) قبل أن يبلغ الثامنة عشرة، فكان من الرعيل الأول من فدائيي فرولينا الذين واجهوا النظام الدكتاتوري الرجعي العميل المدجج بالسلاح في الستينيات مسلحين بالإيمان والرماح والسكاكين وقليل من البنادق الأثرية! .. وظل الفقيد مناضلاً صلباً أكثر من ٢٦ سنة حتى قضى نحبه قبل شهرين بعد صراع مرير مع المرض: مات فقيراً - إلا من الإيمان! - لأنه أثر الباقية على الفانية فلم ينضم إلى قطع الحذاق وأغنياء الحرب رغم استطاعته ذلك لو أراد! وظل عمره كله يعرض بالنواجز على مبادئ الثورة الشعبية: معتصماً بجبل الله، مؤمناً بالجماهير، متمسكاً بتوجهه العربي الواعي المنفتح.

توفي في ٦ أكتوبر- اليوم ذي الدلالات في تاريخنا القومي المعاصر - بطرابلس الغرب: بينما توفي المناضل الفلسطيني خالد الحسن (أبو السعيد) في اليوم التالي بالمغرب الأقصى بعد صراع مرير أيضاً مع المرض... وقد ظل الفقيد - الذي كان أحد مؤسسي «فتح» - رافضاً اتفاقية غزة/ أريحا وما تمخضت عنه حتى قضى نحبه: فكان من خير أعماله خواتيمها.

لا رحم الله الراحلين الخالدين، النائمين في عيون الوطن، واللذين غادرانا في زمان الحصار والانكسار!... وليرحم الله تعالى أمتنا التي قضى عليها بأن تعيش هذا الزمن!!

(١)

هل من زرادشت النبوءات التي هرّت زمانًا فاجعًا سمج المزاح؟
أم هل أنت من قول صوفيّ وقد أضحي مع المكنون سرًّا واحدًا في «كن!» تواري
لا يُباح!

أم من كتاب الكشف مخطوطًا بدمع القهر مفتوح الكوى لما يُسد؟
أم هل سواهم - واهمًا، مهما يكن! - قد قال إن الفجر في إفريقيا أو في بلاد
الشرق لاخ؟
أنّى له؟... إنّي أرى غردون^(١) إذ يسعى إلى الخرطوم - كالأفعى - بحبلٍ من
مسد...

كيما يشلّ الرّوح أو يقتادها مسبيّةً سيئًا كما كان الجسد!!
إنّي أرى!.. والنّاس - أهل الكدح - في بغداد^(٢) صيدٌ مستباح...
من خلفهم «قلب الأسد»^(٣)...
فالأفق سمّ سدّه دقق النّباح!
أما صلاح الدّين فالسّوّاح قد باعوه من سادات أحياء الحمى تعويذةً ضدّ الحسد:
إذ كان ملقى في أريحا شلو تمثال هوى مسترجعًا عهد البطولات الذي ولّى
وراح...

(١) غردون هو تشارلز جورج هورن أو غردون باشا عسكري بريطاني خدم في الإدارة الاستعمارية بالسودان إبان العهد التركي وهو آخر الحكام التركيين/ الخديويين على السودان في تلك الحقبة الاستعمارية المنتهية بمقتله وانتصار الثورة الشعبية الإسلامية تحت قيادة الإمام محمد أحمد المهدي وخليفته السيد/ عبد الله بن محمد نوردين عليهما رضوان الله.

(٢) الإشارة هنا إلى معاناة الشعب العراقي من جزاء استمرار الحصار المفروض عليه.

(٣) المعنى هو ريتشارد قلب الأسد، «الماهل» البريطاني المشهور بمشاركته في الحملات الصليبية.

حتى شراه الأكل بالدولار بخُصًا ... (وفق اليّات سوق الانفتاح)...

من أجل أن الحق في الدنيا كسد!

إنّي أرى!.. والقدس ظلّ كامنٌ في ظلمة الإمكان ظلّ اليأس يقصّي عنه طاقات
الصباح:

فالعالي يعلو فوق رأس الغُرب ماثوئًا له، نشوان، موعودًا بحق الاصطباح!

إنّي أرى!.. لكنّ بنغازي تظلّ اليوم أيضًا دونها في الجو^(١) سدٌ ثم سدٌ:

فالشاطئ المزعوم للفاشست شطًا^(٢) رابعًا قد صار محظورًا على الأطيّار خطًا
للزّواخ...

والطائر المخضّر مقصوص الجناح!!

إنّي أرى!.. أمّا جنوبًا، بعد هاتيك الذّرى، فالماء في شاري^(٣) - نهير الجنة
الأحلى! - فسدٌ:

منسوب بول العسكر الإفرنج^(٤) أمسى ثمّ أغلى من نفايات البطّاخ...

والنهرُ طفلٌ جائعٌ: مهما دنا نُذّي لَسَدًا!

لا غرو أنّ العصرَ عصر الانبّطاخ!!!

(٢)

يا مُحصيًا أوراق^(٥) أمريكا... أيا مستقصيًا - في التّو - فتواها لدى أي اقتراح...

(١) الإشارة هنا إلى الحصار النظامي المفروض على الشعب العربي الليبي.

(٢) كان الفاشيون الطليان يزعمون أن الساحل الليبي هو الشاطئ الرابع لإيطاليا والذي لابد من إعادته إلى بيت الطاعة!

(٣) شاري: هو أهم أنهار تشاد والمفتي الرئيس ليحييرتها.

(٤) إشارة إلى القوات الفرنسية المرباطة بتّشاد.

(٥) الإشارة هنا إلى الجملة الزاعمة أن ٩٩٪ من أوراق الحل بيد أمريكا.

رُؤِجَتْ خَضِرَاءَ الدَّمَنِ؟

أَمْ أَنْتَما خَدْنَانِ لَمَّا فِي سَفَاخ؟

إِنْ تَعْتَزِمُ نِيلاً بِهَا شَيْئاً^(١) مِنْ الْحَقِّ الْمَتَاحِ الْيَوْمَ يَخْطُكَ الْفَلَاخُ،
أَوْ تَشْكُ أَنْ الطَّالِبِينَ الْحَقَّ كُلًّا كَامِلاً هُمْ أُمَّةٌ مِنْ غَيْرِ أَصْحَابِ الْفِطْنِ...
فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا؛ لَا يَأْخُذُ الْمَوْلَى وَسْئًا!

(٣)

يَا خَالِدًا رَغْمَ الرَّدَى - مِثْلَ الْمُنَادَى «أَدْمُو»- : دُمُ فِي تَحْدِي الْقَلْبِ أَغْلَالِ
الْكُسَاخِ!

دُمُ فِي دِمِ يَرْوِي فَلَسْطِينَ الَّتِي أَحْبَبْتَهَا لَا يَسْأَلُ النَّاسُ الثَّمَنَ!
دُمُ فِي رَهَانٍ رَابِعٍ: رَاهَنَتْ فِي إِيْمَانِكَ الْمَعْصُومَ بِالرَّؤْيَا عَلَى أَنْ الرِّزْمَنُ...
فِي صَالِحِ الْحَقِّ الْمُرَكَّبِيِّ بِالرَّوَايَاتِ الصَّحَاحِ:

عَنْ نَاسِيفٍ لِلنَّفْسِ وَسَطِ الْغَاصِبِينَ الشُّقْرِ عَنْ طِفْلِ وَأَحْجَارٍ رَمَاهَا فِي مُحِيطٍ قَدْ
أَسْنُ...

عَنْ عَالَمٍ قَدْ كَانَ دِيَوْمَ التَّنَامِي مَدْمَنًا حَتَّى تَمَطَّى فِيهِ صَخَوٌ بِاضْطِرَادِ الْإِنْدِيَاخِ!!
ثُمَّ رَابِعًا، ثُمَّ... مَا عَلَى مَنْ أَحْسَنَ الْمَسْعَى خَتَامًا مِنْ جُنَاحٍ:
إِنْ بَعْدَمَا سَجَلَتْ سَطْرًا خَاتَمًا: «لَيْسَتْ أُرِيحَا غَايَتِي، بَلْ بُغِيَتِي كُلَّ الْوَطَنِ!...»
اسْتَدْرَكَ التَّارِيخُ سَطْرًا: خَالِدًا، يَا خَالِدًا نَجَلَ الْحَسَنِ!...
ثُمَّ اسْتَرَاخَ!!!

(١) إشارة إلى قول الشاعر المبدع الراحل أمل دنقل في درته الرائعة «لا تصالح...»
... فخذ - الآن - ما تستطيع: قتيلاً من الحق... في هذه السنوات القليلة...).

(٤)

الحقُّ مضمونُ التقاضي... (افصح المظلوم قولاً أو رطناً)...

ما دام مسوداً بأبطالٍ وداناتٍ فصاخ؛

ما دامت الخطوات تقفو أدمو التَّوَاهُ في أنقى لُسُن:

«أوطاننا إن تغفر الجُلَى لها يوماً فمأ، لو لم يكن نحن الفدا عنها فم؟»

لكنَّ عبد الحق^(١) - شيخ العلم - مُذْ أُمّ العلا مستشهداً لم يعتق ذكره نوطاً أو

وشاخ!...

إيه، أيا مستصرخاً، إيه! أليس العصر عصر الانبطاخ؟

(٥)

كلَّأ ورَبَّ النَّاسِ! بل عهدٌ لتنجيع الوغي؛ ليس الوجع...

إلا مخاضاً: فالغد الآتي سيبدو رأسه المرجو حتماً بين طيَّات الجراح!

العهد - والأيام حُبلى! - عهد شاكا^(٢): جاء والمختار والقسام بشرى هُبَّةٍ مثل

الرياح...

في مرَّها كلَّ المنسي تُقتلغ،

(لله درُّ الواهبين العمر مهراً في سَمَاح!)

بل عهد جيلٍ غاضبٍ لمَّا رأى الإفرنج في الحارات ألى جاز ما أَلَا يُدْع...

راياتُ جيل الانبعاث الحاضر المفقو تُنسى أو تقف،

(١) المعنى هنا هو الشيخ الشهيد عبد الحق السنوسي الترجمي؛ أحد علماء تشاد الأفندلا وشاعرها المجلي الذي قتل شهيداً على يد الاستعمار الفرنسي إلى جانب عشرات العلماء الآخرين في منبجة «الكبيك» الشهيرة وذلك في إطار حملة المستعمرين الرامية إلى القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في تشاد وتصفية رموزها؛ بغية نفي تشاد نهائياً من الوطن العربي الذي هي جزأ لا يتجزأ منه.

(٢) شاكا: ملك الزولو الذي سار على خطى دنقسوايو فينئ أول دولة حديثة وطنية في جنوب أفريقيا أما المختار فهو شيخ الشهداء الفني من التعريف وكذلك عز الدين القسام.

رايات روادِ رؤُدا أوطانهم مجدًا، وفيهم أدمو النَّني لدى وقت الطمغ...

لكنَّه السُّبَّاقُ قرأنا إذا ضجَّ الصُّباحُ!

هل أدمو المقدام في وقت الوغى يُلقي السِّلَاحُ؟...

(وهو الَّذي قد كان يُلقي جيش أعداء الحمى والزَّاجمات الصُّمَّ تَصمي بالنَّواهي والهلغ...

... يلقاهُ في صبحٍ له ما عندهم غير الرِّمَاحُ!!)

هل أدمو المقدام قد ألقى السِّلَاحُ؟؟

لَمَّا رأى السَّاحات - والأيام حبلى - منجباتٍ للبدعُ:

لَمَّا رأى إسراع دار الغُرْب - تطبيعًا، فتتبيحًا! - إلى الكفر البَوَاحُ:

(فالدار - كلُّ الدَّار - بيروت، وصدعُ الصَّفِّ كم يغري العدا بالاجتياح!...)...

لَمَّا رأى المنظومة الشَّرقيَّة الحمراء جثمًا مُسجى ليس يحييه النَّواحُ:

والقلب - قلب النَّائر المهموم - حسَّاسٌ: لئن أعياء الجزع...

فالغمُّ قد أعياء جدُّ، فاضطجَّ!

نَمْ يا أبا المصريَّة^(١) المصروع من همٍّ على الإنسان والأوطان، نم لا تخش أن

يُرْخى الكفاح!!!

طرابلس، في ديسمبر ١٩٩٤م

(١) المصريَّة، هو القلب الذي أطلقه البطل الفقيد أدمو على وحيدته.

٦- مُسْتَفَادِي

[الرمل]

اقملوني إنْ تُعَيْتُمْ لارتفاد:
يومٌ مثلي ليس إلا يوم فادي!
إنّما الجوع احتجاجات المعِي
هَيْئَ إخراسها بالإعتفاد^(١) !
لا يبيتُ الحرَّ منقوعًا بها:
إنْ من حرّة التّفادي!

وانطلقني في جهادي لم يكن
- مطلقًا - من أجل أدنى مستفاد،
ما اردت الغنم نَيْلي شهوةً
من طعام أو شرابٍ أو سفادٍ
.. لا .. ولا لبسي «قرنبويو»^(٢) كما
شرطير ريشه بعد الصّفاد

كلُّ هذا مستفادٌ منقَضُ!
إنّما الغنم الَّذِي فوق النّفادِ
من لدنّ الله فضلًا مُنجيًا
يوم لا خَلٌ يحامي أو يُفادي!
انجمينا، ٢١/١٢/٢٠٠٣م.

(١) الاعتفاد: أن يخلق أهل البيت بابهم على أنفسهم حتى يموتوا جوعًا وهو أمر كان في العرب من يفعلونه إذا ضاقت عليهم سبل العيش.

(٢) قرنبويو: زي فضفاض معروف موطنه الأصلي غرب إفريقيا لكنه انتشر في تشاد أيضًا وليس له يدل في العادة على النعمة والشرف.

٧ - للمفتدى أبدا...^(١)

[البسيط]

طالتك - مثل نراع الأخطبوط - يدُ
حتى شِلِلْتُ، وعزُّ المُدِّ والمددُ
تلك العجاف من الأعوام كم سحقتُ
من مهجةٍ، ومشت بالكي تَقْنُدُ
سامتُ ربوعك تجريداً ومخمصةً
ماذا - برُّك - أبقت منك يا بلدُ؟

جاءك بالعلق الكثار فانغرس
يلجوج تفصد إذ مأجوج تزدرد...
مستعمرون أتوا مِن كُلِّ ناحيةٍ
كي يُزكِّعوك... وانت الصامد الضمُد!
يا ليتهم رحلوا حين انتفضت ولم
تأخذ أماكنتهم (بشمركة^(٢)) جُدُ!

لا حبّذا فئة الأخلاف من فئة
تهوى القُلُول، سداها الغلُّ والحسد!
عَمِي القلوب كَمَن للشر يدفعهم
حكمُ الغريزة أو ما تفرز الفُئدُ،

(١) وهي أول قصيدة ينظمها الشاعر عقب عودته إلى تشاد في نهاية اغتراب دام خمسة عشر عاماً.

(٢) بشمركة: القوات الكردية في شمال العراق، استخدمت هنا كناية عن قوات الفئات والأجنحة المتناحرة في تشاد.

مِنْ بَعْضِ مَا سَرَقُوا أَصَوَاتُ عَائِلِهِمْ،
وَالْعَيْشُ فِي ثِقَةٍ مِنْ بَعْضِ مَا وَاوَدَا:
أَعْيَا مَوَائِدَهُمْ إِنْتَاجَ بَيْدِرْنَا
لَكِنَّ مَطْعَمَنَا الْإِحْسَارُ وَالْكَبَدُ!
هَرْنَا ضَيُوفَ ثَرَانَا، نَشْتَهِي كِسْرًا
مِنْ خَبْزِنَا، وَهُمْ الْعَادُونَ، قَدْ جَحَدُوا!
جَوْعَى نُغْلِلُ بِالْأَتَى وَقَدْ يَطْنُوا:
بَنَسِ الْمَخْذَرُ لِلْمُسْتَخْضَعِينَ غَدًا!

لَكِنَّكَ الْجَبِلُ الْمَوْهَى قُرُونَهُمْ
لَمَّا نَطَقْتَ وَلَمْ يَمُحِ الصَّدَى أَحَدٌ...
فَاسْتَنْهَضْتَ لِبَنِيكَ الذِّكْرِيَّاتِ رُؤَى
مَاضِيكَ يَمْلُؤُهُ الْإِيمَانُ وَالْجَلْدُ:
مَاضٍ مَضَتْ عَزَمَاتُكَ فِيهِ، فَمَا
لَانَتْ قَنَائِكَ أَوْ أَوْهَاكَ مَضْطَهْدُ،
لَمَّا هُدَيْتَ تَهَادَى الْأَمْسِ مِنْبَعًا
.. طَوَّيَ لِمَنْ سَلَكَوا الْمِنْهَاجَ حِينَ هُدُوا!

عَرُيْتُ عَنْكَ زَمَانًا لَمْ يَكْذِبْ رَنِي
إِلَّا حَلِيفَ عَنَاءِ يَوْمِهِ الْأَبَدُ،
وَالْيَوْمُ يُرْجِعُنِي شَوْقِي، فَهَئِنْدَا
- مُسْتَدْرِكًا عُمْرِي، مُسْتَرْجَعًا - أَفِدُ!
بَعْدَ الْغِيَابِ أَنَا أَتِ وَيِي مَقْتِي،
أَتِ بِأَجْوِيَّتِي... أَتِ وَمُجْتَنِّهْدُ،

أَتِ إِلَيْكَ كَمَا يَأْتِي الْخَرِيفُ وَبِي
شَوْقٌ وَوَعْدُ عَطَاءٍ مِثْلَمَا يَعِيدُ!
فَالْعَوْدُ أَحْمَدُ، وَالْأَمَالُ لَيْسَ تَهِي
مَا تُنَمِتُ مُشْتَعِلَ الْوُجْدَانِ تَتَقَدُّ...
...تَرْنُو إِلَى زَمَنِ يُدْنِي مَطَامِحَنَا:
لَا عَيْشَ يَهْنَأُ وَالْأَحْلَامُ تَبْتَعدُ!

لهفي عليك - وأنتَ المَفْتَدَى أَبَدًا -
إِذْ يَعْتَرِيكَ عَلَيْنَا الْهَمُّ وَالْكَمَدُ،
لَسْنَا - بِدُونِكَ - إِلَّا وَهْمٌ بِأَصْرَةٍ!
نَحْنُ الظَّلَالُ، وَأَنْتَ الرُّوحُ وَالْجَسَدُ!
أَنْتَ الْمُجَسَّدُ لِلْإِنْسَانِ مِنْطَلَقًا
وَالْمُنْجِبُ النَّجْبَاءَ الْفُرُ إِذْ تَلْدُ
تَبْقَى وَاهْلُكَ لَا تُلْقَى بِبَارِقِكُمْ
مَهْمَا جَرَى، وَجُفَاءً يُذْهِبُ الزُّبْدُ،
أُسُّ الْيَقِينِ بَأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُنَا
رَأْسٍ عَلَى سُنَنِ اللَّهِ تَضْطَرُّدُ!
انجمينا في ١٩٩٩/٣/٣م

٨- تَمَادٍ!

[الرجز]

هل نحنُ في بلادنا نَقُودُ؟
أم، يا ثُرى، تقوُّدنا النَقُودُ؟
قد اسلَمَ القيادَ مَنْ تَحَرَّى
عَوْنًا... وإنَّ تَلَطُّقَتْ عقودُ:
ما لازم الإِمانَةَ اشتراطُ
إلا استوى السُّعْمانُ والمَسُودُ!

والمستمدُّ جَيْشٌ مستبدُّ
جُنْدًا لها بِنَقِيزِهِ الجنودُ،
ما مِنْ حِمايَةٍ تَقِيهِ دُلًّا
يسخويه العريفُ والعقيدُ!

والقاصدون - مثلنا - اخافم
كَمْ عوملوا كأنَّهُم عبيدُ!
..ثُمَّ اسْتَفْزَهُم - كما كوانا -
مَنْ يَزِيدُ ما لَهُ حُدودُ!

كَمْ غُرُنَا، بِمَالٍ غَيْرِهِ، مِنْ
 مُبَدِّصًا وَقَلْبُهُ حَقُودٌ...
 سَرَعَانَ مَا اسْتَبَانَ فَاكْتَشَفْنَا
 أَنَّا لِبَغَايِ^(١) غَيْرِنَا وَقُودُ:
 بَاغٍ يُرِيدُ سَابِقًا بَقَايَا
 حُرِّيَّةٍ هِيَ الَّتِي نُرِيدُ،
 وَالْبَغْيُ كَالسُّمُومِ: لَا قَدِيمُ
 يَفْنَوُ، فَيُجْتَنَى، وَلَا جَدِيدُ!

لَكِنَّمَا الْجَدِيدُ إِنْ أَتَانَا
 مِنْ قَابِلٍ فَجَلُنَا يَعُودُ:
 لَوْ بَعْضُنَا اجْتَلَاهُ جِلْوُ صَحْوٍ
 فَالْأَكْثَرُونَ دَائِمًا رُقُودُ،
 يُغْرِبُهُمُ الْعَمِيلُ بِالنَّمَايِ
 وَهَمًّا بَائِسُهُ سَيَسْتَفِيدُ:
 وَالنُّصْحُ فِي الْعَمِيلِ مُسْتَحِيلُ:
 إِنْ الْعَمِيلُ بِالْعَمَى مُقُودُ!
 مَنْ بَاغٍ بَعْضَ رُوحِهِ فَتَنَزَى
 لَيْسَ الذُّكْيُ، بَلْ هُوَ السُّكْيُ...
 يَمْضِي عَلَى خُطَا عَجُوزٍ سَوْءٍ
 لَا تَتْرُكُ الْخَنَا وَلَا تَجِيدُ...
 قَدْ انْفَقَتْ شَبَابُهَا تَبَاغِي
 حَتَّى نَوَى، فَلَمْ تَزَلْ تَقُودُ،

(١) غاي: جمع غايه ومثلها أي جمع لاية.

والإجـازُ بالنُفوسِ أمرٌ
مُعـا يـلي - فيـدمن - البليـدُ!

وَنـلُّ كـلَّ بـائـعٍ وشارٍ
سـعـرُ الضَّـمـيرِ مـنـهـما زهـيدُ!
والوـيلُ للشُّـعـوبِ حـيـنَ تـعـنـو
للمـغـرِبـاتِ!... إنَّـها القـيـودُ!!
انجمينا، في ٣٠/١/٢٠٠٣م

٩ - مددا

[المتدارك]

..في عين الأبعدِ خمسٌ مثل نصال^(١) مُدَى!
..خمسٌ في عينِ أضمرَ صاحبُها الحسد!
بلد البدويّ - ورأسُ الحربة أزهرها - نجبت،
ومضى الأعصرِ لم يَمْنَقها أبدا...
أنْ تحتضن الأيتام، وأنْ تلدأ...
...أنْ تفتح نافذةً للواقد، أو أن تمنح أو تعدأ؛
وبحقّ رواقِ صُلَيْحٍ^(٢) ما كُتِبَتْ:
وَقَبَتْ وحبّت، فسبّت وصبّت،
وأبّت لعقيدة أُمّتْها إلّا الرُشْدأ...
وأبت لتقاقتها المرضأ
فَسَخَتْ بضمائرها ومناثرها وحرائرها وعمالقِ ملأوا الأرضين صدى
برضا
لتمصّ معانيها مضبأ
وتعدّ مُرابطنا مددا
مددأ ... مددأ ... مددأ!!

(١) خمسٌ مثل نصال مدى: إشارة إلى القول الشعبي المصري «خمسٌ في عين العدو، والذي يقال إذا خيفت العين.

(٢) صليح: إشارة إلى رواق الصليح التضادي في الجامع الأزهر الشريف.

وبهية^(١) ملء مُلَاتِيهَا بركات عطاءٍ أَثَرُ واضطردا

- كعطاء الغيثِ النَّافعِ - يرفدُ مجتهدا

فَيَضَانُ الثَّيْلَ، لِيَتَّحِدَا

مع فِعْلٍ قَوِيٍّ حَيَوِيَّتِهَا، فَتَخَلُّدُ ملحمةً كُتِبَتْ:

هي ملحمةُ الإِيْمَانِ: فَإِنَّ حَفِيْدَةَ حَتَشَبَسُوْتُ عَلَى الإِيْمَانِ رِبْتَ

مُذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي الظُّلُمَاتِ يَفْتَشُ، مَفْتَرِضَا..

أَنَّ الْأَرْوَاحَ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ عَالَمِنَا تَحْتَاجُ الْخِدْمَةَ وَالْعُدْدَا!

... وَإِلَى التَّوْحِيدِ - لِأَبَابِ بَيَانَةِ أَخْنَاتُونِ - طَلِبْتُ..

مُتَفَرِّدَةً، وَمَجْرُودَةً لِلرَّبِّ قِصَائِدَ حُبٍّ فَوْقَ وِلَاءٍ قَدْ مُحِضَا!

.. وَبِهَيْتِ قَدَمَتِ الْأَبْنَاءِ مِنَ الرُّهْبَانِ لِمَلَكَةِ الْحَمْلِ الْمَوْعُودِ قَدَا!

.. ثُمَّ اخْتَمَلْتُ عِلْمَ الْإِسْلَامِ مُجَاهِدَةً، وَمَجْدَدَةً، وَبِهِ وَثَبْتُ،

وَإِلَى الْعِلْيَاءِ سَعْتُ لَتَثْبِيْتِهِ، فَعَلَا وَثَبْتُ!!

مددًا ... مددًا ... مددًا!

بِلَدِ الْبِدْوِيِّ - وَأَعَشَقْتُهَا بِلَدَا،

فَكُنَانَةُ أَرْضِ مَكُونِنَا عُشِيقَتْ، كَالْجَنَّةِ، وَاجْتَنَبْتُ! -

نَثَرْتُ مَكُونُونَ كِنَانَتِهَا، وَتَخَيَّرْتُ النَّبْلَاءِ نِبَالَ هَدَى،

وَعَلَى ثِقَةٍ رَمَتْ الْعَرَبِيَّةَ فِي وَطَنِي بِمُفَرَّدِهَا، فَشَدَا..

وَيَعَالِمِهَا، فَأَضَاءَ مَعَاهِدُنَا أَمْدَا!

مددًا ... مددًا ... مددًا!

أَرَأَيْتَ الْغَرَسَ، رِيْبِبَ الضَّوْءِ، وَكَيْفَ نَبَتْ؟

... أَوْ كَيْفَ مَنَابِتُهُ تَتَطَلَّعُ لِلْإِشْرَاقِ غَدَا؟!

(١) بهية: إشارة إلى مصر تابع في استعمالها شاعر العامية المصري المبدع أحمد فؤاد نجم.

مدداً ... مدداً،

سعي (العزب المحمود)^(١) سبقي سرُّ تفتّحها زهراً، وثمار متابعه، وندي،
لكنْ نَعْمَاتُ قصائده وموَبَّتنا وسماحةً نفسٍ عن إحساسٍ ما حُجِبَتْ..
وسنا خُلُقٌ وثَقَى بمرابنا زمناً ومضاً..
في عزِّ تَلَقُّها نهبتُ:
أترأه تأبّطها ومضى؟

.. فليحصِ إلى ما يحمل تمجيداً من قومي قاطبةً يتجاوز كلَّ مَدَى،
فجميعُ عشائرنَا لَهَجَتْ بالشُّكرِ، وما نَسَبَتْ
أنْ لانت بالمحروسةِ مُلْتَحِداً:

كَبَلَى وَقُلَا ويبي حسنٍ وكَشَامرَةَ وَرُنَقَا وعِمْرَ^(٢) وتدا:
ولِيُخَيِّرْ أُمُّ الدُّنْيَا أنْ بلادي قد طلبتُ ..
منها عنه عوضاً،

ومواصلَةً - بِتَجَرُّبِهَا - لزيادتنا مدداً!
مدداً ... مدداً ... مدداً!!!!

انجمينا، في ٢٧/٧/١٩٩٧م

(١) د. محمود العزب: أستاذ مصري أوفد للعمل في جامعة تشاد.

(٢) أسماء قبائل ووطنون وعشائر تشادية.

١٠- صَبُوحُ

[المتقارب]

(نظمت تحية لرفاق المعتقل الذين نقلوا من «حوش الطوارئ» إلى «المديرية» -
وكلاهما من أقسام سجن كوبر - وأرسلت إلى المعتين عبر الجدار الفاصل بين
القسمين) السجن العمومي بالخرطوم بحري ١٩٧٦م.

صَبُوحُ المساجين^(١) ما عاد خمراً

فما لي أراهم يفيضون بِشُراً؟

وما بالهـُم يرقبون الثُّرثُرا

مدى كُلِّ ليلٍ .. أيرجونَ أمراً؟

أَجَلْ! إنَّهم - في سواد اللَّيالي -

يغضُّون عيناً ويُبْقُونَ أُخْرَى..

لئَلَّا يناموا فيُقَضَى عليهم

بأنَّ يُخْرَمُوا نفحةَ الخير فجراً:

ففيها صَبُوحٌ وفَوْحٌ زكيٌّ

ألا ما أُخِيلَاهُ فَوْحاً ونَشْراً..

يرَوِّي أوائها، ويشفي سقامها،

ويحيي عظامها، وينداح طهرها،

(١) المساجين: ليس المراد بهم المعتقلين السياسيين هؤلاء اعتبرهم أسرى بل عنى بالمساجين الحكوميين في جرائم
الحق العام الذين كان بعضهم في نفس السجن وكان بعضهم يقوم بخدمات التنظيف ويختلط بالمعتقلين
السياسيين.

تَزِيدُ «الديريَّة» الخَيْرَ فيه

- كما قد تزيدُ الينابيعُ نهرا -

يَنْكِرُ وقْرانَ فَجَرٍ عَجَابٍ

سرى في قلوبِ المساجينِ نَكْرَى!

فيا إخوَّةَ من وراءِ الجدران:

مُديتُم وفزئتُم دعاةَ واسرى..

وإنَّ الأسارى لنذلِ سواكُم!

بإيمانكُم يُرغمُ اللهُ كسرى!

بقيتُم ظهيرا لحقِّ تعذتْ

عليه الطواغيتُ حتَّى يُقَرَّا!

ودمئتُم حمالةَ لجبدِ تلیدِ

وينيانَ عزَّ سما واستقرا..

برغمِ الأعداي! فطوى لبان،

وطوى لحام، ومنخورٍ بُشْرَى!

أيا حاملي دعوةِ الله: لودوا

بقرانكُم إنَّكالا وصبرا،

وكونوا لنا - بالدُّعاء المرجى -

على كلِّ شرٍّ معينا وظهرا:

فأنتم - لمشهودٍ برٍّ وفضلٍ -

لكم دعوةٌ بالإجابةِ أخرى!!

سجن كوبر «السجن العمومي بالخرطوم بحري»، ١٩٧٦م

١١ - يا أسمرًا^(١)

(تحية تجلُّ وتقدير للثورة الإريتريّة، على أمل بزوغ النصر الوشيك!)

يا أسمرًا

يا قريةً جميلةً .. يا أجملَ القرى،

يا مهبطَ الربيع .. بل يا جنّةَ الدُّرَى:

إليك - يا جميلتي! - أقدمُ السَّلامَ،

من بقعةٍ شقيقةٍ أسطُرُ السَّلامَ،

أخطُ أسطرا ..

في صفحةٍ قد سوَّدتْ - من أبلغ الكلام

مستفهمًا - بجملةٍ تليق في المقام

بجملةٍ - يا أسمرًا -

كانَّها صاروخٌ «سَامٌ»:

(مَنْ ظَنَّنَا بضاعةً بالمال تُشْتَرَى؟)

فأصبح السُّؤالُ إذ سرى

أنشودة الورى

- عريضةً اتَّهام -

في وجه مَنْ يَرَى

تلكَ الأبيّةَ السَّماءَ لقمةً تُرام

في حلمه الحرام!

(١) واضح أنها نظمت قبل الاستقلال.

النَّارُ تَنْتَشِرُ
فَتَعْقُمُ البَنُورُ بَيْنَمَا يُحْرِقُ الشَّجَرُ،
النَّارُ تَنْتَشِرُ
لَا شَيْءَ إِلَّا النَّارُ وَالزَّمَانُ
على مدى البصر:
فقد اشغَلَ الجنودُ كُلَّ وادٍ،
وصادروا المَطَرُ
من أجل أن يستتبوا بـ «أُمِّ حَجْرٍ»
أوهام اتحاد ..
من بعده ضُمُّ لإلغاء، فهل يميز؟

الغدر والعقوق ..
بحثاً عن السَّرَابِ،
هل تذهب الحقوق
- عند استدامة الحريق -
دخان قشٍّ لا يُرى بعد النِّهَابِ؟
ليت النّجاشي القديم أب ..
فأمّن المهاجرين خشية العذاب،
وأطفأ الحريق،
وعالج الحروق؛
لكنه - واحسرتها! - في غياب،
وغابَ حكمُ العقل عن خَلْفٍ له يسوقُ
أجمل القرى إلى الخراب!

يا أسمرًا:

سلام! ..

إلى الرعاة والمزارعين أطيب السلام ..

فصيلةً فصيلةً، معسكرًا معسكرًا:

فالحُرُّ لن يُضامَ

ما واجه العدوُّ ثائرًا مخطَّطًا وفاتكًا غضنفرًا!

وقصَّةٌ جديدةٌ تحيط بالحريقِ

وقُودها الشَّبَابُ

في بلدةٍ عدوها رأى لها الثَّبابَ

لكنَّها تفيقُ:

يهرُّها قُوارها بالنَّارِ والبروقِ،

فيقهرون البرد والصَّعيقُ،

ويفتحون ألف مدخلٍ لألف ألف شاب

وقد دَعَوْا: (يا فاتحًا أيلول^(١): لن يسدَّ أيُّ بابٍ)

وأمرهم مجاب:

(فلتصبحوا رفاقنا من مبدأ الطريقِ

- من أوَّلِ لِكْتَاب -

رفاقَ مَنْ تَنانَوْا ليعمروا البياب:

فإنَّهم هناك في اِزْتِقَابِ

- ما بين لحظةِ القرارِ والمروقِ -

(١) فاتح أيلول: أول سبتمبر ١٩٦٣م تاريخ انطلاق الرصاصات الأولى في مسيرة الثورة الجزائرية.

هناك عوّاتي^(١) والصّحاب،
وجبهةٌ تحرّزُ التّراب،
وموطنٌ تحريره شروق ..
يخطو إلى تحقّق في غاية الوثوق!

النّارُ تنتشرُ
تدقُُّ المنى ومن يرونها دماً يُضْمَنُ الحصاد!
النّارُ تنتشرُ
وإخوتي تعاونوا فجمّعوا الرّماذ
في موكبٍ أغرَّ
لأنّه السّماذ
لموسم، يرونه - مبشّرٍ ومزنةٍ ستنعش الشّجرُ
فترجع البلادُ
مخضرةً سعيدةً؛ وتحت ضحكة القمرِ
سيفرح البشرُ!

يا أسمرًا
يا قريةً جميلةً .. يا أجمل القرى،
يا ساحةً - لا يُخيفها الصّدام -
تزهر بتأريخ، وتحفظ الغرّى:
حيّي فما يقول للنّيام:
(لا وقتٌ للكزى!)

(١) عوّاتي: الشهيد حامد إدريس عوّاتي قائد المجموعة المقاتلة الأولى لجبهة التحرير الإرترية.

.. وأنه لابد أن تُرى
في كل صبحٍ خطوةٌ إلى الأمام
تعرِّزُ المؤشِّرا:

سيسقط النظام
لِيُبَنَّى نظام
- يا أجمل القرى -
يقْدَسُ النظام
مصدِّقه حرِّيَّةُ الوري
في جَنَّةِ النُّرى!

طرابلس، ١٩٧٤م

١٢ - إمام (١)

[التهزج]

إِمَامُ الْبَيِّنِ وَالْهَيِّيرِ
يَبِيحُ الْقَيْنَ بِالْقَبْرِ:
فَلَا فِي الزُّمْدِ مَذْكُورُ،
وَلَا فِي الْعِلْمِ بِالْحَبِيرِ،
وَذُو بَطْنٍ بِلَا قَاعِ
وَلَا شَيْعٍ وَلَا صَبِيرِ،
إِذَا مَا أُودِعَتْ سُخْرِي
نَوَى مِنْهَا إِلَى قَبْرِ!

إِمَامُ الْفَيْشِ وَالزُّيْفِ
حَوَى الْأَلْوَانَ كَالطُّيْفِ:
نَفَاقًا عِنْدَمَا يَبْدُو
فَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْكَيْفِ،
وَأِنْ تَسْمَعُ فَلَا تَطْرُبْ
لَطَبِيلِ فَارِغِ الْجُوفِ،
أَحَقُّ الْإِنْسِ أَنْ يُرْمَى
بِفَحْوَى أَيْسَةِ السُّيْفِ!

إِمَامُ الْخَبِيثِ وَالسَّكْرِ
يُورَانِي النَّفَاسَ بِالذُّكْرِ،

وَالْحُكَّامُ رَوَّاحُ:

يَسُومُ السُّرُوحَ أَوْ يُكْرِى..
وَيُفْتِي أَنَّهُمْ أَعْلَى
رَشَادًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ:
لَهُمْ بِالْحَمْدِ فَيَاضُ،
وَيَنْسَى سَجْدَةَ الشُّكْرِ!

إِمَامٌ جَاءَ بِالْمَنِيلِ
وَبِالتُّطْفِيفِ فِي الْكَئِيلِ:
يَجَافِي الْقِسْطَ مُذْ يَصْحُو،
وَيُقَصِّيه الْعَمَى اللَّيْلِي!
يَقُولُ: «الرَّأْسُ لِي وَحْدِي!»
وَقَدْ وَاقَى مَعَ الذُّيْلِ!
لِجَنَّتِي الشُّكْرُ حُمَاءُ،
وَحَزْرُ الْجَرِي لِلْخِيلِ!

إِمَامُ الطُّعْنِ فِي غَدْرِ
فَسَوَى مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي
... عَلَى ظَهْرِ قَدِ اسْتَرْخَى
لِوَدِّ الضَّمِّ الضُّدْرِ:
يَهْوِذَا يُسْهِلُ الْمَغْدُو
رَ، مَطْبُوحًا عَلَى قَنْدَرِ.

إذا اشْتَغَزْتَهُ عَهْدًا
تَرَى الشَّيْطَانَ فِي بَدْرٍ!

إِمَامُ الْإِسْلَامِ وَالْأَلَيْتِ
عَلَى مَا كَانَ مِنْ قَوْتِ،
وَكُلُّ قَائِلٍ ... إِلَّا
زَكَاةَ النَّفْطِ وَالزُّنُوتِ
فَمَا مِنْ مُوسِمٍ وَلَّى
وَلَا سِجَّادٍ فِي الْبَيْتِ؛
لَوْ اسْتَجْدَى وَلَمْ يُلْجِفْ
فَلَا تَهْدِيهِ بِالسُّوْتِ!

إِمَامٌ لَا يَرَى غَيْبًا
سِوَى إِفْرَاغِهِ الْجَيْبَا!
عَنِ التَّصْرِيفِ مَصْرُوفُ
بِرْغَمِ بِلَوْغِهِ الشُّئْبَا..
وَيَتَلَوُ السَّعْرَ - صِرَافًا،
لَا دَنْسَى عَمَلَةٍ - غَيْبًا!
وَأَمَّا التَّنْخُوءُ وَالْفَصْحَى
فَلَمْ يَكْتُمْهُمَا الرِّيبَا!!
انجمينا، في ٢٨/٦/١٩٩٩م

١٣ - سنكرا

[المتدارك]

دمعٌ (واقادقو)^(١) لم يزل دققًا مثل سَيْلٍ جَرَى،

فَهَيَّ - في كلِّ يومٍ - تَرَى ..

ذكرياتٍ غدتْ من أساطير مأساتها أسطرا:

في الصباح الموشى خيوطًا سماويةً للَمع في مثل لون الذهب،

أسطرا:

عند مرِّ المساء الأثيري، أو عندما يستحيل الكَرَى ...

حين تشكو غياب الخيل المجاري - على الأرض - تلك الشَّهْب ..

عَيْنٌ (داقادقو) أوأندد لا ترى ماردًا من أساطيرها يلتهب:

بل ترى وجه قنيسها (إذ وجوه النَّبِيِّينَ لَا تُتَّحَلُّ!)

فتنادي شرايينها في انعكاسٍ لنبيض القلوب التي رُدَّتْ، لم تَهَبْ:

«سَنَكْرَا! سنكرا! ..

يا بَنَ إفريقيا! سنكرا!

يا منادى إلى قِمَّةِ الخالدين التي تلتقي في رُحَل!

بل سليل المغنَّين للشمس، يا سنكرا!»

غير أنَّ المُنَادَى ارْتَحَلْ،

فاستقرَّت على الأرض، من بعده، حول واقا سِنِّي المَحَلْ ..

والجفاف اغترى ..

(١) وقادقو: أو واقا عاصمة جمهورية بوركينا فاسو (قولنا العليا سابقًا).

جُلُّ ما كان مخضوضرا ..

ضمن سوح القُرى ...

فالَّذي قد ذهب ..

كان معنى (لُمنيا)^(١) الَّذي أدركته السُّحب ..

يومَ صَبَّتْ على عهده - وحده! - الكُوثرا

(عهده؟ .. يا له مِنْ مَدَى مختزل!)

ثم صارت بخائناً. فما بلُ - مِنْ بعدُ - ذاك الثُّرى..

غيرُ دمع الجَماهير إذ تنتحب:

«سنكرا! ..

يا هِرَقْل الَّذي لم يَزَلْ..

باقياً مِنْ مُهَمَّاته نصفُها، واغتزل! ..

يا حُضوراً تكف منذ الأزل ..

في غيابِ نزل ..

بالملايين مَنَّا نزولُ النُّوب!

كنت يا سنكرا

- يا دليل الألى يَغشَقونَ الذُّرى -

كانبثاق المُنَى في فؤاد الضَّليل الَّذي بالرِّمالِ اُكْتَحَلَ ..

فوق صحراءِ كُبرى ترامتْ سُؤالُ بَداء، أنفأ، دون حل!

كنت يا سنكرا

بعض تريقا إفريقيا ضدَّ سَمِّ النُّجَل:

وَعَيَّ مستضعفي عالمٍ راکضٍ، في غرورٍ، إلى حيثُ لا مُنْقَلَب!

كنت يا سنكرا

(١) لمبيا: باتريس لمبيا رئيس وزراء الكونغو كينشاسا عند استقلالها وزعيمها الشعبي الذي اغتاله الاستعمار والخيانة.

في اغتراك المساكين^(١) عند الحدود الكُتُوبِياتِ روحًا سرى ..

من بطولات أجدادهم، ثائرا،

ما اغتراكِ الوَجَلُ ..

لا! ولم يغمِ إيمانكِ الوجدويّ الغَضَبُ!

كنتِ يا سنكرا

.. في بناء الطريق الحديدي^(٢) رمز الجهادِ الذي قد تحدّى الأَجَلَ!

.. في قلوبِ الْمُقَوِّينَ للخلفِ مستقبلاً إنْ يدوروا له يقترب!

.. في لجانِ الدِّفاعِ^(٣) المَسِيحَ الَّذِي امزّه المُرْتَجِلُ ..

كان يُحيي مَوَاتًا وَمَوْتَى، ويستنطق الأعصرا ..

عن معادٍ أَجَلٌ ..

لا عِنَ الثَّأْرِ، يوماً، إذا ما صُلِبَ!

كنتِ فينا ومازلتِ يا سنكرا

عُنْفَوَانًا إِلَى اليَوْمِ...

ما تُنادِ القضايا يُجِبُّ:

ما فقدنا سِوَى وجهكِ المحتجب ..

والرُّكُونِ المريحِ إلى قَدَسِيَّةٍ ما بيننا من عُرَى ..

ثُمَّ بعضُ البراعةِ أيضًا! مَضَى كُلُّ ذَا في عجل ..

تاركًا موضعًا في الحنايا بإفريقيا مستقرًا لبعض الخجل،

بينما صرْتَ يا سنكرا ..

فوق كيد الإخاء وفوق التَّنَاسِي، وفوق العجب ..

(١) اغتراك المساكين: الحرب الحدودية بين قولتنا العليا ومالي وكانت أول ساحة يشتهر فيها النقيب توما سنكرا على نطاق واسع.

(٢) الطريق الحديدي: طريق القطار الذي بني بالجهد الذاتي والمبادرة الشعبية تحت توجيه سنكرا.

(٣) لجان الدفاع: التنظيم السياسي الذي أنشأه سنكرا باسم «لجان الدفاع عن الثورة».

من موالين قد أنكروك ثلاثاً وما صاح بك صحا بعد، بل واشتري ..
ناطق باسمهم «يشجب» الضعف - يعني الأسى! - في الرجل!
دمت مستهضاً من يكي، داحضاً من «شجب» ..
دمت يا مَنْ حفظناك تجسيداً حُلم عزيزٍ على الرَّبِّ أَنْ يُقْبِرَا:
وهجُه سرمدِيٌّ يلفُّ الوري ..
عزفٌ قيثاره^(١) توائم للهداء المحرّض طاقاتِ كلِّ النُّجُب ..
أو قسيم الرَّجل! ..
فعله فعل جيشٍ لَجِب ..
يومَ يقتاد قومي من الإسكانة مهما جرى ..
في انطلاقٍ جريٍّ إلى ما يَجِب!!

انجمينا

(بدئ في كتابتها أغسطس ١٩٩٧م)

ثم اكملت في فاتح يونيو ١٩٩٨م)

(١) كان سنكرا يعزف على الجيتار وفعل ذلك أمام الجمع ليعلم المطربين كيف يفتنون للوطن بدلاً من الاستفراق في الغناء المحببة.

١٤ - آي صُخُو

[الرمل]

ما بقصرٍ كان فخري واغترزاني،
بل بيوت الطّين نخري «والكوازي»^(١)
حيث تلاقى كل ريفيٍّ عزيزٍ
مؤمنٍ بالبذل من قوم عزاز
يغشقون الوحدة الكبرى خيأاً،
لا شعاعاً تحته تُخفى المازي
يلمسون الحق من خلف النّعاوى،
بيّن في سمعهم وقع النّشاز!
ما استوت تزيان في عين فخل:
هذه عجزاء، والاخرى تُبازي!
رغم تلفازٍ لجوج لم يفتّهم
أن أمريكا لَوّت رأس الجهاز!
إن واشنطن وقد رُبّت عُجولاً -
أُشْرِيت في القلب عجل الإنجيان:
.. فاستمالت ثُلّة، لكن لقومي
قطرة لم يغرفها أي افتيزان:
ما فِلْمَطين التي يهون أرضا
عندهم، بل إنها مَفزى الغازي

(١) الكوازي، جمع «كوزي» بالعامية التشادية ويعني كوخ.

.. واللى قد حاصروا الأقصى رُماءً
 نَمُّ بالقُفَّازِ في وجه الحِجَازِ،
 هم - وإن كانوا كاهل القصر شكلاً -
 انكروا تطبيع سِرِّبٍ بُرجوازي!
 لولِيا لِبَالِ السُّمَاتِ انكَلَهْمُتْ
 فاخْتَبِرْ - إِذْ أَنتَ في ضِعْفٍ - وِزَارِ:
 أَسْرَعُ الْآتِينَ هَمِّ، أَمَا سِوَاهِمِ
 فَالْعَجَالَى عِنْدَ غُنْمٍ وَانْتِهَارِ!
 ضَلُّ سَعِيًّا مَن تَحَاشَى ظُلَّ طَوْرِ
 مَسْتَظْلاً مِّنْ هَجِيرٍ بِالْحَرَارِ!
 هؤلاء الخضرُ هم مِلْحُ الْأَرْضِي،
 هم - إِذَا اِزْتَجَتْ - أَسَاسُ الْأُتْكَانِ:
 هم فِدَائِيُونَ في وجه الأَعَادِي:
 يَحْرُسُونَ الرُّيْعَ مِّنْ عَادٍ وَغَارِ!
 لَا تَسْلُ عَنْ سِرِّهِمْ! فَالسُّرُّ حَبٌّ
 يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ حَيًّا بِامْتِيَارِ!
 للحياة الأصل ماء .. غير أصلٍ
 - يَقْتَضِيهِ الْحَيُّ في الدنيا - مُوْازِ:
 بُونَمَا حَرِيَّةٌ مَا مِّنْ حَيَاةٍ،
 بينما اسْتَفْنَتِ عَنِ الْمَاءِ الْجَوَازِي!
 إِنْ يَكُنْ فِي النَّاسِ مَن يَرْضَى بِضَمِيمٍ
 فَالْأَبْيُّ الْحُرُّ يَلْتَبَى أَوْ يَجَازِي:

شَأْنُ زَلْزَالِ طُوى مَغْزَى أَرْحَاءِ،
 وَاِنتِفَاضِ الْأَرْضِ ضِدَّ الْأَنْفِرَانِ!
 ادْعِيَاءُ فِي بَنِي يَعْقُوبَ جَاءُوا
 مِنْ شَتَاتٍ لِاتْفِرَاسٍ وَاحْتِرَازِ:
 هَلْ لِإِسْرَائِيلَ مِنْ تَسْلٍ رَمَتْهُمْ
 فِي فَجَاجِ الْأَرْضِ حَمَى الْاِكْتِنَازِ؟
 لَا! .. وَلَا صَنَاعَ صِهْيُونِيَّةٍ مِنْ
 قَاتَلِي الْأَطْفَالِ قَضَدَ الْاِحْتِرَازِ!
 لَيْسَ مِنْ أَسْطُورَةٍ تَكْفِي كَحَكَمِ
 بِالرُّبُيْ أَوْ غَضَبِ حَقٍّ وَاخْتِيَانِ..
 إِنَّمَا الْمُسْتَعْمَرُ الْأَرْضَ اِنْعَامَهَا
 مَلَجَا الشُّذُذَ إِذٍ مِنْ اِنْفِرَانِ غَازِ..
 ثُمَّ بَدَأَ الْغَرْبَ - فِي فَحْوَى حَقِيقِ
 قِيلَ لِلْإِنْسَانِ! - فَتَوَى بِالْجَوَانِ:
 تِلْكَ فَتَوَى الْاِغْتِصَابَ الْفُظْ جَاءَتْ
 ضَمِنَ الْيَاتِ فَتَنَ الْاِبْتِرَازِ!
 لَا يَسْمَى الْمَرْءُ إِلَّا مَا تَرَامَى
 مَائِلًا حَقًّا لَهُ أَوْ فِي الْمَجَانِ،
 نَحْنُ اِطْلَقْنَا عَلَى الْاِحْسَانِ اِسْمَاءَ،
 هَلْ نَحْنُ نَحْنُ أَمْ هُمْ لَفْظُ «نَازِي»؟
 إِنَّ مَنُحَوِّثًا عَلَى الْأَحْجَارِ أَبْقَى
 مِنْ نَقُوشٍ فَوْقَ لُوحِ الْأُزُوتِ!
 حَسْبُهُمْ يَوْمَانِ فِي التَّأْرِخِ نَكَرَى
 فِيهِمَا دَرْسَانِ مِنْ بَيْنِ الْمَغَازِي:
 مَا تَلَا الْأَحْزَابُ دَرْسَ مُسْتَفَادٍ...
 كَالَّذِي أَبْقَتْهُ يَدْرُ فِي الطَّرَازِ:

ذاك يومٌ كان في الإِمامِ بدرًا
فيه سوقٌ لا كمعنى ذي الجار!
يا أبا سفيان: لا مَنجى لغيرِ،
والنَّفِيرِ اليوم، أيضًا، للبوّازي!..
وانتفاضات الأراضِي أيّ صحوٍ،
مستحيلٌ وضعه في الاحتجاز!
.. فالجهاذُ المستمرُّ الآن رُوحُ،
والخلود الحقُّ موتُ الكامكازي^(١)
انجمينا - في ١٣/٢/٢٠٠١م

(١) الكاسيكاز: المتطوع الانتحاري الياباني الذي يموت وهو يدمر هدفًا معاديًا.

١٥ - عصا موسى

[المتدارك]

(ألقيت في الأمسية الشعرية التي تخللت أعمال ندوة «الدراسة التقابلية والمقارنة بين اللغة العربية ولغات الساحل الإفريقي» وهي ندوة نظمتها منظمة الجامعة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية متعاونتين مع جامعة انجمينا، في الفترة من ٢٨ : ٣٠ / ١٠ / ٢٠٠٢م بوزارة الخارجية والتكامل الإفريقي في انجمينا).
أَوْ نُعْطِي الْآخَرَ تَقْدِيسًا...

ويحاكي الآخرُ (نرسيسا)؛
هو طَبْعُ صَاغٍ رُوَّى كُلُّ،
وغدا في الرُّوحِ تضاريسا!
ستفيضُ الكَلَسُ بما تحوي،
ويزيدُ المفلِسُ تفلِيسا!
ونظُلُ الدهرِ تُشِينَا
بإمامٍ عَانَقَ قَسْيسا!
نتمعَاطِي السِّنَّةَ تُثْرِي،
ونعيشُ الوَحْدَةَ نَامُوسَا...
زَرَعَ السَّتْعَمْرُ فِي حُبِّهِ
جَيْلًا تَسْتَلْهُمُ إِبَالِيسَا
فَجَمُوعُ تُبْهَرُ بِالْكُوكَا،
ودروسُ تَحْمِلُ فَيُروِسَا

وَعَدُّ قَدْ بَيْعٍ فِذَا قَرَضَ
وَجِلَّ التَّكْشِيرَةُ مَهْرُوسَا،
وَطَبِيبٌ يَحْتَطِبُ الْمَرْضَى
وَيَسْرِ يُرْسَمُ قَدَيْسَا؛
وَصَالِبٌ عَالِقٌ تَلْقَا،
وَيَنَافِي الْفَعْلُ هُدَى عَيْسَى؛
قَيِّمُ تَسْتَهْدِفُ تَكْيِفَا
لِنُفْذِي الْمُنْطِقِ مَعْكَوسَا؛
مَعَكُمْ لَنْ تَسْقُطَ أَوْ نَنْسَى،
وَسَيَّابِي الْبِيرِقُ تَنْكِيسَا:
فَلَا نُنْتُمْ مِنْ فَنَّةٍ جَاعَتِ
بِجَوَابِ النَّهْضَةِ مَدْرُوسَا؛
فَارْتَنَّا عَوَّلَةً تَجْدِي،
وَأَزَتْ فِي الْعَوَّلَةِ السُّوسَا:
صَدَقْتُنَا الرُّؤْيَا وَالرُّؤْيَا،
وَنَنَسَتْ كِي تَبْعِدُ كَابُوسَا؛
وَلَنْ، فِي الشَّرْقِ زَهَتْ شَمْسُ
بَعْرُوسٍ قَدْ «نَفَضَ الْكِيسَا»^(١)..
فَهَذَا لِلضُّمَارِ بِكُمْ عُورُشُ
وَضِيَاءُ كُورُسٍ تَكْرِيسَا؛
شَعْرَاءُ الْبِلَدَةِ قَدْ لَاقُوا
الْقَا فِي التَّدْوَةِ مُحْسُوسَا..

(١) نفَضَ الكيسَا: يطري العروس في السودان بقولهم «العريس نفَضَ الكيس» كناية عن كرمه ومبالفته في توزيع العطايا.

ببیان، اُبْشِدْ، سَحْرِي
 يدع المُستعصي مانوسا!
 وبموسيقى سمقت نسفا
 كصروح تُذهش بلقيسا^(١)
 فسمعنا الخُلس: لا روما
 وفرنسيين، ولا روسا!
 سيُبأح اليوم إذا قمنا
 بحديث يبدأ مهموسا:
 «هَيْئُكُمْ هَبَّتْ وَسَعَتْ حَتَّى
 قرعتْ بالندوة ناقوسا،
 عملُ قدمائِلَ نَيَّاتِ،
 فسقى ما خُلِدَ مفروسا!»
 ويضيف القائل: «ما أسمى
 سُرُوانَ الشَّعر إذا قيسا..
 وقصيدَ اللَّيلة باقات
 ضمنَتْ للصَّامت تنفيسا:
 فأتى الحسادون بآياتِ!
 وأتى عيسى بعصا موسى!»
 انجمينا، في ٢٩/١٠/٢٠٠٢م

(١) بلقيس: ملكة سبا زمن نبي الله سليمان عليه السلام.

١٦ - دعوا هؤلاء!

[الطويل]

شبابُ غناهُم - بعد خُلِقَ - تخصصُ،
ويعضُ قضاياهم خمورٌ ومزقُصُ:
فريقٌ على دينٍ ودرسٍ ودعوة،
ولآخر الإيمانُ ثمَّ الخُلُصُ؛
هنا الالتزامُ الحقُّ حبًّا وغيرةً،
وتُهوَّى، هناك، القهقري والتملُّصُ..
فائي الفريقين المرجى لنهضةٍ
إذا البوق نادى .. والقدامى تقلُّصوا؟
سؤالُ «رجال الأمن» أخفوا جوابه
بهمسٍ عن «الإرهاب .. يعني» وبصبصوا!
فما لِلغِيَارَى يا «حماة الشعب» - أمرهم
على رأس مشبوهاتكم ليس ينكصُ؟
لماذا نراكم حيثما سار مُلْتَحِجٌ
وانتم على آثار من سار شُخْصُ؟
.. ومنذويكم ساعٍ إلى كلِّ مسجدٍ،
وقرب الزُّوايا في اللَّيالي مقرقُصُ؟
كأنَّ اللَّحَى تخفي سلاحًا يخيفكم!
تعالوا بأمشاطٍ إليها لتفحصوا..

فَإِنْ شَذَّ شَكْلٌ غَيْرَ مَرْضٍ فَشُدُّوا،
 وَإِنْ رَابِكُمْ طَوْلٌ فَحُقُّوا وَقَصَّصُوا!
 .. وَلَا تَسْتَعِيدُوا مَسْرَحِيَّاتِ اعْصِرِ
 خَلَّتْ، فَالْتِزَامِ النَّصِّ أَرَحَى وَارْخَصْ!
 وَأَمَّا الْحِجَابُ الْمُسْتَحْيُ فَخِرْقَةٌ:
 خَذُوهَا، فَجَسُّوا، وَاغْسِلُوهَا، وَمَصْمُوسَا ..
 وَقُومُوا بِفَحْصِ مَعْمَلِيٍّ مَكْرَرٍ
 عَلَيْهَا، يَرْغَمُكُمْ كَيْفَ طَاشِ التَّرْيِصِ:
 فَمَنْ جُلَّنَ فِيهَا نَاشِئَاتٌ عَلَى تَقَى،
 وَيَبْعَاتُ طَبِيعٍ لِسَنٍ مَمَّنْ يَنْقُصُ:
 فَخَلُّوا بِزِينَاتٍ يَرَاهُنَّ جَنده
 - كَلِخَوَانَهُنَّ الْغُرَّ - حَقٌّ مُحْصَصُ
 نَعُّوا هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ، إِذْ إِنَّهُمْ دَعُّوا
 إِلَى أَفْضَلِ الْغَايَاتِ، لَكِنَّهُمْ عَصُّوا!
 فَإِنْ يُكْتَشَفُ لِلْأَمَنِ خَرَقٌ فَغَيِّرْهُمْ
 بِتَنْقِيقِكُمْ أَحْرَى: تَحَرُّوا وَمَحْصُوا!
 أَجُنُّ الَّذِي ظَنَّ الْغِيَارَى عَصَابَةً،
 وَأَنْ السُّكَارَى عَلَى الْأَمَنِ أَحْرَصُ؟
 أَلَمْ يَأْنِ لِلْإِيمَانِ أَنْ يَسْتَمِيلَهُ؟
 بَلَى! فَهُوَ فِي الْإِنْسَانِ يَنْمُو وَيَنْقُصُ!
 وَمَنْ كَانَ، قَبْلَ الصُّبْحِ، سَرِيالَهُ الْكُجَى
 فَإِنَّ السُّنَا، بَعْدَ اللَّيَالِي، يَقْصُصُ!
 وَمِمَّنْ فَضِلَ مَوْلَانَا، تَعَالَى، قَبُولَهُ
 مَتَابِ الَّذِي يَأْتِيهِ وَالْقَلْبُ مُخْلِصُ!
 انجمينا، ٢٤/١٢/٢٠٠٣م

١٧- مالم

(في ذكرى رجل المبادئ والمواقف المعلم الراحل/ أمينو كانو، المثال السياسي النيجيري - بل الإفريقي - الفذا!).

بَلَيْتُنَا نَنَابُ تَطْبَحُ! مَعْطُوا،
فَعَمَّ الْأَفْقُ - مِنْ فَتَكَاتِهِمْ - قَحْطُ
إِدَارِيَّوْنَ أَوْ مَتَسَلِّطَوْنَ ذَوِ
نَفْوَذٍ، أَصْلُهُ الْإِفْرَنْجُ، أَوْ شُرَطُ
وَقَادَةُ عَسْكَرٍ، وَخُثَالَةٌ - بُعِثُوا
جِبَاءَةً - لَا يَتَوَنُّونَ الَّذِي اخْتَرَطُوا
وَمِنْ زَعَمَاءَ - مَزْعُومِينَ - مَبْدُومِ
مَتَاجِرَةٍ، وَكُلُّ حَدِيثِهِمْ سَقَطُ..
وَمُنْحَرَفِينَ كَانُوا فِي شَفَافِ قُلُوبِ
بِنَا، زَمَنًا مَضَى.. لَكُنْهُمْ شَخَطُوا..
إِلَى خَلْفٍ بُسْدَةٍ كَمْ يَحِيرُنِي
تَبَجُّجُهُمْ بِمَا سَقَفُوا وَمَا بَطَلُوا!
لَاوْرِيَّيَا، إِذَا حَجَّوْا، تَيْمَّمُهُمْ:
فَفِيهَا تُوضَعُ الْأَسْلَابُ وَالْخُطَطُ
يَرُومُونَ الْأَمَانَ لِسَدَى مَصَارِفِهَا،
عَلَى أَنَّ الْأَمَانَةَ عَنْدهُمْ غُلَطُ!!

وفاحت ريحٌ نَفِطٍ من منابِعنا،
 فَكَالْوَرَمِ الخَبِيثِ إِذَا بِهِمْ نَفَطُوا
 إِذَا لاقوكَ إِذْ لِلرَّجُلَةِ انْطَلَقُوا
 بَنَوْا وَكَانَتْهُمْ خَلْفَ الْأَغَا^(١) أُرْطُ!
 فَإِنْ سَرَقُوا فَهَمُ فِي السَّرْقَةِ اغْتَنَقُوا
 بَيَانَتَهُمْ، فَأَمْرَ أَبْرَهُمْ فُرُطُ
 وَإِنْ غَدَرُوا فَتَلَكَ سَجِيَّةٌ شُهِرُوا
 بِهَا، لَا فَلَئَةَ طِرَاثٍ وَلَا قَلَطُ!
 وَحَوْلَ فُجُورِهِمْ حَذَتْ وَلَا حَرَجُ:
 سَدُومُ لَهُمْ وَعَامُورُ^(٢) هُمَا النُّحَطُ!
 لِحَاظُهُمُ وَالْعِمَانُ شَابِهُوا بِهِمَا
 انْتَمَتُهُمْ، وَتُسَبِّحُ كُلَّمَا جَلَطُوا:
 فَتَلَكَ عِمَانُ الْفُسْطَاقِ، وَاقْتُطِعَتْ
 لِيُخْفِيَ تَحْتَهَا الْخُسْرَانُ لَا الشَّمَطُ،
 وَقَدْ خُلِطُوا، كَمَا سَيَطَتْ انْتَمَتُهُمْ،
 بِمِسْوَاطِ الْفَضَائِحِ نَمُ، فَاسْتَوْطُوا!
 هُمُ الْقَطَطُ السَّمَانُ الْمَزْدَرَاءُ أَتَتْ،
 وَقَدْ خَرَجَتْ مِنَ الصَّفَفَاتِ، تَسْتَرْطُ
 وَمُنْفَذٍ تَعَلَّوْا رَسْمَ مَسْخَرَةٍ
 تَشْكُلُهُ خُطُوطُ الْحَبْرِ وَالنُّقْطُ:
 تَخْمَرَتِ الدُّمَى قِطَطًا وَقَدَوْتَهَا
 «نَزَاكُـوْلَا»، وَلَكِنْ صُوفِهَا قَطَطُ

(١) الْأَغَا: لقب تركي. أُرط: جمع أرطة وهي تسمية تركية بمعنى فرقة عسكرية.

(٢) سدوم وعامور: قريتان تذكر التوراة أن الله تعالى دمرهما عقوبة لأهلها المفسدين وهما قريتا قوم لوط.

وفي الوطن الذي نبجوه فأنفضحوا
يموت الكانصون لتسمن القِطَط!!
أَسِفْتُ على ضمائر لم تُعَدْ نمًا
إذا مُسَّت بِعَرِّ الرِّيحِ تَنَكَّشَتْ:
ضمائرُ بعضها عريَّةٌ نَتَنَتْ،
وأفريقيَّةٌ بالسَّطِينِ تختلط...
فَرُخْتُ أجوب ذاكرتي أسائلها:
«أما فينا - حديقًا - سيِّدُ مَخْطَأ...
وهل عَقِمَتْ - على أَيْماننا - نُؤْلُ
ورثناها، فما نُجِبَتْ لنا حُلُط؟»
فلاخ «أمينُ كانوا» لي، فمن وجعي
بكيتُ وكم بكتُ «مالم»^(١) - أسَى - خَبِطُ:
«فمالم، كان في «كانو»^(٢) مُعْلَمَها
ومُعْلَمَها الذي يزهب به الوَسْطُ
زعيمُ القومِ إينثَارًا، وتضحيةً،
وبذلاً دائِبًا: يعطي ويغتبط!
قَدْ اسْتَوَحَى «التُّلاكاوا»^(٣)، فمَثَلُها،
وهمُ الآخرين تكسَبُ خَبِط...
كحدَّ الماس قد كانت بصيرته
وهم عُفَى، غشاء قلوبهم زَلَط!

(١) مالم: لقب أصبح رغم شيوعه في شمال نيجيريا كالملم على الحاج أمينو كانوا رحمه الله واللفظ، تحريف لكلمة «معلم».

(٢) كانوا: أو كنو أكبر المدن في شمال نيجيريا وأكثرها راديكالية سياسية وهي معقل الفقييد الذي ما كان ينافس فيه أحد.

(٣) تلاكوا: البسطاء الكلدحون بلغة الهوسا وكان «مالم» - المذائع القوي عن حقوقهم - كثير الترداد لهذه الكلمة.

تحدّى، لم يَخَفْ، مستعجراً شرساً
وما أثناه، في إقليمه، السَّخَطُ!!
ولما نبِلَتِ الحرَّيَّةُ اِزْتَفَعَتْ
عقيرته برأي قَلَمٍ يَبْطُ:
فلم يفهمهُ أهلُ الحكم - من عُقَدٍ -
شِمَالاً أو جنوباً: وَفَقَ ما اِزْتَهَطُوا
فقداد مَخالفوه الاتِّحَادَ إلى
شَفَا جُرْفٍ ... كذلك يصنع الشَّطَطُ!!
وجاء العسكر الحكام فامتخطو
ه، بين الاثْنَيْفِ القُضْبِ الَّتِي امْتَخَطُوا!
وقُلِّدَ سلطة الأرزاق حين جرت
بنيجريا سيول المال تنهَيط:
فلم يَزها غنيمته التي كسبت
يداه! فإِنَّمَا هُوَ خَادِمٌ نَشِط..
وسَيِّده هو الشَّعْبُ الَّذِي، أبداً،
يراه كما رأى أسنانه المُشْطُ..
فما اِثْرَى! وما آلَهَتْهُ عن مُثُلٍ
عَقارات، ولا دوز، ولا خِطَطُ!!
... ولم يَتَقاضَ يوماً نِسْبَةً مَنَوْدَ
يَةً لِيُجِيرَ عَقْدًا شَابَهُ رَقَطُ!
ولم يُنْفِقْ، لمتعته، النُّقُودَ على
شركة موبقاتٍ فرعها سَبِطُ!

فلَمَّا غابَر الكُرسِيَّ غابَره
 سَجَالَ لِلْعَلَا - بِالْحَقِّ! - مُفْتَرَطًا
 وظَلَّ عَلَى مِبَادِنِهِ يَجْسِدُهَا
 وينشُرُهَا، وبِالْمَعْرُوفِ يَنْبِسُهَا
 إِلَى أَنْ طَلَّتِ الْأَصْرَابُ ثَانِيَةً
 وَثَمَّةً حَزِيهَ الْجِسْرِيَّ مَنْخَرَطًا:
 يَنْاضِلُ لِلتَّلَاكَاوَا بِلَا كَلِيلٍ..
 لَكِي يَسْتَرْجِعُ الْحَقُّ الَّذِي غُمِطُوا!
 وَفِي التَّرْشِيحِ كَانَ «أَمِينٌ» فَارْسَهُم
 بِمَضْمَارِ الرِّئَاسَةِ سَاعِيًا يَخِطُّ:
 تَرْشَحُ لِلرِّئَاسَةِ كِي يَسْخَرُهَا
 لِمَجْتَمَعٍ تَكَادَ عَرَاهُ تَنْفَرَطًا!!
 فَنَاعِيَا الطَّعَنُ فِيهِ مَنَافَسِيهِ عَدَا
 تَجَنَّبَهُ الضَّرَائِبُ حَسْبَمَا لَغَطُوا..
 فَلَمَّا قُتِّشَ الْمَوْضُوعُ بِأَن لَّهُمْ
 أَمِينٌ الْقَوْمِ كَيْفَ يَلِي وَيَنْضَبِطُ:
 فَمِمَّا تُفْتَضِّلُ عَنْهُ الضَّرَائِبُ لَمْ
 يَكُنْ فِي مِلْكِهِ سَقَطٌ وَلَا لَقَطٌ..
 وَمَا مَلَكَتْ يَدَاهُ سِوَى ضَرُورَتِهِ،
 كَأَنِّي مِزَارِعٌ مَقْنٌ بِهِ ارْتَبَطُوا..
 فَلَمْ يَنْفَعِ عُشُّورًا فَوْقَ مَا دَفَعُوا،
 وَمَا هَضَمَ الْحَسَابَ، وَلَا قُمُو قَسَطُوا!

وما لم يرتهن ما لَمْ قَضَيْتَهُمْ
فكيف يَلْمُ أموالاً ولا تَقْطَعُ؟
بَيْخٍ!... لله أنت! فقد ضَرَيْتَ لَنَا
مثالاً يَحْتَنِيهِ الْعُرْبُ وَالنُّبَطُ:
قَتْلُ - وعليك رحمة ربنا - مِنَّا،
فقد الجَمْتُ نَفْسَكَ إِذْ كَفَفْتُكَ «قَطًّا»
ولو أَنَا تَمَثَّلْنَاكَ مَا ارْتَحَلْتُ
رُؤُوسَ الْحُكَمِ لِلْإِحْسَانِ تَخْتَبِطُ
ولا اسْتَبْقَى بِهِ - سَفْهًا - سياحتهم
هنا وزراء سَوِيٍّ دَابِهِمْ نُطَطُ..
يَحْوِزُونَ الْكِمَالِيَّاتِ فِي بَذْخٍ
وَمِيزَانِيَّةِ الْعَالِمِ تَنْضَغُطُ
مَضَى «مَالِمْ» وَلَمْ يَلْخِذْ بِمَسْلِكِهِمْ
وما اسْتَهْوَتْهُ أَسْفَارٌ وَلَا يُسْطُ..
وَمَاتَ أَمِينٌ كَانُوا زَاهِدًا وَرِعًا!
غِيَابُكَ - يَا أَمِينٌ - حُضُورٌ مَنْ سَقَطُوا!
وَلَكِنْ كَيْفَمَا غَضِبُوا أَوْ انْتَبَهُوا
فَلَيْسَ تَشَابَهُ الْأَمْثُولَةِ الْفُؤُوطُ:
لِئِنْ أَخْلَوْا بِيُوتِ الْمَالِ مِنْ عَرَضٍ
فَفِي «مَالِمْ» لَأَهْلٍ مَرْوِيَّةٍ قَسْرُطُ..
وَمِنْهُجِهِ سَيُنْصَرُّ! فَالرَّحِيمِ يَرَى،
وَيَنْشُرُ لُطْفَهُ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا!
انجمينا، في ١٦/٨/١٩٩٧م

١٨ - دَالٌ بَعْدَهَا نُقْطَةٌ

[المقدّار]

دَكْتُورَاهُ! يَا لِنُقْطَةٍ
حَيْثُ النَّاسُ مُشْتَغِلُونَ؛
فِيكَ الْبَعْضُ كَمِ غَالِي
سَعِيًّا... أَوْ قَبْلِ النُّقْطَةِ..
فَاحْتِزَّازُكَ أَفْرَادُ
فِي التَّصْنِيفِ هُمْ خَلْقُهُ؛
أَهْلُ الدَّالِ أَنْوَاعُ:
مِنْهُمْ نَافِعٌ زَهْطُهُ..
عِلْمًا فَفَوْقَ أَخْلَاقِ
أَعْلَى فِيهِمَا ضَرْبُهُ
لَا يَخْتَلُ فِي تَبِيهِ،
سَمِعُ، نَادِرُ السُّقْطَةِ
إِنْ أَفْتَى فَتَرْجِيحًا
كَانَ الْمُحْتَوَى شَرْطُهُ
لَمْ يَجْعَلْ «أَنَا عِنْدِي
فِي هَذَا ... لَهُ خُطُّهُ!!
وَالْإِنْ تَنَاجَى عَنْقُودُ
زَكَاةِ الْمُجْتَنِي خَرْطُهُ؛
... أَيْضًا مِنْهُمْ (مَسِيو)
عَنْقُ السُّعْنَقِ بِالرُّبُطَةِ

قالوا: «سَيِّدُا» ، قلنا:
 «تتلوها، هنا، قِشْطَةُ»^(١)
 أمّا الآية العظيمة
 فالغرور كالقِطْطِ...
 ملء النفس تعقيدُ
 والأخلاق من حطه
 حثي الاسم قد أمسى
 «دكتورا» بلا جِطْطِ!
 إنَّ حطط فسادي
 قد سقطت الشططه
 لوني ليت لم تذكر
 دالاً بعدها نُقْطْطِ...
 اضحى عاراً حثي
 دائي الموت بالجِطْطِ!
 لوصح حثي يوماً
 تاكم عنده الغلطه
 فهو العالم الأولي
 بالفتح والشَّنْطِطِ:
 لا تجرؤ فتستفهم
 عن امر قد اخْطْطِ!
 هل في العلم القبابُ
 قامت دونه شُرْطْطِ...
 فالزلفي لها حكر
 لكن لا لوزي ووططه؟

(١) سيد... قشطه: يدعى القرد بالعامية المصرية «سيد قشطه».

لا تحفل بتقييد
 إنَّ القيدَ ذو سخطه...
 إلّا في فرنسا إذ
 قيدُ أضحك البطة^(١)!
 ربُّ القيد - فلتدرك
 معنَى هذه الضَّفْطه -
 ليس العلمُ مرماةً
 أو ما فيه من غَبْطه:
 فالأبحاثُ أجراها
 في بحثٍ عن السَّلطه:
 ما زلتُه في الرُّؤيا
 أو في العلم من بَسْطه،
 فَهُوَ الآن في أفْئِقِ
 صنوِّ الصَّانعِ «الأُسْطه»...
 أو كالسَّارح الراعي
 أو بيَّادة الأُظْطه!
 هاديننا وإيَّاهم
 لا تُغييه «سَلْ تُفْطه»!
 فلنسألُه تخليصًا
 التَّيُّات من خُطْطه:
 إخلاصًا يقي المسقى
 - مهما تُمتحن - خَبْطه!
 انجمينا، في ٢٠٠٢/٨/١٥ م

(١) قيد أضحك البطة: إشارة إلى الدورية الفرنسية الساخرة «لو كانار انشيني» أي البطة المقيدة.

١٩ - لحق الرضیعة^(١)

(١)

[المتقارب]

كوابیس - أمسّت منّ الواقع الآن فینا - فطیعة:
ففي كلّ يوم تحوم الصّقور السّریعة^(٢) ...
تغطّي المذی؛ والطّرائد ...
نساء ترمّلنّ، أو أمنیات البنات الودیعة؛
ومستشفیات، وروضات طفل تغنّوا بحلّو القصائد ..
وما لقنوا أنّ من فوقهم شرٌّ صائد:
فلم یحتموا من زمان الفجیعة:
كما لم یفدّهم لجوءٌ إلى مجلس الأمن من بعد أدنى فوائد؛
فهل ثمّ من ملجأ یرتجى غیركم سنّة - في اعتقادٍ - وشیعة؟
كفاف المواند ...
عفاف الخرائد ...
مَصیرُ المجدّین في مصنعٍ للنّضائد ...

(١) (القيت في حفل التضامن مع شعب العراق الذي أقامته رابطة الطلبة التشاדיين خريجي العراق بانجمينا في مبنى وزارة الخارجية).

(٢) الصقور السريعة: طائرات «التحائف» التي تحلق فوق منطقة حظر الطيران بالعراق.

وَحَقَّ الرِّضِيْعَه ...

- عَلَى صَعْتِهَا - فِي حَلِيْبٍ وَبَعْضِ الْوَسَائِدِ ..

وَمَعْنَى مُصَلَّى وَحُزَاتٍ عِلْمٍ وَدِرٍ وَبِيْعَه ...

وَنَهْجٌ يَفِي بِأَنْدَحَارِ الْمَكَانِدِ ...

أَلَّا كُلَّ هَذَا سَيَبْقَى لِيَكُمُ وَبِيْعَه:

فَأَمَّا حَقِظْتُمْ - بَرِغَمِ الشَّدَائِدِ -

وَصَنَنْتُمْ، فَكُنْتُمْ - كَأَجْدَادِكُمْ - فِي الطَّلِيْعَةِ...

وَأَمَّا رَوَتْ عَنْكُمُ الْأَلْسُنُ الشَّامِتَاتُ الْحَدَائِدِ:

(تَخَلَّتْ قَرِيْشُ، فَذَلَّتْ رِبِيْعَه:

وَكَانَتْ قَرِيْشُ إِذْ مَا نَوَتْ نَصَرَ إِخْوَانِهَا مُسْتَطِيْعَه!)

(٢)

عَلَى بُعْدِ مِيلٍ مِنَ الْبَصْرَةِ الْيَوْمَ كَمْ مِنْ صَرِيْعَه ...

وَمَنْ يَأْسِرُ مَبْتَلًى يَشْتَكِي صَارِعِيْهَا إِلَى اللَّهِ! كَمْ مِنْ سُمِّيَّةٍ ...

تَعَانِي صَنُوفَ الْعَذَابِ الْمُرِيْعَه ...

وَلَمْ تَشْتَرِكْ فِي اخْتِيَاكِ وَلَا فِي وَقِيْعَه،

كَمَا أَنَّهَا لَمْ تَبَايِعْ أُمِيَّةً ...

وَلَمْ تَذْعُ يَوْمًا إِلَى غَيْرِهِمْ: لَمْ تَكُنْ فَاطِمِيَّةً ...

وَلَمْ تَتَّخِذْ مِنْ أَبِي مُسْلِمٍ مَرْشِدًا. لَمْ تَصِرْ ذَاتَ يَوْمٍ صَنِيعَه،

وَلَكِنَّهَا اسْتَهْدَفَتْهَا الصَّقُورُ الَّتِي أَطْلَقَتْهَا الْحَمِيَّةُ!

وَمِنْ هَؤُلَاءِ السَّمِيَّاتِ، مَنْ بَيَّنَّهْنُ، انْتَبَرَتْ فِي أَنْفِعَالٍ سَمِيَّةٍ ...

بِفَحْوَى مَقَالٍ وَنَجْوَى سَوَالٍ مُحَالٍ إِلَى إِخْوَةِ السَّالْمِيَّةِ:

(إِسْقَانَا مِنْذَ مَا قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ النُّفُطُ أَوْ أَنْ تُضَيِّعَهُ ...

وَقَبْلَ اخْتِرَاعِ الْوَزَى طَائِرَاتٍ عَلَى حَامِلَاتٍ مِنْيَعِهِ! ...

وَلِإِخْوَانِنَا بَعْدَ مَا قَدْ تَرَى خُرْدَةً فِي مَهَاوِ وَضِيْعِهِ! ...

بَنِي أَمَّنَا مَا رَوَى الدَّهْرُ: «يَا دَارَ مَيْه...»!

هَبُوا الْحَاكِمَ الْفَرْدَ ضَلَّتْ بِهِ الْحَاكِمِيَّةَ.

فَهَلْ لَانْتِقَامٍ مِنَ الْحَاكِمِ الْفَرْدِ تُكْفَى الْغَرَى الْأَدَمِيَّةُ؟

وَهَلْ هُوَجَةُ الرِّيحِ فِي قَسْوَةِ مَرَّةٍ حِجَّةٌ لِأَغْتِيَالِ الطَّبِيعَةِ...

وَتَبْخِيسِ كُلِّ الْمَعَانِي الرَّفِيعَةِ؟

مَجَافٍ لِفَطْرِيَّةِ الْعَدْلِ وَادِ الْوَلَاتِذْ،

وَلَيْلِ اجْتِرَارِ التَّشْفِي سِوَى طَوِطَمِيَّةٍ! ...

كَشَانُ الْحَدِيثِ الَّذِي رَدَّتْهُ الْمَنْيَعَةُ...

مِرَارًا عَنْ الْمُلْهَمِ الْمُفْتَدَى وَالْجُمُوعِ السَّمِيعَةِ...

أَوْ الْمَجْلَسِ الْمُضْلَتِ الْحَظَرَ عَنْ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ مِنْ كَلَامِ الْجِرَانِدِ:

فَشَرْعِيَّةُ الْمَجْلِسِ الْفُظْ إِمَّا عَرَّتْهَا غَمِيَّةٌ...

وَأَمَّا اغْتَرَّتْهَا بِقَايَا جَنُوحٍ إِلَى أَكْلِ لَحْمِ الْإِنْسَانِيِّ بَانِدًا!

فِيَا أَيُّهَا الْمُبْصُرُونَ الَّذِينَ اسْتَشْفَوْا الْخَدِيعَةَ...

خَيَومًا بَدَتْ عَنكَبُوتِيَّةٌ مِنْ وَرَاءِ الدَّرِيعَةِ...

وَخَلْفَ الَّذِي يُدْعَى مِنْ عَقَانِدِ:

إِذَا مَا أَنْعَقْتُمْ، لَدَى الْاسْتِجَابَاتِ، مِنْ عَقْدَةِ الْمَوْسِمِيَّةِ...

فَقَدْ تَوَقَّفُونَ الدَّمُوعَ الَّتِي تَغْرِقُ الْأَعْظَمِيَّةَ!!

ويا مَنْ رَأَوْا أَمْنَهُمْ فِي مَوَالِدَةٍ مَنْ لَا يُوَالِي الشَّرِيعَةَ ...

مِنْ الطَّغْمَةِ الْأَعْجَمِيَّةِ:

إِذَا خَانَتْ رَأْمَ شَيْطَانَةٍ بَغِيَّةٍ الْأَمْنِ يَوْمًا ضَجِيعَهُ ...

عَلَى شِرْعَةٍ قَمَقَمِيَّةٍ ...

فَمَا رَأْمَ أَمْنًا إِنْ لَوْ تَقَصَّى وَلَا لَذَّةً، بَلْ سَرَابًا بَقِيْعَهُ ...

وَيَا عِ الْقَضَايَا بَلَا أَيْ عَائِد!

فَعُودُوا - هُبَيْتُمْ! - إِلَى سَكَّةٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَانِدُ

وَأَنْتَهُوا الْقَطِيعَةَ!!

انجمينا، في ١٦/١/٢٠٠٠م

٢٠ - خَلْفُ الصَّحَابَةِ!

[الكامل]

أَتُرَى الزَّمَانُ وَعَى الحَوَاثِ امْ غَفَا
فَرَأَى الزَّوَامِرَ قَرْنَ أَفْضَلِ مُصْطَفَى..
يَتَسَابِقُونَ إِلَى الْفِدَا بِنَفُوسِهِمْ
فَسَهَا وَسَطَّرَ شَانِهِمْ مَتْلَهْفَا..
فَحَسِبَتْهُمْ فِتْنَةً مُعَاَصِرَةٌ قَفَّتْ
خُطُواتُ مَنْ رَسَمُوا الطَّرِيقَ لِيُقْتَفَى..
وَطَفَقَتْ تَعْجِبُ مِنْ فَلَاحِ شَيْبَةٍ
تَبْعُوا الْوُجُوهَ عَلَى الصَّرَاطِ.. وَهَمَّ قَفَا؟
فَلِشِدْ مَا بَعْدَتْ ظَنُونُكَ نَجْعَةً
بِكَ أَنْ تَرَى خَلْفَ الصَّحَابَةِ خُلَفَا!
أَتَجُودُ، بَعْدُ، بِمِثْلِهِمْ فَتَرَاتُنَا؟
تَرِيتَ يَدَاكَ! دِعِ التَّمَنِّي، قُلْ: «كُفَى!»
وَهُمَ الزَّمَانُ! فَكَذَّبَ الْحُلُمَ الَّذِي
حَفِظْتَ صَحَائِفَهُ الْفِدَاةُ تَعْسُفَا!
قَسَمًا لَقَدْ صَدَقَ الزَّمَانُ! وَمَا حَكَى
قِصَصَ الْبَطُولَةِ لِحِظَةٍ مُتَكَلِّفَا!
وَلِنَنْ رَمَقَتْ صَفُوفَ إِخْوَةِ «سَيِّدٍ»
لِحَضْرَتِ سَاعَةِ جَيْشِ أَحْمَدِ أَوْ جِفَا..

وسمعت قول: «بيح بيح!» وتشهدًا،
 وشهدت هرولة تذكرك الصفا..
 فشهدت، ثم، على الصحائف أنها
 كتمتك من نبي القبيل مشرفًا!
 ولعلها خشيئت عليك تنذما،
 وعلى عيونك أن تعود فتدرفا:
 فلرب منقطر فؤاده رقة،
 ونجى معركة يموت تأسفا!
 ولاخسر العبرات ما سلب الجنى
 بصر الرابط والثغور على شفا!
 فصن المدامع: إن هذه ثلة
 يرث الثراب جنودها ليريفا..
 ويساق من لقي الشهادة منهمو
 متضمخا جهة الجنان مضيفا..
 فتري مفتحة لهم غرفائها
 وتقول: «هيئت لكم جناي» تلطفًا
 ثكلتك أمك إن تركت سبيلهم
 وسلكت من طرُق الضلالة مدلفا:
 فلأي وسوسة تراك مجانبًا
 اثر الذي تبع «المعالم» واكتفى:
 كسب النهار مباركًا، فإذا مضى
 سجد الليالي راجيًا متخوفًا:

ويعودُ في ثبج الأحبة قاهرًا
 حَيْلُ العِدا: متحيزًا، متحرِّفًا؛
 فيواصلون، وفي الإله تواصلوا
 سُبُلُ السَّلام مضتْ لَتَنْصُرَ مصحفًا؛
 ويكْبُرُونَ.. فكم تصاغرتِ الدُّنَا!
 ويهلِّلون .. فهل ترى وثنا نَفَى؟
 .. وَلَكُمْ تَلَوُا! فإذا السَّكينة أُنزِلَتْ
 نكر المهيمنُ حزبه المتزلِّفا..
 فإذا دعا الثَّقَلَيْنِ رُبُّهُما وقد
 سعد الدُّعاة بِشارةً وتَشوُّفًا..
 هتف العانِد: «وي كائنُ صنيعنا
 أثرُ تقادِم! وي كائنه قد عَفَا!»
 صدق الرُّسول! وفرقة الجبروت لن
 تدع العناد قُبَيْل ذلك موقفًا
 فهلُمَّ خندقك السُّعَدَ على تَفَى
 وليدفعِ أمر الهدى أن يَفْصِفا
 مع فتية قَدَرُوا المهيمن قُنْثره:
 وبذاك ما اتَّخذوا الوسيلة زخرفًا
 فعساك تُمْنَجُ - لا أبا لك - وبهم
 فتزور كوثر مَنْ دعاك لتعرفا
 خسئَ المخالفُ إذ يعارض امرؤُ
 ويسرومُ يدخل دين ربك متحفًا!

فمحمَّدُ علانًا دعباك لما مَعَا
 شَكَ دونَه اِبْسَدًا يَظَلُّ مَزِينًا..
 أَتُراكَ مستمعًا نَداءَهُ تَابِعًا
 فَنَّةُ الدَّعَاةِ؟ بِهِم، إِنَّنِ، تَتَشَرَّفُنا!
 فَمَنْ المَجْدُّ للرَّسالةِ بَيرَقًا
 خَلِقَتْ سِوَى نَفَرِ الهَدْيِ لِتَرَفَرُفا؟
 متَكَاتِفِينَ عَلى الخَوائِبِ فِطْرَةً،
 متَأَلِّفِينَ سَليقَةً وَتَثَقُّفا..
 متَحالِفِينَ عَلى الكِتابِ، فلم يُرَوِّا
 متَجانِفِينَ لِمَا يَريبُ تَجَنُّفا!
 بِهِم التَّقَنَمُ لِلبِلادِ وأَهلِها،
 فَلِمَ التَّأخُّرُ والنُّكُوضُ كَمَنْ جَفا؟
 أَوَ بَعْدَ ما حَكَمَ العَزيزُ بَعزَّهُم؟
 تَعَسَ المُفضَّلُ أَن يَظَلُّ مَزَعِنُفا!!
 سَجن كَوبِر «السَّجَن العَومِي بِالخَرمِوم بِحَري» ١٩٧٦م

٢١- فديت العيون^(١)

[للتقارب]

«ثوانٍ» .. ومدّت إلى الهاتفِ
يبدأ بضّة، قلتُ: «بل سَوْفِي!
سأبقى شهوذاً هنا كلما
حبابي زماني بعذرٍ يفي:
فما كان يُثلي قدومي سوى
محيّاكِ هذا!.. ألم تعرفي!»
وكم لوحةٍ شئتُ النَّاسَ مِنْ
بيارتِنانتِ إلى المتحفِ
وتلك اضطرناغٍ وهذي نَمِ
ودوّج أضواءُ مستكشف
وعينان ما فيهما جنّتي
فقط بل وناري وما قد خفي!
حنانيك يا فتنتي لومي
بيئاً: فهُتِك ذا متلفي
وإنّسي ضعيفاً أمامَ لها
فلانقتليني جزافاً!.. قفي!
قلّتِ الشُّكاوى بإهمالها
فكان اختكامي، فلم أنصف

(١) (طلبت إليّ وظيفة الاستقبال الجميلة المهذبة أن اجلس، ثم رفعت سماعة الهاتف كي تتصل بالأستاذ لتبلغه بوصولي، مخاطبة إياي أثناء ذلك: «ثواني فقط، وسامحنا يا أستاذ»

فِيَمَنْتُ حَسَنًا عَلِيًّا - طغى
يريد الوفى - رافعاً مصحفى
وسَلَّمْتُ أَمْرِي لِعَيْنِيكَ، لَا
نَجَتْ مِنْهُمَا عَيْنٌ مُسْتَعْطِفًا!
فَدَيْتُ الْعَيُونََ الْمَرَضَ الَّتِي
تُعْنَى فِؤَادِي، وَلَا تَكْتَفِي
وَرِغْمَ الْعَنَاءِ التَّزَمْتُ الْهَوَى:
شَبَابِي مَعِينِي عَلَى مَوْقِفِي!
وَأِنَّ الصَّبَا - لَوْ نَعَى! - لِحَظَّةٍ
سَرِيحًا - كَمُرُ الصَّبَا - تَنْطَفِي
وَتَبْقَى لَنَا ذَكَرِيَا، فَهَلْ
تَرْمِيْنَهَا مُرَّةَ الْمُرْشَفِ؟
دَعِينَا لِقَيْشِ الصَّبَا بِهَجَةٍ
مَعًا، لَا تَصِدِّي وَتَسْتَنْكِفِي!
طرابلس ١٩٧٤م

٢٢ - تفوقوا

[الكامل]

زَيْنَ الشَّيْبَابِ نَجَابَةٌ وَتَفُوقًا
يَا مَنْ قَلَّوْا عِبْدًا أَعْلَاقَ وَعُوقًا:
جيد النِّجَاحِ زَهَا بِكُمْ وَتَطُوقًا!

بشبيبةٍ، وَفُئِمُ النُّجُومِ، تَأَلَّقُوا
بِذَاوِ الصُّعُودِ مِنَ السَّحَابِ وَحَلَّقُوا
وَالْقَلْبَ ثَمَّتْ بِالْعَطَاءِ مَعْلُوقُ:
لَا خَامِلٌ مَعَهُمْ وَلَا مَتَسَلِّقُ
هِمِّ مَآثِرِهَا الْأَصَالَةِ مَطْلُوقُ
وَلِذَلِكَ اجْتَنِبُوا الدَّخِيلَ وَطَلَّقُوا
إِنَّ الْهُوْيَةَ لَا تُنَالُ تَسْوِيقًا!

بِبِلَابِنَا انْتَفَضِ الْأَصِيلَ تَمَرُّدًا
لَمَّا أُرِيدَ لَهَا التَّفَرُّجُ مَوْفُودًا:
أَبَتْ الْخُضُوعَ، وَقَاوَمَتْ لَتَغَرُّدًا
عَرَبِيَّةَ لُغَةٍ، فَاعْجَزَتْ الرُّدَى!
لَمْ يُلَقَ، قَطُّ، شَبَابُهَا مَتَشَرِّدًا
بَلْ ظَلَّ مَمْتَلًى الْقُلُوبِ تَجَرُّدًا
وَلِجَذْلِ كُلِّ جَهْوَةٍ مَتَشَوِّقًا!

فتفوّقوا... وإلى الأمام تقدّموا
وإذا تكاثرتِ السّدودُ فهذّموا:
مَهْرُ الْعَلَا عَرَقٌ تَدْفَقُ أَوْ نَمُ
لا تبخلوا بهما القِدَاةُ فتنبهوا
يُبْنَى بِكُمْ وَطَنٌ وَيُنْقَذُ مَعْدَمُ!
فتفوّقوا ... لتعمّقوا ... ولتخدموا:
نُصِرَ الْمُؤْصَلُ حَيْثُ عَالَجَ أَوْ وَقَى!
انجمينا، ٢١/١٢/٢٠٠١م

٢٣ - كيد الفرنجة^(١)

[البسيط]

الغيثُ يوسِّعُ رمل (أَمْ كَامِلٍ)^(٢) بللا
في كُلِّ موسمٍ خصيبٍ، كُلَّمَا انْهَمَلَا
يَنْثَالُ مِنْهُمْ زُجْجًا بِالسَّمْعِ يَمْطُرُهُ
كي لا يَجِفُّ دَمٌ فِي عَمَقِهِ أَوْ تَحَلَا
قَدْ رَمَلْنَاهُ يَدَ الْمُسْتَعْمَرِينَ بِهِ
وَالدُّارُ رَمَلَهَا أَنَّ الْمَسِيدَ^(٣) خَلَا...
مِنْ ظَاهِرِينَ نَقَاةٍ، كُلُّهُمْ عَلِمَ
بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ الْعَالِي رَسَا وَعَلَا..
تَاقُوا إِلَى الْمَلَا الْأَعْلَى مَجَاوِزَةً
وَاسْتَصَحَبُوا سِفَتَيْنِ: الْوَجْدَ وَالْوَجَلَا!
نَحْوَ السَّمَاءِ سَقَوْا، رَاجِينَ رَافِعَهَا
مَرْقَى بِمَغْفَرَةٍ تَكْفِيهِمُ السُّبُلَا!
(بِأَمٍّ) كَامِلٍ تَرَكْتَ تِلْكَ الدَّمَاءِ ثَرَى
- سَالَتْ عَلَيْهِ خَمِيسَ الْمَرْتَقَى^(٤) - خَضِلَا..
بَيْنَنَا هُنَاكَ غَدَتِ مَسْكَاً، وَمَصْدَرَهَا
فِي جَنَّةٍ تَخْجِنُوا فَرْدُوسَهَا نُزُلَا:

(١) الغيت بمناسبة الذكرى الثالثة والستين لمنحة «الكيب» في الاحتفال الذي أقامه النادي الثقافي الشعبي التضادي تحدياً لها بمشاركة اتحاد الجمعيات النسائية التضادية الناطقة باللغة العربية واتحاد شباب المستقبل مساء ٢٠٠٠/١١/١٥ بمقر النادي وذلك في إطار التهيئة لأجل المؤتمر الجامع الأول حول وضع اللغة العربية في تشاد... وروجعت القصيدة فأدخل فيها شيء من التعديل في ٢٠٠١/٨/٢١م.

(٢) أم كامل: وينطق بهمة وصل: وإد في ابتشة على شفته قتل شهيد الكيب وفيه دظنوا رحمهم الله تعالى.

(٣) المسيد: وفيها لغتان أخريان: المسيك، والسيك: الكتاب أو الخلوة حيث يدرس التلاميذ القرآن ولعلها محرفة عن المسجد.

(٤) خميس المرتقى: كانت المنحة يوم الخميس ١٩٩٧/١١/١٥م.

قد شارفتِ جِجَا تسعين مذ سَفَكَتْ
 فَاسْتَنْجَزَتْ عِدَّةً ... واستوقدت مُثْلًا..
 ما جرُّ كُكْبِك «جِيرَار»^(١) جرائره
 إِلَّا لِيُطْفِنَهَا فِيهِمْ فَتَنْخِذْ!
 لَكِنَّا حَفَرَتْ مِنْ بَعْدِهِمْ هِمًّا
 مَا سَقَهْتَهُ فَقَطْ بَلْ زَادَتْ الشُّعْلَا
 حَتَّمُ الْمَصْرَمِ^(٢)، شَهْرَ اللَّهِ، كَانَ لَهُمْ
 خَتَمًا، تَبَارَكَ مَوْلَى قَسْرِ الْأَجَلَا:
 حَضُّدًا تَلَا دَوْرَةَ الْعَامِ الَّذِي بَدَأُوا:
 فِي سَنَةٍ وَثَلَاثِينَ الْحَصَادِ غَلَا!
 كَانُوا الْكَوَاكِبِ فِي أَيْشَةٍ اجْتَمَعَتْ
 أَنْوَارُهُمْ لَمَعَتْ، لَمْ تَعْرِفِ الْمَلَا
 لَوْ جُودِلُوا فَكَمَا قَدْ جُودِلَتْ رَسْلُ
 وَالنَّاسُ أَكْثَرُ شَيْءٍ فِي الدُّنَا جَدَلَا!
 فِيهِمْ أَنْمَتْنَاهَا دِينًا بِمَا رُجِمُوا
 لَيْنًا، وَأَوْحَدَهُمْ قَنًا إِذَا هَدَلَا:
 يَبْكِي لِإِيَالِي سُلْطَانِ^(٣) مَضَى فَمَضَتْ
 حِينًا، وَيَنْشُدُ بِرَقَاوِيَّةٍ غَزَلَا...

(١) كُكْبِك جِيرَار: الكُكْبِك أو الماطور هو الأداة التي استُخدمت في المنبجة وجيرار هو الضابط الفرنسي الذي أمر بها.
 (٢) ختم المحرم: ٣٠ صفر ١٢٢٦هـ هو على الأرجح تاريخ المنبجة، قصيدة «الرمي» تجعله بحساب الجمل يوم ٢٧ محرم
 ولكن يوم ٢٧ محرم من ذلك العام يصادف يوم الإثنين كما أنه لا يوافق ١١/١٥، الذي جاءت به الوثائق الرسمية
 والخطأ في حساب أيام الشهر الهجري أقرب منه في أيام الشهر الإفرنجي مع تأريخه بالقمرية؛ فافتراض الخطأ
 في الأخير أقرب أما إذا أريد تحديد اليوم من أيام الأسبوع التاريخ الإفرنجي فإنه يكون من القوة بحيث لا يقاوم.
 (٣) إِيَالِي سلطان. برقاوية. دولا ب الزمان: إشارة إلى أبيات من مطولة الشهيد/ عبد الحق المنوسي الرائعة
 المعروفة باسم النونية الكبرى.

أو شائياً - بئسى - يرثي معلمه
 حينئذ، فيلهج^(١) بالنبراس مُنفَعلاً
 يا شاعرَ الزَّمنِ القاسي وسابقه:
 طالت بنا حقْبُ نسترفد الأمل...
 راجين - مثلك - دُولَ الزَّمانِ عسى
 يأتني بهم - ويكم! - لكنَّه مطلاً!
 للغير ما ارتهنوا، رُئوا وما وهنوا
 في الخير، وامتنهوا ما يبعث الدُّولاً:
 مِنْ بعدهم لُغَةُ الضَّادِ الَّتِي عَهَدُوا
 لم يُقَسِّ معيها نِشْيَا ولا طُللاً...
 بل ظلَّ يكلُّ في الأجيال ذاكِرةً:
 إِنَّ اللِّسَانَ هُوَ الْإِنْسَانُ مُخْتزلاً!
 إِنَّ عُوضَتَ بَأْخِرِي كِلِيَّةٌ مَرَضَتْ
 فالذَّاتُ ممتنعٌ تعويضها بِكِلِي!
 ليس الوجودُ سوى ذاتٍ مُوطَّنةٍ
 تُثَرِّي أصالتها، لم تُلْتَمَسْ بَدلاً...
 مِنْ غيرها تنوَّخِي خَيْرَ ما اخترعوا
 أمَّا الهيام بكلِّ الأجنبِي، فلا!!
 إنَّا - كما احتضن الحاسوبُ حاضِرنا -
 نَهْوِي النَّفِيرَ وحفظَ اللُّوحِ^(٢) وَالْكَوْلَا:

(١) فيلهج بالنبراس: إشارة إلى سينية الشهيد/ عبد الحق السنوسي في رثاء شيخه/ محمد النبراس.

(٢) النمير: قيام الجماعة بمساعدة فرد أو أسرة في عمل يخصهم كحرت أو حصاد وبناء بيت... إلخ. حفظ اللوح: استظهار القرآن عن طريق كتابته على ألواح خشبية وترديده. الكول: اقراص تصنع من أوراق نبات يحمل نفس الاسم بعد تخميرها ثم تستعمل في الإداء ولها طعم ورائحة مميزتان وفائدة غذائية كبيرة.

فِي النَّفْسِ لَا عَقْدٌ، وَالْقَلْبُ مُتَّحِدٌ،
 مِنْ «كَوْلَخ» «فَنَوَابِيه»^(١) إِلَى «كَسَلَا»،
 إِذْ قَبْلُ أَنْ يَفْقِدَ التَّنْمِيطَ عَوْلَةً
 مَا كَانَ عَالِمٌ عَبْدَ الْحَقِّ مُنْعَزِلًا...
 لَا مِنْ سَوَاهٍ، وَلَا مِنْ أَمْرِ مُجْتَمِعٍ
 حَاشَى!... وَلَمْ يَرِ شَأْنَ الْعَيْشِ مُبْتَدِّلًا؛
 لِلوَحْدَةِ انْفِرَسَتْ فِيهِمْ - وَمَنْنَذٍ
 فِينَا - مَغَالِبَةُ الْوَيْشَوَاسِ لَوْ فَعَلَا:
 فَعُلُ الْوَسَاوِسِ فَعَلَ السَّوَسِ مُنْتَهَكًا
 مَعْنَى الْإِخْوَةِ فِي «أَبْدِي»^(٢) وَ«دَارِ سَلَا»..
 فَعَلَ التَّسَانِسُ بِالْأَمْسِ الَّذِي اصْطَنَعَتْ
 فِيهِ الْفَرِجَةُ قَبْلَ الْكَيْكَبِ الْخَلَلَا!
 كَمْ هَيَّجَتْ إِبِلُ «أَبْدِي» بِمَهْلِكِهَا!
 وَالْمَعْتَدِي مَرَضٌ قَدْ سَقُمَ الْإِبِلَا
 الشُّكُّ مَقْتَلْنَا ظِلُّ شُكِّ أَخٍ
 فِي إِخْوَةٍ مُحَضَّوهِ الْوَدِّ مُتَّصِلَا
 لَكِنْ أَلَيْسَ نَرَى جَنْدًا وَقَاعِدَةً
 أُخْرَى بِذَلِكَ؟ تَجِيبُ الطَّائِرَاتُ: «بَلَى!»
 الْفَنَانِ حَوْلَهُمَا أَلْفُ يَكِيدِهِمَا
 هَلْ مُؤْمِنَانِ هُمَا حَقًّا إِذَا اقْتَتَلَا؟

(١) كَوْلَخ: المدينة المعروفة في السنغال؛ نوَابِيه: المدينة الموريتانية المشهورة؛ كَسَلَا: المدينة المعروفة في شرق جمهورية السودان.

(٢) أبدي: بلدة في شرق تشاد؛ دار سَلَا: إقليم في شرق تشاد... وكان قد حدث فيهما سوء تفاهم بين البدو والسكان نتيجة تفوق إبل البدو بكميات كبيرة وشك هؤلاء في أن السكان يقومون بتسميمها ثم تبين بعد حدوث مصادمات أن السبب يعود إلى عنوى وبائية أثبت التحليل المعمل في «فرشاه» وجودها.

إِنْ كَانَ مِنْ أَرْبٍ فِي الْاِخْتِرَابِ لَنَا
فَلْنُجَلِّ مَنْ زَعَمُوا أَنَّ الْغَدَّ جَلَا!
... وَلْنُعَلِّ مَنْ لَفَ رَسْمِيَّةٌ زُعِمَتْ
حَتَّى تَعُودَ غَدًا رَسْمِيَّةً عَمَلًا!
... مَنْ وَاقِعَ قَلْبِي هَيَّا إِلَى الْقِي:
فَالسَّعْيُ مَغْبِرُنَا مَا بَيْنَ «مَنْ» وَ«إِلَى»!
إِذْ ذَاكَ تَحْتَفِلُ الْأَرْوَاحُ فِي فَرْحٍ:
«مَرْحَى!.. فَثَارِ ضَحَايَا الْكِبْكَبِ اكْتِمَلًا..
كَيْدِ الْفَرْنَجَةِ شَهْرِ النَّوْنِ، مُنْتَصَفًا،
مِنْ عَامِ سَبْعَةِ عَشَرَ الْآنَ قَدْ بَطَلَا!!»
انجمينا، في ٥/١١/٢٠٠٠م

٢٤ - كرفي

[المقارب]

أَشْهَدُ مُصَفَّى رَقِيقُ يَسِيلُ؟
أَمْ الدُّرُّ إِذْ يَشْتَهِيهِ الْفَصِيلُ؟
أَمْ الرِّيقُ: رِيقَ الْتِي لَمْ تَنْوَلْ
مُحِبًّا غَلِيلًا، فُجُنُّ الْغَلِيلِ؟
أَلَا مَا حَلَا لَيْسَ هَذَا وَلَا ذَا
كَ، بَلْ مَا وَادٍ جَرَى سَلْسَبِيلُ:
مِيَاهُ الْأَزُومِ^(١) تَجْرِي بِكَرْفِي:
فَتَسْقِي بَلِيًّا قَدَاءَ الْخُذِيلِ،
وَتُحْبِوهُ مِنْ سُكَّرِ ذَابٍ فِيهَا،
وَمُثَا حَبَاهَا دَعَاشُ بَنُوْل..
فَنَشَا نَكْهَةً خُلُوَّةً مَا لَهَا فِي
سِوَى هَذِهِ الْأَرْضِ - حَصْرًا - مِثْلُ:
رَعَى اللَّهُ أَزُومًا! كَمْ مِنْ فَنُونٍ
بِشَطْلَانِهِ الْخُضْرِ لَيْسَتْ تُحَوَّلُ:
شَدَى - كَالْخَزَامَى - لَطِيفٌ، وَحَسَنُ
بَدَا فِي خَزَامِيَّةٍ^(٢) يَسْتَمِيلُ،

(١) أزوم: واد عريض يجري من السودان عابراً شرق تشاد إلى جنوبها الشرقي، كرفي، وتنتطق بكاف مفتوحة وراء ساكنة مرفقة وفاء مكسورة: قرية ذات سوق كبير وإنتاج زراعي وفير ومناظر طبيعية خلابة ومراع ممتدة وهي ملتقى مهم للبدو والحضر تقع على ضفاف أزوم وتتبع إدارياً لإقليم دار سلا وترتبط سكانياً أيضاً بإقليم سلامات وهي حاضرة قبيلة دقل.

(٢) خزامية: فتاة تنتمي إلى قبيلة خزام وهي قبيلة عربية معروفة في تشاد وهي عدة دول عربية أخرى.

وريّف وريّف، ونوّز طريّف
 ومرعى عطوف، وصيدّ يجول،
 وقندول عيش^(١) طريّ ينادي
 إذا نقته: «لا يُملّ الليل»
 ومنّ تحته قامّة في فصوص
 لنيدّ سدى لبها، تستطيل
 ويغدو الأهالي لجني نهازا
 وعند اللّياالي تُدقّ الطُّبول:
 تَلِمُ القُرَى قرب أهل البوادي
 فتتهزّ - قبل الشّباب - الكهول
 وتُسقى لدى البدو مشروب خضب
 يصون الحجا، أين منه الكحول؟
 بلادي جلال، وسحر حلال
 وماء زلال، وطرف كحيل
 هي الرُّمُز عندي، ومعنى المعاني:
 غنى في سخاء، وفقْر نبيل
 وفيها نعيم (ولي منه ريم!) ،
 وشعب كريم، وحظّ بخيل
 وما قد حوّث أرضها - من مهاها
 إلى قريّها - في عيوني جميل:
 فعشقي قراها كعشقي الصحاري:
 مقيم، ولا يعتريه النُّبُول،

(١) قندول عيش: القندول هو السنبلة والعيش هو الذرة عند أهل في الريف والبادية التشاديين وفي السودان أيضاً.

علا عن أنانيّة، فسهُوَ عندي
 لأهل القربابات، طرّاً، ميول:
 فإنْ يَغْلُ «شاري» بقلبي مكاناً،
 ففي القلب، أيضاً، فراتٌ ونيل!!
 لحبّي بلادي سأسخو دوائاً
 بجهدي وفكري وما قد أقول...
 فما العمرُ إلّا جناحاً! ففيها
 تُزى كالثّواني، وتُعطى، الفصول!
 وإعجاز ابتِشّة^(١) المفتدي - في
 رفاقي - ثراها أمامي ليل...
 ويونوا لذي خطُ برنامجاً من
 نقاطِ ثمانٍ إليها نُؤول:
 فنقفو جلاءً، ونرضى ابتِلاءً
 - ولاء - إلى أن يُتاج الوصول
 ... وإلّا فكالباقلانيّ تمضي
 فداءً، فقد مهدّ الدُرب جيل:
 بكنجي وكرفي وأوزو وملفي
 وبالألا^(٢)... وصفٌ، توالى، طویل:
 وإنسي - ومثلي جموعُ تنامت -
 دعاني، فلُبُّيتُ، ذاك الرّعیل...
 ولمّا انتفضنا تداعت صرّوحُ
 بإفريقيّا، نُثمّ فرّت فلول!

(١) ابتشّة: هو الشهيد إبراهيم ابتشّة ١٩٣٨ - ١٩٧٨ م: يونو: هو الطبيب والسياسي التشادي الذي اغتيل في فرنسا عام ١٩٧٣ وكان من قادة الاتحاد الوطني التشادي وثا الأثر الأقوى في صياغة برنامج هذا الحزب ينقاطه الثماني والذي أصبح فيما بعد برنامج فرولينّا السياسي كما أصبح الحزب نواتها رغم أن يونو لم يلتحق بها: الباقلاني: الزعيم الثوري التشادي الذي توفي في حادث مرور بليبيا في مارس ١٩٧٧ م. وقد كان من أبرز مؤسسي فرولينّا... رحم الله الجميع.
 (٢) كنجي وأوزو وملفي وبالا: بلدات في غرب تشاد وشماليها ووسطها وجنوبها على التوالي.

وإِنَّا عَلَى الْعَهْدِ حُبًّا وَصِدْقًا
 مع الأهل: هُوتو وَتُتْسِي وَزُولو^(١)،
 ويزكو التَّأْخِي مع الشُّرْقِي فِينَا:
 نَوو الضَّاد هَم قَوْمَنَا وَالْقَبِيل،
 إِذَا عُدُّ مَنْ يَصْطَفِيهِمْ عَمِيلًا،
 فَإِنِّي إِنَّنْ، بُون شَكَّ، عَمِيل!
 وَإِيثَارْ هَم لَيْسَ أَمْرًا مُحَالًا:
 وَدَادِي فَرْنَسَا هُوَ الْمُسْتَحِيل!
 أَحَاكِي هَوَاهَا لَدِينَا أَنْسَا؟
 مع المعتدي هل تَمَافِي قَتِيل؟
 وَكَمْ قَدْ - عَدَّتْ - مِنْذْ كَانَتْ فَسَادَتْ -
 عَلَى أَمْسِنَا الْحَرَّ شَرًّا يَصُول!
 فَائْشِرَارْهَا لَا يَحْبُون فِينَا
 مُضِيًّا عَلَى مَا أَفْتَضَتْهُ الْعَقُول!
 هُمُ اسْتَعْمَرُونَا فَعَانُوا فَسَادًا
 كَمَا عَاتَ وَسْطَ الْبِسَاتِينَ فِيل!
 مع المعتدين التَّعَاطِي حَرَامٌ،
 وَأَمَّا التَّمَافِي فَدَاءٌ وَيَزِيل،
 مَوَالِيَهُمْ كَأَحْتِضَانِ الْأَفَاعِي!
 وَتَمْدِينُهُمْ شَانِعَاتٌ تَهُول:
 فَهَلْ نَالِ أَجْدَانُنَا غَيْرَ حَرٍّ؟
 وَهَلْ أَحْسَنْتَ غَيْرَ ذَلِكَ النَّصُول؟

(١) هُوتو وَتُتْسِي: القبيلتان المعروفتان اللتان تقطن أغلبيتاهما في رواندا وبوروندي؛ زُولو: القبيلة الكبيرة التي تسكن بالذات في إقليم النقاتل وكذلك بعض الأقاليم جنوب إفريقيا الأخرى.

وإنني - مع المستقلِّين فكراً -
لماضٍ أَعْرِي، فما استَقِيلُ:
ولا شأنٌ لي بالثُّمَى حين قالت:
«إذا الحالُ حالت ومالت فمِيلُوا»
إن استهدفتُنِّي مسوِّخُ النُّصَايِ
فحسبي إلهي، ونِعَمَ الوَكِيلُ!
ستبقى بلادي رُؤى في قوادي،
وَيَفَنَى الأعادي، وَيُجَلَّى النُّخِيلُ!
انجمينا، في ٢٩/٧/١٩٩٧م

٢٥ - إمام (٢)

[الرجز]

التَّيْنُ لَا رَأْيَ وَلَا تُقُولُ
فِي قَرْيَةٍ يُؤْتِيهَا جَهْلُ:
لَكِنَّهُ الْإِسْعَادُ وَالتُّجْنِي
وَالِإِحْتِكَارُ الْفِظُ وَالْقُلُولُ
... فَالشَّيْخُ - فِي الْأَهْوَاءِ - تُنْيَوِي
مَسْتَأْثَرٌ... مَسْتَكْثَرٌ... عَجُولُ...
وَالْمِنْزَلُ الْمَرْقَاةُ: لَا لِأَعْلَى،
بَلْ لِلْمَهَاوِي!... وَالْهَوَى نُلُولُ
فَالْقَرْيَةُ الْحَيْرَى تَهَابُ مَنْ لَا
يَأْتِي سِرْوَى مَا عَابَهُ الرَّسُولُ
تَبْكِي ضِيَاعَ سَيَبَوِيهِ - مَهْمَا
أَضْفَقَتْ لَخْطَبَةٍ لَهُ - فَحُولُ
لَوْلَا أَبْجُوهَلِينَ لَيْسَ يُنْزَى
فَأَرْ لَدَى الْمَقَالِ وَفُسُوفِيلُ
قَالُوا: «أَصُولِي» فَقُلْتُ: (كَلًّا!)
هَذَا وَصُولِي!... فَلَا يَصُولُ...
...إِلَّا لَجَمَعَ الْمَالُ فِي سَعَارٍ:
غَيْرُ «الْمَصَارِي» مَا لَهُ أَصُولُ

يُذْعَى إِلَى حَقٍّ فَلَا يُلَبِّي
إِلَّا وَمَالِ الْحَقِّ يَسْتَمِيلُ
وَالشَّيْخُ - رَغَمِ بَطْنَةٍ - حَسُودٌ:
صِلْ يَضْحُجُ السُّمُّ وَزَنَ كَيْلُوا!!
مَا فِي أَبِي جَهْلٍ زِيَادَةٌ مِنْ
غِلٍّ عَلَى «صِلْ» وَلَا قُضُولُ
أَمَّا أَبُو جَهْلٍ - لَوْ عَرَقْتُمْ -
فَالْقَتْفِي إِبْلِيسَ، لَا يَحُولُ...
الْمَدْمَنُ الْأَيْمَانُ، مُسْتَحَلًّا،
إِذَا أَكْذَبَ الْأَقْوَالُ مَا يَقُولُ...
وَالْمَقْلِقُ الْأَفْوَءُ مِنْ ذَهْرٍ
مَا لَمْ يَبِينْ عِنْدَهَا دَلِيلُ...
كَيْ تَسْتَحِيلَ الدَّارُ دَارَ عُفْيٍ،
لِلْعُورِ فِيهَا رِفْعَةٌ وَطُولُ!
فِي كُلِّ أَرْضٍ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتُمْ
دَارًا كَسَاهَا نَوْرُهَا الْمَقُولُ؟
... (أَم) - ثُمَّ - مَقْمُوعًا كَقَرْيَةٍ قَدْ
أُمُّ الْوَزَى فِيهَا الْغَدَاةُ غَوْلُ؟
يَا حَبِذَا لَوْ أَبْعَدْتَهُ رَيْحُ
لِلْعَيْشِ حَيْثُ تُغْبِذُ النُّجُولُ
... إِذَا لَمْ يَغْزِلْ لَه هُنَا نَصِيرُ
مَنْ لَهُمْ، قَبْلَ الْهَوَى، عَقُولُ:

أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَفَعُوا فَعِيرَ،
حَتَّىٰ وَإِنْ لَمْ تَظْهَرْ الذُّيُولُ!
مَا مَسْخُفُهُمْ إِلَّا لِحَقِّ عِلْمٍ
قَدْ ضَيَّعُوهُ عِنْدَمَا أُنِيلُوا،
رَأَيْتُ عَلَىٰ شَيْبِهِ الْقُلُوبَ فِيهِمْ
أَوْزَارَ إِصْرَارٍ؛ وَقَدْ تَزُولُ!
... فَالْتُّوهُ النَّصُوحُ نَرْتَجِيهَا
مِنْهُمْ، وَالْأَجْرُ الصَّقِيلُ!
أَمَنْتُ بِالْهَادِي إِلَىٰ صِرَاطٍ
فِي غَيْرِهِ الْخُسْرَانُ وَالنُّكُولُ!
انجمينا، في ٢٠/٧/١٩٩٩م

٢٦ - حَذَوْ «مَا قَالَتْ حَذَامُ»!

[مجزوء الرمل]

شَلُّ قَوْفًا، فِي انْهَزَامِ،
 ضَرْبُهُمْ تَحْتَ الْحَزَامِ:
 نَبْوَ السَّيْفِ الْهُذَامِ:
 عَلَّهَا لَيْسَتْ بِحَذَامِ!
 غَيْرَ أَنِّي، خَوْفَ رَيْي،
 مُسْتَمِرٌّ فِي التَّزَامِ!
 احْتَفِي بِالشَّعْبِ طُرًّا،
 لَا بِعَبَسٍ أَوْ جُذَامِ:
 وَأَتَخَذْتُ الْحَقَّ أَرْضًا
 لِي «فَمَا حُمَّ اعْتَزَامِي»^(١)!
 وَاهِمٌ، بِلِ خَاسِرٌ، مَن
 ظَنُّهَا أَرْضَ الْجُذَامِ!
 فَاسْمَعُوا مِنِّي - وَقَيْتُمْ
 سُبُّةً تَبْقَى لَلزَامِ -
 كُلُّ مَا يَرُوهُ شَعْرِي
 (حَذَوْ «مَا قَالَتْ حَذَامُ»!)^(٢)
 انجمننا، في ٢١/١/٢٠٠٣م

(١) فما حم اعتزامي: تضمنين من أبي الطيب المثنوي:

وإن أحمم فما حم اعتزامي.

«فإن أمرض فما مرض اصطلياري

(٢) ما قالت حذام: تضمنين من وسيم بن طارق وقيل ديسم بن طارق وقيل لجيم بن صعب:

فإن القول ما قالت حذام!

«إذا قالت حذام فصلىوها

٢٧ - حَـزِيرَانِ سِتِّ وَ سِتِّينَ

[المتقارب]

عيونُ اليتامى...

نُحيبَاتُ صُحُورٍ، وَلَكِنْ عَيْنَ الْمَدَارَاتِ عَنْ شَجْوِهَا غَافِلَةٌ...

فَكَانَ التَّعَزُّيَ لِرَامَا!!

عيون اليتامى - بِحَبِّ تَنَامَى -

رُوتَ أَرْضَنَا، وَالذُّمُّ الْحُرُّ مِنْ قَبْلُ أَيْضًا رَوَاهَا سِجَامَا

لِأَجْلِ اخْضِرَارِ يَحْطُ الزَّوْى الْجَافِلَةُ...

بِكُنْجَى وَفِي شَطِّ أَرْوَمٍ أَوْ حَوْلَ «جَارَا» وَفِي دَارِ تَامَا^(١)!!

عيون اليتامى بِحُبِّ تَنَامَى لِجِلِ الْقُدَامَى...

رَأَتْهُمْ شَمُوسًا بَدَتْ مِنْ نِيَالَا^(٢) وَشَعَتْ ثَلَاثِينَ حَوْلًا تَمَامَا،

فَكَمْ بِالْبَطُولَاتِ كَانَتْ عَقُودَ السَّنَا حَافِلَةٌ!

وَكَمْ تَضَحِيَّاتٍ لَتَنْزِيلِ دَرْبِ تَرَامَى...

مَدَى الطَّرْفِ يَطْلُو! وَكَمْ خَطُورٌ جَنْدَلَتْ مُسْتَهَامَا!

عَلَى أَنَّ كَيْدَ الْمَنَايَا ضَلَالٌ، فَلَيْسَتْ هِيَ الْكَافِلَةُ...

نَضُوبَ الْمُنَى: إِنَّ يَنْبُوعَهَا فِي صَدُورِ الْيَتَامَى...

كَمَا فِي نَهْى وَارِثِي ثَوْرَةٍ لَنْ تَضَامَا

إِذَا رَدَّةُ غَازَلْتَهُمْ فَنَاهَوْا وَمَرَّوَا كِرَامَا...

(١) كنْجَى: بلدة في غرب تشاد؛ جَارَا: بلدة في إقليم «قيرا» وسط تشاد؛ دار تَامَا: منطقة القبيلة المسماة «تَامَا، الواقعة في الشرق قرب الحدود التشادية السودانية.

(٢) نِيَالَا: مدينة في غرب السودان انعقد فيها مؤتمر ١٩٦٦/٦/٢٢، الذي أسس فرولينا.

وظنّوه فرضاً، فليس امتلاك الهوى عندهم نافله؛
شُمُوسُ البطولات ظَلَّتْ دليلاً هداماً ثلاثين عاماً...
وَبَقِيَ دليلاً دواماً...
لِتُهْدَى لِمُسْتَقْبَلِ اخْضِرِ اللَّوْنِ اتِ خُطَى القافله؛
سَتَبْقَى دليلاً برغم السَّكَارَى بِغَشِّ النُّصَارَى ومهما نَعَامَى...
موالو فرنسا خصومُ العلا سالكو الوجهة السَّافله...
وَمَنْ لم يدانوا حزيران سَتَ وَسْتَيْنَ إلّا نياماً...
وأحلامهم في ثيابِ النِّعَمَى رافله؛
حزيران سَتَ وَسْتَيْنَ أَذْكَى شُمُوساً تَحْدُثُ حدودَ اللَّيَالِي فداما...
وَشَمْسُ السَّكَارَى هِيَ الْأَفْلَه!!!

انجمينا، ١٧/٦/١٩٩٦م

٢٨ - باب محنة

[مجزوء الرجز]

الصفاتُ فُتِنَتْ،
تكفيه تلك فِتْنَةً
لوفوتهنَّ أُنْمَى
فالموت لو أخطبْنَه...
بالغريباتِ حُتِي
لم ينتفع بفطنه...
ثُمَّ امْتِطَيْنِ يَوْمًا
- دونَ البغالِ - مَتْنَةً
مَنْ عاش بعد لحظٍ
كالسيفِ يَمْتَخِطْنَهُ؟
... أو صار للغواني
والغيد غير بِنْتَنَهُ؟
... قد يستفيدُ عيشًا،
لكن بِنَوَعِ هَدَنَهُ...
سرعانَ ما تَقْضَى:
فالطبعُ إنْ يَكْذَنَهُ

إِنَّ كَانَ فِي «انْبِسْطُنَا»^(١)
 مُشْتَنْزُقًا بَسْطَنَهُ...
 ... لِلذَّبْحِ كَالْأَضْحَايِ،
 وَالْجَلْدِ حَانَ عَطْنَهُ؛
 .. أَوْ مِنْ بَنَاتِ «شَقُوا»
 أَشَقَّيْنَهُ وَشَقَّيْنَهُ،
 فَاعْتَلَّ، لَا بِالْوَجْهِ
 يُشَقِّقِي وَلَا بِحَقْنِهِ؛
 ... أَوْ كُنْ مِنْ «رُضِينَا»
 أَرْضِينَهُ... فَرُضْنَهُ؛
 حَتَّى يَبْقَى سَرًّا،
 لِلْأَفْعَوَانِ جِضْنَهُ؛
 ... أَوْ فِي جَنَانِ «فَرُشَا»
 مَسْتَرْخِيًا فَرَشْنَهُ،
 فَاقْتِيدَ «كَنْزُؤِيَّا»^(٢)
 مِنْ بَعْدِ مَا اخْتَوَشْنَهُ
 سَلَّ مِنْ تَرْقُبُوا، وَمِنْ
 مَنَنْ صِبْنَنْ أَوْ رِبْطَنَهُ:
 «هَلْ فِي النَّوَى دَوَا؟»
 أَمْ فِي النَّوَالِ بِطَنَنَهُ؟

(١) انْبِسْطُنَا وشَقُوا ورضينا وفرشا: من أحياء مدينة أنجمينا.

(٢) كَنْزُؤِيَّا: يطلق على العسكري المتقاعد من الخدمة لفظ «كنزا»، المنحوت من المقابل الفرنسي لكلمتي خمسة عشر وذلك لحديث التقاعد غالباً بعد ١٥ سنة من الخدمة العسكرية.

يأتي الجواب: (كانا
حاليك بابٍ مَحْنَةٍ،
والأقْضَى لَ التَّنْائِي
مَا تُفْسِنُ يَحْتَرِجْنَهُ؛
خَلَّ الحَسَنُ خِلًّا!
وَلَتَنَسَّ مَا يُبْخَنُهُ:
لَا كَهَرِيَاءَ جَنْبٍ،
وَالْمَسُّ صَعْقُ شُحْنَةٍ!)

انجمينا في ٢٧/١١/٢٠٠١

(١٢ رمضان ١٤٢٢هـ)

٢٩ - للسودان^(١)

[الهزج]

حنيني أليوم ناداني
- مما قرَّ الطريدان! -
لمغني عزة^(٢) الغالي
ومثوى خير أخداني!
فيا مسرى ابتهالاتي
ومعراجي لغمداني..
ومنطادًا لروحي إذ
أنا شارب غمداني..
لماذا صرْتُ محجوبًا
أرى من خلف أسدان؟
ألسنُ النضوم من شوق
قنوع الغاي مبدان؟
وإنني منك في سر
إذا نيلاك مداني..
وأغني الناس عن «ين»
ودولارٍ يُقدان:

(١) جزء من قصيدة لغني عزة، ألقي في أمسية شعرية نظمت ضمن فعاليات القاطلة الثقافية السودانية بالجمينا عام ٢٠٠١ في النادي الثقافي الشعبي التشادي

(٢) عزة: اسم علم مؤنث جعله الشاعر والمغني والمثقف السوداني البارز المرحوم/ خليل فرح رمزًا للسودان فتبعه هنا في ذلك..

ففي «ديم القنا»^(١) بنكي،
وهبيت المال، أفداني،
ولي في «الملتقى» كنز،
وفي «بحري» مـزادان!
أنا لم أنا هجرنا:
بل السـودان أهـداني
إلى الـى الألى الـوا
إلى نفى وفـقدان،
وشعب كـادح كـدحا،
وأفـقى يـستـزيداني،
فما أنـسيتُ أهـداً،
ولم اسـقـط بمـيدان..
لأن الخـفـاء والزـوا
بأعماقي يـقـوداني:
هـما إلـهـام ما أتى،
فكم للـصـبر ردانـى!
وإشـعاعـاتك الـأسـنى
سـررت من فـوق عـيدان..
أعـيها، لا بـعـين لي
وأئن قد تُـسـدّان..
ولكن بانـفـعال في
تلافيفي ووجـدانـى!

(١) ديم القنا، من أحياء الخرطوم؛ بيت المال، من أحياء أم درمان؛ المزد: من أحياء الخرطوم بحري؛ والملقى: هو «المقرن» أي ملقى النيلين الأبيض والأزرق حيث يكونان نهر النيل وهو أهم المعالم الطبيعية للعاصمة الملتدة كما يطلق على المدن الثلاثة المذكورة).

وقولُ منك يشجيني،
 ويرويه الجديدان:
 (أنا السودان: مجدي والـ
 هدى عندي أكيدان)
 ففي إفريقيا أَسعى
 بزيتون وعفدان،
 وفيها رِيْماً أَنْقى
 إلى عُزْبٍ وكلدان!
 وجلُّ العُزْبِ قد أضحوا
 - مع القرى - كبعدان!
 فيا سودان: تُمْ عَنبًا
 تعالى عن إمدان،
 فإنَّ المجد - لو يُعزَى
 إلى قومٍ - لسوداني!
 ويسودان: أنت الوجـ
 هُ إذ لوجه خدان!
 ويا سودان: تُمْ جسرًا
 إلى الخضراء أذاني!
 فمهما - بعدُ - يعرفوني
 ستبقى أنت تشدانني
 .. ومهما ألق من خَلْقٍ
 وأخلاقٍ وُلدان
 .. فننادٍ ليس كالنّادي!
 ومرغى لا كسعدان^(١)!!
 انجمينا، في ١٩٩٧/٧م

(١) التعبير مأخوذ من المثل العربي «مرغى ولا كالسعدان».

٣٠ - ضوضاء!!

[الرمل]

تُدْفَعُ الموجات للآذان - فالضوضاء فوضى لولبيته،
دون إيقاعٍ ونسقي - كاندفاعاتِ الحُشيرات الغيبية...
في أنوفٍ أو عُيونٍ من زوايا جانبيه!
سوقٌ هزجٌ مثلَ برجٍ بابليٍّ خاصم المعنى دويّه،
باختلاطٍ لم يجد في العقل حيّه،
فيه رجَمٌ بالشعاراتِ الوَجِيّه،
ثم زخاتٌ نشازٌ ليس في الذُكران تُخصى، وهي ليست انثويّه!
همهماتٌ ضيّعت جنسيّه أخرى ولم تصبح تماثًا يعريّه!
همهماتٌ هائحاتٌ باحثاتٌ عن هُويّه!
همهماتٌ علّمهم قد ترجموها عن لغاتٍ أجنبيّه!
(ليت شعري ما دهاهم هَيَاوُها كَالهَوِيّه!؟)
ذاكُم إبليس يدعو حزيه للنخبويّه!!
عندنا - في هذه الأرض الضّحيّه -
عُقْدَةُ الإفرنج باضت نحو بليونتي كُحيّه...
فُرِّحَتْ كُتّابُ نظمٍ ... بل نصوصٍ بنيويّه:
استمع حينًا إليها في رويّه...
وفيّ تبدو في خيالٍ - لا علوم! - صِنُوْ متن الشّاطبيّه...
يظهر المبنى ركيكًا، والمعاني الطُّخليّه...

هرطقاتٍ فوضويّة:

خلطةٌ إنَّ يستَمِعَ شيخٌ إليها أو صبيّه...
لم تحرّك فيه شيئاً! كيف تُحيي وفيّ لئسْتُ، قَطُّ حيّه؟

نَمَّ قانونُ إلهيٍّ كشأنَ الجانيّ:

(لا نفاذُ عبرِ أقطارِ السّماواتِ العُلا في مَرْوَجِيه!)
... ليس غيرِ الشّعْر معراجاً إليها ما روى حسُّ رويّه
- مِنْ هوى الحريّة الأسمى، ومن طُهرِ الطّويّه -
في هوى الأرض المسمى، كلَّ عصرٍ شاعراً فحلاً نبِيّه،
في عيونٍ مُشرّعاتٍ من وراءِ المشريّة،
أو شفاهِ ضارعاتٍ حينَ يُلقِنُ التّحيّه،
في قضايا مطلبيّه،

في جمالٍ مشتهى... في عِزّةِ النّفسِ الأبيّه،
في ظلامِ الظّلم... في الامِ شعبٍ... في اختدامِ المصلحيّه،
في جناياتٍ تفتّشتُ بالصفوفِ الثّانويّه^(١)،
في الرّؤى... في كلّ ما يستوقد الوجدان ناراً معنويّه،
خامة الشّعْر الحياةُ استدعتُ الإيداع حفراً واستجاباتٍ سويّه...
لا الشّعاراتِ التي تُخطى، هنا، بالأولويّه...
للدّواعي التّعويّه!

(إنّ بها صار الطّفاة الهوج معشوقي الجماهير السّيّئه...)
وفق دعوى الكائنات المكتبيّه!

هل صدّى سبتمبر^(٢) الدّاوي بنورنبرج رأيي الأغليّه...

(١) إشارة إلى انتشار العنف - بما فيه جرائم القتل - في المدارس خاصة الثّانويّة.

(٢) كان النازيون في ألمانيا يقيمون مهرجانهم السنوي في أول سبتمبر بمدينة «نورنبرج».

أم هم المبتوث من حالات هستيريا قويّة؟
هل قلوب النَّاس، في الخرطوم، كانت مايويّة^(١)...
أم تراها كنبّة الثَّعْبَان في تكريس حيّه...
- فجأة - قنيسةً أو مهدويّة؟
كلُّ ما يجري عياناً ليس إلا مسرحيّة:

إن يسمّوها جماهيريةً فالأمر، حقاً، كسرويّه:
لا ولادة الأمر صُلَاحٌ، ولا الواحهم بالموسويّه!

يا لبؤس القول لو أضحي صكوكاً بالياتٍ من تراث البابويّه...
تمنح الغفران مَنْ ضَحَوْا - لفأياتٍ غويّه -
بالملايين الضّحايا! يا لبؤس المنفقين القُمرَ أسرى الدنيويّه!!
انجمينا، في ٧/٤/١٩٩٨م

(١) مايويّة: نسبة إلى نظام مايو البائد الذي حكم السودان من ١٩٦٩ إلى ١٩٨٥م.

٣١- يا حُماة العربية^(١)

[مجزوء الرمل]

جاءكم كلُّ ضحية
سائلاً - بعدَ تحية -
كَيْفَ والعزيمة حية
في حماة العربية
كيف تُقصي كسبية؟

أجندُ المؤتمرات
بالرؤى والنُّميرات
عَنْوَةٌ منهمرات
إذ يخوض القميرات،
جامعاً القدرات
من شُداة وسُـرارة...
كالكنوز الذهبية
لانتعاق العربية!

لم تصر - قط - قوية
وحدة دون هوية،

(١) نظمت في إطار التعبئة للمؤتمر الجامع حول وضع اللغة العربية في تشاد.

فأدعهموها برؤية
لا بدعوى الأبرؤية
ففي تشاد القروية
والمرأسي البديوية
ابعثوا الروح أبية:
أصلوا للعريئة!

ليس تُغنى الكلمات
أنتم اليوم حُماة:
إن عرثها أزمات
هتد الكُل مَقامات..
لا يداريه ضمامات:
فالعري متهمات!
والعدو: العصبية ...
في سبيل العريئة!

وحدة الدار مهمة،
من تبرى يشطُر أُمّة؟
إن تصدّت للمّة
تُنقِذ الوحدة أُمّة!
وحدة دون منمّة،
عهدهما أوثق نُمّة:
إنها - بعد - صبيّة..
تحت عين العريئة!

انجمينا، في ٢٠/١٠/٢٠٠٠م

٣٢- والنصر لنا!

[مجزوء المتدارك]

صُفُّوا الْمُنَكِبَ حَذُّو الْمُنَكِبَ:
نُخِيبِي نِكْرِي يَوْمَ الْكُنُكِبِ،
لَنْ نَجْعَلَهَا نَمْعًا يُسَكِبُ،
لَكِنْ قَدْ مَا يَمُخِيبِي الْمَوَكِبُ...
يَمُخِيبِي حَتَّى نَصِلَ الْكَوْكِبِ

مَعْنَى وَسَنَّا

وظُهُورُ مَنَى

وَالنُّصْرُ لَنَا!

صَرَعَى كَتَبُوا بِسَمِ طَرَسَا،
وَشَهَاتِهِمْ . كَانَتْ عُرْسَا..
عِنْدَ الْوَلَى بِقَمِ الْمَرْسَى!
فَلَقَدْ قَارُوا وَجَنُوا عُرْسَا،
وَفَرَّئَسَا مَا وَعَيْتَ الْتُرْسَا:

رَزَعَتْ فِتْنَا،

فَجَنَّتْ إِحْنَا!

وَالنُّصْرُ لَنَا!

هُم فِي الثُّنْيَا اِيضًا نَحِرُوا:
قَالُوا، لَكِنْ لَمْ يَنْذِرُوا..
نَبَتُوا قَيْمًا لَمَّا بُذِرُوا...
وَالْيَوْمَ بَدَا مِنْهُمْ أَثَرُ..
فِي مَوْثَمٍ وَمِنْ اِنْتَمَرُوا

كَئِ لَا يَزِنَا

صِفْرًا غَدُنَا!

وَالنُّضْرُ لَنَا!

عَرِيَّتُنَا لَيْسَتْ قِشْرًا!

وَهُيَّتُنَا مَا إِنْ تُشْرَى!

هِيَ إِيْمَانٌ فَهَذَا اسْتِشْرَى،

وَسَنَشْرُهُ أَبَدًا نَشْرَى،

هَذَا عَنْهُدٌ يَبْقَى بُشْرَى

لَنْ تَخْدِلَنَا:

فَالْبَقْتُ نَنَا!

وَالنُّضْرُ لَنَا!

يَا مَنْ اَنْتُمْ هُمْ شَمَخَتْ:

هِيَ اُنْجِي بَلَدًا مُسِيخَتْ..

- وَتَقَافَتُهَا - حِينَ اِنْتَمِيخَتْ

مِنْ دُنْيَاهَا لَفَتُ رَسَخَتْ

- مُتَجَنِّزَةً - نَفْسًا وَسَخَتْ

بِالْعِلْمِ هُنَا..

قَدْ طَابَ جَنَى

وَالنُّصْرُ لَنَا!!

انجمينا،

٣٣ - أسئلة

مِنْ كُلِّ مَنْ يَتَوَّعُ تَحْتَ الصَّلْبِ أَوْ يَمُوتُ...

(فِي قَرْيَةٍ مَصْلُوبَةٍ مُشْتَاقَةً لِلْيُثُوثِ...

لِلْمَطْمَئِنَاتِ مُذْ غِيلَتْ) أَنَا أُرِيدُ...

رَدًّا سِوَى السُّكُوثِ...

عَلَى سَوَالٍ بَلِيدٍ:

(هَلْ تَقْبَلُونَ نَفْسَكُمْ كَحُوتٍ...

مُلْقَى بِمَهْمَةٍ بِلَا حُدُودٍ...

يَبْكِي الْخِيَالِ الْحَرَّ وَالْذُّعَاءَ وَالْقُنُوثِ...

يَبْكِي بِلَا نَمَحٍ وَلَا تَصَبُّرٍ .. وَدُونَ قُوْتٍ؟

... هَلْ تَقْبَلُونَ صَلْبَكُمْ كَعَبِيدٍ...

لَوْ طَيَّبَ الصَّلِيبُ بِالْعُطُورِ وَالرُّيُوثِ؟)

مَا لَذَعَةٌ مِنْ أَفْعَوَانٍ مَسَّ سُمُّهُ رَدَى حَنِيثٌ...

كَرْضَةٍ إِذْ يَجْتَنِي لِإِنْهَاءِ الْوَلِيدِ!

وَالْجَمْرُ إِنْ تَرَدَّدَ لَهُ الْإِتْقَاءُ كَيْ يَعْثُ

فِي أَيِّ تُحْفَةٍ فَسَادًا دُونَ أَنْ يَبِيدَ...

فَلْتَخْلِ جَوْفَهَا مِنَ الْمِيَاهِ وَالْجَلِيدِ،

وَأَمْلَأَهُ كَوْمَ رَوْثٍ:

«أَيُّ مِثْلَمَا اضْحَى يَعْلَمُ الطُّغَاةُ تَشَلَّنَا الْجَبِيدُ!»

أَطْفَالُنَا عَجِينَةٌ فِي مَخْبَزِ حَبِيبٍ...

وَالْإِمْعَاتُ - قَبْلَهُمْ - مَلِيونَ كَوْمِ نُودٍ:

هَلْ نَتْرُكُ الْعَجِينَ نَهْبًا لِلْيَدِ الْحَقُودِ...

تَلْهُو بِصَوْنِهَا كَمَا شَاعَتْ - فَلَا بُحُوثٍ

فِيمَا تَعَمَّدَتْ وَلَا حَبِيبٍ -

لَأَنهَا قَدْ بَلَّتْ بِكَلْبِهَا الْعَتِيدُ...

جَرُونِهَا الْوَرِيثُ؟

يَا أَلْفَ أَلْفِ بِذَرَةٍ فِي أَبْرَكِ الْمَرْوَجِ!

يَا أَنْجَمًا تَوَهَّجَتْ فِي حُلْمِنَا الْبَعِيدِ!

يَا مُرْنَةً مَبْنُولَةَ الْعَطَاءِ .. وَالْأَرِيحِ!

يَا أَلْفَ أَلْفِ بَرْعٍ يَدْعُوهُ الشَّهِيدُ!

يَا مَنْ سَقَتْ أَرْوَاحَهُمْ شُجَيْرَةُ الْخُلُودِ...

فَأَخْجَلُوا الضُّجَيْجِ!

(قَدْ جَاءَ مِنْ مَدِينَةٍ تَسْتَوِرُ الْعَبِيدُ...

قَوْمٌ إِلَى بِلَادِنَا وَقَتَّمُوا النُّقُودَ...

- يَشْرُونَكُمْ! - فَلَوْ نَعُوجُ...

عَنْ نَرِيكُمُ وَنَدْفِقُ الْعُهُودَ...

هَلْ تَقْبَلُونَ بَيْعَكُمْ - يَا أَكْرَمَ الْحَيِجِّجِ...

لغير رب البيت واهب الحياة صادق الوعد...

- هل تقبلون ذلكم منا... وفي جمود؟؟

طرابلس الغرب - في أبريل ١٩٧٥م

٣٤- عيد سعيداً^(١)

[الرجز]

حاشاكما أن تسكتا أو تقعدا
بل غرّدا بالشعر حلواً واشهدا
فالنّدى - يرعاه ربي - قد رعى
حفاً ثقافياً وأولاه النّدى!
يا صاحبي: اليوم عيد أمه
- في وحدة - جمع إلى الخير اهتدى
أهل: سواء من جنوب القطر أم
من شاطئ البطحا أتوا أم من فدا:
جمع الشّباب المُختَفِي لم يختلف
واستوعبوا برساً غدا يبني الغدا:

إنّ الحزازات التي تفري الحشا
في المُسلمين استلهمت فعل النّدى!
بلدانهم فيها الخلاف استحكمت
حُمَاهُ حتّى خالف الصّوت الصدى
فاستحدثت منهم مثلاً جارحاً
للمال والطّاقات إذ تُفنى سدى!
في الصّوم قد أضحى لكل يومٍ!
والعيد لمّا جاءهم ما وُحدا!

(١) (أعلنت كي تلقى في الأمسية الثقافية التي نظمها المنتدى الإسلامي/ مكتب تشاد بمناسبة عيد الفطر المبارك في ثالث أيامه عام ١٤٢٤هـ).

يا حُبُّذا لو كان عيدًا جامِعًا
يُذَنِّسِي لأهل القبلة المستبعدة
.. أو أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ إِطْلَالَةٌ
عِيشَتْ بوُخْدَانِيَّةٍ كِي يشهدا
.. إِذْ ذَاكَ قَدْ يَأْتِي إِلَيْهِمْ عَانِدًا
والقدس والأقصى لهم لا للعدا!
يا ليتهم عادوا إلى حكم الحجى
واستبعدوا عنهم هَوًى مستعبدًا
واستنتجوا أَن لَيْسَ مِنْ مَعْنَى لِمَا
أَدْمَى سَوَى تعطيل عقلٍ جُمْدًا
كم من هلالٍ، يا ترى، فوق النَّرى
يجري إِذَا ذَاكَ اخْتَفَى هَذَا بَدَا
.. كُلُّ لِقَاطِرٍ لَا يُرَى فِي غَيْرِهِ؟
يا قوم! سبحان الذي منه الهدى!
نرجوه - بعد الحمد الألفا - لكم
عيدًا سعيدًا يا ضيوف المنتدى
والله يهدينا إلى مرضاته:

إِنَّ الهدى نَحَرٌ لِمَا بَعْدَ الرُّدَى!!

انجمينا، في ٣ شوال ١٤٢٤هـ

للموافق ٢٧/١١/٢٠٠٣م

٣٥ - منية الحادي^(١)

[الوافر]

صُرُوفُ الدُّهْرِ - فِيمَا أُنْشَدَ الْحَادِي -
صَنُوفُ الْقَهْرِ قَدْ بَاضَتْ عَلَى شَارِي:
عَزَتْ نَيَّارُهُ الْغَادِي..

لِيَبْقَى النَّهْرُ فِي جُوعٍ لِعَيْنَاتٍ وَأَمْطَارٍ:
إِلَى أَنْ صَارَتْ الشُّطَّانُ سَهْلًا جُلَّهُ عَارِي،
وَعَمَّ الْغَمُّ فِي النَّادِي:

فَبِعِضِّ الْقَوْمِ لَاهٍ ثُمَّ بِالتَّخْدِثِ لَهْوَ الْطِفْلِ بِالنَّارِ،
وَوَلَّ الْبِعْضُ مَشْلُولَيْنِ فِي غَارٍ..
حَيَّازِي بَيْنَ مَثْنٍ فَاسِدٍ الْمُغْنَى وَتَصَحِيحَاتِ إِسْنَادِ،
وَبِعِضِّ زَاغٍ جِدًّا رَغَمَ أَحْزَابٍ وَأَوْرَادِ..
فَمَا يَلْقَى سُؤَالَ الشَّاعِرِ الْأَعْمَى بَنَاتًا أَيْ إِنْكَارِ:
«أَلَا مَنْ يَشْتَرِي بَيْتًا بِبَيْنَارٍ؟»..
وَعُدَّ النَّبِيعُ فِي الْعَادِ!

.. إِلَى أَنْ أَقْبَلَ الدُّوَارُ وَانْصَبَّتْ مَسَاعِيهِمْ بِإِصْرَارٍ..
تَقَرُّ الْمُبْدَأُ الْهَادِي:
زَوَاجٌ بَيْنَ عَصْرِيٍّ لَهُ أَسْ وَوُزُونَاتِ أَجْدَادِ..

(١) (نظمت في مناسبة توديع الأستاذ الدكتور/ عبد الله حمدنا الله)

طَلَّاقٌ مِنْ صِرَاعِ الْحَيَازَةِ الضَّارِي
هُوَ الْمَنْجَى، فَيَا مَرْجُوءَ الْحُرِّيَّةِ اخْتَارِي...
أَوْ انْقَادِي!

فَهَيْثُ كُلُّهَا عَجَلَى بَعْزِمٍ غَيْرِ مُقْتَادٍ؛
وَهَيْثُ نَسَمَةٌ حُلِيَّ مِنَ النَّيْلَيْنِ وَالْوَادِي...
زَكَا مِنْ خَيْرِهَا السَّارِي...
دَعَاشُ يَنْشُرُ الْبُشْرَى، وَغَيْثُ يَغْمُرُ الصَّادِي...
بَغِيضٍ مِنْ عَطَاءٍ ثَوْنٍ مِيْعَادٍ،
بَرِيكِ الدَّفْقِ مِذْرَابٍ،
بِلَا ضَنٍّْ وَتَسْوِيفٍ، وَلَا مَنْ وَتَعْدَادٍ...
هَمَى مِنْ عَزَّةِ الْخَضِرَاءِ فِي حُبٍّ وَإِيثَارٍ!

فَلَمَّا اخْضَرَّتِ الشُّطُطُ بِالضَّادِ
خَمَمْنَا اللَّهَ جَهْرًا بَعْدَ إِسْرَارٍ،
وَأَتْنِينَا عَلَى جُودِ الْإِخِ الْجَارِ!

عَلَا التَّصْفِيقُ، ثُمَّ اسْتَنْفَ الْحَادِي:

غَدَتْ مَذْ ذَاكَ اسْرَى عَزَّةَ الْخَضِرَاءِ اشْعَارِي...
وَمِنْ عِيدَانٍ (إِيدَا) لِنَيْلِ مَرْمَارِي...
وَسُكَّرِي مِنْ أَمِي دَاوُودَ إِذْ يَشْدُو: «أَنَا الشَّادِي!»..
وَمِنْ نَقَرٍ عَلَى الطَّارِ؛
فَعِشْقِي فِي الْحَشَا وَارِي،

وبي مِنْ عَزَّةِ الْمَكْتُومِ وَالْبَائِي..

وإيمانُ بِتَعْقَادِ!

وبي حَزَنٌ عَلَى مَسَرَى قَتَاها الْفَدُّ مِنْ دَارِي:

لأنَّا - يشهدُ الْبَارِي! -

بضيفِ اللهِ مشغوفون، لم نشبِعْ، وسَرَّاجٌ وَعَقَادٌ..

بدا في مُفَرَّدٍ مقصودٍ وَرَادٍ!..

بعقلٍ يُدْمِنُ التَّفَكُّيرَ نَقَادِ،

وفكرٍ يقِرُّ السُّطْحِيَّ بِالْعَارِ..

لأنَّ السُّطْحَ خَدَاعٌ، وفي الْعُمُقِ الْغِنَى الْجَارِي!

فَبَا غَوَاصٌ إِنْ شَرِقَتْ مُنْضَمًّا إِلَى أَهْلِ وَأَوْلَادِ..

فلا تتركْ هنا أَهْلًا بلا زادِ!

أليسَ الشَّمْسُ تأتي الغربَ مِنْ شَرْقٍ لإِمْدَادِ...

بطاقاتٍ وأنوارِ..

على تَأْيِيدِ تَكَرَّارِ؟

فَدُم - يا مثْلها! - الْمِغْطَاءُ وَالْعَادِي..

تُحَقِّقُ مُنْيَةَ الْحَادِي!

فحَقِّقْ مُنْيَةَ الْحَادِي!

انجمينا ٢٤/٦/٢٠٠٢م

٢٦- خِذْنِ الْعَالِي

[الرجز]

أَهْلًا بِعَبِيدِ اللَّهِ، فَهَوَ زَائِرُ
هَلْذُلِهِ فِي دَارِنَا، الْبِشَائِرُ
إِنَّ ابْنَ عَبْدِ الْحَسَنِ^(١) الَّذِي هَمَى
إِحْسَانُهُ هَامَتْ بِهِ السُّرَائِرُ..
.. فَالْعَالِمُ التُّرْكِيُّ غَيْرُ مُغْلِظٍ
قَوْلًا، وَلَا مِنْ دُونِهِ سَتَائِرُ
مَا اسْتَوْخَشَ الدُّكْتُورُ مِنْ مَعَاصِرِ
فِي الْخَلْقِ إِلَّا الظُّلُمُ وَالصُّفَائِرُ،
عِلَاسَةً، فِي صَدْرِهِ عِلْوُهُ:
مَا لَيْسَ فِي الصُّدْرِ الْحَفِيزِ طَائِرُ!
مَا إِنَّ دَنَا، وَالصُّحْبُ، مِنْ مَقَرَّنَا
حَتَّى شَعَرْنَا أَنَّهُمْ مَنَائِرُ!
الرَّفَقُ فِي أَخْلَاقِهِ بَيَانَةٌ،
أَمَّا الْهَوَى فِي سَوْقِهِ فَيَنَائِرُ!
خِذْنِ الْعَالِي؛ زَانَهُ تَوَاضُعُ،
تَهْفُو لَهُ الْأَبْصَارُ وَالْبِصَائِرُ!
وَهُوَ الْأَمِينُ الْحَقُّ فِي أَمَانَةٍ
كَمْ صَيَّتْهَا فِي الْعَالَمِينَ سَائِرُ!

(١) عبد المحسن: هو الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي عند زيارته النادي الثقافي الشعبي التشادي بإنجمننا في ١/٢٢/٢٠٠٠م.

ما هئله إلا رضا، ربه
 إذ هم من تفرنجوا الشيطان:
 شتان بين القابضين بينهم
 جمرًا ومن مقبوضهم سجان:
 يا محسن الأعمال: مرحبًا!.. هنا
 يدعوك الحراب والحرائر
 إزرع بسروج الجامعات وحدة
 .. أنت الذي للجامعات ثائر..
 .. وأزيط - وقيت الشر - خير أمة
 بالود حتى تسلم المصائر..
 .. إذ ذاك، فينا، لن تقوم دولة
 للبقي، مهما دارت الدوائر!
 وأقبل - أبا الإسلام - حب نخبة
 من بلدة فيها الشعور ثائر..
 ترنو إلى من شاركوا لسانها
 والإزق. نغم القوم والعشائر!
 .. ظهرًا لأهل الضاد في أنبيعائهم،
 لم تُثنهم، عن دعمهم، خسائر!
 دامت أيادي الخير مستمرة،
 يسقي بها جذر، هناك، غائر!
 انجينا، ٢٢/١/٢٠٠١م

٣٧- والملتقى يتسع^(١)

[مجزوء الرجن]

نَجَاحُكُنْ بَاهِرٌ	كَكُلْ مَنْ يُسَاهِرُ
وَمُلْتَقَى يَشِعُّ مِنْ	هَذَانِ لَزَاهِرُ:
تُجْمَهُرُ الرُّؤَى لَهُ	فَسَوْفَهُ جُمَاهِرُ،
يَرَى بِأَعْيُنِ صَفَتْ	كَأَنَّهَا الْمَجَاهِرُ..
فَهَلْ يَرَى ذَا قَلْبِي:	مُضَلَّلٌ وَغَاهِرُ؟
عَلَى خُطَا مُحَمَّدٍ	يَسِيرُ وَقَوَّطَاهِرُ..
بِمُخْبِرٍ مُمَيَّنٍ،	وَمِثْلُهُ الظَّوَاهِرُ؛
كَدَوْرَتَيْنِ فَائِتَا:	فَهَذِهِ تُظَاهِرُ!
وَلَطْفُكُنْ إِنَّهُ	لَمْ تُخَذِّ وَذَاهِرُ!
فَضْلُكَ لَأَهْجُ	بِشُّكْرِهِ يُجَاهِرُ
تَنَاوُهُ يَفُوحُ مَا	تَوَقَّعْتَ أَزَاهِرُ..
.. أَوْ انْتَشَشْتُ، فَاطْرَيْتُ	وَأَنْفَشَشْتُ، مَرَاهِرُ!
فَإِنْ كُنْ طَاقِمٌ	لِمَا يَغُوقُ قَاهِرُ،
لَدَى الْمَسِيرِ خَازِمٌ،	وَفِي الرُّسُومِ مَاهِرُ،

(١) المناسبة: نُظِّمَتْ كِي تَلْقِيهَا الْفَتَاةُ التَّنَاضِدِيَّةُ الْمَشَارِكَةُ فِي الْمَوْرَةِ الثَّالِثَةِ الْمُلْتَقَى الشَّارِقَةِ الْعَالَمِيِّ لِلْفَتَايَاتِ الْمُسْلِمَاتِ الَّذِي تَعْقِدُهُ أُنْدَلِيزَةُ الْفَتَايَاتِ بِالشَّارِقَةِ تَحْتَ رِعَايَةِ رَئِيسَتِهَا صَاحِبَةِ السُّمُو الشَّيْخَةِ جَوَاهِرِ بِنْتِ مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِي؛ حَرَمِ صَاحِبِ السُّمُو حَاكِمِ الشَّارِقَةِ.

مُتَوَاتِمَ مَعَ النَّدَى،	وَذَا لَذَا مُصَاهِرُ؛
فَيَا لَهْ لَالِنَا	تَقْوَاهَا جَوَاهِرُ..
.. لِجَوَافِرِ الْأُمُورِ لَا	تَقْرُهَا الْمَظَاهِرُ!
لَكُنْ حُبِّنَا - كَمَا	تَرَى الْعُيُونُ - ظَاهِرُ:
عَلَى الصَّفَاءِ قَدْ نَمَّا،	وَلِلْوَفَاءِ شَاهِرُ!

انجمينا، في ٢٠/٣/٢٠٠٢م

٣٨ - يا صباح الاضرار

[مجزوء الرمل]

صَوْتُ أَوْلَادِ صِفَارٍ...	جاءَ مِنْ تَلْقَاءِ شَارِي
رَدُّ رِجْلِي عَنْ مَسَارِي،	رَدُّوا لَحْنًا شَجِيًّا
مُسْتَقِيمٌ لَا يُدَارِي..	فَاسْتَجَاشَ الْقَلْبَ نَظْمٌ
قَلُّوا سَجْعَ الْقَمَارِي:	صَاغَهُ الْأَطْفَالُ ثَمًّا
فِي زَمَانِ الْإِنْكَسَارِ:	(يَا صَبَاحَ الْإِخْضَارِ
فِي مَعَانِكَ انْصِهَارِي!	أَنْتَ نُورِي! أَنْتَ نَارِي!
ثُمَّ طَوْرًا ذُو الْفَقَارِ..	أَنْتَ طَوْرًا كَالنَّارِ،
عِنَّمَا تَسْعَى الضُّوَارِي)	فِي يَدِي يَوْمَ الْجِصَارِ...
لَوْلَوْيَا كَالْحَارِ..	رَاعَنِي الْقَوْلُ الْمُفْقَى
بَلْ عَلَى غَيْرِ انْتِظَارِي!	جَاءَ عَفْوًا وَارْتِجَالًا،
فَهُمْ مَا غَنُّوا جُوَارِي،	لَكِنْ اسْتَكْثَرْتُ فِيهِمْ
«مَا صَبَاحُ الْإِخْضَارِ؟»	عِنْدَ ذَا سَاعَتِ طِفْلًا:
رَوِفٍ، فَجَرُ الْإِنْتِصَارِ»	قَالَ: «صُبْحُ الْفَاتِحِ الْمَغْدُ
نَى تَوَلَّيَ مِنَّا وَدَارِ؟»	قُلْتُ: «تَغْنِي نَضْرُ أَدُ
عَمَّ فِي كُلِّ النَّيَّارِ..	قَالَ: «بَلْ أَغْنِي لِنِصَارًا
قَصْدُ تَخْرِيرِ الْقَرَارِ..	فَهُوَ قَتْلُ عَالِيِي

لَانْعِثَاكِ النَّاسِ طُورًا
 قُلْتُ: «فَاضْرِبْ لِي مِثَالًا»
 قَالَ: «بَلْ أُعْطِيكَ زَوْجًا
 مِنْ مَسَاعِي فَاتِحٍ لَمْ
 فَهُوَ نَادَى أَهْلَاتِي:
 تُمْ كَالِ الْعَوْنِ لِلْعَا
 ... اخْصِرْ كُمْ مُسْتَعْمِرَاتِ
 قُلْتُ: «فِي هَذَا حُرُوبٌ»
 قَالَ: «إِنَّ الْحَرْبَ أَمْرٌ
 لَمْ تَقَرَّرْهَا شُعُوبٌ،
 فَاتِحِ الثُّوَرَاتِ جَهْدٌ
 لَيْسَ حَزْبًا وَاعْتِيَالًا،
 بِنْرِ فِكْرِ مُسْتَنْبِرٍ
 رِيُّمَا الثُّوَرَاتُ أَفْقٌ
 هِيَ إِيْمَانٌ قَوِيٌّ
 ذَاكَ - يَا عَمِّي - يَقِينِي
 قُلْتُ: «مَا سِرُّ الَّتِي عَنَدُ
 قَالَ: «بِالنَّكَرَى ابْتِهَجْنَا
 مِثْلَ عَيْدٍ فَاتِحِي
 الْعِوَاءِ الْعَذْبُ يَغْفُ

مِنْ إِسَارِ الْإِضْطِرَارِ!
 مِنْ فِعَالٍ أَوْ شِعَارٍ!
 دَافِعًا لِلْإِنْبِيَهَارِ..
 يَأَلُ يَوْمًا فِي الْبِدَارِ:
 (قَدْ مَضَى غَضْرُ الْجَوَارِ!)
 نِي عَلَى رَدِّ اعْتِبَارِ..
 فُكْ عَنْهَا قَيْدُ عَارٍ!
 وَانْتِشَارُ لِلدُّمَارِ!
 عُدْ فِي حُكْمِ الطَّوَارِ..
 بَلْ قُوَى خَلْفَ الْبِحَارِ!..
 - قُضْدُهُ التَّغْيِيرِ - جَارِي،
 بَلْ حُلُولُ بِالْجَوَارِ..
 بُتُّ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ:
 تُمْ مَشْرُوعُ خَضَارِي..
 صَدُّ طَاقَاتِ النُّضَارِ،
 فِي عِبَارَاتٍ قِصَارٍ!
 خَيِّتُوهَا فِي ابْتِكَارٍ!
 مِثْلَ أَفْرَاحِ الْكِبَارِ!..
 دَأْبُنَا تَرْكُ الشُّجَارِ..
 ثُو - كُلُّ عَيْدٍ - فِي لَزِيهَارِ..

عِيدُ عَزِّ وَافْتِحَارٍ...	الثَّلَاثِينَ هَذَا
لَوْ إِلَى أَغْلَى مَذَارٍ»	قَدْ يَرَى إِفْرِيقِيَا تَغْدُ
مِنْ سُقُوطٍ أَوْ عَنَارٍ...	قُلْتُ: «فَاسْلَمْ يَا صَغِيرِي
صَانِعِيهَا بِالذُّوَارِ،	فِي مَنَاهَاتٍ أَصَابَتْ
ثُؤْرَةً بِالْإِخْتِيَارِ..	فَلْتَدُم ثُؤْرِي فِكْرٍ،

انجَمِينَا، ١٩٩٩/٩/٧م

٣٩- بَلِ الْخَيْرُ مِنْ سُلْطَانِهِ^(١)

[الطويل]

شَدَى اَمْ شُعَاعُ الشُّرْقِ مَا شَاعَ مُنْعَسَا
عَلَى شَطِّ شَارِي فَاشْتَفَى الشُّطُّ وَانْتَمَشَى؟
بَلِ الْخَيْرُ مِنْ سُلْطَانِهِ فَاح، مُرْسَلًا،
سَرِيعَ السَّرَى مِنْ مَشْرِقٍ لَيْسَ اطْرَشًا..
يُلَبِّي نِدَاءَ الْمُسْتَفِيعِينَ مُقْدِمًا،
وَقَلَّ يُخْجِمُ الْإِشْعَاعُ حَتَّى يُكْرَشَا؟
وَأَمَّا الْقَنَاءُ الْمُنْتَقَاءُ فَلَجَنَةُ
إِغَائِيَّةٌ صَارَتْ هِيَ الْقَلْبَ وَالْحَشَا
.. هِيَ اللُّجَنَةُ الْمَشْهُودُ فِي الْقَوِّ غَيْثُهَا،
إِذَا مَا هَمَى عِنْدَ الْمَجَاعَاتِ أَذْهَشَا:
طِفَامٌ وَ«فِيَتَامِيئُهُ» مِنْ بَشَاشَةٍ
بِهَا يُغْتَدَى قَبْلَ «الْبُرُوتَيْنِ» وَالنَّشَا!
وَابَاؤُهَا فِي الرَّيْفِ أَحْيَتْهُ بَعْدَ أَنْ
بَلَ غُبْرَةَ الصُّخْرَاءِ جِينًا فَأَوْخَشَا!
يَجِيءُ الْجَدَا مِنْهَا بِلَا مَنْ أَوْ أُنَى،
وَتَأْتِي هِبَاتُ الْبَغْضِ فِي هَيْئَةِ الرُّشَا:

(١) المناسبة: افتتاح مخيم لعلاج العيون في انجمينا ٢٨/١٢/٢٠٠١ ضمن المشاريع الخيرية للجنة الإغاثة لمصاحب
السمو الأمير سلطان بن عبد العزيز.

وَمَنْ كَانَتْ الْأَخْلَاقُ فِيهِ اسْتِعَارَةً
فَمَا جَادَ بِالْإِحْسَانِ إِلَّا مُشَوَّشًا..
عَلَى سُنَّةٍ غَيْرِ الَّتِي لَجَنَةُ الْأَمِيرِ
رِ سُلْطَانٍ سَنَّتْهَا .. فَزَارَتْهُ، وَزَشَرَتْهَا!
هَنِيئًا لَهَا بِالنُّصْرِ وَالْأَجْرِ سُجَّلا؛
وَبِالشُّكْرِ مَكْسُوبًا، وَبِالذِّكْرِ قَدْ فُشَا...
وَبِالْأَضْيَاقِ الْآخِرِينَ الَّذِينَ هُمْ
خَلِيفٌ لَهَا ضِدُّ الْأَعَادِي تَجَبُّشًا:
فَمِنْ أَرْضِ بَاكِسْتَانِ جَاءَتْ بِنُخْبَةٍ
مَشَتْ فِي تَصَدِّ الْقَمَى حَيْثَمَا مَشَى..
تَرَى أَنْ تَرَى الْعَيْنَانِ حَقًّا وَوَاجِبًا
لِكُلِّ عَلَيْهَا: كُلُّ أَعْمَى وَأَعْمَشَا!
فَحَظُّ الْقَمَى مِمَّا هُمَا قَدْ أَعْدَتَا
رَوَّالٌ وَشَيْكُ بَعْدَمَا كَانَ عَشْعَشَا،
وَمَا زَالَتَا فِي الْإِنْتِصَارَاتِ ضِدَّةً،
وَمَا زَالَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ مُهْمَشَا:
فَإِنَّ الْعِيَادَاتِ الَّتِي قَدْ تَعَدَّدَتْ
عَدَتْ تَمْنَحُ الْخُفَاشَ عَيْنَيْنِ كَالرُّشَا!
صَنُوفٌ مِنَ التَّطْيِيبِ فِي مُفْجَرَاتِهَا
عِلَاجٌ لِمُقْتَلٍ وَأَعْمَشَى وَأَخْفَشَا...
عَنِ الصُّنْدُرِ تَنْفِي كُلِّ يَنْسٍ وَطَلَمَةٍ،
وَتَسْتَجِدُّ الْإِحْصَارَ لِلْقَيْنِ بِالْعَشَا!

.. فَكَمْ مُقَلَّةٌ قَدْ أَرْجَعَتْ ضِمْنُ مَحْجَرٍ
 وَمَا إِنْ ثَوَتْ حَتَّى اسْتَعَدَّتْ لِتَرْعِشَا..
 وَمَنْ قَبْلُ كَانَتْ ثَوَى جِسٍّ وَلَا رُؤَى
 فَاضْطَحَتْ نَعِي الْمَسْمُوعِ وَغَيَا مُبِرَقْشَا!
 وَكَمْ مِنْ عَجْوٍ تُبْصِرُ النُّورَ -بَعْدَهَا-
 وَبِنَا لَهَا.. كَيْ تَضْحَكَا ثُمَّ تَجْهَشَا:
 فَإِنَّ الْمَسْرَاتِ الْمُكْرَاتِ قُبَاةُ
 يُعَانِينَ مِنْ جَهْدِ التُّبَارِي تَعْطُشَا...
 فَيَطْلُبْنَ غَيًّا فِي عُيُونِ سَرَرْنَهَا،
 فَيُسْقَيْنَ مِمَّا جُنُنَ مَخْضَا وَاعْبَشَا!
 وَكَمْ مِنْ كَفِيفٍ ضَاعَفَ الضَّرْفَرُ
 تَعَاْفَى عَلَى أَيْدٍ أَكْبَتْ فَرِشَا..
 .. فَانْسَى - وَكُنَّا قَبْلَهُ ثُمَّ - قَلْبُهُ
 يَشِي مِنْ شَعْوٍ الْحَبِّ فَيَكُم بِمَا وَشَى..
 وَيَدْعُو لِأَفْلِ الْخَيْرِ مِنْكُمْ بِجَنَّةٍ
 أُعِدَّتْ لَهُمْ، طَابَتْ رِيَاشَا وَمَفْرَشَا،
 وَفِيهَا لَهُمْ مَا لَا عَيُونَ رَأَتْ وَلَا
 خَيَالٌ رَوَى يَوْمًا وَلَا نَحْوُهُ اعْتَشَى!
 انجمينا، ٢٨/١٢/٢٠٠١م

٤٠ - لسابع مرة^(١)

[الوافر]

إلى الشهوات بعض الناس ماضٍ
كفُتْرِسٍ سريعٍ الإنقضاضِ
يطاردُ لَنَدَةً تَفَنَّى وتُفَنِّي
وَجِدْتُهَا دَوَامًا فِي انْخِفَاضِ!
وَحِينَ يَمَلُّ صِنْفًا مَا وَيَسْقَى
إِلَى عَوْضٍ يَعَانِي فِي اغْتِيَاضِ..
يُضَيِّعُ مَالَهُ، وَالْعَمْرُ يَجْرِي
بِمِثْلِ خُطَاةٍ نَحْوِ الْإِنْقِرَاضِ،
فِيَتْرَكَ هَذِهِ الدُّنْيَا مَدِينًا،
مِنْ الْحَسَنَاتِ مَطْوِيٍّ الْوِفَاضِ،
.. وَيَذْهَبُ حَيْثُ لَا تَكْلِفُ يَمُوحُ
بِهِ خَطَا، وَلَا يَسْهُو الْمُقَاضِي!
وَيَنْطَلِقُ الْمَعْرُوفُ انْطِلَاقًا:
فَلَمْ يَتَّبِعْ غَيْرُ الْإِنْقِرَاضِ!
تَجَنَّبَ نَلِكَ الْمَهْوَى لِبَيْبٍ
يُقَارِضُ رَبُّهُ أَرْجَى قِرَاضِ،

(١) (القيت صباح الجمعة ٢٠٠٣/٩/١٢م في الحفل الذي أقامته لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة
(مكتب تشاد) بقصر ١٥ يناير افتتاحاً لبرنامج البصر (القافلة السابعة).. وهو برنامج تنظمه اللجنة كل عام
بالتنسيق مع مؤسسة البصر الخيرية المالية تحت إشراف وزارة الصحة العالية بجمهورية تشاد).

وادرك أنه ربُّ غنيٍّ
 نَنَزَرَهُ عَنْ ظَنُونٍ وَافْتِرَاضٍ
 وَأَنْ عِيَالَهُ فِيهِمْ جِياعٌ،
 وَأَنْ بِدَايَةِ الْكُفْرِ الْفَغَاضِ
 فَهَبْ يَسَاعِدْ لِلْحَتَّاجِ بَرًّا
 يُنَالُ فَيُتَّقَى شَرُّ انْتِفَاضٍ!
 يُقَلِّدُ لَجْنَةً لِلْخَيْرِ خَاضَتْ
 إِغَاثَتُهَا التَّقَى حَقَّ الْخِيَاضِ.
 حَبَبَتْ بِمَخِيمِ إِحْدَى وَعَشْرِي
 مِنْ مَنَاطِقَ فَعَادَتْ لانتِهَاضِ
 بِأَمْرِ أَمِيرِهَا سُلْطَانٍ ظَلَّتْ
 تَخْذُلُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِرَاضِ
 وَقَدْ وَصَلَتْ إِلَى أَقْصَى الْفَيَافِي
 قَوَافِلُهَا بِلَا اِدْنِي انْتِقَبَاضٍ!
 وَمَاءُ بَنَارِهَا يُخَيِّبِي رِعَاءَ
 «تَتَبَّر» لِلْمَوَاشِي فِي الْحِيَاضِ
 وَتَبْذُلُ لِلْيَتَامَى فَضْلَ مَالٍ
 فَتَكْفُلُ بَعْضَهُمْ مِنْذُ الْمَخَاضِ!
 وَهِيَ تَفْتَحُ الْيَوْمَ احْتِفَالًا
 يَبْشُرُنَا بِأَمَالٍ عِزَاضِ
 اغَاثَتْهَا عِيُونًا مِنْ عَمَاهَا
 إِلَى اللَّفْقَاتِ - تَحْلُوا! - وَالْغَمَاضِ
 فَمِنْ خَبْرَاءِ بَاكِسْتَانِ جَاءَتْ
 بِأَتْبَعِهِمْ.. وَمِنْ كُلِّ الْأَرَاضِي

.. لسابع مرّة مِنْ أَجْلِ حَرْبٍ
 تُشَنُّ عَلَى الْعَمَى وَالْإِيضَاضِ،
 وبِالْتَّمَزَاتِ مِنْ هَذِي الْمَسَاعِي
 مُؤَسَّسُهَا الْأَمِيرُ الشُّهُمُ رَاضٍ،
 مُؤَفَّقَةٌ.. جَزَاهَا اللَّهُ خَيْرًا
 عَنِ الْهِمَمِ الْمُجِدَّاتِ الْمَوَاضِي!
 لِكِتَابِهَا وَلِأَقْرَنِي شُكْرًا:
 فَقَدْ تَعَبًا هَذَا دُونَ اعْتِرَاضٍ!
 وَيُورِكُ فِي عَطَاءٍ قَدْ تَنَامَى
 مِنَ الْخَرَمَيْنِ يَهْمِي وَالرِّيَاضِ
 فَتِلْكَ مَرَابِعُ الْخَيْرَاتِ مَدَّتْ
 أَيَّامِيهَا بَيَاضًا فِي بَيَاضِ،
 وَثُمَّ بِمِائَةِ تَنْسَابٍ مِنْهَا:
 فَمَا عَرِفْتُ شَعْرَ الْإِنْتِعَاضِ!
 نَعَاهُهَا بِأَنَا سَوْفَ تُبْقِي
 عَلَى صِفَةِ الثَّأَخِي وَالتُّرَاضِي..
 فَنَحْنُ أَشَقَّةٌ مِنْ شَمْسِ نَجْدٍ،
 وَنَحْنُ أَجْبَةُ فِي عَيْنِ مَاضِي!!
 انجمينا - في ١٢/٩/٢٠٠٢م

٤١ - الضَّادُ تَنْذِيهٌ^(١)

[الرجز]

فرضُ عليكِ، أوجبُ الفروضِ،
يا أعيَنَ الرِّجَالِ أَنْ تفيضي!
... اليومَ لن يهَمُّ أَنْ توارِي
دمعًا هميتِ، بل على النقيضِ:
فليسقي دمعك الغزيرُ أرضًا
للحزنِ يومَ مُلكِهِ الغُضُوضِ!
مَنْ غيرُ دامعٍ تَرْنَنُ أنَّى
عايَنتِ في التَّلَالِ والخُفُوضِ؟
هذي الوهادُ أهلُها دمامُ
هولٍ هوى بسهلها الأريضِ،
فالقومُ - كالعلومِ - في نهولِ،
لا تكتفي العيونُ بالبضيضِ!
والشُّعْرُ طائرٌ بلا حَرَاكِ،
باكٍ على جناحِهِ المَهْيِضِ:
ماتَ الَّذِي حباه لحنٌ «وارا»!
واری التَّرابُ مَغْلَمَ النُّهوضِ!
العالمُ التَّقْيُّ في تَفانٍ،
والسَّمْعُ إِنْ قَضَى وَإِنْ تُقَوِّضِي!

(١) (في رثاء العلامة - المفقور له إن شاء الله تعالى - عباس محمد عبد الواحد) وعباس محمد عبد الواحد شاعر تشادي من رواد المحافظين وله ديوان شعري من الحجم المتوسط، عنوانه «اللامح طيفداد ١٩٨٣ م».

النَّاشِدُ الرَّقْسِيُّ غَيْرَ وَإِنْ،
 وَالْفَارِضُ، الْمَفْسَرُ، الْمَرْوُضِي!
 بَعْضُ الْعُلُومِ بَعْدَهُ بِنَاءُ
 أَلْت - بِمَوْتِهِ - إِلَى مَغِيضٍ:
 فَالشَّيْخُ كَانَ وَاحِدًا فَرِيدًا
 فِيهَا رَمَى بِسَهْمِهِ الرُّكُوضِ،
 لَمْ تُغَيِّهِ النُّجُومُ عِنْدَ رَصْدِ،
 بَلْ أَعْجَزَ النُّجُومُ فِي الْوَمِيضِ!
 قَدْ وَقَّتِ الصَّلَاةُ فَاسْتَبَانَتْ،
 وَالْحُصُونُ لَمْ يَنْدَعُ الْغَمُوضِ..
 يَرْجُو رِضَا إِلَهِ فِي خُشُوعِ،
 مُسْتَغْفِرًا بِهَامِسٍ خَفِيضِ!
 عَبَّاسُ! مَنْ تَرَكْتَ الْمَغَازِي
 وَالنَّحْوِ وَالْحَدِيثِ وَالْقَرِيضِ؟
 هَلْ قُلْتَ لِلْجَهَالَةِ: «أَطْمَئِنِّي»!
 فَالْجُرُؤُ قَدْ خَلَا لَكِي تَبِيضِي؟
 أَنْتَ الَّذِي دَعَوْتَ مَنْ تَأَخَّزُوا
 فِي الضَّارِ لِلْمُسَدَادِ لَا الْخُوضِ...
 تَبْغِي لِبِيرِقِ النَّبِيِّ رَفْعًا،
 وَالبَعْضُ يَبْتَغِيهِ فِي الْحَضِيضِ!
 مَا جَاءَ عَنْكَ - قَطُ - غَيْرُ بَرٍّ
 - يَزْهَوُ بِهِ السَّرْوَةُ - مُسْتَفِيضِ..
 لَمْ تَوْذِ عَامِدًا، وَكَيْفَ يَوْذِي
 حَامِي ذَوِي الْجَرَّاحِ وَالرَّضُوضِ؟

حين انبرى الكرام للمعالي
 خلّوا أذى الأنعام للبعوض...
 فالعلم يغمر السورى بنفع،
 والجهل بالتّردّد البغيض!!
 ما قصرت يدك عن عطاء؛
 بالقضّ قد وصلت والقضيّ!
 أثريت من جواهر المعاني
 لكن زهدت ثم في القروض؛
 افشلت كيد من يكيد، تعفو!
 كم كيد الكريم.. ثم روضي!
 لم يتهمك بالنفاق فعل
 أو تسع في تزلف مريض...
 أوليت سافكي الغماء ظهراً:
 فالله جار كل مستعيض!
 للنفس قست كلما تشهت:
 «لو قد أمّنت مكره فخوضي!...»
 ... بين الألى تلوثوا وبينني
 «لا تقرّوا النساء في الحيض!»
 لله - وحده - البقاء!.. إنا
 سوادنا الغناء مثل بيض!
 والله - لا يدوم غيره من
 حيّ - هو الملائد للمروض،

يا ربِّ فاغفرْهُ بفيضٍ
يُغْنِيهِ يَوْمَ عَزَّةِ القُرُوضِ...
واغفر له الذُّنُوبَ! فيه شَفْعُ
خيرِ الورى بجاهِ العريضِ!..
واسكب على محمدٍ صلاةً
- والأل - سرمديةً الفُيُوضِ!!
انجمينا ٢٠٢/١١/٤م

٤٢- رياح الخير^(١)

[الكامل]

ضَحَكَتْ رِيَّاحُ الْخَيْرِ وَفِي نَوَامِغُ:
فَعَيُونُهَا لِلْمُفْصِرَاتِ مَنَابِغُ
وَقَبِيْبُهَا لِمِ الْغَمَامِ وَسَاقَةُ،
فَسَقَى الثَّرَى مِنْ عَيْنَةٍ تَتَدَافِعُ
فَإِذَا بِهِ فِي حُلَّةٍ مُتَلَالِنَا
وَيَسَاطُهُ الْمَفْرُوشُ أَخْضَرُ فَاقِعُ
وَتَزَيَّنَتْ كُلُّ السُّهُولِ بِعَشْبِهَا،
وَتَدَفَقَتْ وَبَيَانُهَا تَتَقَاطِعُ
وَدَنَا الْفَرِيكُ الْحُلُوْ نَحْوُ قُوَاتِهِ،
وَيَدُتْ مِنَ الْخَيْرِ الْجَدِيدِ طَلَائِعُ
وَتَضْلَعُ الْأَطْفَالُ مِنْ مَسَرِّ شَوْوَا،
فَتَسَابِقُوا وَاسْتَضَحِكُوا وَتَصَارَعُوا!
سَبِيَانِ سَرَافِهِمْ كَمَا فَرِحَتْ لَنَا
بِهِمَا قُرَى قَدْ هَلَلَتْ وَشَوَارِعُ -
وَهُمَا الْخَرِيفَانِ اللَّذَانِ تَوَافَقَا
زَمْنًا!.. إِلَهِي.. إِنَّ فَضْلَكَ وَاسِعُ!

(١) (القيت في الحفل الذي أقامته وزارة العمل الاجتماعي والأسرة بالاشتراك مع لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة (مكتب تشاد) في قاعة وزارة الخارجية بنجمينا صباح الجمعة ٢٠٠٣/٩/٥ بمناسبة استلام الأولى من الثانية مساعدات غنائية لتوزيعها على المحتاجين وانطلاق قافلة اللجنة السادسة عشرة).

فخریف غیث، ثم آخر مثله
 - شبع به الجوعى هناك - راع
 حملته أعتى الطائرات هدية؛
 وبها الغياث الناجز المتسارع!
 وتواصل الخير العميم مضاعفاً،
 ومضى ندى سلطانہ يتتابع
 .. بيد توالى خدام الحرمین في
 سنن الكرام القُر لا تتراجع
 .. وولي عهد ظل رمز مروة
 وقوا الأمن المخلص المتواضع
 .. ويلجنة ما للإغاثة فوقها
 أخذ علّا: فالآخرون توابع
 بذلت قراها للورى علّا، فقد
 بشيمت عيون بالقرى ومسامع!
 .. ويأمرها سارت قوافل جمّة،
 وتعددت للزأكعين جوامع
 وعلت خلاوي القارئین، ووُزعت
 كتب، ومُنّت بالمياه مزارع،
 ومضت إلى البيح الحرام جماعة،
 ومن اليتامى كم تُعوّد ضائع!
 وعطاها المخفي ليس بضائع:
 أتضيع عند الكاتبين بضائع؟

مَنَعَ هَمَّتْ مِنْ مُحْسِنِينَ نَحَتْ بِهِم
 جَهَّةَ الْمَسَاعِي الطَّيِّبَاتِ نَوَازِعُ!
 فَوَقَاهُمْ الرَّبُّ الرَّحِيمُ عَذَابَهُ
 وَحَسَابَتُهُ يَوْمَ الْحَدِيدِ مَقَامِعُ
 وَاحْلُكُم دَارَ الْمُقَامَةِ مُنْعِمُ
 مَتَفَضَّلُ - يَفْنَى سِوَاهُ! - وَرَافِعُ
 .. وَقَدَى الْإِلَهُ الْمُسْلِمِينَ بِهَنِيهِ
 وَأَعْلَاذَ فِيهِمْ رِيحَهُمْ لِيُقَارِعُوا
 وَلِنُنْ شَكَّوْا يَوْمًا إِلَيْهِ نَهَابَهَا
 أَفَمَا تَنَاسَوْا نَهْيَهُ وَتَنَازَعُوا؟
 وَعِدُّهُمْ إِرْهَابُهُ مَتَصَاعِدُ،
 وَنَصِيبُهُمْ - فِي ظِلِّ ذَاكَ - فَظَائِعُ
 فَإِنْ افْتَتَرُوا وَاسْتَعْصَمُوا بِكُتَابِهِمْ
 وَتَغَيَّرَتْ نَفْسٌ.. تَغْيِيرَ وَاقِعُ!!
 انجمينا - في ٢٠٠٢/٩/٥ م

٤٣ - وَيْلُ الْعَمَى (١)

[الوافر]

حُلُولُ الْغَوْتِ فِي أَيَّامِ الضَّعَافِ
مُطُولُ الْغَيْثِ مِنْ بَعْدِ الْجَفَافِ!
كَيْلَا الْخَيْرَيْنِ يُنْعَمِي حَيْثُ يَزْمِي،
وَيُخَمِّي - حِينَ يَهْمِي - أَوْ يُعَافِي!
لَسِنٌ هَلَّتْ مَعَ الْأَمْطَارِ بِثُرٍّ
فَقَدْ لَا يُغْجِرُ الْغَوْتُ التَّلَافِي...
وَلَكِنْ فِي الْمُغِيثِينَ اخْتِلَافٌ:
فَلَيْسَ الْكُلُّ جَوَابَ الْفِيَافِي،
وَأَمَّا الْعَوْنُ فَالْمُغْطَى ضَوْفٌ:
مُلَبِّ لَاحْتِيَاجٍ، أَوْ جُرَافِي؛
وَيَغْضُ طَلِيبُ جِسًّا وَمَغْنَى،
وَيَغْضُ شَيْبَ بِالسَّمِّ الرُّعَافِي!
عَلَى أَنْ الْأَمِيرَ الشُّهُمَ نَبُعَ
لِخَيْرِ نَوْنٍ شَلِكٍ أَوْ خِلَافِ:
فَعَبَرُ اللَّجْنَةِ انْتِثَالًا انْتِثَالًا
بِغَوْتٍ... لَا شِعَارٍ أَوْ هُتَافِ!

(١) المناسبة: أقيمت صباح الجمعة ٢٧/٧/٢٠٠١ بقصر ١٥ يناير في انجمننا خلال حفل افتتاح مخيم لعلاج امراض العيون نظمته لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة بالتعاون مع مؤسسة البصر العالمية ضمن برنامج مكافحة العمى في تشاد، تحت رعاية وزارة الصحة ... وقد اضيفت إلى القصيدة عدة أبيات في نفس اليوم عقب انتهاء الحفل ضمنت هنا.

غِذَاءٍ أَوْ بِنَاءٍ فِي مَمَاءٍ،
وَمَاءٍ - مِنْ بِنَارِ الْعُنُقِ - صَافِي..
وَقَذَى اللَّجْنَةِ الْمُقَطَّاءِ تَدْعُو
إِلَى أَوَّلَى عِلَاجٍ كُلِّ عَافِي،
فَوَيْلٌ لِلْعَمَى مِمَّا أَعْدَتْ
لَهُ مِنْ قُوَّةٍ مِثْلِ الطَّافِي:
أَطِيبُ بَاءُ الْعُيُونِ الْعَالِيُو
نَ، أَرْقَى السَّقْمِ أَفْلَ الْإِحْتِرَافِ،
رَعَوْا بَرْنَامِجَ الْإِثْصَارِ! بُشْرَى
لِمَنْ يَشْكُرُوا وَرَبُّ النَّاسِ شَافِي!
رَأَيْتُ النَّاسَ صَوَّبَ الْمَالَ تَعْدُو
لِجَمْعٍ وَاتَّخَذُوا زَوَاجَ الْخَطَافِ
وَعِزِّ زَانِيْلُ مَا بَالَى بِمَالٍ،
وَلَا فِي الْقَبْرِ مَرْءٌ غَيْرُ حَافِي:
إِنَّ فَا لِمَالُ أَفْدَاقِ اخْتِبَارِ
إِذَا اسْتَفْصَتْ فَلَا وَفَتْ إِضَافِي،
وَلَكِنْ بَيْنَمَا تَغْمَى قُلُوبُ
تَعِي أُخْرَى مَالِ الْإِنْجِرَافِ!
كَانَ النَّاسُ - فِي الثَّغْنِيْفِ - نَفْطُ
- هُوَ الْمُضْفَاءُ - مِنْ بَرٍّ وَجَافِي!
.. وَلِلْإِنْسَانِ بِالْإِحْسَانِ فَرْزُ
فَقَرَزُ الْخَامِ رَقْنٌ بِالصَّافِي!

أَلَا يَا لَجَنَّةٍ لِنَفْسٍ أُخَيَا
 بِهَا سُلْطَانٌ اتِّتَمَ النِّفَافِي:
 بَقِيْتُمْ تَحْتَ حِفْظِ اللَّهِ نُخْرًا،
 وَمَا انْفَكَّتْ أَيَّامُكُمْ تُوَافِي...
 .. الْوَفَا نَحْوُكُمْ مَنَنْتُ كُفُوفًا،
 وَلَا تَزْنُوا إِلَيَّ غَيْرَ الْكَفَافِ!
 جَزَاكُمْ رَبُّنَا الْوَفَاءُ خَيْرًا:
 فَمَا تَجْزِي عَنِ الْخَيْرِ الْقَوَافِي!
 أَلَا فِي النَّاسِ كُؤُودًا أَقْلَ صِنْقٍ،
 فَلَأَنُورُ الْفَشْ نَوْمًا لَانْكِشَافِ
 وَأَنْتُمْ مِنْ بِلَادِ الْوَحْيِ رَفُطُ
 شَقَلْتُمْ مَوْضِعَ الْإِسْمِ الْمُضَافِ
 ... بِلَادُ خَصْهَا فَضْلٌ، فَمَا فِي
 سِوَاهَا مِنْ وُقُوفٍ أَوْ طَوَافِ
 كَمَا شَقَعْتَ هُدًى يَذْعُرُ فَشِيعُوا
 دُعَاةَ الْإِتَّخَايِ وَالْتِصَافِي
 انجمينا - ٢٧/٧/٢٠٠١م

٤٤- هِيَ الْعَشْرُ

[المتقارب]

هِيَ الْعَشْرُ لَا غَيْرَ: عِقْدُ خَلَا،
وَعِقْدُ يُزَيِّنُ مُسْتَقْبَلًا
وَعِقْدُ مَعَ الْحَقِّ أَنْ يُقْتَفَى
فَلَوْفَى، وَبِالْمُنْجَزَاتِ انْجَلَى!

هِيَ الْعَشْرُ، فِي الْمُنْجَزَاتِ انْقَضَتْ:
هُدًى، أَوْ فِدًى، أَوْ عَدَا مُعْجَلًا
.. وَنِفْطًا إِذَا النَّاصِرُ اسْتَبْشَرَتْ
بِتَضْيِيرِهِ زَغَرَتْ نُنُقُلًا
كَهَذِي تَكُونُ السُّنُونُ الَّتِي
تُحْيَا وَتُخَيِّبِي... وَالْأُفْلَا

هِيَ الْعَشْرُ: انْعِمَ بِعَشْرِيَّةٍ
حَمَتُهَا قُلُوبٌ غَلَّتْ مِنْ جَلَا،
شَبَابٌ تَحَفُّوا قُوَى زُنَّةً
وَطُغْيَانٌ رَجَعِيَّةٌ مُخْجَلَا
.. وَمُسْتَكْبِرِينَ اغْتَدَوْا بَغْتَةً
وَفِي خِسَّةٍ تَمَرُّوا مَغْمَلَا

.. وَتُبَايَعَةُ لِـلرُّدَى أُحْيِيَتْ
 بِتُبَايَعِنَا.. نَبِّ مُسْتَنْبِسِلَا
 سَأَلْتُ النُّزُلَا: «الْمَ يَطْبَعُوا
 خُطَاؤُنْمَ عَلَيْنَا؟» فَقَالَتْ: «بَلَى!
 وَلَكِنْ أَقْدَامُهُمْ تَغْتَلِي
 مَقَامًا لِنَنْزُقِي إِلَى مَا تَلَا»
 فَيُبْلَوْنَ - كَالشَّمْعِ - أَجْسَادُهُمْ
 وَتُبْلَى اللَّيَالِي بِهِمْ رُكُلَا
 .. سِرَاعًا إِلَى جَنَّةٍ - عَرَضُهَا
 كَعَرَضِ السَّمَاوَاتِ - بَعْدَ الْبَلَى
 وَهُمْ وَخَدَوِيُّونَ، فِي مَعْشَرٍ
 ثَوَّلُوا نَبِيَّ الْهُدَى الْمُرْسَلَا

رِفَاقُ الشَّهِيدِ الرَّبِّيِّ انْتَقُوا
 لِيَهْمُوا عَطَاءً قَدِ اسْتَرْسَلَا
 بِرُغْمِ الْأَلَى أَرْجَفُوا مَوْهِنَا
 مِنَ اللَّيْلِ وَاسْتَفْمَلُوا الْبِقُولَا
 يَقُولُونَ: «سُودَانُنَا قَدْ عَدَا
 رَهْمَيْنِ الْخُصُومَاتِ أَوْ مُبْتَلَى
 ... وَفِي عَهْدِنَا كَانَ مُسْتَفْصِيًا
 عَلَى النَّبِذِ لَمْ يَغْتَزِلْ مَخْفِلَا
 أَلَنْ يَضُنُّقُوا، قَطُّ، فِي مَرْعَمٍ
 كَمَا بِالْأَكَانِيصِ جَائُوا الْفَلَا

فَأَتَى لِسُودَانٍ أَتَمِهِمْ
 بَانَ يُذَمِّنَ السَّيْرَ نَحْوَ الْعُلَا
 وَابْنَ الْخِيسَارَاتِ كَانَتْ... إِذَا
 بِهِمْ كَانَ بَابُ الْعُلَى مُقْفَلًا
 تُطَيِّحُ بِحُكَامٍ عَجَزَ لَهُوَ
 إِلَى رُكْنٍ مَا بَاعَ وَاسْتُجِدَّ لِأَ
 فَطُوبَى لَهَا يَوْمَ أَنْ أَزْكَبَتْ
 عَلَى الْفُورِ سُلْطَانَهُمْ ثِيْلًا!

وَشَقَّتْ - لِنَلَا يُبَاعَ الْحَمَى -
 طَرِيقُ انْبِعَاطٍ لَهُ مُذْهِلًا..
 وَشَغِبَ وَجِيشٌ عَلَى كَلِمَةٍ
 سَوَاءٍ قَدْ اسْتَلَّهَمَا الْمُتَزَلَّ:
 وَهَمَا يُعِيدُهُ مِنْ قُوَّةٍ
 يُعِيدُا مَعَ الدَّائِنَةِ الْمُنْجَلَا..
 وَرَغِمَ الْوَعَى لِلْسَّلَامِ ابْتَنَوْا
 مِنَ الدَّخِيلِ الصُّرْخَ حَتَّى عَلَا:

وَأَنْ مَنَقَلًا وَأَخْضِرَارٍ زَهَا
 .. إِلَى الثُّغْرِ مُسْتَنْزِفًا مَنَقَلًا،
 وَمِنْ سَنَجِكَ نَنْ طَنْبُورُهُ
 .. إِلَى سُومِي فِي رَقْصَةِ الْكَفْبَلَا
 شُعُورٌ - وَجِسُ الْهَوَى وَاجِدٌ -
 بِفَجْرِ جَيْدٍ بِدَا مُقْبِلًا:
 دَمًا، ثُمَّ دَمْعًا وَنَفْطًا مَعًا -
 لِإِزْسِي وَفَاتَى وَكُلَّمُ عَلَا..

وَفَارَقَ الْفَجِيرَ - فَرِحْنَا بِهِ،
 عَلَى بُغِينَا - إِنَّ رَسَا أَكْمَلًا،
 فَلَمَّا انْتَبَهْنَا لَأُنَا - وَقَدْ
 نَأَيْنَا - اِسْتَبَهْنَا بِحِبِّ سَلَا..
 بَكَيْنَا كَمَا قَدْ بَكَى شَاعِرُ
 فِرَاقِ الْمَوْلَى مِنَ الْأَشْكِلَا!

وَأَمَّا فِرَاقِي لَكُمْ - إِيخْوَتِي!
 فَمَا عَنْ نُفُوسٍ، وَلَا عَنْ قُلُوبٍ..
 وَلَا عَنْ تَأْسٍ بِمَنْ كُئِلَا
 نَفِيرٌ دَعَا صَدًّا وَاسْتَمَهَلَا..
 وَلَكِنْ رِيَاظًا عَلَى فُرْجَةٍ
 وَيَبْقَى وَلَاتِي لَكُمْ أَوْلَا!!
 انجمينا - ١٩٩٩/٨/٥ م

٤٥ - اتيناكم

[الهمز]

أَتَيْنَاكُمْ... أَتَيْنَاكُمْ،
فَخَيُّونَا نُخَيِّبُكُمْ
وَلَوْلَا الْحَبِيبَةُ السُّمُرَا
ءُ، لَمْ نَخْلُلْ بِوَابِكُمْ
أَتَيْنَاكُمْ تُرِيدُ الْوَضَلُ
وَفَقَّ الشُّزْعُ وَالسُّنَّةُ

فَرَّغَ النَّبِيُّ وَالْأَنْبِيَا
ءُ، وَالْأَشْهُوَاقِ وَالْفِتْنَةُ
عَلَى عَهْدِ الْهَوَى الْعُثْرِي
ي لَمْ نَبْرَحْ بِلَا ظَنُّهُ
لَعَلَّ الْعَهْدَ يَعْطِينَا
بِوَابِكُمْ غَدَا جُنْهُ
فَخَيُّونَا لِكَيْ نَخَيَّا
بِسِلْمٍ فِي مَغَانِيكُمْ
اتيناكم فَهَلْ نَلْقَى
سَلَامًا مِنْ فَتَاةِ الْحَنَى؟

فَلَمَّا حُيِّتْ صَحْبِنَا مَا
 بِهَا نَطْوِي الصُّخَارَى طَيِّ
 نَزَفَ الرُّكْبَ لَا يَقْطَعُ
 عُزَى قَنِيسٍ وَلَيْلَى شَنِ
 وَإِنْ تَسْكُتْ عَلَيْنَا مِنْ
 حَيَاءٍ ذَاكَ لَا مِنْ عَنِي
 فَحَيُّونَا عَنِ الْخُورَا
 ١٠ وَلَتَكُنَّ أَمَانِيكُمْ
 اتَيْنَاكُمْ وَلَوْلَا الْحَبِي
 بَةُ السُّفَرَاءُ لَمْ نَلِ!!

... فَلَمَّا حُيِّتْ وَالْإِشْرَا
 قُ، فِي الْأَزْمَارِ وَالنُّبُتِ...
 ... وَكُلُّ الْخَيْرِ وَالْإِنْمَا
 ١٠ وَالْبُشْرَى مَدَى الْوَقْتِ،
 وَجِئْنَاكُمْ بِأَوْفَانَا:
 فَتَنَّى يَغْلُو عَلَى النُّفُتِ:
 فَحَيُّونَا يَتِمُّ السُّفَرَا
 دُ وَالنُّفُتَى تُحَيِّيكُمْ!
 دار كجاسة، في ريف تشاد - ١٩٧٣م

٤٦ - لِيُخْلَدَ مَا تُشِيدُ^(١)

[الوافر]

بقاؤك لا يمددته محامي:
فعمرك للتناقض بانتظام!
وعجزك عن شعراء بقيقتين
يساوي عجز طالب الف عام!
وتفطّمك الحياة ولست تدلي
برأي في الرضّاع ولا الفطام..

ولنّ بنيت اليدان قصور دنيا
بدا فيها القصور عن التمام:
متى استنوّت القواعد راسيات
سرى السوس المؤسس لأنثلام!..

وحيث تناطح السحب المباني
تؤول الناطحات إلى حطام:
فما رفع المقلول غير وهم،
وما اصطنع البناء سوى زكام!

(١) المناسبة: أعدت لكي تلقى في حفل للجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة (مكتب تشاد) بمناسبة الأحداث الثلاثة المشار إليها ضمن القصيدة.

فغيم - إنن - تُحِصِرْ عَلَى سَرَابٍ؟
 وَأَيْنَ الْخَلْدُ؟ خَلَفَكَ أَمْ أَمَامِي؟
 يَسَارِعُ بَعْضُ مَنْ جَهِلُوا فَضْلُهَا
 إِلَى بَحْرِ مِنَ الشُّهُواتِ طَامِي
 وَانْزِدْ يَلُودُ مَنْ اسْتَجَابُوا
 لِرَبِّ النَّاسِ بِالْهَمِّ الْعِظَامِ!

لِيَخْلُدَ مَا تَشِيدُ رَمَ مَقَرًّا
 لَهُ دَائِرُ الْحَقِيقَةِ وَالْمُقَامِ
 تَنَاسُ بِلِجْنَةٍ بِيَدِ اغَاثَتِ،
 وَيَا الْآخِرَى أَرَأَيْتَ سُبُلَ السَّلَامِ

تَمَهَّدُ لِلْمَنَاتِ سَبِيلَ حَيٍّ،
 وَتَلْتَمِئِي، فِي الْمَجَاعَةِ، بِالطَّعَامِ
 وَفِي صَلَاةِ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى
 - وَلِلْخَيْرَاتِ - تَسْبِقُ أَوْ تَسَامِي
 وَفِي رَمَضَانَ أَطْلَعَمَتِ الْبَرَائِيَا
 فَطَوْرًا بِالْثُمُورِ وَبِالْإِدَامِ

إِذَا اقْتَتَلَ الْأَجِبَّةُ حَوَّلَ بَثْرَ
 سَقَّتْ مِنْ رَاشِدٍ وَإِلَى حُزَامِ
 بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ تُخَفِّرَانِ،
 وَفِي الْبَثْرَيْنِ مَقْبَرَةُ الْخِصَامِ!

وَمَا هِيَ تَبْدَأُ الْفَقَرَاتِ حَفْلًا
بِأَعْمَالٍ مَقْتَمَةِ الْمَرَامِي
فَجَامِعُ فَيَصِلُ الْعِلْمُ الْمُغْلَى
تَجَلَّى الْآنَ فِي يُسْطِ الْكِرَامِ
وَمَنْ قَرَشَ الْمَسَاجِدَ نَالَ حَقًّا
مِنْ الرَّحْمَنِ فَوْقَ مُنَى الْأَنْسَامِ!

وَتَمَّتْ جَامِعُ، فَتَحُوا، جَدِيدُ
عَلَى تَقْوَى تَأْسِسَ لِلْقِيَامِ
نَعْوَهُ تَيْمَنًا، وَيَدُونِ شَرِكِ،
أَبَا ذَرٍّ؛ فَبُورِكَ فِي الْأَسَامِي!

وَتَفْتَحُ الْعِلَاجَ ثَلَاثُ دَوْرٍ:
عِيَادَاتُ مَكْمَلَةِ النُّظَامِ
جَزَى الْمَلِكُ الْمَهِيْمُنُ مَنْ بَنَاهَا
ثَوَابًا لَا يَكْفُ عَنْ التَّنَامِي!

شَعُورُ قُلُوبِنَا فَرَحٌ وَشُكْرُ،
وَبَعْضُ مَنْهُ يَظْهَرُ فِي الْكَلَامِ
وَفِي كَلِمِي سَائِظُهُ عَقُودًا؛
فَهَلْ تُغْفَى إِذَا صَمِتَتْ، حُرَامِ؟

فِيَا مَنَحَ الرِّضَا بِتَشَادٍ: زَيْدِي،
وَيَا أَيَّامَهَا الْفَلِيقَاتِ: نَامِي!

أَكْبَنُ لَجَابِرِي الْفَتَرَاتِ حَبًّا،
 وَسُلْطَانِ الْأَمِيرِ لَكُ اخْتِرَامِي
 وَيَا قَرْنِي نُمُ سَنَدًا لِبَالِي
 رَسُولِ الْبِرِّ مِنْ أَرْضِ الْإِمَامِ
 مُنْقَذِ أَمْرِ مَنْ هَطَلَتْ يَمَدَاهُ،
 وَأَنْسَى سَارَ قَوِيلَ بِافْتِمَامِ؛
 أَذْكَرُكَ اسْمَ مُؤْتَمَرِ نَسَائِي
 إِلَى ثَانِيهِ عَطَّلَ بِاللَّجَامِ
 وَاشْكُرْكُمْ كَمَا فَعَلْتُ الْوَفَّ،
 بَقِيَّتُمْ مَفْلَحِينَ عَلَى السُّدُومِ!!
 انجمينا، في ٢٦/٤/٢٠٠٢م

٤٧ - خيوط الجريمة^(١)

[الطويل]

تَلَاَقَتْ عَلَى غَدْرِ بِمَعْنَى وَقِيَمَةٍ،
 قُلُوبٌ كَأَحْجَارٍ وَأَيْدٍ أَثِيمَةٍ؛
 وَطَاوِطُ لَيْلٍ خَطَطَتْ ثُمَّ تَفَقَّتْ،
 وَلِأُيْلٍ أَفَاتُ، هَذَا، مُسْتَدِيمَةٍ!
 جَنَتْ مَا جَنَتْ، مِثْلَ الْأَفَاعِي، فَبَيَّنَتْ
 مَتَى يَصْبُغُ الْإِنْسَانُ دُونَ الْبَهِيمَةِ!
 بَلَا أَيْ نَسِبٍ أَطْلَقَتْهَا رِصَاصَةً
 - عَلَى الرَّأْسِ، تَعْنِي الْقَتْلَ عَمْدًا - يَتِيمَةٍ!
 وَسَاعٍ إِلَى بَعْضِ الزُّوَايَا يَزُورُهَا،
 صَالِحًا وَنُورًا^(٢)، قَدْ أَعَاقَتْ قُدُومَهُ:
 فَلَمَّا فَسَوَى مُسْتَشْهِدًا مَاتَ مُحَسَّنُ
 كَرِيمٍ أَخُو ذِكْرِ لَهُ الْبِرُّ شَرِيفٍ
 .. يَرَى نَفْسَهُ الْمُغْنِيَّ بِالْفِعْلِ إِنْ رَأَى
 «نِدَاءً لِأَصْحَابِ الْقُلُوبِ الرَّحِيمَةِ^(٣)»
 وَأَنَّى لَهُ التَّسْوِيفُ وَالْخَيْرُ وَأَفْرُ
 وَإِثَارُهُ الْيُسْرَى وَطَيْبُ الْأَرْوَمَةِ؟
 فَمَا اغْتَالَ مَنْ أَزْدَوْهُ نَفْسًا بَرِينَةً
 فَقَطُّ: إِنَّمَا اغْتَالُوا قُيُوضًا وَبِيمَةً!

(١) (في ليلة الجمعة ٢٦/٩/٢٠٠٣م جرى بانجمننا احتفال رجل الأعمال والبر والإحسان السوداني الشيخ ابن عمر

إدريس يوسف، رحمه الله).

(٢) إشارة إلى زاوية الشيخ/ صالح النور التي كان الفقيد متوجهًا إليها حينما تم اغتياله.

(٣) إشارة إلى باب في بعض الصحف يخص طلب المساعدة لنوي الحاجات.

وإبليسُ غشَّاشٌ^(١)، نَعَمْ، لَكِنَّ السَّوَرَى
 عقولُ: أيرضى العقلُ أَلَّا تُلَوِّمَهُ؟
 تَنَاقَى زَمَانٌ طَالَمَا صَبَّ لَوْنُهُ
 عَلَى صَوْتِ غَزِيَانٍ وَإِبْصَارِ بُؤْمَةٍ!
 وما العمرُ إِلَّا مُرَّةٌ عَاشَهَا فَنَى
 إِلَى اللَّهِ يَمْضِي مُؤْمِنًا ذَا عَزِيمَةٍ
 .. وَمِنْ بَعْدُ يَلْقَى خَصَمَهُ بَوْنَ عَضْبَةٍ:
 قَرِيبًا، إِمَامَ اللَّهِ، فَصْلُ الْخُصُومَةِ!
 .. عَلَى أَنْ لِلْأَحْيَاءِ حَقًّا يَصُونُهُمْ
 قِصَاصًا وَتَأْمِينًا، فَايْنِ الْحُكُومَةِ؟
 الِيسْتُ عَنِ الْمَشْرُوعِ^(٢) مَسْؤُولَةٌ هُنَا
 وَمَنْ فَمَّةُ الْمَشْرُوعِ حَتَّى يَقِيمَهُ؟
 وَشَعْبٌ يَعْيشُ الْعَمَرَ صِيدًا مَطَارًا ذَا:
 أَمَا أَنْ أَنْ يُلْقَى فَيُكْفَى هُمُومَهُ؟
 وَمَنْ، ثُمَّ، قَدْ يَكْفِيهِ إِلَّا حُكُومَةٌ
 عَسَاها - بِجَنَازِهَا - تَفُوقُ التُّمِيمَةَ!
 وَلَا خَيْرَ فِيهَا بَوْنَ عَطْفِ الْأُمُومَةِ!
 وَغُطَّتْ - عَلَى عِلْمٍ - خِيُوطُ الْجَرِيمَةِ
 .. أَوْ اسْتَهْتَزَتْ بِالْأَمْرِ، أَوْ فِيهِ مَا طَلَّتْ
 كَصُنْعِ الدَّارِيِّ طِفْلَهُ كَي يُنْبِئَهُ:
 فَلَا نَوْمَ فِينَا بَعْدَمَا عِيلَ صَبْرُنَا
 وَلَا فِي مَالَاتٍ، تَرَاعَتْ وَخِيمَهُ

(١) دغشني إبليس، هو اعتذار كثيرًا ما يردده مرتكبو الخطايا.

(٢) إشارة إلى مشروع مصفأة النجسين الصغرى التي تعمل في إتمامها شركة الفقيد.

وليست دروبُ الحكمِ إلا لعينةُ
 تلوُّثٍ وأخرى، تُفَنِّدِي، مستقيمه!
 إِنْ الْحُكْمُ - حَقُّ الْحَكَمِ - إِلَّا لِرَيْنَا،
 ونعماؤه ظَلَّتْ علينا عميمه،
 سألناه رضوانًا يَغْطِي فقيمتنا،
 ومسكًا - على قُرْبَى - يَرُوي كُلُّوْمَه،
 ويا أهلَ قطرينِ اسْتَعَانُوا بدمعهم
 وصبرٍ على إحدى الرزايا الاليمه:
 كما وُجِدَ الحزنُ الشقيقينِ وَجَدُوا
 مصيرًا.. مضى عهدُ الحُدُودِ القديمه!
 انجمينا - في ٢٠/٩/٢٠٠٢م

٤٨ - رنين

يَرِنُ، يَرِنُ، يَرِنُ!
يَرِنُ، يَرِنُ كَمَطْرِقَةٍ؛ وَيَرِنُ، يَصِلُصِلُ لَيْسَ يَكِلُ!
يَرِنُ كَمَا تَتَصَايَحُ جَنُ:
دَوَائِرُ مِنْ صَخَبٍ وَصِدَاءٍ: يَطِرُنُ فَتَكْبُرُ حِينَ يَطِنُ..
وَتَتَسَعُّ الْحَلَقَاتُ: يَظَلُّ يُجَاوِبُهَا وَيَتَلَّ:
يَرِنُ، يَرِنُ، يَرِنُ!
يَرِنُ بِجَعْبَةٍ مَمْتَحِنٍ وَيَصِلُ،
يَرِنُ وَبِالْصُدَمَاتِ يَشُدُّ
عَلَى الْقَلَقِينَ تَوَثُّرُهُمْ: فَيُثَوِّرُ قَتَى وَيُخْرِ مُسِنُ،
وَيَبِينُ مَكَالَتَيْنِ يُصَيِّعُ حُلُ..
فَيَرْسِبُ ذُو كَسَلٍ وَمُجْدُ!!

يَرِنُ، يَرِنُ، يَرِنُ!
وَنَجْلِسُ مَجْتَمِعِينَ مَعًا فَيَرِنُ،
يَرِنُ بِصِلْصِلَةٍ مُتَسَلِّسَةٍ فَنَكَادُ نُجِنُ؛
يَرِنُ، فَتَزِيكُ جَلَسَتْنَا وَنُشَلُ:
فَنَحْنُ - بِفَعْلٍ حَرَاكِ ذَوِيهِ - أَقَلُ،
يَقُومُ مِنَ النَّصَفَتِ أَذْنَاهُ بِهَاتِفِهِ وَيَنْدُ..
تَلَوُّحٌ مِنْهُ يَدَانِ وَتَضْحَكُ سِنُ!

فَنَزَجَ لَوْنُ نِصَابٍ لَوَائِحِنَا وَمُرَدُّ...
 نلوكُ بَقَائِنَا، نَتَرَقَّبُ مَنْ جَلَسُوا وَنَعُدُّ^١
 لَكِي نَتَعَهَّدَ جَلَسَتْنَا، فَإِذَا بِجِهَانٍ سَوَاهُ يَرْنُ!^٢
 يَرْنُ، يَرْنُ، يَرْنُ...
 كَمَا يَتَخَذُّ فَوْقَ يَدٍ تَتْرَاعِشُ غُلٌّ!^٣
 يَرْنُ، يَرْنُ، يَرْنُ...
 نَقِيقُ ضَفَادَعٍ: تَتَعَبُ وَاحِدَةٌ فَتَصْنُ^٤
 فَتَنْطَلِقُ الْعُشْرَاتُ كَأَنَّ تَفَاقَبَهُنَّ قَضَاهُ سِجِلٌ^٥
 وَصَوَلَتُهُنَّ عَلَى التَّسْمَعِ خَدٌّ!!
 وَتَذْهَبُ جَلَسَتْنَا بِدَا وَتَضِلُّ^٦
 يُرَاوِخُ مَوْعِدَهَا - لِتُعَاوَدَ - بَيْنَ «أُوكِّدْهَا» وَ«أُظَنُّ»!

يَرْنُ، يَرْنُ، يَرْنُ!^٧
 كَأَنَّ مِنَ الزَّمَلَاءِ هُنَاكَ مَنْ هُوَ ضِدٌّ:
 جَيُوبٌ مَلَابِسُهُمْ تَتَحَوَّلُ أَعْمِدَةً، وَتَكُنُّ^٨
 سَمِيفٌ بِمَقْلَسٍ إِذْ يَتَنَارَلُ عَدُوٌّ...
 نُوَانِي: ثُمَّ تَصِلُ!^٩
 هَوَاتِفُهُمْ تَتَبَادَلُ نَوَزَ مَقْتَلِنَا، وَتَظَلُّ تَصِلُ:
 تَقْسُطُ مَهْلِكُ سَائِرِنَا بِقِلَاحِهَا، وَلِئِنَّكَ فَرْنُ^{١٠}
 - بِمَصْلَحَةِ الْعَقْلَاءِ يَخْلُ! -
 عَلَيْهِ بَارِضُ تَشَادَ بَنُو مَدَرٍ نَشَاوَا وَمَعَدُ:
 فِيهِ الْوَطَنُ الْعَرَبِيُّ نُعَدُّ،
 وَلِلْأَزْمَاتِ هُنَاكَ صَبَاحُ مَسَاءٍ مَحَلٌّ!!

يَرِنُ، يَرِنُ، يَرِنُ!
يَرِنُ يفاجئ مُخْتَصِرًا، فينُ:
يَرِنُ خلالَ جراحتهِ وَيَرِنُ،
يَرِنُ مَدَى تتخلَّلُ غفوتُهُ وتقدُّ،
تهزُّ سَكِينَتَهُ ما حقنوه فخرُهُ وتهذُّ:
كأنَّ جهنَّمَ ذَمُّ تُطَلَّ..
لها صخبٌ يتجلَّلُها، وَمِنَ الدُّرَكَاتِ يُشَنُّ:
فأينَ نِجَاحُهُ مِنِ اخْتَرَقَتْهُ مِباحُصٌ؟ كيفَ يقبِرُهُ مَصْدُ
وما صَجِبَ الْعَمَلِيَّةُ سَدُّ؟
وليسَ مِنَ الصَّخْبِ الْمُتَمَوِّسِقِ نَمَتْ ظِلُّ:
فها هُوَ هاتِفٌ بَعْضِ مَنِ اضْطَحَبُوهُ يَرِنُ!
يَرِنُ، يَرِنُ، يَرِنُ..
كما شَحَذَ الشُّفْرَاتِ مِسَنُ:
يَرِنُ، يَرِنُ، يَرِنُ..
يَرِنُ كما تتصايحُ جُنُ:
يَرِنُ، يَرِنُ، يَرِنُ!!

(انجمينا ٢٠٠٢/٧/٩م)

٤٩ - يَاسِينَ فِيهِمْ^(١)

[المنسرح]

سَيِّقُوا إِلَى حَيْثُ الْبِشْرُ وَالْفَرْحُ،
وَأَمَّا لَهُمْ! إِنَّ الْقَوَمَ قَدْ رَجَحُوا!
عِنْدَ الَّذِي مَا ضَاعَتْ وَدَائِقُهُ،
قَدْ زَايَلُوا عَهْدَ الْمَوْتِ وَأَطْرَحُوا!
وَاللَّهِ أَحْيَاءُ عِنْدَهُ أَبَدًا:
يَكْسُوهُمْ الْأَطْمِنَانُ وَالْفَلَحُ!
أَوْتُوا طَيِّوْرًا خُضْرًا حَوَاصِلَهَا
مَلَأَى الْأَرْوَاحَ كَمْ بِهَا سَمَحُوا!
يَاسِينَ فِيهِمْ - إِنَّ شَاءَ خَالِقُنَا -
شَيْخٌ شَهِيدٌ، وَالصُّدْرُ مَنْشَرٌ!
أَرْضَى وَيَُرْضَى: فَالشَّيْخُ أَحْمَدُ لَمْ
يَطْمَعْ إِلَى دُنْيَا شَأْنٍ مَنِ طَمَعُوا..
بَلْ كَانَ اسْتِذَاذَ الْبَانِئِينَ بِنَاءً،
لِلْحَقِّ مَا أَعْطَوْا ثُمَّ مَا سَفَحُوا!
يَمْضِي إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ، فِي ثِقَةٍ!
أَنْتَ الَّذِي مِنْكَ السَّمْنُ وَالْمِنَحُ..
يَمْضِي وَقَدْ أَدَّى فَيْكَ وَاجِبَهُ:
رَبِّي الْأَلَسَى حِينَ الْبَيْتِ مَا بَرَحُوا،

(١) (في رِثَاءِ الشَّيْخِ الْمَجَاهِدِ / أَحْمَدَ إِسْمَاعِيلَ يَاسِينَ مُؤَسَّسِ حَرَكَةِ «حَمَاس»)

غاياتهم إحدى الحسنَيْنِ فقط
 إذ تنجلي رؤياهم وتتضح!
 فاضوا حماساً للتيّن كلفهم
 رِيّاً لأرض كلِّ به فَرِح!
 إن تكفِ اقتداعُ فالقلوبُ كَفَتْ،
 والقدسُ في القلبِ القدُسُ أو رَفَع!
 تَسْقَى «حماسُ» الأرضَ الدَّمَاءَ، فلا
 ملّت «حماسُ» السَّقْيَا ولا القدحُ!
 أمّا وقد رَفَعَتْ رَوْحَ قائدها
 للخلدِ فالثَّارُ الآنَ مقترحُ:
 ردّاً على استفسارِ المسائل: «هل
 خافوا من المحتلّين أم صفحوا؟»
 وَالْعُنْي - لا في الإيصارِ - أسكرهم
 - لَمَّا رموا شيخاً مُقَفِّداً - مَرَحُ!
 في سبعةٍ من أحبابه نُثِّروا
 غدرًا، على باب المسجد انطرحوا
 فجزّوا وقد نالوا بالصلاة رَضًا
 من رِيّهم! ما بعد الرِّضَا تَرَحُ!
 راحوا ضحايا عدوان طائفةٍ
 من صنع أميركا، قد رمت فَمُحُوا!
 صيدوا كآلافٍ لا سلاحَ لهم
 من قبلهم غِيلوا ثُمَّ أو جُرِحوا!
 ما هذه أخلاقُ الصُّرُوفِ ولا
 أياتِ سلمٍ يا مَنْ لها جنحوا!

«هل دولة أم هل دولتان هنا
 نبني غدا؟» والبازار منفتح!
 اقوالهم - لولا أنها طرقت
 موضوع جد - قلنا: «هي الملح»
 أسرى العروش الوهمي أكثرها
 لن يدركوا أبعاد الذي شرحوا!
 حكاهم ضعف - يا شيخ، ضقت بهم -
 بالحرب ضاقوا، للمصلح ما صلحوا!
 لا نقص فيهم إلا إرادتهم
 - يا شيخ - شئت فالامر مفتضح
 ما كنت مشلولاً، بل فم انحصرت
 أفأفهم حتى أنهم كسحوا!
 ثبثت وارتاعوا، فزت وانتكسوا،
 واليوم سابت الخسوء وانبطحوا
 تفدى فلسطين اللاجئين، وهم
 يفقدون همماً! معبودهم شبح!
 والمسجد الأقصى لا يحرره
 إلا امتثال للحق إذ يضح
 مثل الذي نرجو - دون تزكية -
 أن قد بلأ شيخ سيؤيه رُجح!
 يا رب فامنن وأقبل شهادته،
 وانصُر جهاداً قد عاش يجترح!
 انجمنا - في ٢٤/٣/٢٠٠٤م

٥٠ - كشف المطمورة عن أبيات مغمورة

في نجوى نور المغمورة

الْبَادِي بِاسْمِكَ مُؤْتَجِرٌ^(١)
وَيَحْمَدُكَ يَلْهَجُ مَنْ ذَكَرُوا؛
مِنْ ذِي نِكَ^(٢) يَضْمَكُنِي شَوْزٌ^(٣)
فَقَسَى يَأْتِي مِنْكَ الْفَجْرُ^(٤)
وَعَالِي الْمَذْكُورِ بِهِ مُضَرٌ
صَلَوَاتُكَ مُزْنٌ تُغْتَصَرُ^(٥)
بِوُجُودِكَ تُغْتَرِفُ الْفِطْرُ
فَلِأَطْفِكَ فَيْضٌ مُنْتَشِرٌ
وَتُسَبِّحُ بِاسْمِكَ - طَائِعَةٌ -
أُمٌّ لَا يَغْرُوهَا^(٦) ضَجْرُ
طَيْرٍ، وَيَهَائِمُ هَائِمَةٌ،
وَجَمَادُ أَخْرَسٍ، أَوْ شَجْرُ
وَكَوَاكِبُ تَسْبِيحٍ فِي فَلَكٍ،
وَمَعَانٍ تَفْنَأُ^(٧) تُخْتَفَرُ

(١) مؤتجر: يطلب الأجر من الله تعالى.

(٢) ذينك: منى ذلك.

(٣) شوز: متاع البيت.

(٤) الفجر: الجود، المعطاء، كثرة المال.

(٥) مزن: سحب؛ تغتصر: تغطى وهي المصبرات.

(٦) يعرفها: يعثرها، يصيبها.

(٧) تفنأ: تظلل.

وَقَانِي^(١) لَيْسَ نَشَامِدُهَا
بَيْنَاهِي فِينَا قَدْ تَكِر^(٢)
.. كُلُّ - إِلَّا الثَّقَلَيْنِ^(٣)! - سَعُوا
فِي الطَّاعَةِ تَغْصِيهِمْ أُسْر^(٤)!
أَمَّا الثَّقَلَانِ فَمَا زَعِبَتْ
نَفْسُ: يُسِرَّت^(٥) أَوْ تَتَرَدَّدُ:
فَهُمَا فِي دَارِ بِلَاءٍ، إِنَّ
مَحْضُوكَ^(٦) عِبَادَتَهُمْ أَجْرُوا،
وَمَصِيرُ الْأَشْقَى هَاوِيَةٌ،
حَيْثُ الْمَأْقَى مَعَهُمْ صَخَرُ:
يَبْقُونَ وَقُودًا لَا يَفْنَى،
وَتَحَرُّقُهُمْ - أَبَدًا - سُعْرُ:
لَا مَوْتَ يُرِيحُ وَلَا مَنَاجِي،
وَلَطَى تَشْوِي.. بَلْ تَهْتَبِر^(٧)..
.. لِيَقُودَ الْجِلْدُ يُغْذِيهَا:
مَا يَنْبُتُ فَوْرًا يَنْصَهَرُ!
فَمَقَاذِي ثُمَّ مَلَاذِي لُطْفُ
كَ يَا رَبِّي، فَهُوَ الْعَصَرُ^(٨)!

(١) دقائيق؛ كائنات دقيقة.

(٢) تَكِرُ: تسكن، تتخذ وكراً.

(٣) الثَّقَلَيْنِ: الإنس والجن.

(٤) أسر: قيود.

(٥) يُسِرَّت: يُسَرَّتْ لِيُسَوَّى، تَتَرَدَّدُ: تَرْتَكِبُ إِنَّمَا وَتَكْسِبُ وَزَرًا.

(٦) محضوك: اخلصوا لك.

(٧) تهتبر: تقطع.

(٨) العصر: الملجأ.

وَلَيْسَ أَعْمَدَتَكَ عَذَابَ لَطْفٍ
 فَلِإِسْوَابَةٍ، وَيَسَا تَزِدُ
 كَمْ مِنْ قَرْنٍ عَجِلَتْ لَهُمْ
 لَوَزَائِعُوا الْقَصْدَ لِمَا تُبَيِّرُوا^(١)
 .. لَجُّوا فِي طُغْيَانٍ حَتَّى
 عَنْ عَقْرِيكَ أَقْصَاؤُهُمْ زُرُّوا^(٢)
 فَبِعَذَابِكَ - رَبِّي - هُمْ مَلَكَوا،
 وَمَضَوْا، لَمْ يَبْقَ لَهُمْ أَثَرُ
 فَبِإِسْوَابَتِهِمْ^(٣) وَطَرَائِفُهُمْ
 صَرَعَتْهُمْ عَائِدُ^(٤) مَا فَجَرُوا
 وَظِلَامُ الشُّكِّ تَقَدَّمَهُمْ
 فَلَيْسَ وَزَنُوا فَكَمَا صَنَعُوا!
 لَكِنَّ الرُّخْمَةَ قَدْ سَبَقَتْ
 - بِالْفَضْلِ - عَذَابًا يَسْتَعْرِ
 فَلَكَ اللَّهُمَّ الْحَمْدُ عَلَى
 هَذَا وَلَنَا الْفَرْحُ الْأَمْرُ^(٥)
 فَبِإِضْلَالِ اللَّهِ وَرُخْمَتِهِ
 فَبِعَذَابِكَ يَفْرَحُ مُذَكِّرُ!
 أَبَدَعْتَ الْكَوْنُ بِكَلِمَةٍ «كُنْ»!
 وَتَقَدَّرُ فِيهِ وَتَقْتَضِرُ

(١) تهبوا: اهلكوا.

(٢) زور: ميل وانحراف.

(٣) بواسطتهم: أذاهم والمهلكة.

(٤) عائد: جزاء.

(٥) الأمر: الكثير.

وَمَلَأَتِ الْمُنْتَفَةَ آيَاتٍ
تَهْدِي الثَّقَلَيْنِ إِذَا بَصُرُوا
فَالنُّزَّةُ أَضْفَرُهَا شَيْئًا،
وَالنُّزَّةُ - أَيضًا - تَنْشَطِرُ..
.. فَتُولَدُ طَاقَاتٌ قُضِي
خَيْرًا أَوْ شَرًّا تُفَضَّرُ^(١)
تَبْنِي - إِنْ شَاءُوا نَلِكًا - أَوْ
فَتُفَمَّرُ أَشْنَعُ مَا دَمَرُوا
فَتَكُونُ رَوَابِيعٌ مِنْ نَارٍ
إِذْ يَلْتَهُمُ الْكَبِيرُ الصَّغِيرُ!
أَمِنْتُ بِكَ اللَّهُمَّ، وَفِي
الْأَيْتِمْ^(٢) قَدْ هَشِنِي فِكْرًا
وَالطَّاقَةُ أَذْنِي يَأْخُذُهَا
- فِي خَالٍ تَحُولُهَا - مَعْرُ^(٣)؟
مَا إِلَيَّاتُ تَحُولُهَا
مَا غَايَتُهَا^(٤) إِذْ تَنْشَجِرُ؟
وَنُكَا^(٥) إِلَآمٌ تَوْفَرُهَا؟
مَنْ خَرْنَهَا، فَبِهَا تَقِرُّ؟
مَنْ غَيْرُكَ يَا رَبُّ الشَّعْرِ
عَبَثَتْهُ شُمُوسٌ أَوْ بُورُ؟!

(١) تمتصر: تحلب، تستحلب.

(٢) الأيتيم: أيتامك، ونعمك.

(٣) معر: قلة وتلاشي.

(٤) غايتها: منتهى امرها.

(٥) نكاه: الشمس.

وَمَجَرَاتِ كُنُوزِي تَسْهِي
 فِي سُزْغَةِ ضَوْءٍ يَنْفَجِرُ...
 .. بِفَضَاءٍ مَدَّ الطَّرْفَ بِلَا
 حُدٍّ، فَإِلَى أَيْسَنِ السُّفَرِ؟
 الْعِلْمُ لَنَيْكَ! فَلَا أَخَذُ
 يَدِي إِيَّانَ سَخَّخْتِي^(١)!
 لَا يَغْلَمُ غَيْرُكَ مَآذَا فِي
 غَيْثَا يَطْفَى أَوْ يَنْجَرِ^(٢)!
 وَنُتْنِي^(٣) تَنْقَرُ فِي حُفْرِ،
 فَتَحْصِرُ قُوَى بِلَكَ الْحُفْرِ
 لَا عَيْنَ تَرَاهَا بَلْ فِكْرُ
 وَجِسَابٍ، إِذْ كَيْفَ النُّظَرُ
 وَالضُّوْءُ أَسِيرُ فِي جِزْمٍ
 لَا يُفْلِتُ شَيْئًا أَوْ يَنْزُرُ؟
 سُبْحَانَكَ رَبِّمَا قَدْ أَلْقَى
 بِالسُّرْرِ لِحْضَوْءٍ يُنْتَنَرُ^(٤)
 وَلِلسُّتُورِيَّاتِ وَجُودٍ أَوْ
 أَبْعَادٍ رَاخَتْ تَنْتَبِرُ^(٥)!
 أَبْعَادُ وَجُودٍ مُنْهَلَةٌ،
 لَيْسَتْ قَوْضَى، لَكِنْ جُرُزُ!

(١) تختلر: تختفي، تدخل خبرها .

(٢) يطفئ: يزد، ينجز: ينقص .

(٣) دنى: جمع دنيا، تنقرم: تتضاءل، وبالإشارة هنا إلى ما يُعرف بالقبوب السوداء .

(٤) ينتنر: يجذب بشدة .

(٥) قنتبر: تبرز وتعلو .

فَقَوَاعِدُ تَسْنِي فِي بَعْدِ
بِسْمِ وَأَمَّا تَنْتَظِمُ الْآخِرُ
لَكِنْ السُّوْحَةُ نَامُوسُ
فَوَقَّ الْأَنْسَاقِ^(١) لَهَا عَجْرًا
فَذَا عَنْ ذَاكَ - وَإِنْ قَرَبَا -
بِقُيُودِ الْحَيِّزِ^(٢) مُخْتَظَرُ
.. إِلَّا مَا شِئْتَ - إِلَهِي - مِنْ
مَا يُسْتَنْتَضَى أَوْ مَنْ جُنُودًا
وَالْكَائِنُ فِي كُلِّ مِنْهَا
لَأَلُوفٍ أُخْرَى يَزْنِفِرُ^(٣)
سَيِّانٍ نِظَامٍ شَمْسِي
أَوْ مَا بِالْمُجْهَرِ يُجْتَهِرُ
فَالْكُلُّ مُرْكَبٌ أَجْزَاءُ
تَحْوِيهِ كَمَا فَقَلْتُ أَطْرُ
ذَرَاتٍ أَوْ جِيْنَاتٍ^(٤) أَوْ
جَزْمًا بِالْقُدْرَةِ تَنْخَفِرُ!
عَجَبِي مِنْ كُلِّ فِي جُزْءٍ
يُنْثَوِي، وَيَغِيْبُ قِيْبُتَقَرُ^(٥)!
وَتَعَالَى إِلَهُ الْوَجْدِ مِنْ
عَدَمٍ: لَا الطَّبْعُ، وَلَا الدُّفْرُ!

(١) الْأَنْسَاقُ: النِّظْمُ؛ عَجْرٌ: ظُهُورٌ وَدُرُوزٌ.

(٢) الْحَيِّزُ: الْمَجَالُ الْمَكَانِي وَالزَّمَانِي.

(٣) يَزْنِفِرُ: يَجْمَلُ.

(٤) جِيْنَاتٌ: مَوْزَنَاتٌ.

(٥) يُنْثَوِي: تَشَقُّقٌ مِنْهُ الْبَطْنُ.

سُبْحَانَكَ - رَبِّ الْعِزَّةِ - عَفَا
مَا قَدْ يَصِفُونَ إِذَا صَعِرُوا^(١)
مَنْ غَيْرُكَ يَخْلُقُ مِنْ مَاءٍ
كُلَّ الْأَخْيَارِ، وَيَنْتَكِرُ
وَتَكُونُ حَيَاةُ أَتْبَعَهَا،
فَبَالِي الْأَنْثَى يَاوَي الذُّكْرُ؟
هَلْ غَيْرُكَ مِنْ أَحَدٍ يُخْبِي؟
بَلْ فِيكَ الْقُنُزَةُ تَنْخَصِرُ!!
مَنْ هَبَّ لَهُ بَلَدٌ مَيِّتٌ
- كَالْجِيفَةِ - أَوْ عَظْمٌ نَجِرُ؟
مَنْ تَغْنُو^(٢) الْغَيْرُ الْجَوْلُ،
وَلِهَيْبَتِهِ أَنْتَكَ الْحَجَرُ؟
هُوَ أَنْتَ فَقَطًا لَا شَيْءٌ سِوَا
كَ لَهُ الْجَبَرُوتُ أَوْ الْخَطَرُ^(٣)!!
مَنْ يُلْهِمُ بِالْأَخَاطِرِ
فَإِذَا بِالْفِكْرَةِ تَخْتَمِرُ؟
كَيْفَ الرُّؤْيَا تَلْتَمِي؟ وَمَتَى
غَافٍ عَنِ وَعْصِي يَنْبَتِرُ؟
مَا الْوَعْيُ؟ وَمَا التَّنْوِيمُ؟ وَمَا
هُوَ كُنْهُ الرُّوحِ؟ وَمَا السُّكْرُ؟
لَا يَغْلَمُ مَخْلُوقٌ شَيْئًا
مِنْ ذَاكَ، قُصَّارَاهُ النَّجْرُ^(٤)

(١) صعروا: مالوا عن الحق.

(٢) تغنوا: تخضع.

(٣) الخطر: ارتفاع القمر والشرف والفتنة.

(٤) الدجر: الحيرة والاندھاش.

أَمْسِرُ السُّوْحِ اسْتَقَرْتُ بِهِ؛
إِذْ لَيْسَ لِيْغِيْرِكَ يَنْسَفِرُ^(١)
فَتَقَالِيْ جَدُّكَ نَافِذُهَا
فِي طَيْنٍ أَفْتُهُ الْبَغْفَرُ^(٢)
وَتُعْبُ الْمَاءُ، فَهَلْ يَضْفَرُ
بِإِرَاقَتِنَا أَوْ يَغْتَكِرُ؟
مَنْ سَأِلَهُ مِنْ غَارَاتِ،
فَهُوَ الْجَارِي وَالْمُنْتَثِرُ؟
مَنْ ذَا يَتَحَكَّمُ فِيهِ إِذَا
فِي الْجِسْمِ تَفَشُّشُهُ^(٣) الدُّثْرُ؟
مَنْ مِثْلَا يَذْرِي مَا يَجْرِي
فِي دَاجِلِهِ أَوْ يَغْتَوِرُ؟
النَّاصِرُ أَنْتَ، وَتَقْلَمُهُ
وَلَنْ يَغْمَ الْعَالِمُ، أَيُّ نَصَرُ^(٤)؟
كَلِمَاتُكَ لَيْسَ لَهَا عَسَدُ:
أَيَعَدُ الْمَاءُ أَوْ الْقَبْرِ؟
يَتَجَالَى لَطْفُكَ مَشْهُودًا
فِي كُلِّ نَوَاقِصٍ تُجَنَّبَرُ^(٥)
.. فِي كُلِّ كَمَالٍ نِسْبِي
تُبْدِيهِ لَيْالٍ أَوْ نُهْرُ

(١) ينسفر: يتجلى ويصيح.

(٢) البغر: الشرب بلا ري.

(٣) تفششه: غطته؛ الفخر: الأغطية.

(٤) أي نصر: يا ناصر.

(٥) تجتبر: تجبر وتصلح.

مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا خَضِلٌ^(١)
 بِنَعِيمٍ مِنْكَ، وَمُنْتَوِرٌ^(٢)
 وَكَأَدُ يَقُولُ: «خُدُونِي شَا
 هَذَا إِنْ شِئْتُمْ، إِنِّي نَكِرٌ»^(٣)
 وَكَأَدُ الدُّغَى تَنْطِقُ - فِي
 لَسَنِ^(٤) - بِوُجُوبِكَ، وَالْعُذْرُ^(٥)
 فِيمَ الْعُذْرَى لِمَنْ ارْتَكَبُوا^(٦)
 وَلَنْ أُنْذِي بِهِمُ الْفَرْدُ!
 مَعَ أَنْ بِسَالَاتِ الْوَلَى
 ظَهَرَتْ فِي الْعَالَمِ مُذْ ظَهَرُوا
 مِنْ أَمِّ حَتَّى مُوسَى كَمْ
 مِنْ مُعْجِزَةٍ لَا تَقْتَسِرُ^(٧)
 وَأَنْتَ - مِنْ بَعْدُ - إِنْشَارَاتُ
 بِالْكَأَمَةِ، تَوَجَّهَ بِكَرٍ^(٨)
 يَخْيَى، وَلِنْتُهُ - إِنَّنِ وَلِدَتْ
 بُشْرَى عِيسَى - عُجْرُ عُقْرُ!
 وَوِلَادَةُ عِيسَى نُونُ أَبٍ،
 فَسِمَاتُ نُبُوتِهِ الْكُبْرُ

(١) خضِل: مبتل.

(٢) منتور: مصطبغ ومتلون.

(٣) نكر: داه فطن.

(٤) لسن: فصاحة.

(٥) العُذْر: الأحوال.

(٦) ارتكسوا: ارتدوا.

(٧) تقتسر: تجبر وتكره.

(٨) بكر: صاحب بكرور قوي عليه، مبكر.

إِذْ مَضَىٰ إِبْرَاهِيمَ أَخَاهُ
 هَمْدًا، وَالْبُشَيْرَى لَا تَنْطَمِرُ!
 وَالْوَعْدُ مِنَ الْمُحْضَفِ الْأَوَّلَى:
 هَادٍ أُنْصِي مُنْتَظَرُ!
 وَأَزْنَتْ كَمَالًا لِلنُّفُوسِ،
 وَيَبْلَغُ النَّاسِ: فَقَدْ سَدَرُوا
 فَأَخَذَتْ بِأَيْدِيهِمْ لَهَا
 أَهْلِيَّتُ الرُّحْمَةِ تَبْتَدِرُ
 فَبَقِيَّتْ بِجِبْرَائِيلَ إِلَى
 جَبَلٍ فِيهِ الذِّكْرُ الْعَبِيرُ
 إِذْ كَانَ الرُّحْمَةُ فِي غَارٍ
 يَتَحَنَّنُ ثُمَّ وَيَسْتَحِيرُ
 (.. وَجِرَاءُ الْحَرَاءِ - الْآخِرَى
 بِالْخَيْرِ يُنْزِلُ - وَالْقُتْرُ^(١)
 ... فَهَذَا ظِلُّ الْمُنْفَرِ عَلَى
 نَأْبٍ بِالْخَلْوَةِ يَجْتَمِرُ^(٢))
 فَهُوَ الْمُتَحَنِّنُ^(٣)، لَمْ يَعْرِفْ
 فَمَهُ إِشْرَاكَ أَوْ نَعْرُ^(٤)!
 تَنْعُمُوهُ أَمِينًا - بِالتَّغْيِيرِ
 فِي - قُرْنِشٍ أَمْسٍ وَتَفْتَحِرُ!

(١) القتر: الناحية والجانب.

(٢) يجتمر: يتبخّر، أي يكثر من الخلوة.

(٣) المتحنن: المتعبد على ملة إبراهيم.

(٤) نعر: فساد

مِنْ نَغْسَوَةِ إِبْرَاهِيمَ وَيَشْهَدُ
 رَزَى عَيْسَى كَانَ لَهُ الْبَكْرُ^(١)
 بِدَائِلِهِ السُّرُوفِ صَادِقَةً
 بِاسْتِشْفَافٍ لَا يَنْكَرُ
 .. تَتَحَقَّقُ مِثْلَ الصُّبْحِ ذَرًا^(٢)
 فَبَدَا، حَتَّى أَنْ الْعَقَرُ^(٣)
 فَاتَّاهُ الْوَحْيُ عَلَى قَدَرٍ،
 وَيَأْمُرُكَ يَأْتِمِرُ الْقَدَرُ!
 وَأَمَرْتَ مَحْمُودًا الْمُهْدَى
 أَنْ يَقْرَأَ.. فَأَنْبَعَثَ الطُّهْرُ!
 وَيَمْبَعَثُ أَخْمَدَ قَدْ فُتِحَتْ
 أَبْوَابُ هَذَاكَ لِمَنْ كَفَرُوا
 فَهُوَ الْمِفْتَاحُ - عَلَيْهِ صَلَاةُ
 تِلْكَ، ثُمَّ سَلَامُكَ - وَالشُّبْرُ^(٤)!
 أَشْبَهْتَ عِبَانِكَ مِنْهُ سَنَى
 وَغَنَى وَغَنَى لَا تَهْتَوُوا
 وَتَلَاخَقْ وَخَيْكَ فِي نُجُجٍ^(٥)،
 وَرَسُولُ الرُّخْمَةِ مُنْبَهَرُ^(٦)
 أَيْبَاتٍ تَتَرَى أَوْ سُودٍ
 أَمْسَى يُؤْتَاهَا الْمُضْطَبِرُ

(١) الْبَكْرُ: التَّيَكُّرُ، الْمَيْدَا.

(٢) ذَرَا: مَرُورِيًّا، ارْتَفَعَ.

(٣) الْعَقَرُ: أَوَّلُ سَقِيَّةٍ سَقَاهَا الزَّرْعُ.

(٤) الشُّبْرُ: الْعَطِيَّةُ وَالْخَيْرُ.

(٥) نُجُجٍ: قَطْعٌ مَتَفَرِّقَةٌ.

(٦) مَنْبَهَرٌ: مَبَالِغٌ، لَمْ يَدَعْ جَهْدًا.

فَلْيَلْقُنْهَا صَخْبٍ زُفَرٍ
مِنْ فِي^(١) مُهَذَاكَ لِيَنْجَبِرُوا
فَجَبِرَتْ مَصَافِرَ مَنْ صَارُوا
بِكَ أَفْضَلَ قَرْنٍ يُقْتَفَرُ^(٢)
لِلذِّكْرِ وَعَوُوا، لِلَّهِ سَعُوا
لِلْخَيْرِ دَعَوُوا مَهْمَا قَدِرُوا
لِلْحَقِّ رَعَوُوا لِلْكَفْرِ نَعَوُوا
إِذْ أَخِيَاكُمْ كَلِمُ ذِكْرِ
يَسْعُ الْأَرْضِينَ - وَمَا وَسِعَتْ! -
مِنْ أَيْ لَفْظٍ مُخْتَصَرٍ
الْفَيْنُ عَيَانٌ فِيهِ يُرَى
وَقُدَى الْمُتَلَمَّسِ وَالْخَبِرُ
فَضْصُ الْمَاضِينَ تُرِيئُهُ،
وَدَوَاءُ الْمُهْجَةِ^(٣)، وَالْعَوْبَرُ
نُسْتَوِزُ حَيَاةً مُكْتَمِلًا،
وَضَمَانُ نَجَاةٍ مُسْتَطَرُ
وَشَرِيعَةُ مُجْتَمَعٍ وَدِع
يَزَعُ^(٤) السُّغُوجُ، فَيَنْطَاطِرُ
بِلِسَانِ الْعُزْبِ أَتَى نُزْرًا
فَشَقَّتْ وَتَلَالَاتِ الْبُدْرُ!

(١) هي: هم

(٢) يقتفر: يتبع.

(٣) المهجة: الزوج.

(٤) يزع: يكف عن الهوى؛ يناطر: ينعطف.

خَسَارَتْ قُلُوبُكُمْ لَمَّا سَمِعْتُمُوهُ
جَزَسْنَا يَسْبِي: هَلْ هُمْ سُجِرُوا؟
بِذَا الْفَارُوقُ تِلَاوَتُهُ
بِحَمِيَّةٍ كُفِرَ تَمَثُّرُ^(١)
وَيَفْعَلِ مَذَاقِ خِلَافَتِهِ
وَسُطُوعِ سَنَاهُ صَخَا عُمُرًا
وَمَشَايِخُ مَكَّةَ قَدْ سَجَدُوا
لَمَّا سَمِعُوهُ، وَمَا شَعَرُوا
فَهُوَ الْمُتَحَكِّمُ إِذْ يُتْلَى
فِي السَّمْعِ، لَوْ هُوَ مُنْفَعِرُ^(٢)
وَالْهَادِي الْحَقُّ إِلَى رُشْدٍ
- لَوْ قَلْبُ السَّمَاعِ مُذَكِّرُ -
بِشَهَادَةِ عَذْلِ مَا رَأَيْتُ
تَطْوِي الْأَحْقَابَ، وَتَشْتَهِي:
مِنْ جَنْ قَدْ صُرِفُوا فَهِنُوا
لِلرُّنَّةِ^(٣)، فَاِنْزَاخَتْ سُبُرُهَا
نَفَرُ مِنْهُمْ سَمِعُوا عَجَبًا،
وَإِذَا اسْتَمَعُوا شَبِيهِ النُّفْرِ
فَأَتَتْ فِي التَّوْشَّهَاتِ هَانَتْهُمْ
قُرْآنًا تَخْفِظُهُ الْعُصُورُ!!

(١) تَمَثَّرَ: تَعَقَّدَ الْمَدَاوِقَ.

(٢) مُنْفَعِرٌ: مُنْفَتِحٌ.

(٣) الرُّنَّةُ: الصَّوْتُ الْحَزِينُ، وَالْمَقْصُودُ تِلَاوَةُ سَبِيحَتَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

يَازَى^(١) فَصَحَاءَ الْعُرْبِ، فَمَا
لِإِيَّانِ لِسَانٍ يُخْتَضَرُ؟
يُهَيَّتِ الْبُلْغَاءُ فَمَا نَطَقُوا:
مِنْ مَائِنِهِ يُؤْتَى الْحَزْرُ!
وَالْأَلْسِنَةُ الْهَمْرَى^(٢) سَكَتَتْ:
فَلَقَدْ قَطِعتْ مِنْهُ الْفُكْرُ^(٣)!
عَجَزَ الْعُرْبُ الْأَفْحَاحُ كَمَا
أَغْيَا نَفْسَ الْغَزَقَى سَبِيرِ^(٤)!!
لَكِنْ عِنَادًا أَوْدَى بِالِـ
كُفَّارٍ فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ
وُوعَانِدُ نِكْمَرِكَ مَغْبُورُ،
تَعَسَّ الْمَتَأَخِّرُ وَالْأَخْسَرُ^(٥)!
نَتَلَوُهُ، فَتَلَحَّظُ فِيهِ رُؤَى،
وَتَلُوحُّ لَأَعْيُنِنَا صُورُ
وَتَقُودُ، فَيُخْبِتُ مُفْجِرَةٌ
تَتَجَدَّدُ، لَيْسَتْ تَنْدَثِرُ!
لَسَا قَسْرًا الَّلَفْظَيْنِ هُنَا
- مَثَلًا - قَوْمٌ سَبَقُوا نَبَرُوا^(٦):

(١) يازى: تحدى.

(٢) الهمرى: الصَّخَابَة.

(٣) العكر: جمع عكرة وهي أصل اللسان.

(٤) الأفحاح: جمع فح وهو الخالص؛ سبر: البحر.

(٥) الأخر: الأبعد المتأخر من الخير.

(٦) نبروا: فهموا.

غَرُّقُوا، فَإِذَا رُؤِيتْ هِمَمٌ
 - مُتَضَلِّلَةٌ^(١) - بَقِيَّ النَّهْرُ!
 وَطَطَوُذٌ عَلِمَ مُخْتَسِبٌ
 نُسْقَى مِنْ أَشْطَرِهِ الْقُرْزُ^(٢)..
 .. فَجِدَا - عَرَضًا! - فِي «نَنْقُصُهَا»
 وَ«نَحَافَا» مَغْنًى مُبْتَارٌ^(٣)
 وَالْحُكْمُ سَائِرُهُ كَلِمٌ
 أَبَدًا عَنْ حَبٍّ تَنْقَشِرُ!
 بَعَثَ الْأَمْوَاتَ بِحُكْمَتِهِ،
 فَوَقَّاهُ الْقَلْبُ لَهَا سُورُ^(٤)،
 جِئَكُمْ لَمْ تَهْمِلْ مِنْ شَيْءٍ،
 أَيْفَرُّطُ فِي الْكَشَفِ الْوَقَرُ^(٥)؟
 لَكِنْ الْفَهْمُ لَدَيْنَا مَخْ-
 سَدٌ فِي الشُّدَّةِ مُنْجِرُ^(٦)!
 وَكَذَلِكَ يُنْسَبُ نَسْبِي
 لِلْمُطَلَقِ: عَجْرٌ مُنْكَسِرُ!
 وَكَأَيُّنَ مِنْ إِعْجَازٍ فِي
 مَغْنًى وَمَبَانٍ يَنْسَجِرُ^(٧)!

(١) متضلة: متفخعة اضلاعها من كثرة الضرب.

(٢) القرز: جمع قرّة، وهي الحسوة.

(٣) مبتار: مخفياً، مبدخر.

(٤) سور: فضلات وبقايا.

(٥) الوهر: التوهج.

(٦) مندرج: مرخي.

(٧) ينسجر: يمتلئ أو يتولد.

مَنْ عَدُّنَا فَلَسَوْفَ يَنْبِي،
 وَعَلَيْنِهِ الْعَدُّ سَيَشْتَبِهُ^(١)
 وَالْإِعْجَازُ السَّبَّابِيُّ أَثَرُ
 فِي بَنِي جَاءَ وَهُمْ نَشَرُ^(٢)
 فَعَشَانِرُهُمْ كَانَتْ مِرْقًا،
 فَإِذَا عَقَبُوا صُلْحًا عَدُّوا
 كَانُوا فِي جَهْلٍ: قَالَ دُنْيَا
 تَمْخِي قُدُمًا، وَهُمْ الْأَخْرُ
 أَمَا الْقُرْآنُ قَبَلَهُمْ
 بِالْجَهْلِ حُلُومًا^(٣) لَا تَغِرُ
 وَسَلَامًا بِالإِشْرَاكِ: فَهَم
 سَلَّمَ لَكَ - رَيْي - قَدْ بَشَرُوا،
 فَإِذَا بِالْبَنِي لَهُم رَأْيُ
 خَضَعَتْ لِحَصَافَتِهِ الْحَضَرُ!
 وَمَنْ الصُّخْرَاءِ لُنْكَ الْأَزْ
 ضِ، بَدَا فِي الرُّمْلَةِ مُنْفَجِرُ^(٤)!
 ذَكَرُ - وَاللَّهِ! - لَهُمْ حَقًّا!
 صَبَقْتَ كَلِمَاتُكَ فَأَنْتَ حَضَرُوا!!!
 وَكِتَابُكَ - رَيْي - سَأَخَهُمْ،
 بَلْ أَصْلَحَهُمْ، حَتَّى^(٥) حَذَرُوا

(١) يني: يكل ويتعب؛ يشتغل العبد: يكثر ويتسع ويعظم.

(٢) نشر: متفرقون بلا رئيس.

(٣) حلوما: جمع حلم، وهو العقل والأناة، نقر: تمتلئ حقدا.

(٤) منفجر الرمل: طريق يكون فيه.

(٥) حذروا: أسرعوا.

وَعَجَائِبُهُ مَا زَالَتْ فِيهِ
 نَا، نَلِكْ إِعْجَازُ حَضْرٍ^(١)!
 وَالْيَوْمَ تَوَالِي فِيهِ بُحُو
 ثٌ، تَكْشِفُ عَمَّا قَدْ حَزَنُوا!
 فَتَبَيَّنَ - مِنْ إِيْصَاءَاتِ -
 إِعْجَازُ حَرْفِيٍّ غَمْدَرٍ^(٢)
 قَسَمًا مَا كَانَ بِأَلَا حَاسُو
 بِ، أَوْ إِلْهَامٍ يَنْسَبِرُ^(٣)
 فَالْأَخْرُفُ - إِذْ تَتَضَاعَفُ فِي
 مَتْنٍ - تَتَخَلَّلُهَا سِرَرٌ^(٤)
 أَغْدَادُ يُسْتَجْلَى مِنْهَا
 تَرْتِيبٌ، لَا وَضْعَ نَقَرٍ^(٥)
 وَعِبَارَاتُ لِكْرٍهَا
 نَسَقُ نُورٍ مَغْرِيٍّ، أَوْ صَوْرٍ^(٦)
 وَإِشَارَاتُ لَا يَفْهَمُهَا
 عَجَلَى الْقُرَاءِ، وَلَا الصُّبُرُ
 فَإِلَى أَنْ تَأْتِيَ كَاشِفَةٌ
 سَيَظَلُّ بِهَا خَبَأُ تَمَرٍ!
 سُبْحَانَكَ يَا مَنْ أَنْزَلَهُ
 حُكْمًا عَرَبِيًّا يَزْنَجِرُ

(١) حضر: الحاضر الجواب؛ ذو البيان.

(٢) غدر: بقية.

(٣) ينسبر: يترك ويقاس.

(٤) سرر: جمع وجمعه أسارير؛ وهي الخطوط.

(٥) نقر: مشتتة منتشر.

(٦) صور: ميل، أي لذلك.

إِذْ لَا يَتَّبِعِهِ الْبَاطِلُ مِنْ
 أَيِّ الْجِهَتَيْنِ^(١)، وَلَا يَتَرُ!
 وَيَسْتَأْذِنُ إِنْ جَارًا سَبَقُ
 لِمَبَايِئِ أَنْكَرَهَا الْغَمِيرُ^(٢)
 كَمْ لَأَقَامَا فِي الْبَذَى أَدَى
 أَوْ تَلْفِيقَاتٍ، أَوْ سَخَرُ!
 لَكِنْ كِتَابُكَ مَحْفُوظٌ
 وَمَبَانِيهِ لَا تَجْتَفِرُ^(٣)!!
 جَعَلَ الْحُرَّةَ لِلْإِنْسَا
 نٍ: أَطِيعُوا الْمَوْلَى، أَوْ فَذَرُوا!
 جِنْسُ الْبَشَرِيَّةِ كَرُمُهُ:
 فَالسَّوَابِجُ وَالْمُفْطَى نَزَرُ^(٤)،
 بَسِلْ حَرَزْ كُلُّ كَرِيمٍ مِنْ
 يَقُ الْأَزْيَابِ، وَقُمْ فَهَذَرُ^(٥)
 فَالسَّادَةُ بَيْنُوا فِي النَّدَى^(٦)
 وَالْقَيْصَرُ أَيْضًا وَالنَّعْرُ
 فَمُذَارُ الْأَثَرِ عَلَى الشُّورَى
 وَمَنَاطُ السُّلْطَةِ مُؤْتَمَرُ!

(١) أي: الجهتين: بين يمينه ومن خلفه: يتر: يتقصده أو يتركه بمكره.

(٢) الغمر: الذي لم يجرب الأمور.

(٣) تجتفر: تنقطع، أو تذل.

(٤) درر: متعاقبة، على قصد واحد.

(٥) هدر: الذين لا خير فيهم.

(٦) الندى: فيما بين الأيام.

رَفَعَ الْقُرْآنُ بَنِي الْإِنْسَانِ
 يَا، وَفَضَّلَهُمْ، أَفَمَا فَكَّرُوا؟
 اعْطَاكُمْ أَنْفُسَ خُفُوفًا لَمْ
 يَنْزِلْهَا إِلَّا الْبَشَرُ!
 بِمُسَاوَاةٍ قَدْ يَشْرَبُ
 مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ وَقَرُوا^(١) شَطَرُوا!
 عَلِمَ الْأَخْيَارُ عَجَائِبَهُ،
 فَمَضَوْا يَتْلُونَ، بِهِمْ ضُمُرُ^(٢)
 وَتَعْصُ عَلَيْهِ نَوَاجِذُكُمْ،
 فَيُقَرَّرُهُمْ إِذْ هُمْ شَطَرُ^(٣)
 فَتُخَذَّتْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى
 بِتِلَاقَتِهِمْ... عَظُمَ الْفَخْرُ!
 فَاجْعَلْنِي مِنْهُمْ، مُقْتَصِبًا
 بِكِتَابِكَ، تَرْفِدُنِي^(٤) يَرْزُ
 وَاجْعَلْهُ رَيْعَ فُؤَادِي - يَا
 رَبِّي - وَلَيْسَ خَفِيقُ^(٥) بِي خَفَرُ
 بَرَكَاتٍ فَاضَتْ مِنْهُ عَلَى
 مَنْ، صَارُوا أَقْلًا، فَاشْكُرُوا^(٦)

(١) وقروا: صموا؛ شطروا: صاروا شطارًا، أي عصاةً مارقين.

(٢) ضمير: هزال، أي من عكوفهم عليه وتدنجرهم معانيه وهمهم بامر الآخرة.

(٣) شطر: يبعيدون.

(٤) ترفدني: تيسرني؛ درر: جمع درة، وهي هطول الغيث أو كثرة اللين.

(٥) يحدق: يحيط.

(٦) اشكروا: ثبتوا هي اصول ما هو أكبر منهم.

وَأَجْعَلْنِي فِي أَفْلِ الْقُرَى
 نِ كَمَا لَزِمَ الْقَوْسَ الْوَتْرُ:
 أَقْفَوْ شُهَدَاءَ عِلَالِهِ.. فَهُمْ
 فُلُجٌ حَاكَاهُمْ مُؤْتَشِرُ^(١)!
 وَلَيْتَنِ انْطَفَأَ بَيْنَ كِرَا
 مٍ، بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ فَشَرُّوا
 فَمَعَ الْمُسْتَحْضِرُ^(٢) قَدْ يُؤْتَى
 بِرُفْقَا فِي الْمَأْتِبَةِ الْخَصِرُ!
 وَأَقْبِرُ بِأَنِّي لَسْتُ كَمَنْ
 مُلِئُوا بِالْخَيْرِ.. أَنَا الصُّفِيرُ^(٣)
 فَمُ شَعُوا إِثَارًا، لَكِنْ
 - بَدَلَ الْإِثَارِ - أَنَا أَثَرُ^(٤)
 وَالسَّيِّئُ لَهْوِي مِنْ سَهْوِي لَا
 أَلْوِي أَوْ يَزْدُعْنِي قَعْرُ^(٥)
 لَتَاعِ الدُّنْيَا بِسَيِّئِهِ،
 فَلَأَنَا بِجَرٍ^(٦) مَجِرٌ نَجِرُ
 وَأَغَالِبُ شَيْطَانِي حِينًا
 وَمَسْرَا تَمُتُ أَنْ نَجِرُ!

(١) مؤتشر: متفجع، يصطنع الفلج بين أسنانه.

(٢) المستحضر: المدعو؛ الحضر: دون دعوة، الطفيل.

(٣) الصفير: الخالي.

(٤) أثر: انساني.

(٥) قعر: عقل تام.

(٦) بجر: من يشرب ولا يبرئوي، وجر ونجر مرادفتان أو إتياع.

أَبْتِغِ الْيَهْيَرِي^(١) سَفَهَا
وَالْبَائِعَ خَضَمٌ مُفْتَشِرٌ^(٢)!
قَدْ ضَاعَ شَبَابِي فِي عَيْثٍ:
أَوْ بَعْدَ شَبَابٍ مُفْتَصِرٌ^(٣)؟
يَا وَيْجِي! أَيْنَ أَنَا مِئْن
رَاضُوا الْأَمَارَةَ^(٤) وَابْتَهَرُوا!
مَالِي إِلَّا التَّوْجِيدُ عُرِي
فَأَمْتُ إِلَيْهِمْ وَالذُّكُرُ
.. وَأَمَامَكَ تَسْلِي بِهِمَا
أَسْتَسْهِلُ^(٥) مِنْكَ، فَهَلْ أَعْرِ؟
حَاشَاكَ - إِلَهِي! - أَنْ تَأْتِي
مَنْ قَامَ بِذَيْنِ، فَيَنْفَقِرُ^(٦)!
.. وَإِلْسِي حُبِّي يُبَاكَ أَضِي
فَهُمَا، فَغَسَانِي أَغْتَمِرُ^(٧)!
فَأَجِبْكَ حُبًّا زَلْزَلِي،
وَيَحِبِّ رَسُولِكَ اْعْتَجِرُ^(٨)
وَأَنَا - مَعَ نَلِكَ! - نُو قَلِي
وَقَرِيبًا^(٩) الْهَيْئَةِ، مُفْتَصِرُ

(١) اليهيري: الشراب، الباطل.

(٢) مفتشر: متجرد، عار، أي ظاهر المداوة.

(٣) معتصر: الحمر والهرم.

(٤) الإمارة: بالنسوة أي النفس؛ ابتهروا: جنوا، أي في العبادة.

(٥) استسهل: أصلب اليسرى والتسهيل لها: أعز، أصبح وعزاً، قاسياً.

(٦) ينفقر: ينكسر ظهره.

(٧) اغتمر: يعلوني الماء ويفعليني.

(٨) اعتجز: اتعمم، أي اتخذ عمامة.

(٩) ذوال: لا أستكثر من العمل الصالح؛ قريب الهمّة: أي في الطاعات.

فَأَعِزِّي - رَبِّ - عَلَى نَفْسِي
بِالْقُرْبِ إِذَا جَاءَ السُّحْرُ
وَتَبَارَكَ مَنْ يُسِطُّ يَدَهُ
لِيَتُوبَ مُسِيءٌ مَغْتَابٌ
فَيُدْخِلَ اللَّهُ فِي تَوْبَتِهِ
مَنْ يَشَاءُ (١) لَنَا يَوْمُ
وَالنَّاسِ - وَبِالضُّعْفِ اتَّضَعُوا -
مَا إِنْ ضَعُفُوا حَتَّى يَسِيرُوا
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ
فَقَسَىٰ إِيَّاهُ سَائِلٌ يَدْعُوهُ (٢)،
إِذْ نَحْنُ بِمُوءِمِّينَ بِآيَاتِهِ
جَافِلُونَ (٣) أَلَمْ يَرَوْا
وَلَقَدْ أَشْقَطْنَا لَنَا حَاجًّا
بِالدُّكْرِ، فَرَاخَتْ تَنْضِيمُ
وَأَقَمْتُ عَلَيْنَا حُجَّةً مُفْ
تَمِيرُ فَأَخْطَا بِنَا حَصْرُ
وَالْحُجَّةُ جَسَدُهَا بَشَرُ
مَشْرُوحُ الصُّدْرِ وَمُشْتَمِرُ
خُلُقًا مُوَزَّجَةً مُخْلِى
لِكِتَابِكَ يُذَكِّرُهَا الْبَصَرُ

(١) حيرى الدهر؛ أيها.

(٢) ينجس؛ ينجس، ينجس سائلا.

(٣) الير: الصلاة.

قَدْ زَانَ سَجَايَاهُ الْحُسْنَى
 بِفَقْرٍ، وَنَأَى عَنْهَا خَوْزٌ
 بَرٌّ بِالنَّاسِ - يُسَايِرُهُمْ،
 إِلَّا فِي مَعْصِيَةٍ! - يَسْرُ^(١)
 بِالنَّفْسِ يُوَاسِي لَوْ مَسَى
 أَذْنَاهُمْ مَنْزِلَةً عُسْرًا
 يَسْتَفْهِمُ - قَضَدَ مُدَاعَبَةً
 لِعُمَيْرٍ -: مَا فَعَلَ النَّفَرُ^(٢)؟
 فَيُلَاطِفُ - فِي مَقَةٍ^(٣) - طِفْلًا
 وَفَوَّ النَّشْئَ لَهَ الْقَمَرُ!
 نِمْتُ الْأَخْلَاقِ، فَلَمْ يُسْمَعْ
 أَبَدًا لِأَخِيهِمْ يَنْتَهِرُ
 لَمْ يَرْضَ لَنَا عَنَّا^(٤) أَبَدًا
 فِي فِدَاهِ الْأَنْفُسِ وَالْبُيُوتِ^(٥)!
 لِحَقٍّ تَجَرَّدُ... لَمْ يَقْبَلْ
 بِمُسَاوَمَةٍ، مَهْمَا وَأَرَا^(٦)
 فَرَقَعْتَ قَسِيمًا قَدِمَتْهُ^(٧)
 لِيَكُونَ مُقَدِّمٌ مَنْ عَبَرُوا..

(١) يسر: سهل، لين الانقياد.

(٢) النفر: طائر، والإشارة هنا للقصة المروفة حينما كان صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عميرا: يا عمير، ما فعل النفر؟

(٣) مقعة: محبة.

(٤) عننا: مشقة.

(٥) البئر: جمع بيرة، وهي الكيس فيه ألف أو عشرة آلافه والقصود الأموال.

(٦) وأرأوا: هددوا وخوفوا وأرهبوا.

(٧) قدمته: القدمة هي السابقة في الأمر.

وَخَلَقْتَ لَهُ قَسْمًا حَكَمًا
فِي الْمُؤْمِنِ لَوْ قَوْمٌ سَبَرُوا
لَا مُؤْمِنَ إِلَّا مَنْ رَضِيَْتَ
بِقَضَائِكَ نَفْسُهُ وَالنُّظُرُ
مَفْضُومٌ جَجَى، قَوْمٌ تُجَى،
بُكَاءُ شَجَى، لَكَ مُغْتَمِرُ
فَعَلَيْهِ صَلَاتُكَ - خَالِقِنَا! -
وَسَلَامُكَ، مَا تُلَيْتُ سُورُ
وَعَلَيْهِ صَلَاةُ مَلَائِكَةٍ
فَسِرُّوا لِجَلَالِكَ مَذْأُتُرُوا
وَعَلَيْهِ وَالهِ مِنْ بَرَكَاتِ
تِكَ أَشَقَلَهَا، فَهُمُ الْفُرْدُ
لَمْ يَسْأَلْ غَيْرَ مَوْدُتِهِمْ
أَجْرًا أَوْ شَيْئًا يُخَفِّرُ
مَعَ أَنْ مَسَائِرُهُ الْعُظْمَى
يَغْفَا أَنْ يَخْسِبَهَا الشُّكْرُ^(١)!
كَمْ مَدُّ عُرَى! كَمْ رَدُّ قُرَى
عَنْ صَوْلَةِ إِشْرَاكِ تَجِرُ^(٢)!
كَمْ جَلَسَ^(٣) قُرَى زُبَاهُ سُرَى
فَإِذَا بِذُنَى وَهِيَ الْوَطَرُ!

(١) الشكر: جمع الشكور.

(٢) تجر: يسممها الفل والحقد.

(٣) جلس: ملازم.

فِي الْأَمْرِ يُشَاوِرُ: لَا اسْتَبْدَا
 دَ، كَالْمِرَّةِ قَوْمٍ قَدْ أَمَرُوا^(١)
 فَإِذَا مَا مَسْأَلَةٌ عَرَضَتْ
 وَتَقُمْ، يُعَمِّمُهَا النَّضِيرُ
 يَنْدَعُولِ صَلَاةٍ جَامِعَةٍ
 - أَيْ مُؤْتَمَرٍ - حَيْثُ الْخَيْرُ^(٢)..
 .. فَتَبِثُ الْجَمْعَ - عَلَانِيَةً -
 فِيمَا يَخْتَارُ وَيُخْتَارُ!
 وَالصَّابِقُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ،
 وَيُقِيلُ الْعَثْرَةَ إِنْ عُبُرُوا!
 اسْقَى قَرَوَى، وَوَقَّى، وَأَوَّى،
 وَزَوَّى فَحَوَّى، فَطَنَ عَطْرًا
 صَهَرَ الصُّلْدَاتِ بِتَرْبِيَةٍ
 وَبِهِ الْبُقْدَاءُ قَدْ اعْتَشَرُوا^(٣)
 وَأَذَارَ مَبِينَتُهُ الْفُضْلَى
 بِمُؤَاخَاةٍ لَا تَنْتَشِرُ^(٤)
 فَالذَّيْنِ الْحَقُّ مُعَامَلَةٌ
 تُنْزِي الْقَاصِينَ وَتَمْتَشِرُ^(٥)

(١) أَمَرُوا: صَارُوا أَمْرَاءَ، أَيْ حَكَمُوا.

(٢) الْخَيْرُ: الْمَقْصُودُ مَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ بِالْخِيَارَاتِ.

(٣) اعْتَشَرُوا: تَعَاشَرُوا.

(٤) تَنْتَشِرُ: تَنْقَطِعُ.

(٥) تَمْتَشِرُ: تَجْمَعُ الْكَلَاءُ.

لَمْ يَسْنَعْ سُدًى، بَلْ طَمَّ هَدًى
بِمَدًى وَصَدًى عَجَبٌ جَهْرًا
مُنْجٍ بِمَدًى - وَالْخَلْقُ عَدَا
غَرْقَى^(١) كَمَدًا! - لَمَّا جَازُوا
بَسَطَ الْحَرُوتَةَ، فَاسْتَفْخَسَى
أَعْدَاءُ الْفِطْرَةِ وَانْدَعَرُوا!
أَعْدَى مِنْ لَيْثٍ إِنْ حَمَيْتَ^(٢)
أَنْدَى مِنْ غَيْثٍ يَغْتَدِرُ!
قَدْ قَامَ يُجَاهِدُ فَيْكَ جَهَا
دَا، ظَلُمْتُ تَزْوِيهِ السَّيْرِ
لَأَقَى أَعْدَاكَ فِي غَرَا
تِ، تَسْمِعُ لَيْثًا يَهْتَضِرُ
وَعَرَا مِثْلَئِهَا ثَوْنٌ قَتَا
لِ يَفْقِيهِهِ النَّفَرُ الظُّفُرُ
لَكِنْ بُعُوثُ عَسَاكِرِهِ
وَسَرَايَاهُمْ لَمَّا نَفَرُوا
لَتَمَانِيَةٍ مِنْ بَعْدِ ثَلَا
ثَيْنَ، انْفَقَرَتْ^(٣) فِيهَا الْفُقَرُ!

(١) غرقى كمدًا: أي غرقى في عراقهم من الكمد، والإشارة لما يحدث في اليوم الآخر حينما لا يجزئ غير سيد ولد آدم

صلى الله عليه وآله وسلم على سؤال المولى عز وجل أن يرفع عن الخلق.

(٢) حميت: أي الحرب؛ يمتد: ينهمر.

(٣) انفقرت فيها الفقر: كثرت فيها الدواهي.

فَالطُّغْنُ طِنَارٌ^(١) أَنْاسٍ قَطْ
 حَطِ بِدُونِ طِعَانٍ مَا ظَنَرُوا!
 كَمْ جَالِدٌ عُيَادَ الدُّنْيَا
 بِرَوَاجِرٍ حَقٍّ فَإِنْ زَجَرُوا!
 فَإِنِلْنَا - رَبِّ - شَفَاعَتُهُ
 فَيَمَنْ سُوِّرُوا ثُمَّ انْسَتَرُوا،
 وَاخْشَرْنَا دَاخِلَ رُفْسَرِيهِ
 فَلَا لِيكَ تُسَاقُ غَدَا رُمُرُ،
 وَأَزْزَقْنَا خِذْمَةَ سُنتِهِ
 رُلْفَى^(٢) حَتَّى يَقِفَ الْعُمُرُ،
 فَنِيهَايَةُ خَائِمِهَا نِعَمُ،
 وَنِيهَايَةُ خَائِمِهَا سَقَرُ!
 مِنْ شَرِّ عِبَابِكَ أَقْوَامُ
 مَكَرُوا بِالسُّنَّةِ، وَامْتَكَرُوا^(٣)،
 خَلَعَ الْجَائِسُونَ مُعَنَزُهُمْ^(٤)،
 وَتَمَآثَوْا سَاعَةً قِيلَ^(٥): «قِرُّوا»!
 وَكَئِنْ الْهَمْسَ نَوِيًّا.. إِذْ
 مَا قِيلَ «قِرُّوا» حَتَّى وَقِرُّوا!

(١) ظنار: مدعاة للمطغ والإمالة؛ ظنروا: عطفوا.. أي إن الحرب ضرورية لتقويم بعض الناس وإرجاعهم إلى جادة الحق.

(٢) رُلْفَى: قرين.

(٣) امتكروا: تخضبوا.

(٤) خلعوا معنزمهم: أي لم يطيعوا مرشدا.

(٥) قروا: فعل أمر من الوقار.

بِإِيفَاقِكُمْ غَرَسُوا فِينَا
مِنْ مُبْتَدَعَاتٍ أَوْ نَشَرُوا!
وَعِبَانَتُهُمْ عَمَلٌ نَزَقُ
فَإِذَا رُزِقُوا فِرَّةً^(١) أَفِرُّوا
وَإِذَا رُزِقُوا يَوْمًا فَتَرُّوا
فَلَيْبِئْسَ الْقَوْمُ وَمَا خَتَرُوا!^(٢)
فَجَرُّوا خَطًّا مَخْمُودٌ خُطِي،
وَبِيدِيكَ سَمْعَةً ابْتَهَرُوا
بَيْنَ نَصَبِيهِ فَقَطَّ شَرْكًا
لِلدُّنْيَا، بُغْيَةً أَنْ يَفِرُّوا
فَلِضَاعُوا الْآخِرَةَ الْأَبْقَى،
وَسَتَّهَأُكَ فَاذِنِيَّةٌ غُدْرُ^(٣)!
رِيَّاهُ!.. الْأَجَنُّبُنَا أَنْ
نُغَرِّى بِمَهَالِكٍ تَهْذَرُ!^(٤)
وَأَفْسِدِ النَّهْمَ مَنِ انْتَحَدَعُوا،
وَأَثَرُكُهُمْ حَتَّى يَنْتَسِرُوا!^(٥)
وَلَيْخَتَنُ كُلِّ مَا يَبْغِي؛
فَهُمَا هَتَفَانِ لِمَنْ خَبَرُوا:
نُنْيَا اخْطَاةً شَخِل.. ائْم
رَهْدُ وَمَعَادٌ مُسْتَتَرٌّ!

(١) فِرَّة: وفرا: افروا: تشطوا.

(٢) ابتهروا: اشتهروا دون حق.

(٣) غُدْرُ: غُدَارَةٌ.

(٤) تهذخر: تختال وتبخر.

(٥) ينتسروا: ينفكوا وينحلوا مما يربطهم.

وَالنَّاسُ مَذَاهِبُهُمْ شَتَّى،
وَيَمُوتُونَ اثْنَيْنِ اِثْنَيْنِ اَتَجَرُّوا
لِلْأَوَّلِ نَزْبٌ مَطْرُوقٌ،
وَالْآخِرُ مَسْنَأُكُهُ وَعِرٌ،
فَرِحَ جَالٌ تَنَبَّعُهُمْ خَدَمٌ،
وَتَوَدَّحُ سِيرَتُهُمْ زُبُرٌ
وَعِبَادٌ غُفْلٌ^(١) زُهَادٌ
بِالْحَقِّ سَرَّوَا، لِلْحَقِّ أَرْوَا
وَأَرَى الْجِرَتَيْنِ: فَمُنْطَلِقٌ
- يَنْدَعُو السُّرُودَ - وَمُنْشَمِرٌ
أَفْقَى وَثَبَاتٌ^(٢) فِي مَثَلٍ
لِأَوَّلِي الْأَلْبَابِ... لِيَفْتَتِرُوا!
فَوَضَاعَةٌ مَظْهَرُهُ عَسَلٌ،
وَتُعُومَةُ مَلَمَسِهَا خَطَرٌ!
مَا كُلُّ نَوَاتٍ السُّرُّ^(٣) قَرَى:
فَمِنَ اللَّيْلِ الْمُرْجَى صَبْرٌ!
أَذَا - رَغِيَا - حُلِبَّتْ بَقَرٌ
أَكْذَلِكُ يُخْتَلَبُ الْعُشْرُ^(٤)!
مَا أَشْفَى مَنْ لَبُّوا نَعْوَى
أَعْدَاءِ الزُّفْدِ، فَقَدْ جَخِرُوا^(٥)!

(١) غفل: غير معروفين.

(٢) ثبات: ثياب العمل، أي النحل.

(٣) الدر: اللين؛ قرى: أطعم؛ المرجى: القليل.

(٤) جخروا: امتلأت بطونهم فذهب نشاطهم وانكسروا.

وَالرُّفْدُ طَرِيقَةُ سَيِّدِنَا:
فَالسُّنَّةُ مَضْرُوءُ الْخَضِرِ
وَالْحَقُّ مُبِينٌ لَا يُخْفَى
- إِبِلِجَايَا^(١) - أَوْ يُخْتَجَرُ!
يَكْفِي أَمْرَانِ لِرَدِّ نَوِي
لُبُّ السُّنَّةِ لَوْ فَسَّرُوا:
الْبِشْرُ عَلَى وَجْهِ الْمُحْيِي
نَزَبُ الْمَقْصُومِ، فَلَا كَدْرُ
وَعِيَابُ الرُّدِّ إِذَا سَأَلُوا
مَتَنَكَّبَهَا^(٢): لِمَ يَنْتَجِرُ!
بِمُحَمَّدٍ الرُّسُلُ اخْتَقِمَتْ،
وَبِسُنَّتِهِ تُسَبِّحُ الْخَضِرُ!
فَالسُّنَّةُ اخْتِمَامُ مَنَاجِعِ^(٣)
مُغِيرٍ، مُثْمِرٍ، خَضِرٍ، مَضِرٍ
يَجِدُ السُّعْدَاءُ مَأْرِيَهُمْ
فِيهَا، وَيُفَارِقُهُمْ وَضَرُ!
أَنْتَى تُسْتَقْصَى زُوعُثُهَا
فِي شِقْرِ أَشْطَرَةٍ^(٤) تُزُرُّ!
وَالْأَبْيَاتُ الْمَقْمُورَةُ ذِي^(٥)
جَهْدٍ مَنَقُوصٍ مُبْتَسِرٍ

(١) إِبِلِجَايَا: وضوحًا وإضاعة.

(٢) متنكبها: عادلاً عنها متجنباً إياها.

(٣) مناجع: منزل في طلب الكلأ؛ خضر: غش؛ مضر: إتياع.

(٤) أشطره: أبياته أو أهداؤه؛ نزر: قليلات المر.

(٥) ذي: اسم إشارة؛ مبتس: في غير وقته، غير مناسب.

فَاغْفِرْ لِعُوبِيكَ مَا ظَمِرَها،
وَهُوَ الْخَطَا، الْفَتَقُرُ
وَأَزَحَمَهُ بِأُحْسَنِ خَاتِمَةٍ،
كَئِلا يَتَحَيَّنَهُ الشَّرُّ،
وَأَجْعَلْ فِي الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً
لِلَّذِي قُرْبَاهُ، وَإِنْ غَبَرُوا^(١)،
وَأَقْبِلْ - بِالْفَضْلِ - قَصِيَّتَهُ،
مَعَ أَنْ يَضَاعَتَهُ الْعَوْرُ
وَزِدِ الْحَسَنَاتِ لِمُنْشِدِهَا،
وَلِسَامِعِهَا، وَلَنْ حَضَرُوا
وَلِسَائِرِائِنَّا هَـذِي:
وَيَسِّرْ^(٢) أَوَاهِمَ أَوْ مَلَزْ
وَأَنْصُرْ أَفْلَ الْإِسْلَامِ عَلَى
أَعْدَاءِ الدِّينِ إِذِ^(٣) اسْتَفَرُوا
وَعَلَى بَدْعٍ، وَقَوَى خَافٍ،
وَخِلَافٍ جَافٍ يَشْتَجِرُ
وَحَذِّفْ - رَبِّ! - عَلَى سُنَنِ^(٤)
كَئِ يَغْتَبِلُوا، وَلِيَزْتَهَرُوا
لِتَكُونَ - إِلَهِي - غَايَتَهُمْ،
فَالِيكَ الْمُنْجَى وَالْمُؤَدِّ^(٥)

(١) وإن غبروا: وإن قلموا.

(٢) وير آواهم أو مدر: أي يبدؤا وحضرًا.

(٣) استفروا: تناولوا واختبروا.

(٤) السنن: الطريق والنهج والوجهة.

(٥) المؤد: الملجأ.

وَصَفِيكَ يُضْبِحُ قُنُوتَهُمْ
 فِي الْخَلْقِ، لَيْلًا يَنْفَطِرُوا
 وَاجْعَلْ تَنْزِيلَكَ شِرْكَتَهُمْ
 وَمَلَأَ النَّفْسَ إِذَا حُصِرُوا
 وَالْهَيْمَةَ إِغْلَاءَ الْعُلْيَا^(١)؛
 فَالْكُلُّ جَسَدًا مُنْخَرُ
 وَيَكُونُ الشَّيْءُ جِهَادًا فِيهِ
 لَكَ عَلَى مَنْ ضَلُّوا أَوْ دَعَرُوا
 وَاسْتَشْهَادًا؛ حَتَّى يُنْفَى
 أَغْدَاءُ الدِّينِ، وَيَنْتَبِذُوا^(٢)؛
 وَقِهِمْ بِكِتَابِكَ مِنْ فِتْنٍ
 كَثُرَتْ، وَلِتُخْطِئَهُمْ^(٣) غَيْرُ
 الزِّمْمِ سُنَّةَ اخْتِدَ كَيْ
 تَنْقَعَهُدُهُمْ مَهْمَا صَبَرُوا!
 فَصَبِي خَاجَاتِي أَرْفَعُهَا
 - مَوْلَايَ الْقُرْدُ! - الْآ قُمْرُوا
 بِرِزْيَانَةِ سُؤْلِ أَرْجُوها
 بِفَدِّ الْحُسْنَى، يَا مُفْتَنِينَ
 بِجَلَالِ بَهَائِكَ كَخُلْنِي،
 وَأَقَارِبَ لِي بِالشُّوقِ بُرُوا^(٤)

(١) العليا: أي كلمة الله؛ منخر: مهينًا ومعذ للجهاد.

(٢) ينتبذوا: يتشتتوا.

(٣) غير: أحوال الدهر المتغيرة.

(٤) بروا: رفقوا ونحفظوا.

أَبَوَيَّ وَإِخْوَانِي وَعَشِيرَ
تَنَا، فالأفلُ هُمُ الأفسر^(١)؛
وَبَقِيَّةُ إِخْوَانِي فِي اللَّهِ، فَهُمْ -
لَنْ اسْتَسْقَى - هُجْر^(٢)!
لَكَ فِي الْأَوَّلَى حَمْدٌ يَهْمِي
غَيْقًا، ثَرًّا لَا يَنْحَسِرُ!
وَالْأَخِرَةُ الْحَمْدُ الْأَسْنَى
فِيهَا حَكْرُ لَكَ مُخْتَكِرُ!
وَصَلَاتُكَ - رَبِّ - عَلَى الْهَادِي
لِحِرَاطِكَ دَعَا تَنْهَمِرُ
وَعَلَى اسْتِلَافٍ مِنْ رُسُلٍ،
سَبَقُوا زَمَانًا وَأَتَّبَعُوا^(٣)
وَالْعِتْرَةَ^(٤)، وَالْأَصْحَابَ، وَمَنْ
تَبِعُوا الْمَفْصُومَ وَمَا فَتَرُوا
وَعَلَى إِخْوَانٍ خَدُّكَ عَدُ
نُهُم، هُمْ فِي سِكَتِهِ أُسْرُ
غُرَبَاءَ، وَقَدْ قَبِضُوا جُمْرًا
طَوْبَى لَهُمُ، فَقَدِ انْتَقَرُوا^(٥)!

(١) الأهر: ما يطن من متاع البيت.

(٢) هجر: أحواض عظيمة.

(٣) إلتبروا: استصلحوا فخلعهم واستزجروا.

(٤) العترة: الأهل عليهم السلام.

(٥) انتقروا: اختبروا واضطربوا.

حَمْدُكَ، وَاخْمَدُكَ اللَّهُمَّ^(١)

مَ غُفْرَانًا يَا مُغْتَفِرُ

غُفْرَانًا - رَبِّي - غُفْرَانًا:

فَبِلَا غُفْرَانِكَ أَجْتَدُّ^(٢)!!

(١) اللهم: اللهم، رسمت هكذا لاعتبارات عروضية.

(٢) اجتدُّ، اقطع وانحر، أي اعتُيب.

عبد القادر محمد أبيه^(١)

١ - لك الله يا قدس

[البسيط]

أين الجهايدُ في الإسلام هل قُبروا؟
أم ابتلوا فجأة لكنهم صبروا
صبراً يكاد يكون اليأس شيمته
فأئى صبر لنا والهود إنتصروا
يافا، وحيفا، وبيت القدس، مقدسنا
قد دُنُسْتَه بقايا اليهود والكفر^(٢)

(١) عبد القادر محمد أبيه: شاعر تشادي ولد في سنة ١٩٦٥ في العاصمة أنجمينا وتخرج من جامعة تشاد المعروفة الآن باسم جامعة أنجمينا سنة ١٩٩٠م بعد أن نال الإجازة في اللغة العربية. ثم نال شهادة التأهيل التربوي «المترية» من المعهد العالي للعلوم التربوية بأنجمينا، والمعروف بـ «اليوسيد».

ويعمل مدرساً للغة العربية بالمعهد العلمي الإسلامي، ويعد الشاعر من رواد التجديد في الشعر التشادي، ومن المثاليين على الأوضاع الاجتماعية والسياسية في بلاده، وفي العالم العربي.

وله ديوان شعري بعنوان «إعصار في فؤاد» لم يطبع. ويتمتع شعر الشاعر بطابع التجديد. يقول: وغالب شعري بالشعر الحر لأنه يسمح لي أن أعبر عن الانفعال بحرية أوسع.

وحيث إن الشاعر نشأ في العاصمة أنجمينا ولم يرحلها إلى غيرها من المدن إلا أن العاصمة - كغيرها من عواصم الدول الإفريقية - تعج بالمتناقضات من حيث الأيديولوجيات والعادات والمصيبتات واللهجات، إضافة إلى الحروب الأهلية الآكلة للأخضر واليابس، وذاقت تشاد وعانت منه في حربها الأهلية سنة ١٩٨٠م، لذلك فإن شاعرنا لم يشعر بالرضا، ولا عرف الراحة والسعادة، فراح يُفرغ طاقاته في كتاباته الشعرية.

ولا غرو أن نجد شعره يتسم بالقلق والتعمر والثورة، فاقسم شعره بالاتجاه التجديدي الثائر.

لقاء يمتازني مع الشاعر في العاصمة أنجمينا في ٢٤/٢/٢٠٠٢م.

(٢) هكذا ورد في الأصل.

عاش اليهود فسادًا في مواطننا
وقَتَّلُوا قومنا صبرا وقد قهرُوا
وشردونا وذلونا وقد علموا
نحن الذين لنا التاريخ معتبر
يا أيها المسجد الأقصى الذي سجدت
بأرضه جبهة الأصحاب بل عُمرُ
مسرى النبي رسول الله قد طهرتُ
مر العصور فلا التدنيس لا العهر
فكيف نتركها لليهود ترتعها؟
نسل الخنازير بالتوراة قد كفروا
قد نضبوا العجل رؤًا، كم له سجدوا
بنو القروء بقتل الأنبياء اشتهروا
وكيف نتركها لليهود عاصمة
يا ليت شعري متى الهيجا ستستعزُ
وليت شعري متى تأتي الجموع ضحى
بعاديات لها هَمُّ هو النصر
تثير نَقْطًا وتورِي القدح عاديةً
تطارِد اليهود والأوباش مَن فَجَرُوا
واليوم ماذا ترى في القدس غير دمٍ
يسيل نهرًا ومقلع به حجر

طفلُ الحجارة يا قلب، له عزمٌ
 لعلَّ عزمك في الإسلام ينتشر
 وفي الأزقة ألياً لها هدرٌ
 وتنفث النار تنفثك بها القُصر
 ونُوح ثكلى تنادي الولد تندبه
 أو موكباً صارخاً يبكي له عبر
 فتلك إذلاله تُزدي كرامتنا
 تقطع القلب إزئلاً وهو منظر
 عبر الإذاعات تنديد له جلبُ
 وداخل القاع جفَع وهو مؤتمر
 وفي الأخير قرار لا تعدُّ به
 وكيف تعدُّ ما لم يجمع النفر
 ولم تعدُّ لها خيلٌ مسؤمةٌ
 ولم تناوش لما يظهر الخطر
 لكِ الله يا قدس السليبُ على المدى
 ها نحن نفسي بدمع ليس ينهمر
 ونحن نتلو قول الله نحفظه
 أين النفوذ الذي أوصت به السُور
 أين الجهادُ الذي في النصر حقٌ لنا
 بل أين نجدتُنا من تملا السَّير
 ماذا أصاب جموع المسلمين عسى
 لغير طريق الله قد نفروا

فغَيَّرَ اللهُ نَصْرًا قَدْ أَعَدُّ لَنَا
لأنَّ فِي نَهْجِنَا الْإِيْدَالِ وَالْغِيَرِ
نَحْنُ جِيُوشُ رَسُولِ اللهِ عَزَّ لَنَا
طَرَدُ الْيَهُودِ مِنَ الْأَقْصَى فَيَا عِبْرَ
وَمَا الْيَهُودُ وَمَنْ مَا يَأْتُهُمْ مَدَدُ
مَنْ (الْوَلَايَاتِ) إِنَّ مَا أَزْمَعُ الْغَفَرِ
هِيَ نَفَرٌ إِلَى الْقَتْلُوسِ نَسْلَهُ
نَصْرًا وَعَوْنًا تَعَالَى فَهُوَ مُقْتَدِرُ
عَبْدُ الْقَائِمِ مُحَمَّدٌ أَبَهٗ ٢/١٠/٢٠٠٢م

٢ - حسرة الفراق

[الرجز]

لله حمداً ربنا نَقِمَ المعين
إليه نشكو وبه سنستعين
إليه نلجأ في ملهمات السنين
ومن زمان دأبّه يوماً ضنين
قد كان فينا نخبة من عالمين
مدرسين متّقين واعظين
ومرشدين واهبين صالحين
وعلمهم عذب زلال من معين
معين علم خاتم المرسلين
فدرسوننا علمونا دائبين
على الصلاة والصلاح كل حين
والعلم زانهم سنأ على الجبين
واليوم جلهم غنّوا مغادرين
مغادرين الحقل والجوُع دفين
يا ونحّ قلبي فتأ حزن دفين
إياكم يا ليتة يؤجل سنين
يقول قلبي باكياً وملته الحنين
لو أنهم لكن ولات حين
انجمينا/ عبد القادر محمد أبه (٢٤/٦/٢٠٠٤م)

٣- انتصار الروح

[البسيط]

يا مَيَّ مهلاً اهَذَا الحب يشقيكِ
وإن شقيت فأشعاري تواسيكِ
أنا وأنتِ خصيماً تلکمُ امرأةُ
كانت تجالينا في بيضة النّيكِ
كانت تعاندُ أقداراً تُسايرنا
كانت تنمُّ لأطيفاف تناجيكِ
كانت تقول إذا ما قلت قافيتي
هذا الفقيرُ أبو الكلمات يقرّيكِ
نغم الرجال عطاياهم جواهرهم
لكن ذا القوم الفاظاً سيهديك
عِديّ كنوز سليمي من أحبّتها
ماسٍ ولولو ومرجان تحديك
وأنت ما أنت في أوساط مجمعهم
إلا كحلمٍ سرى في عمق ماضيكِ
أنتِ الجمالُ وأنتِ الحسنُ رِيقُهُ
أنتِ العفافُ وأنتِ رمزُ واديكِ

واليوم عُثِرْتُ كُؤُوسَ السَّحَرِ تَنْزَعُكَ
وَذَا الْمَشْعُودَ بِالْكَلِمَاتِ يَرْزُقِيكَ
تُؤَيِّي لِرَشْدِكَ فَالْأَيَّامُ مَعْرَكَةٌ
وَدَوْلَةٌ تُمْ دَهْرٌ قَدْ يَعَادِيكَ
إِذَا طَلَبْتَ هَلِ الْإِفْطَاطُ تَعْطِيكَ
وَأِنْ مَرَضْتَ هَلِ الْأَشْعَارُ تَشْفِيكَ
وَأَيُّ بَلَخَظِكَ فِي الْأَكْوَانِ وَاتْنَدِي
ذَا بِالْقَصَائِدِ يَهْدِي ثُمَّ يُوْذِيكَ

٤ - الطوطم^(١)

فلسطينُ

يا نصلاً تغفلُ في فؤادي

وانكسرُ

يا حجرًا بلهب القلب

ساح وانصهرُ

يا لذعة الموت المعيا في دمي المشنوق

من ملح البحرُ

فلسطينُ

يا داءً تفلُفني منذ الصغرُ

يا نغم الطبولِ بقريتي في سكون الليلِ

تبكي تنتحبُ

يا وجع الزنوج بغايةِ

لم تدغدغها السُّحبُ

يا طوطم العرب المنصب في دواخلنا

يحركه الغضبُ

(١) الطوطم: رمز أسطوري حيواني أو شكل إنساني عند بعض الأفارقة من باب التماثل وهي مصرية من الفرنسية وتسمى توتام.

يا صرخة البطل المضرّج واقفاً

ما هذه يوماً تعب

يا ثدياً لعمتنا اطعناه

فأرضعنا الأدب

فلسطينُ

يا طفلاً صغيراً عاثَ رمياً بالحجر

يا قصة الحجر الذي وصل القمر

حجراً تحدى آلة الحرب

وما إن حسبناهُ حجر

يا طائر الفينيقي في شمع تردى

ثم للم موته لما تردى وانثرت

من سبي بابل قد سرت في عزمه بعض العبر

وخيالٌ خبيرٍ طاقه في يأسه رسمت أثر

وتسللت في عزة تسري به نكري عمر

فإذا به قد طل منتفضاً ليرمي بالحجر

فلسطينُ

يا رعشة الصوت المكبل في دواخلنا

تعالى صارخاً حتى انتحز

فلسطينُ

يا دم الشهداء يرسمه خبز

يا حزنَ الأرامل والنكالي
يا اهتزاز اليتيم من يرد المطر
يا مأتمًا للعرس - تنديه خطب بمحضر مؤتمر
يا قمة الوزراء يا حقًا يضيغه الهز
يا موكبَ الشهداء في ألم يسطره القدر
يا خنجرًا في القلب مغروسًا على مرّ العمر
أفضية الموت الذي قد عاد غرضًا للشعر
يا وصمة العار المكلل في جباه الإنس في هذا العصر
أبكك في سري وفي شعري
وامام الشاشة الصماء والمذيع
حتى في السمز
وفي انتظار الأمل يا قدسي
فصبرًا سوف نلعه الصبر
حتى تنادي شجرة الزيتون في همس:
أيا رامي الحجر
هذا يهودي تخبى تحت جذعي
فاصنع به ما يصنع الإنسان في جنس البقر
حتى يحين الوقت يا قدسي
فصبرًا سوف نلعه الصبر
يا اندحارًا انتصر

الأحد ٢٠٠٣/٥/١١م

أنجمينا/ عبد القادر محمد أبه

٥- رجاء وعذر

[مجزوء الوافر]

أرَيْسَكَ تَرْسُمُ الْقَمَرَا
لُجَيْنًا يُبْهِرُ النُّظْرَا
وَتَخْلُطُهُ بِيَاقُوتِ
فَيَصْبِغُ لَوْنُهُ التَّيْبَرَا
أَحْبَبُكَ تَقْطِفُ الْأَزْهَارَا
رَ، تَسْكُبُهَا شَذَى عَطِيرَا
وَتَهْطُلُ عَطَرَهَا مَوْجَا
فَأَعْصِرُهُ لَنَا خَمْرَا
أرَيْسَكَ تَعْرِفُ الْأَلْحَا
نَ، لَحْنًا يُلْهِي الْجُمْرَا
عَلَى قَلْبِي وَيَحْرِقُهُ
يَحِيلُ غَرَامَهُ جَهْرَا
أَحْبُبُكَ تَسْكُرُ الْقَيْنَمَا
رَ، حَتَّى يَسْقُطَ الْمَطْرَا
فَيَغْمُرْنِي وَيَغْرِقْنِي
دَوَامًا دَاخِلِي بِحَصْرَا
لِيُخَمِّدَ ذَلِكَ الْوَأَشْيَا
وَيَصْبِغَ حَبْلُنَا سَمْرَا

أحبك تسخرسُ الأفوا
 ه، حتى اسمع السحرا
 تنظّمهُ وتنثُرهُ
 جوامرَ جلّها ليرا
 أرى بك تفزل الأنوا
 ر، خيطاً طائلاً دهر
 أحبك فاسقني خمرا
 من الكلمات كُنْ سحرا
 حبيبي نق معي حبّاً
 عفاً واسقني الطُهر
 حبيبي وارونني سحرًا
 وفناءً وارسم القمر

عبد الواحد حسن السنوسي^(١)

شاعر تشادي ولد في مدينة «فايا» سنة ١٩٦٧م وسط عائلة دينية. إذ كان أبوه داعية لدين الله تعالى.

وانتقل شاعرنا في طفولته إلى مدينة «أجدابيا» في ليبيا، وتلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي فيها، وقضى في مكتبتها الخضراء أوقاتا طيبة، وقد حفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة عشرة من عمره.

وفي سنة ١٩٨٠م عاد الشاعر إلى وطنه تشاد، وهي السنة التي اشتعلت فيها نار الحرب الأهلية، فانتقل إلى مدينة «الجنينة» السودانية مع غيره من اللاجئين. ولما وضعت الحرب أوزارها عاد إلى وطنه تشاد، وتم ابتعائه إلى جمهورية مصر العربية ليلتحق بالمرحلة الثانوية في الأزهر الشريف، فنال شهادتها سنة ١٩٨٦م.

ثم رجع إلى وطنه، والتحق بقسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب جامعة أنجمينا في سنة ١٩٨٧. ثم انخرط في الجيش الوطني التشادي سنة ١٩٨٨م، ثم ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتخصص في إنزال المظلات وبعد عودته إلى وطنه سافر في بعثة إلى العراق سنة ١٩٩٠؛ ليتدرب في سلاح الجو.

وبعد هذه الرحلات والبعثات، استقر شاعرنا في وطنه؛ ليعمل في الجيش التشادي وقام الشاعر بعدة أدوار متميزة في مجال السياسة والثقافة من أهمها:

(١) اعتمدت الترجمة على لقاء بيني وبين الشاعر في منزلي وقتئذ ٢٠٠٢ الكائن في شارع شارل ديغول وانظر جريدة أنجمينا اليوم عدد ١٧١، ٢٨/٣/١٩٩٤ ص ٤. وانظر: عبد الواحد حسن السنوسي حياته وأدبه للباحث محمد بشير عثمان بحث مترىز بجامعة أنجمينا إشراف د محمد فوزي ٢٠٠٣م.

- عضو مؤسس للمؤتمر من أجل الدفاع عن اللغة العربية بتشاد، حتى أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في دستور البلاد.

- أسس الندوة التشادية للثقافة والفن (اتحاد كتاب وأدباء وشعراء تشاد) ١٩٩٣م.

- وللشاعر نتاج شعري عبارة عن قصائد مخطوطة مبعثرة طاب للشاعر أن يضع لها ثلاثة عناوين:

١ - رفراف قلب.

٢ - طيور البطريق.

٣ - بكائيات قيثارة بلدية.

- وثمة عدة عوامل شكّلت شاعرية شاعرنا أهمها:

نشأته الدينية، وحفظه للقرآن، والأوقات الكثيرة التي قضاها في المكتبة الخضراء في مدينة أجدابيا الليبية. إذ قرأ «رحلات السندباد» و«قصر الأقزام» و«اليس في بلاد العجائب» و«حذاء السندريلا».

ثم الغربة والضياع، بسبب الحرب الأهلية، وترحاله إلى السودان، ثم الجماهيرية الليبية، ثم مصر. فهذه الأسفار كلها زادت من ثقافته والهبت شاعريته.

- وتطور جل قصائده الشعرية حول: الغزل، والوطنيات، والاجتماعيات، ثم التأملات. وهو شاعر رومانسي، وتوفر هذا المنحى في جل نتاجه الشعري فهو شاعر الوجدان الذاتي بل والجماعي في أن واحد. ويتميز بطول النفس الشعري، ورسم الصورة الشعرية بكل براعة فنية.

تشادي وإن لامني اللانمون

(من ديوان بكائيات قيثاره بلدية للشاعر: عبد الواحد حسن السنوسي)

بلادي أقول فهل تنصتني.. بلادي وهل أنت لي تسمعني.. أنا لست من ثلة
الكاذبين.. أنا لست من عصابة الغاصبين.. أنا لست من ثلة المفسدين.. أنا لست من
عصابة الطامعين.. وما كنت من ثلة الناهبين، ولا كنت من عصابة الخائنين ولا صرت
من عصابة العابثين.. ولا بت من عصابة اليائسين..، أنا واحد من بنيك بلادي، بلادي
فديتك أم البنين، ليعلو منارك في المشرقين وتشرق شمسك في المغربين، ويسمو مكانك
في العالمين... بلادي هناك هل تنظرين.. هناك في الأفق المستبين، هناك آمال جيل
أمين.. عليك على الغد فيك بلادي ليشرق نوراً على الكادحين.

بلادي أمات شبابك.. لا لا .. بلادي أماتت أمانيك لا لا

بلادي أمات نضالك.. لا لا .. بلادي شبابك حي.. ولكن

وحلم عيالك حي ولكن، وتاريخ ماضيك حي ولكن

ولكن لماذا إذاً تحزنين لماذا أراك إذاً تدمعين.. لماذا بلادي إذاً تنزفين.. جداول
حزن ودمعاً سخياً، يقطع في خافقي الوتين

وإلبسني ثوب عارٍ بفين

يلازمني رغم كسر السنين؟؟

بلادي أقول فهل تنصتني، بلادي وهل أنت لي تسمعني، بلادي وإن لامنا اللانمون،
لأننا زرنا حقل شجون، وكنا نحارب والآخرون، يشيدون بنيانهم يعمرن، وكنا نحارب
والآخرون ينفون أفكارهم يكتبون، وكنا نحارب والآخرون يصيغون ألحانهم يعزفون وكنا
نحارب والآخرون يريون أطفالهم يعدون، وكنا نحارب والآخرون يديرون الاتهم يصنعون..

وكنا نحارب والآخرون يظنون أموالهم يقتنون.. وكنا نحارب والآخرون يصفون أعنا بهم
 يشربون وكنا نحارب والآخرون لما زرعت يدهم يحصدون.. ونحن زرعناك شوكةً بلادي..
 ونحن زرعناك حقل شجون.. بلادي وإن لامنا اللاتمون، فأنا عرفنا وما يعرفون.. عرفنا
 معانك أنت بلادي وأنت فوق الذي يحسبون.. عرفنا بأنك أنت لنا..
 عرفنا بأنك كنز لنا، وأنت في الغد نُحْرُ لنا، وأنت أغلى جواهرنا وأنت لكل أم
 حنون، بلادي وإن لامنا اللاتمون.

(١)

[المتقارب]

تشادي هـواك جرى في نبي
 وأضحى نشيدك ملء فمي
 تشادي فذاك أنا فاسلمي
 تشادي فذاك أنا فأنعمي
 تشادي فذاك القدا فاعلمي
 فذاك المسيح مع المسلم
 تشادي شبابك فجر الفد
 ورمز التقدم والسؤدد
 تشادي بنيك هنا فاصمدي
 فدرب هواي هوى الأوجد
 تشادي وإنني من مولدي
 إلى يوم يلحنني لاحدي
 سابقي أناضل كي تسعدي
 وفيًا وفيًا إلى الأبد
 تشادي وإن لامني اللاتمون
 ١٩٩٤/٣/٢١م - انجمينا، تشاد

٢ - يا عيدُ ما معنالك؟^(١)

[الكامل]

زعموا بأن العيد أقبل زائراً
ليزيل عني وحشتي وأساياه!!
أو جاء يوقظ في الجراح نزيها؟
أو جاء يبعثُ حرقتي وجوايه؟
أو جاء ينبشُ عن خفايا غصّتي؟
أو جاء يُذكّي لوعتي وضمايه؟
أو جاء يرسلُ عبرتي؟
أو جاء يبلو طاقتي وقوايه؟
أو جاء يسخرُ بي ويقلقُ وحدتي؟
أو جاء يرسم للشماتة آيه؟
أو ليس في دنيا الغريب محطة؟
أو ليس في دنيا الشريد عناية؟
أو ليس للسيل الحزين توقف؟
أو ليس للدرب الطويل نهاية؟
يا عيد ما جدواك في زنزانتي؟
يا عيد ما معنالك في منقايه؟
أنا لستُ أفرغ فيك وفمَ تشاؤمي
لكن سأنبكي فيك عهد صبايه

(١) (قصيدة في رثاء العيد وأيام الصبا والطفولة).

أَو لَسْتُ تَدْرِي أَنَّ عَهْدَ طِفْلَتِي
وَلَسَى وَعَهْدَ سَعَادَتِي وَهَنَائِي؟
قَتَلَ الزَّمَانُ الْعِيدَ فِي كِبْدِي أَنَا
فَتَّيْتُ فِي مَرثَاهُ وَآسَفَائِهِ
انْظُرْ إِلَيَّ وَقَدْ تَعَالَتْ زَفَرَتِي
وَتَكَحَّلْتُ بِدُمُوعِهَا عَيْنَائِهِ
انْظُرْ وَقَدْ مُزِجْتَ حِيَاضِي بِالْأَسَى
فَشَكَّتْ مِرَارَةَ طَعْمِهَا شَفَائِهِ
انْظُرْ وَقَدْ طَمَسَ الزَّمَانُ مَسَالِكِي
فَتَرَاعَشْتُ فَوْقَ السُّدُوبِ خُطَائِي
انْظُرْ وَقَدْ عَبَثَ الزَّمَانُ بِمَذْهَبِي
فَتَحِيرْتُ فِي خَوْضِهِ قَدَمَائِي
أَوْ بَدْتُ تَعْرِفْنِي عَلَى بُعْدِ الْمَدَى؟
حُسْنًا.. فَلَمْ يَكْ مِنْ تَرَى إِلَائِهِ!
قَتَلَ الزَّمَانُ الْعِيدَ فِي كِبْدِي أَنَا
فَانْضَافَ مَقْتُولًا إِلَى مَوْتَائِهِ
قَتَلَ الزَّمَانُ الْعِيدَ فِي وَمَا دَرَى
أَنِّي أَفْضَلُ قَتْلِهِ إِيَّائِهِ
أَوْ لَيْسَ يَدْرِي الْمَوْتُ أَنِّي هَيْكَلُ
غُيِّبْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي مَثْوَائِهِ؟
أَمْ لَيْسَ يَدْرِي الْعِيدُ أَنِّي ضَائِعُ
قَدْ ضَلُّ عَنْ حَوْضِ الْمُنَى مَسْعَائِهِ!
أَوْ بَاتَ يَعْرِفْنِي عَلَى طَوْلِ الْمَدَى؟
حَسْنًا فَلَمْ يَكْ مِنْ يَرَاهُ سِوَائِهِ!

أنا من تَلَلُ فيه حَيْثُا في الصَّبِي
أنا من بَلَعْتُ إلى هَوَاهِ نَرايه
أنا من أَعَذَّبُ حين يَقبِلُ زائِرًا
أنا من أَعَذَّبُ فيه بَعد هَوايه
أنا من أَمَرْتُ فيه فُوق تَمَرُّقي
أنا من أَمَيَّتَ العَيدُ في مَعاييه
أَوَّاهُ ما أَقساهُ في زَنزانتي
أَوَّاهُ ما أَحَلَّاهُ في نَكرايه
التاسع والعشرون من يونيو - حزيران عام ١٩٨٤م
الموافق ٢٩ رمضان ١٤٠٤هـ
م - د - أنجمينا، تشاد

٣- صبراً كويت

صبراً كويت.. صبراً أيا عُرس الخليج، وئدة الغواص
يا معطورة الأردن بالريحان والمسك الفتيت..

صبراً كويت..
صبراً وليس تصبراً بعسى وليت..
فالصبر من شيم الكرام وأنت منهم يا كويت.

صبراً كويت..
صبراً على الولهي على الثكلي
على الأسرى... على كل الذي عانيت

صبراً كويت...
صبراً... وليس تصبراً بعسى وليت
لكنه الصبر الذي يبني له بالجد... في ثكنات هذا الصبح
متراساً وييت..

☆☆☆☆

يا أيها الطامع في هذا الكويت
قد بؤت إن شراً وإن خيراً بما كنت نويت..
وتركتنا نحن الكويت.. كما لاقيتنا عن الكويت
فاكتب لنا يا أيها التاريخ ما أنت رأيت..
رأيت..

عجباً أيا رجلاً خانته ذاكرة السنين
أعمت بصيرته فما عاد يرى أو يستبين
أقبلت تغزو بالرجال وبالسلاح وبالسفين
أقبلت كالحجاج تحتصد الرؤوس وبالمحارم تستهين..

وأنت متنبئاً على جرياء من نوق المطامع
قد عقدت خطامها بالغل والحقد البفين
ويكل ما أسرت في صدرك من شرٍ وما أوعيت..
كم منزلاً دُمرت.. كم بطناً فريت
كم أعزلاً عُنيت كم جلدًا كويت
ورفعت بهتاناً شعاراتِ التقى
وزعمت أنك إنما لحماية الحرمين من شرٍ أتيت
وأعدت للأنهتان تاريخاً قديماً... قد طويث
ورجعت مقهوراً... فلا حقداً شفيت ولا غلاً رويت ولا
للناقة الجريا هنيث
غادرت ولدان العراق هناك في وسط الكديد
معفرين وضُرُجاً بدمانهم
ونكصت إذ «بوش» يصول «ومرغريت»
وجحافل الأبطال من جند الكويت
غادرتهم وفخارك المزعوم وهم كالسراب
والراس منك مطاطاً فوق اليباب
أين اعتدالك أنيه؟ ومزاعم العزّ المنيعه.. اينها والعزّ ميث..
ماذا كسبت؟ تستطيع إجابتي؟؟ ماذا جنيت؟

ماذا كسبت سوى الشنار ووصمة العار التي بها مُنيث
ورجعت تجترّ الهزيمة... عدت بالنكصان والخذلان
عدت يا «زيداً كأنك ما غزيت».

☆☆☆☆

وشرخت في صرح العروبة شرخةً مأمومةً لها نزيّف
شرخةً كادت تخيف
كادت تزعزع ذلك الصرح المنيف - صرح المكارم والمحامد
والعلا.. سمو بأجنحة لها دوماً رقيقاً...

☆☆☆☆

عصر الخلائق بالعروبة.. طيب..
عهدٌ يجسّد نيلها ويترجم الفعل الشريف..
فعروبة العربيّ تعني: إنه الحارس للصرح المنيف..
صرح العروبة والإسلام والدين الحنيف
فخيارهم في الجاهلية أصبحوا أختيارهم في دوحة الإسلام
ذي الظل الوريّف

عهدوك دوماً أيها العربيّ منثاراً.. أبيعاً..
ترفض الظلم ولا ترضى بحيف
عهدوك دوماً أيها العربيّ مضياً كريماً قائماً
تهبّ القرى في قرة البرد وفي لهيب الصيف
تحمي الثّمار وتطعم الأضياف والجيران أكتال الشواء
وما طعمت وما اشتريت

عهدوك مأمون الجوار تجتر من كل ما أوتيت
عهدوك معفوف الأزار تفازل المحبوب تحضنه

وفي الحُضَيْن تَبِيثُ
فَتَبِيثُ بَيْنَ خِلَاحِلٍ وَبِمَالِجٍ وَجِدَائِلٍ وَمِرَاسِلٍ
وَتَقُومُ عَنْهَا مَا فَجَرَتْ وَلَا زَنِيثُ
إِلَّا الْهَوَى الْعَنَرِيَّ وَالشَّعْرَ الَّذِي تَرْوِيهِ بَيْتًا تَلُو بَيْتُ
أَبْعِيدُ هَذَا الْعَزَّ تَنْتَهَكَ الْحَارِمَ تَضْرِبُ الْأَخْلَاقَ عَرْضُ
حَوَائِطُ شَيْدَتِهَا بِالْمَكْرَمَاتِ وَابْتَنِيَتْ؟؟
صَبْرًا كَوَيْتُ... صَبْرًا... وَلَيْسَ تَصْبُرًا بَعْسَى وَلَيْتُ...
فَالصَّبْرُ مِنْ شَيْمِ الْكَرَامِ وَأَنْتَ مِنْهُمْ يَا كَوَيْتُ...

☆☆☆☆

الْمَالُ وَالْبَتْرُولُ... وَالسَّيْفُ الصَّلِيثُ
لَفَةٌ لِعَصْرِ جَاهِلِيٍّ مُسْتَمِيتُ...
عَادَتْ إِلَيْنَا الْجَاهِلِيَّةُ مِنْ جَدِيدٍ
فِي آلَةٍ صَمَاءٍ مِنْ صَلْبِ الْحَدِيدِ
عَاشَتْ فَسَادًا فِي جَمِيعِ حَيَاتِنَا
عَبَثَتْ بِأَقْدَارِ الشُّعُوبِ وَصَيَّرَتْنَا كَالْعَبِيدِ
نَبَحَتْ بِنَا الْأَخْلَاقَ مِنْ أَقْصَى الْوَرِيدِ إِلَى الْوَرِيدِ
أَفْهَلُ هُنَاكَ مِنْ مَزِيدِ؟؟؟

صَبْرًا كَوَيْتُ
صَبْرًا وَلَيْسَ تَصْبِرًا بَعْسَى وَلَيْتُ...
نَبْحُوكَ حِينَ غَزَوْكَ أَوْ هُمْ حَاوَلُوا أَنْ يَنْبَحُوكَ
لَأَجْلِ زَيْتُ
هِيَاهُنَا أَنْ تُنَجِّحَ صَبْرًا فَوْقَ مَذْبَحَةِ الْمُقَيِّتِ
صَبْرًا كَوَيْتُ صَبْرًا وَلَيْسَ تَصْبِرًا بَعْسَى وَلَيْتُ

☆☆☆☆

صبرًا جميلًا.. يا جميلًا جمل الحسن وكل صدره بالغار
يا أمةً فازت على بلوانها ومضت على غلوانها...

بنفائس وكريم أحجار

فاكتب لها يا أيها التاريخ ما كنت رايت

صبرًا كويت.. صبرًا فإن الفجر في عطفك بشر بالغد

الآتي بمشهور الفخار...

ويكل ما ستناله من عزّة ونيوع صيت

☆☆☆☆

صبرًا كويت... صبرًا وليس تصبرًا بعسى وليت..

لكنه الصبر الذي ابتنى له في ثكنات النصر متراسًا وبيت..

شئت شمل جموعهم وظفرت إذ سهم المنون لهم بريث

وفرزمتهم وأسرت أسرك واستبيث

وعفوت حين قدرت لا ضعفاً عفوت

وريدتهم لبلالهم لله برك ما طفيت ولا بغيت

أحسننت صنعًا يا كويت وما رميت إذا رميت

لكن ربك قد رمى والرب حي لا يموت

فلك السلام مضجعًا بعطوره

ولك التحية ما حييت

(الساس من أكتوبر عام ١٩٩٥م)

٤ - هي الدنيا

[الوافر]

تطلُّ بثغريها البسَامِ عوفي^(١)
فلفرحُ رَغَمَ حزنِي رَغَمَ خوفِي
لها إطلالةُ الأنسامِ تسري
على الأرواحِ في عزِّ المصيفِ
إذا ما أشرقتْ جنبَتْ إليها
هوى الأذواقِ من شتى الصنوفِ
لها عينانِ ناعستانِ حُسْنًا
تخالهما مقامدُ للسيوفِ
يحيطُ سوادَ عينيها بياضُ
كما الأقمأُ حاطت بالخشوفِ
لها خصرُ كما الأغصانُ رخصُ
قليلُ البذلِ ذو طبعِ أنوفِ
وشعرُ في عقائصه نفورُ
تبارت فيه ألوانُ الطيُوفِ
لها روحُ تكادُ تنوبُ لطفًا
كروحِ الوردِ يعبقُ بالأنوفِ

(١) عوفي: اسم محبوبته في السوادن ١٩٨١.

يَضُوعُ نِكَاحُهَا كَالْمِسْكِ طَهْرًا
فَتَانِسُ مِنْهُ كَالطَّيْفِ الْأَسُوفِ
هِيَ الْبَنِيَا إِذَا ضَحِكَتْ حَوَاهَا
كِتَابُ الزَّهْرِ سَطَّرَ بِالْحُرُوفِ
تَرَاهَا فِي تَرَائِبِهَا قَضِيْبًا
مِنَ الْأَنْوَارِ يَسْطَعُ فِي الْكَهْوفِ
هِيَ الْأَمْوَالُ إِنْ الْفَقْتُكَ يَوْمًا
تَقْذُ السَّيْرَ نَحْوَكَ بِالْأُكُوفِ

٥- دمعہ فرح^(١)

[الكامل]

عادت إليَّ الروحُ بعد رجوعِها
لحماتها أرضي الحبيبة «فايه»^(٢)
وتكفكف الدمعُ الهميزُ وداعبتُ
عَبْرَاتِ تَوَقُّ ضَمَامِهَا خُدَايَه
وجرت دماء العزِّ في جسدي كما
قد أذرفت عبراتها عيناياه
وسجدتُ شكرًا لآله مُعْظَمًا
نجداته اللاني ظَلَلَنَ خَفَايَه
يا وردة الصحراءِ يا ريحانها
يا كلَّ أحلامي وكلَّ مُنَايَه
صبرًا فسوف يظل فجرك حاملاً
لكائد الأعسداءِ شرَّ نَهايه
ويظل بطشك بالعدا متسطرًا
في صفحة التاريخ أعظم آيه

(١) كتبت بتاريخ ١٩٨٢/٤/٤ م بالمركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم.

(٢) فاية: موطن الشاعر في تشاد.

٦ - جدران المعتقل^(١)

[الرمل]

يا رفيقي...

أيها النازل في هذا المكان
لا تقل أنني سيقط النازلين
حل بالأمس خليطاً هنا
عند مهد الفجر هبوا راحلين
أنت طيف مر في عقد الليالي
أنت فرد في قطار البائسين
أنت طيف ضاع من نسج الأمان
أنت صوت أن في لحن حزين
عندما غنتك أعواد الشجون
جرّك اللحن لركب المنتشين

يا رفيقي...

هذه الجدران مثوى يؤسنا
مسرح الآلام والحزن الدفين
كم سجين كان في أحضانها
يرتمي كالطفل يبكي كم سجين؟
كم سجين قام فيها ضارعاً
عائداً بالله من جيم وسين؟

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، قصيدة جدران المعتقل، كتبت عام ١٩٨٧م بالخرطوم.

كم برىء نباح في يجورها
يشتكي ما يلقى من ضئيم السنين؟
يا رفيقي..

هذه الجدران لا تهوى الكلام
شأنها في الضمت شأن الصامتين
هذه الجدران ظمأى للدموع
فاسقها بالله حيناً بعد حين
جُد لها بالله لا تبخل عليها
جُد لها بالله من كأس الحنين
يا رفيقي..

هذه الجدران ميدان الرجال
منهل الأخلاق والعزم المتين
من هنا ينسل كل الثائرين
من هنا ينسل كل الرافضين
يا رفيقي..

عندما تنسل يوماً من هنا
تاركاً ليل المأسى والأنين
قبّل الجدران واندد ببعدها
مثلما تبكي فراق المخلصين
إنما نؤياك عن نبع متين
إنما نؤياك عن خل أمين

٧- بلدي^(١)

[المتدارك]

بلدي أقسمت بعزتها ويروحي إلا أنساها
كلماتٍ نقشَتْ في شفتي وقلبي يكمن معناها
بلدي مهما بعدت زمنًا ففؤادي يحفظ ذكراها
وحنيئي شلالٌ لا يذكر يومًا إلا إياها
وصلاتي الحان أبداً لا تدعو إلاها
سناديها وأناجيها وسأقسم أني أمواها
بلدي والسُّمرةُ تكسوها كعروس عذب رُياها
بلدي بالسُّمرة تعرفها وبقلب السُّمرة تلقاها

☆☆☆☆

بلدي يا بسمّة أيامي يا رمز الحبِّ بإحلامي
بلدي يا بلسم الأمي يا كلُّ منابع إلهامي

☆☆☆☆

بلدي إن أنس فلا أنسى سمراتٍ من شاطيك
يلبشَنَ جمالاً لا يبلَى كجنور النخل بواديك
ونسائِمُ صيفك ما رُقت وليالي الأتس بندايك
والسهل الأخضر منسجَمٌ بصفاء مياه سواقيك

(١) عبد الواحد السنوسي، السابع من يونيو عام ١٩٨٣م انجمينا، تشاد.

وجبال (تبستي) شامخة و(الشاري) رقٌ يناجيك^(١)

☆☆☆☆

أعوام الهجرة لا تمحو نكري أشداء (اشمُّها)
فثغاء شياهمك لا ينسى وخريزُ الماء يلازمها
وحقولُ القمح بسمرتها والطير تودد يضمُّها
ورمال البيد تلمل في قبضات الحرِّ ليرحمها
والنجمة سارحة خَيْرى والبدر يكاد يكلِّمها
والقمة قد تعبثْ فَجَرَتْ تشكو للفجر مظالمها
وثرثرا قد ملَّت سَهْرًا وسهيلُ كان يقاسمها
والليل تناهض في كسلٍ يلفظُ جَمَلًا لا أفهمها
وزهورُ السوسن ناعسةٌ والطلُّ تساقطُ يلثمها
وبماء شهيدك عابقةٌ والمجدُّ هناك ينادمها
والشمس تمطَّت في كسلٍ ولها أشكال ترسمها
وأحاسيسٌ قد أعلمها وأحاسيسٌ لا أعلمها

☆☆☆☆

إنَّ الأوطانَ لساكنةٌ بحواصلِ تلك الأطيَّار
فإذا ما حنَّت خاطبها شوقٌ ما صوبَ الأوكار
فتشقُّ الجوَّ مُلبيةً في توقي رغم الأخطار
فتعلمُ يا هذا منها فالحبُّ سراجُ الأفكار

(١) شاري: نهر شاري يمر بالعاصمة انجمنينا ويقع غرب تشاد.

٨ - طقوس رومانسية^(١)

[مجزوء الرمل]

يا هوى العشاق أقبلْ نحونا.. خذنا إليك
نحن ما عدنا نريد الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

يا هوى العشاق يا عطرَ الحياةِ
أنت عنوانُ الأمانى والشُّذا والذكرى
أنت ما أجناك غرس في ضمير الكائنات
أنت ما أسماكَ ليلٍ للقلوب القاسيات
فيك سرٌّ قد يسيلُ الدمعُ سخًا من عيون الراهبات
فيك طهرٌ قد يحيلُ المكرَ نسكًا في عيون المومسات
عش لنا حيا سخيا.. لا بكثك النائحات

☆☆☆☆

يا هوى العشاق يا رمزَ المحنِ
لا تقل إنني وحيد الدار مهجور السكن
أو تقل إنني طريد في متاهات الزمن
أنت ما أنت لنا إلا نسيمٌ في العفن
أنت قد صررت لنا روحًا تسامت في البدن
فدروب الشوك هذي سوف نمشيها معًا
وسنمشيها على السرب كما نهوى خطأ

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، «طقوس رومانسية»، مخطوطة كتبت بتاريخ ١٩٨٢/٦/٢٥م أنجمينا تشاد.

فلتشيّعنا المأسى ولتواكبنا الفتى
ولتظللنا السرزايا وليمزقنا الوهن
فسيئلى البيؤس عنا عندما نُشفى غداً
فاسقنا بالحب جوداً منك كاسات الحزن
ودع الأرواح ثملى من صبايات الشجن
قد أبينا نحن من نهوى ممرارات المحن
من فتاة أو فتى.. أن ننوق الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

ليت شعري قبل أن نلقاك حباً كم سعيينا
والدياجير التي ضمت معاني الصمت كم فيها اكتويننا
فالفراغات التي خُفَّتْها في خافقيننا
طوقتنا فانطويننا.. وانطوى الإحساس فينا
ومع الأوهام سرّنا وإلى الوهم مشينا

☆☆☆☆

بينما نحن حيارى طُبَّتْ إذ أشرقت كالفجر علينا
فاستفقنا فرأيناك كحلم يتحدى ناظرينا
وانتصبنا فلمحناك فتى ترنو إلينا
وعطوؤك منك فاحت أيقظت حساً فينا
فجرى الإحساس في الأعماق كالنبع معينا

☆☆☆☆

وورود منك فاحت ثم صبت نشرها في وجنتينا
واستفاقت عبيرة فاغرورقت في مقلتنا
والصبا هبَّتْ من الآفاق عطراً فانتشينا

فاستفاق الشوقُ فيها ومن الشوق جرينا
وعدوننا رغم نزف الجرح منا والتقينا
وانكفأنا فوق رجليك انحنينا وارتجينا
وكما الأطفال قلنا وصرخنا وشكينا
فانتشلنا من يدينا.. وعلى صدرك نبنا وبكينا
وهتفنا: لا نريد الكأس إلا من يدك

☆☆☆☆

هكذا اخترناك حبًّا واصطفينا

☆☆☆☆

عندما جنّت فكفكفت لمسوع العاشقينا
عندما جنّت فنزّرت طريق البائسينا
جنّت بالآمالِ تُحيي البائسينا
جنّت أيقظت ضميرنا مُستكينا
فانتقيناك خليلاً ما حيننا
وعدانا عهدنا الماضي ولكننا أبينا
وأمرنا أن نفارقك ولكننا عصينا
وسمعنا عنك أقوالاً ولكننا ارتضينا
وارتقى الواشون نارا وارتضيناها حيننا
فاستقينا لا تعتقد أننا اكتفينا
قد نهلّنا منك لكن ما ارتوينا
إذ شربنا منك بهراً وارتوينا منك حيننا
غير أننا لا نريد الكأس إلا من يدك

☆☆☆☆

كم أنقنا قبل أن نلقاك نسياناً وذلًا
وتجرُّعنا مـرارات الجوى نهلاً وعلاً
والسردي من حولنا نسرّاً مُدلاً
قد ولدنا يوم أن أقبلت كالصبح مُطلًا
وصرخنا في غراب الشؤم جهراً أن يفارقنا وإلا
فننلى هارِباً عَنَّا ووَلَّى
حيث أنا لا نريد الكس إلا من يدك

☆☆☆☆

بينما القوم حيارى يتشاكون العناء
إذ بصوتٍ سرمدٍ نُنْ في ذاك الخلاء
أيها الرُّحْل مهلاً واسمعوا هذا النداء!!
أيها العطشى اتحصنوا وفي الحب ارتواء؟
أيها الجوعى أظفون وفي العشق غداء؟
أيها المرضى تعالوا جرِّبوا هذا الدواء
أيها النُّوم قوموا واملأوا كَفَ المساء
زاحموا الأيام واقضوها نعيمًا وهناء
وامجروا الأكدار كي يحلوا لكم هذا الصفاء
إنما العيش بلا حَبِّ لكال موت سواء
حبك الدنيا وإلا فهي وقسمٌ ورياء
ضباع من عاش لـمـالٍ أو نساء
ضباع من عاش لـعـرشٍ أو لـواء

إنما ذاك نعيمُ الأغبياء
إنما ذاك خيالُ الأعياء
إنَّ في أعماركم حبًّا تواري خلف أستار الغباء
وارتدى من ظلمة الأوهام والخوف كساء
فاكشفوا عنه ونسألوها في ثبات الأوفياء

☆☆☆☆

نحن ما عدنا نريد الكأس إلا من يدك

٩ - قلب بلا مفتاح^(١)

[المتدارك]

الليل الداجي قد ألقى فوق المعمورة ما ألقى
وأنا في محرابي أتلو.. صلوات الشكر لن أهوى
وسكون الليل يخاطبني بعيون رقت بالنجوى
وشجوني قد عادت تبحث في الليل الهادي عن مأوى
حتى «الجميزة» قد هدأت وكان قد مستها العدى

☆☆☆☆

فلإذا أشواقني تتقدم
نحو الحراب ولا أعلم
حتى إذ أخذت مجلسها
منّي ولها صدي استسلم
أخذت تتوسل إلحافاً
أن أبدي السر ولا أكرم
أخذت تتوسل لي وأنا
كالطلل الأخرس أتألم
كالجرح الضامت أتألم
لكن لا بل لن يتكلم
☆☆☆☆

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا في التاسع من أغسطس عام ١٩٨٣م/ كتبت القصيدة مرتين فأدخلت فيها بعض التعديلات، فكانت من قبل التعديل بعنوان «سكن الليل».

قالت أشواقى يا هذا
رحمك بنفسك رحماك
لم تحمل فى نفسك سرًا
كسادت تفضحه عيناك
والسى ما تحمل أثقالا
كانت أمسًا فى دنياك
تنفطر فيها منفرًا
تلجم فى البوح بها فاك
ما انفكّت أشواقى تنبش
ما عندي من نَبْجٍ وجراح
وتحاول أن تسكن عبثًا
فى قلبٍ ليس به مفتاح
حتى إذ كلُّت من جدلي
عادت تبكي فى الإصباح

١٠ - قلبي يحار^(١)

[البسيط]

قلبي يحارُ وصمتُ منك يُسكتني
خوفًا من النفس لا خوفًا من الزمنِ
إنني عهدتُ سكونَ النفس يطفئها
لكنّ سكون فؤادي صار يحرقني
فلست أدري إذا ما النفس قد نكرتُ
أبكيتُ في السرِّ أم أبكيتُ في العلن
ولست أمن نفسي حين أطلقها
أن يأتي منها ملأًا منك يحرمني
أنسي لنفسي أن تخسأك يا حُلُمًا
في صحوتي ومنامي نمت تشغلني
يا من أسرت فؤادي في تقيُّظِهِ
ألست تقدر أن تسببه في الوسن؟
هلاً تذكرت أيامَ الحُفَاء معي
يا من وجودك في الأحياء أوجدني
قد كنت أبكي وكأس الوصل تنعشني
فصرت أبكي وناب الهجر تنهشني
شجان ما بين نمعٍ سأل من طربٍ
وبين نمعٍ جرى قهراً من الحزن

(١) كتبت بتاريخ ١٠/٣/١٩٨٣م مرجان دقق، أنجمينا تضاد (عبد الواحد حسن السنوسي).

فَبَنِي هَرَبْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِأَكْمَلِهَا
فَكَيْفَ أَهْرَبُ مِنْ حُبِّي وَمَنْ شَجَنِي
إِنْ كُنْتُ تَنْكُرُنِي أَوْ كُنْتُ تَجْهَلُنِي
فَأَسْأَلُ وَقُوفَكَ بِالْأَطْلَالِ وَالسَّمْنِ
فَالدُّرْبِ وَالْقِفْرِ وَالْأَسْوَارِ تَعْرِفُنِي
وَالْهَمْسِ يَشْهَدُ لِي وَاللَّيْلِ يَعْرِفُنِي
إِنْ كُنْتُ عَذَبْتُ نَفْسِي فِي تَقْوُلِهَا
أَلَسْتُ أَنْتَ الَّذِي بِالْبَيْنِ عَذَبُنِي
أَلَسْتُ أَنْتَ الَّذِي قَدْ أَسَالَ النَّارَ فِي كَبْدِي
دُرِيًّا مِنَ الْهَجْرِ وَالنَّسْيَانِ مَزَقُنِي
إِنْ كَانَ هَذَا عَذَابِي فَيْكَ أَوْ شَجَنِي
فَالْحَبُّ بِأَقْيَ وَحَاشَا الْحَبَّ أَنْ يَهِنَ

١١ - عودة الطفل العنيد^(١)

[مجزوء الرمل]

ها أنا أمأه قد عدتُ وقد طال غيابي
حاملاً قلبي على كفي جواً في إيابي
ها أنا أمأه قد عدتُ إلى مهدي الصغير
بعدما ايقنتُ أنني لم أزل طفلاً كبير

☆☆☆☆

ها أنا أمأه قد عدتُ وفي ركبي تباريح الندم
غائرُ العينين حاني الرأس موفور الالم
عدتُ من دنيا الأمانني من وجودٍ كالعدم

☆☆☆☆

ها أنا أمأه قد عدتُ وقلبي يتفطرُ
بعدما قد بُحَّ صوتي في ندى من ليس يؤمر
ها أنا أمأه قد عدتُ وحلمي قد تبخر
وصباحي فوق شعري عاثَ في ليالي فاكثُر
ها أنا أمأه قد عدتُ وحيداً اتحسر
ها أنا أمأه قد عدتُ ونهني قد تحير
ليس في ماضي حياتي غيرُ طفلٍ قد تكسر
ها أنا أمأه قد عدتُ وفي ظهري خنجر

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد ١٩٨٢/٨/٣م كتبت القصيدة مرتين فادخلت فيها بعض التغييرات.

ها أنا أمّاه قد عدت خيالاً ليس يبصر
ها أنا عدت لعلي فوق مهدي أتدثر

☆☆☆☆

ها أنا أمّاه قد عدت رماذاً تحت رايات الرياح
ها أنا أمّاه قد عدت خيالاً أعملت فيه الرماح
ها أنا أمّاه قد عدت بشيء من كيان مستباح
عدت يا أمي ومما بي غير هاتيك الجراح
ها أنا أمّاه قد عدت إلى نفي يدك
عدت استدرك ما قد فات من عمري لديك
ها أنا أمّاه قد عدت فمدي ساعديك
ها أنا أمّاه قد عدت فضميّني إليك
وازرعني الإيمان في روحي كما في مقلتيك

☆☆☆☆

ها أنا أمّاه قد عدت فعدّي لي فراشي
واحضنيني علّ أن يذهب خوفاً وارتعاشي
واسكبي النور على نفس تغشتها الغواشي

☆☆☆☆

ها أنا أمّاه قد عدت وفي قلبي حكاية
إنها قصة عصفور غدا للحن غايه
لم يكن للحن صيد غيرهُ منذ البدايه
لم يكن للحن صيد غيرهُ حتى النهايه

☆☆☆☆

فإذا ما خيمَ الليلُ على الدنيا وشأها النسيم

فسأحكى قصتي في ذلك الليل البهيم
 فاسمعي أمأه مني وامسحي الألمع عني
 إنها قصة كل الكادحين
 إنها قصة كل البائسين
 إنها قصة كل الحائرين
 إنها قصة أبسراج النجوم
 قصة الإنسان هذا باحثاً عن مصدر النور بأعماق السديم

☆☆☆☆

عندما غادرت وكُري وعلى ثغري بسمه
 ثابت الخطوة مختالاً وفي عيني همّه
 والندى يقطر من ثوبي وفي إثري نسمة
 أحسب الأحلام صيداً سوف أجنيه برحمه
 والأمانى ربما كالقطر قد تهديه غيمه
 لم أكن أمأه أنري أن أقدامي ستدمي
 لم أكن أعلم أنني سوف أتيك وفي صدري نغمه
 وعلى كتفي غبار وعلى وجهي وصمه
 وعلى ثغري لجن لقتنيه الليالي الملهمة
 بعدما أيقنت أن الله لم يخلق سوى قلبك يا أمأه رحمه

☆☆☆☆

إنها أقصوصة الطفل العنيد
 حين خلّى الصيد في النهر وراح

راح فسي السطين يصيد
فالتقى في الطين أقدارًا وخبثًا.. ما عليه من مزيد

☆☆☆☆

إنها قصة طفلٍ كان يُغريه الجديدُ
إنها قصة طفلٍ ليس يدري ما يريد
إنها قصة طفلٍ نحتت فيه السدود
قصة الأعمار تفنّى تحت أقدام الخلود
قصة الإيمان يذوي في متاهات الجحود
قصة الأمسال غرقى في محيطات الجمود
إنها قصة طفلٍ مات إذ كان وليد
إنها قصة طفلٍ كان للاحزان آيه

١٢ - البكاء على صدر أفريقيا

[المتدارك]

مهلاً يا سيّتي مهلاً
إني أهواك ولكني
أخشى من بطشك إذ إني
كالفرخ الأمد لا أقوى
كالفصن الأجرد لا أقوى
خمرة عينيك ما تعني

☆☆☆☆

مهلاً يا سيّتي مهلاً
إني أهواك فلا تبكي
فعيونك تزرع أحزاني
وبموعك تسقي أشجاني
وتكاد تمزق أركاني
وأنا كالفرخة لا أقوى
خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلاً يا سيّتي مهلاً
حتى أسترجع عافيتي

حتى أستلهم رأييتي
لأرى كل الدنيا تبكي
من أجل عيونك سيدتي
من أجل دموعك سيدتي
من أجل عذابك سيدتي
فلماذا العجلة ملهمتي
وأنا كالفرخة لا أقوى
كالغصن الأجرد لا أقوى
خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلاً يا سيدتي مهلاً
إني أهواك فضميني
فجدائل فرعك تدفيني
وشذا في نشرك ينسيني
عبقات زهور النسرين
وأنا كالنحلة سيدتي
وعبيرك دوماً يغريني
وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..
خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلاً يا سيدتي مهلاً

إني أهواك فواسيني
وابني من كأسك واسقيني
وخذي عرشي مع مملكتي
فإذا ما ذبت فلا أقوى
إن أشعر أنك قد لُمتِ
وأنا كالشمعة سيدي
لا أحسن إلا نوبأنا
ويثفرك سيدي نار تنسف في جسدي بركانا
وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالقصن الأجرد لا أقوى..
خمرة عينيك وما تعني
مهلاً يا سيدي مهلاً
حتى أستوحي شيطاني
حتى أتخيل أكواني
حتى تستجمع أوزاني
حتى تتناسق ألواني
وأنا لا أحسن تصويرا
حتى أتعذب تفكيراً
ويحار صفاتك تفرقتني
إن لم تأتيني تقطيرا
وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالقصن الأجرد لا أقوى..
خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلاً يا سيدتي مهلاً
إنني أهواك فلا تلقني
أسباب اللوم إلى جهتي
فملاكك ينصب مشنقتي
ويفك^١ طلاسَمَ خاتمتي
فابتسمي سيدتي ابتسمي
فجيشوك قد هزمت خدمي
وجراحك تسخر من ألمي
وأنا كالشمعة سيدتي
لا أحسن إلا سيلانا
وبثغرك نارُ سيدتي
تنسف في جسدي بركانا
وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالقصبن الأجرد لا أقوى..
خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلاً يا سيدتي مهلاً
لتضيء الشمعة في نفسي
لأرى كل الدنيا تحتي
تبكي وتحلّق وتغار
وتزاحم من حول النار
نار في ثغرك سيدتي

وأنا كالشمعة سيبتني
لا أحسن إلا سيحانا
ويثغرك سيبتني نار
تتسلف في جسدي بركانا
وأنا كالفرخة لا أقوى
كالفصن الأجرد لا أقوى
خمرة عينيك وما تعني

١٣ - مهزلة النفس^(١)

[الكامل]

أفـلَ الحـنـيـئُ ولـلـحـنـيـنِ أفـولُ
لا تـسـألُنْ بـالـله كـيـفَ يـزولُ
هـذـي التـنـفـوسُ قـوئُها وطـرُفُها
طـبـيخُ الوـفـاء بـعـرفـهـن قـلـيـلُ
إن التـفـيـرَ فـي الزـمـان سـجـيـةٌ
سـفـتُ الصـبـاح عـن المـسـاء يـمـيلُ
حـتـى إذا ما مـكـنـتـه عـروـشـه
شـمـل المـسـاء ولـلـمـسـاء شـمـولُ
حـتـى إذا عـزَّ الـهـدـوء سـفـيـنـتـي
والبـحـرُ مـن كـأسِ الصـفـاء شـمـولُ
فـفـرـت فـتـاةُ الـيـمِّ عـن أنـيـابـها
وتـقـطـعـت صـلـتـي وحاـن رـحـيـلُ
وتـراقـصُ الأشـبـاح حـول سـفـيـنـتـي
فـعـلـمـت أنـي حـيـنـها مـقـتـولُ
والـرَّيـمُ فـي المـرعى يـجـوش بـعـشـبـه
هو أكـلُ لـكـنْ غـدًا مـأكـولُ
أم لـم تـرى للـشـمـس كـيـفَ يـكـون فـي
بـلد الصـقـيـع شـعـاعـها مـقـبـولُ

(١) عبد الواحد حسن السنوسي ١٢/٢٥/١٩٨٣م انجمنينا قشاد.

فكأنها في الجو ألحان سمت
 فهي الشذا والهمس والتقبيل
 فإذا سكنت إلى البراري خلَّتْها
 وحشٌ تريع في السما أو غول
 أم لم ترى للطير في تغريدها
 عند الربيع واليهواء عليل
 قد غابت بعد الربيع وكورها
 وتباعدت يحدوبها الترتيل
 وَلَرُبُّ وَجْهٍ كُنْتَ أَنْتَ قَرِيبَ
 قد خانني في بعضه التعليل
 وَلَرُبُّ أَرْضٍ زُرْتَهَا مَتَفَاناً
 والنفس يطربها المنى فتميل
 فتركْتُها يوماً كَسِيفاً نائماً
 والشوم يقطر في نمي ويسيل
 وَلَرُبُّ يَوْمٍ بَدَأْتُ أَمَلُ مَرْكَباً
 لا يستقر ببحره فيطيل
 أنسي لِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ قَنُوعَةً
 تَبُؤُا لِنَفْسٍ إِنَّهَا لَمُولُ
 مَنْ لِي بِنَفْسٍ لَا تَمَلُّ لِحَاضِهَا
 فالقبح قبحٌ والجمال جميلٌ

١٤- فات الأوان^(١)

[الكامل]

وقفتُ تودُّعني وترسلُ دمعا
مثلُ اللآلئِ حسنُها ونظامُها
ورنثُ إليَّ بمقلةٍ مشبوبةٍ
عصفت صبايتها ولاخ ملامها
ويدث كراهيةٍ ترقرقُ دمُها
وطغى تغرُّبُها وطال صيامها
مكلومة أضنى الهوى كبدا لها
فاستعبرثُ وبدأ نحول قوامها
والسَّاكنين تحرُّكوا في خافقي
والسروحُ هامتُ بي وطال هيامها
عجبا لحاظك لا يبين كلامها
وربوعُ قلبك لا يفيق نيامها
إلا وقد أزف الرِّحيلُ بموكبي
واليسُ خلف مسالكي وأمامها
يا باعثَ الحبِّ الكبير بمهجتي
لما ارتخت من مقلتيك سهامها
أو لا يحين لمقلتيك تكلُّما
إلا ونفسي قد طغت أسقامها؟

(١) عبد الواحد، حسن السنوسي أنجمينا تشاد ١٩٨٤/٢٧م.

وحسبتُ أنني في الحياة معذبٌ
من بعد أن خَوِيْتُ وعمُ ظلامها
وتقطعتُ أمالُ قلبي في الهوى
والعينُ أرق جفنها تسجامها
ما أعجب الدنيا إذا لاحت لن
ظمنت موارده وعزُّ مرامها
في مقلبة ماس الفؤاد لسحرها
كالريح إذ هبَّت فماس غمامها
صوتان يصطرعان في صوتي فلا
تسدري لايهما يميل غرامها
صوتٌ يقول لي الرحيل إلى الرُّيا
إن الحياة كثيرة الامها
وصدى يقول لي التمهّل بالنوى
إن التسرّع في الأمور تمامها
ما زالت الدنيا تنيل مشوقها
بيمّ الهوى وتنيله أحلامها
وتكاد تثني بالآخر عزيمتي
لولا مقاديرُ جَرَتْ أقلامها
إنني مللت من الحياة وأهلها
ولست كم ظلامه أحكامها
ولذا عزمت على الرحيل إلى الرُّيا
حيث الطبيعة دافئ إكرامها
حيث الحياة بلا قناع حاجب
فالحبُّ جوهرها وليس لثامها

أصغى إلى الأطيار في ترنيمها
والى الجداول حلوة أنغامها
وأهيم خلف الزيم في سرحاتها
متمتعاً بقعودها وقيامها
وأطل أرشف في الطبيعة سحرها
وأميل أنسى ما يميل زمامها
وأدير طرفي في النجوم مناجياً
متهرباً من أنسها وسلامها
وأدور في فلك السماء مسبحاً
متفكراً متأملاً أجرامها
أعلو بها صوب الجمال مفارقاً
الأمها ومطلقاً أثامها
فإلى اللقاء إلى اللقاء أميرتي
في روضة صبغ الهوى أنسامها
وتقبلي حتى اللقاء أميرتي
روحى فدئ حتى يحين حمامها

١٥ - راحة الظلال^(١)

[الرمل والكامل]

أنا من أنا؟

أنا مَنْ قَلْبْتُ صحائف فوجئت فيها كل شيء غير نفسي
أنا من تَلَطَّف مسمعي فسمعت منطق كل شيء غير همسي
أنا من فقدت ملامحي وكسبت رمسي

أنا من أنا؟

أنا لست أعلم أي شيء بون حسني
بل لست أدري ما الذي يعنيه حسني
أسعادتني في مولدي أم مولدي هو يوم نحسي؟
أعدي الذي أهذي به هو ما تلاشى خلف أمسي؟
ما للحياة جراحها تدمي ولا (بلسام) يأسني
ما لي تؤرجحنني فما أنفك أصبح ثم أمسي
والموت ما هذا الذي أرمي فيخطئ فيه توأمي؟
فإذا رمانني سهمه أودى بسلطاني ويأسني
إن قلت أن الرمل يأكل جثتي وعظام رأسي
أترى سيأكل لذتي وينيب جنسي؟
أترى سيأكل كل أخلاقي وأفراحي وتعمسي؟
أم سوف يأكل بعض أحلامي وأمالني ويأسني؟

☆☆☆☆

(١) عيد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد، ٢٤ فبراير ١٩٨٤م.

لست أدري من خفاء الكون غير المنظر
أرقب الظلماء تزهو بالهلال المقمر
وانبثاق الشمس حيناً وانهمار المعصر
أسمع الطير تغني في الصباح الباكر
ومزامير المراعبي ونشيد السمر
ثم لا ألبث أن أهوي ويهوي منبري
في حفير أو تراب ملهم مقبر
يستوي الموسر فيه بالفقير المعسر

☆☆☆☆

من أين جئنا بالحياة وأين مرساها بنا
أين حبي أين شعري أين أيام المنى
أحسب الأيام تغنى فإذا اللاني أنا
وإذا الأيام عمرٌ ذاهب من عمرنا
وإذا بالموت دلالٌ بما لا يُقْتَنَى
وإذا الحفائر قد أبت أن ترتزق من غيرنا
أتعود ذاتي نفسها تحيا وملؤها السننا
أم سوف تظهر من هناك خلاف ما كانت هنا
صوتي وألحاني وشعري كلها ثمن العنا
هل أنا الجاني بها
أم بها الموت جنى

☆☆☆☆

أنا سائر لكن ظلي سائر في موكبي
ليت شعري هل صوابٌ أم خيالٌ متهبي

هل أنا للوجود أم ظلي الذي يلتاث بي
هل أنا حي وظلي تابع كالكوكب
هل أنا كالنجم أو كالبرق ومضٍ خُلب
أم أنا كانشمس أطوى مثلها في مغربي
بل أنا كالريح أو كالغيم أو كالركب
سائر في البحر والألام تُوهي منكبي
لست أدري أين يرسو سيدي أو صاحبي

☆☆☆☆

ويح نفسي ما الذي تعنيه أطوار الحياة؟
ما بها الأرواح ظمئى والمثقي باكيات؟
ما بها اكبادنا تحيا ليطويها الرفات؟
قيل لي الإنسان يحيا كي تربيهِ العِظات
قلت مهلا هل جَمَعْنَا ما جمعنا للشتات
هل نربي إذ نربي لليالي الفانيات
ليتكم علمتمونا فنَّ سَكَنِي الحافرات
كيف نحياها حفاةً كيف نحياها عراة
كيف نحيا باللحود الصامتات المظلمات
ما بكم كلفتمونا كل هذي الحسرات
ليتكم لقنتمونا غير هذي البسمات
قيل حسبُ المرء يحيا في نسيج الذكريات
ليت شعري ما الذي تجليه دورُ خاويات

هل تعيد النفت في روحي بقايا الذكريات
قيل لي للكون مغزى غير نرف العبرات
قلت تَبًا ثم تَبًا للمغازي الآفلات
ما الذي أجنه من تلك الاماني الدأويات
قيل لي للكون أسرار عظام خالدات
قلت أَوَّلَى أن نعي من دونها سرّ النوات
حسب نفسي ما حوَّثها من معانٍ خافيات
كل ما ابنيه ينوي كالنجوم الغاريات
إن في ذاتي لسرُّ فاق سرّ الكائنات
من أنا؟ من أين اتى؟ كيف يفشاني السُّبُبات؟
لذة في العمر احيا ثم يطويني الممات

١٦ - اتسألني (١)

[الوافر]

أتسألني وأنتَ خبرتَ حُبِّي
ومالَ إليكَ دونَ الناسِ قلبي؟
وقد ألفتُكَ في الماضي حياتي
وضمُّكَ حاضري وبعاك غيبي؟
وكنْتُ قد اتخذتَ هواكَ قوتًا
وضمُّتُ عن الشرابِ فكان شربي
وإنسي لا أشاركُ فيكَ ظنِّي
ولستُ أطيعُ فيكَ تخيلَ ربي
أنفلقُ بالسؤالِ هدوءَ رحي
وتزرعُ بالسؤالِ ضفافَ دربي؟
فصار يسير من همٍّ لهمَّ
وكان يسير من صلبٍ لصبٍّ
وإنسي لا أكسأُ أفيقُ حزنًا
وأشفاقًا عليكَ وخسوفَ ربي
لأنك قد أسأتَ إلي وفائني
وأخلاصي فحق عليك ذنبي
أصنع من بنور الوردِ شوكتًا
وتفري غربة الدنيا بحري

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أجمعينًا تضاد، مرجان دلق ١٩٨٤/٣/٩ -

أَضْرُكُ أَنْ أَرَى نَنْيَاكَ مَأْوَى
وَشَانُكَ أَنْ يَكُونَ هَوَاكَ ثَوْبِي؟
أَلَمْ تَكُ كَالسُّنَا أَمَلًا مُضِيًّا
وَكُنَّ عَلَى قُدَاكَ يَسِيرُ رُكْبِي
تُسَانِّلُنِي وَلَيْسَ سَوَاكَ يَدْرِي
وَتَجْرُحُنِي وَلَيْسَ سَوَاكَ طَبِّي
فَانْتِ أَنْتَ وَإِنْ أَثَرْتُ بَعْدًا
وَأَنْسَى أَنْتَ فِي بَعْدِي وَقَرْبِي
تَنَادِينِي فَتَسْمَعُ رَدَّ رُوحِي
وَتَدْعُونِي وَعَهْدُكَ بِي أَلْبِي
فَلَمْ أَكُ بِالَّذِي يُعْيِي نَسْوَالًا
وَلَمْ تَكُ بِالَّذِي سَيَقُولُ حَسْبِي

١٧ - عيون أفريقيا السوداء^(١)

[الكامل]

كل الموانئ جُبَّتْهَا
فوجدتُ أن البرد فيها سيد لا يحتملُ
كل العيون ورثَتْهَا
فوجدتُ أن الكل منها قد نَهَلَ
لكنما عينك علّمتنا بسحر لحاظها بفء الموانئ والعيونُ
ولست في شفتيك أوتار القُبُل
ولكم تراعى خاطري فزعًا إذا الليل اشتملُ
حتى كرهتُ سواده ونفرتُ منه إذا امتلُ
فإذا السواد بمقلتيك تنوب في دنياهما كل المخاوف والظنون
وإذا السواد مع البياض تحاضنًا وتقاسمًا سرَّ المُقَلِّ

☆☆☆☆

والليلُ ماذا قال لي يومًا إذا البدر اكتمل
قل لي بحبك يا فتى ماذا يضير الليل من نجم أفل
أو لم تكن نجمًا ترأغشَ خائفًا مني ومن ذاك السكون؟
فمضى بعيدًا من هنا تحذوه أطراف الليل

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد ١٩٨٤/١٠/٢، وأعيدت كتابتها في عام ١٩٨٦م وفيها عدل الشاعر عن العنوان الأول «من وحي الليل في عينيها» إلى «عيون أفريقيا السوداء».

فأجبتُه طرِبًا وقلتُ: أجلُّ أجلُّ

ها قد رجعت إليك يحدوني الأمل

قد علَّمتني مقتلها أن الليل سوادًا ذاب في سحر العيون

وقد انتشى قلبي بأنسٍ لا يزعه الوجل

١٨ - فلسفة عصفورة^(١)

[الكامل]

طارت ترفرفُ في الفضاء وما بها
غير السرور تصوغهُ الحانا
قالت عجبتُ لكم بني الأرض التي
مُلِئْتُ سرورًا عَفْتُمُ الأشجانا
لِسَمِّ كل هذا الحزن في أنفامكم
لِسَمِّ والحياةُ بصبرها تلقانا؟؟
طيروا معي وتنسّموا من عطرها
إن الحياة بطبعها تَهْوانا
لِمَ كُلُّ هذا الشكِّ في إيمانكم
لِمَ تخلقون من الرؤى أحزاننا
تلك الخمائلُ أين منك جمالها
والماء يرقص تحتها نشوانا
وشذى البساتين الذي في روضها
لبس الهوى أثوابه وازداننا
والفجرُ ينسابُ الندى من جفنه
والوردُ يرضع من يديه حنانا
والليلُ يأتي كي يكفكف ما بنا
من حادثٍ أو طارقٍ أشجانا

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، كتبت بتاريخ ١٩٨٤م أنجمينا تشاد، ثم أعيدت كتابتها فغيرت بعض الألفاظ، ونشرت في صحيفة الحوار ضمن صفحات عددها التاسع الصادر بتاريخ الأرماء ٢ نوفمبر ١٩٩٤م.

والريحُ يسبقها الهزيم مزمجراً
متبوّئاً بين الغيوم مكاناً
أَو لصتَ تنظر كيف أرسل غيمه
والماء في اكمامه فَرَوَانَا
والجو يعبقُ بالنسيم لأجلنا
والجدول السَّيَال لا ينسانا
والبدر يزهر في السما متلألأ
والنجم يسهر حوله جذلانا
كم من زمان ضاع منك تشاؤماً
وتَطْيُيراً يا ليتَه ما كانا
كم من جميل قبَحْتُهُ خصالنا
كم من عزيز شرُّنْته يدانا
فحذار أن تتذكروا ما قد مضى
كم من قديم قد مضى فَرثانا
ويكى لانا لم نُحِطْهُ بِأُنْسِنَا
وتهيجت أشجانَه فيكانا
ليكنْ نوال الله إيماناً لنا
وأنعم به أملاً وإيماناً
لمن الحياةُ تزينت وتعطرَتْ
ولم الحياةُ تواجدت لولانا

١٩ - ماذا أقول^(١)

[مجزوء، الكامل]

اختأه هل حان الرُّحيل
ومضى بركبكم الشَّييل
اختأه فيما تَزْكُكم
فينا المـرارة والعويل
والحزنُ يدعمه الأسى
بفجائع الخطب الجليل
أَو ليس يكفي أنفا
نسقي بِقِرْوَتِنَا المثل
أخبت الفؤاد أهكذا
يشفي الممات بك الغليل
أخبت الفؤاد أهكذا
يمضي الرُّكاب بلا دليل
ويلي عليك من النَّوى
في حلقة السَّرب الطويل
أختأه ما ذنبيهما
عصفورتا العشِّ الظليل
ماذا أقول إذا هما
سالا عن الركب النبيل

(١) في القصيدة يرثي الشاعر اختاً له توفيت عام ١٩٨٤م بصعقة كهربائية وكانت أما توله في السابعة من العمر وبنثاً في التاسعة من عمرها.

انظر: فن الرثاء في الشعر العربي التشادي الحديث، بحث أعد خصيصاً لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في اللغة العربية بجامعة الملك فيصل، العام الجامعي ٢٠٠١/٢٠٠٢ صفحة ٣٥-٣٦.

أَقْسَوْا قَدْ رَحَلُوا وَمَا
 تَرَكُوا سِوَى الدَّمْعِ الْهَمِيلِ
 أَقْسَوْا إِنْ يَقَاهُمْ
 قَدْ كَانَ ضَمِنَ السَّحِيلِ
 أَقْسَوْا إِنْ الْأَمْهَاتِ
 لَهْنٌ فِي الدُّنْيَا بِحِيلِ
 مِمَّاذَا تَرَانِسِي قَائِلُ
 لَهَا وَيَرْهَانُ عَلِيلِ
 اخْتَاهَ لَيْتَ فِدَاكُمْ
 بِالْبَدْرِ وَالْذَّهَبِ الصَّقِيلِ
 وَمِمَّا تَجُودُ بِهِ الْحَيَاةُ
 مِنَ النَّعِيمِ وَمِمَّا تُنِيلِ
 وَمِمَّا إِذَا مَا جَانَا
 أَفْنَى الْكَثِيرِ مِنَ الْقَلِيلِ

٢٠- تقاطيع فينوسية^(١)

[الكامل]

قولي معي ماذا أرى؟
عينان ينبوعان؟ أم طفلان سواحان تاهما
في تقاطيع الظلام، وفي سرايا الحاجبين؟!
قولي معي ماذا أرى؟
خدان أم حُلُمان ورديان؟
أم انشودتا فرح يضمهما السلام حمامتين؟!
قولي معي ماذا أرى؟
رمشان أم زغروبتان جميلتان على الدوام؟
أم هل هما شمسيتان ظليلتان أظلتا العينين؟!
قولي معي ماذا أرى؟
شفتان أم كاسان معسولان من عذب الكلام؟
أم هل هما شيطان من خمر تعتق مرتين؟!
قولي معي ماذا أرى؟
جيدٌ كتمثال من العاج المنقُع في المُدام؟
أم أنه نهر من المسك المعتق مستقيم الساحلين؟!
قولي معي ماذا أرى؟
صفٌ من الأسنان؟ أم صنفٌ من البَرَد الذي هجر الغمام
ليقيم بين الشفتين؟

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أكتوبر ١٩٨٥م القاهرة.

أم أنه موج من الرُّيد المطعم بالزنايق
حار بين الضفتين!
قولي معي ماذا أرى؟!
شعراً أرى أم ثورة للزنج تُؤنن بالقيام؟
أضيفرتين أنيقتين أراهما؟
أم غضبة الشعب الحريريّ الم رابط ليلتين!
قولي معي ماذا أرى؟!
نهدان أم تَلان بركانان خافا الإقتصاد!
أم هل هما مَلكان من نسل العظام
أم هل أرى سهلاً من (المرمز) أو (العنبر) توسط تلتين!
قولي معي ماذا أرى؟!
خضراً أرى؟ أم واليين وريوتين
توازيا في انتظام؟
أم هل هما عينان شلالان صبّا
عند سفح الريوتين!
قولي معي ماذا أرى؟!
ساقان عنقودان أم غرسان وريّان صيفا في انسجام؟
أم هل هما غصنان فوّاحان معصوران عصراً من رحيق الوريّتين!
قولي معي ماذا أرى؟!

٢١ - مذكرات بخار مجهول^(١)

[الوافر]

مساء الخير يا كبرى

مساء الخير يا سمرا^(٢)

مساء الحب والذكرى

أرى عينيك يا كبرى

على بعد المدى غيرا؟!!

لماذا الدمع يا كبرى؟

لماذا الحزن يا سمرا؟

أما سنعود يا سمرا

بلى سنعود يا كبرى

وحق المقلة القبرى

فكفي الدمع يا سمرا

فإننا إن قضينا يومنا هجرا

قضينا في غدٍ أمرا

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٩٨٦/٥/٤م، القاهرة جمهورية مصر العربية، أعيدت سياستها فأدخلت فيها بعض التغييرات.

(٢) كبرى وسمرا: اسمان اختارهما الشاعر لبلاده «تشاء».

فُكُّنِي الدمع يا كبرى

فلن والله ننساكم

وحق المقلّة العَبرِا

☆☆☆☆

غَدًا سيحين لقياكم

لتغمرنا المنى غمرا

غَدًا سيحين لقياكم

ليغدو عمرنا عمرا

سنلقاكم هنالك في الربا الخضراء

هنالك في ربا أفريقيا الخضراء

هنالك حيث دنيانا

تفوق الحلم والسحرا

فُكُّنِي الدمع يا كبرى

فلن ننساكم والله

وحق المقلّة العَبرِا

أنا وحدي هنا في البعد يا كبرى

أنا وحدي وما أدراك ما بالبعد يا سمرا!!!

انا وحدي هنا في هذه الغربة

بلا أهل بلا وطن بلا صحبة

مساء الخير يا كبرى

مساء الخير يا سمرا

مساء الحب والذكرى

هنا في البعد يا كبرى
حياةٌ تحزنُ القلبُ
هنا الإنسان بالإنسان لا يعنا
هنا الدولار نصُب نفسه رثًا
هنا دوامةٌ تستهلك الإحساس والحبَّ
وتبني للمنى قبرًا

هنا في البعد يا كبرى
أحاسيسُ تراودني
فتجرحني جراحًا
ليتها تبرى

مساء الخير يا كبرى
مساء الخير يا سمرا
مساء الحب والذكرى
أنا وحدي هنا في البحر يا كبرى
أنا وحدي هنا في عرض بحر البعد يا سمرا
أقول البحر يا كبرى !!
وما أدراك ماذا البحر يا سمرا!
غدوت الآن بكأراً ببحر البعد تبخاري
أنا وحدي هنا في البعد يا كبرى
أقول البعد يا كبرى!!
وما أدراك ماذا البعد يا سمرا!

هنا في البعد يا كبرى
حياة تحزن القلب
حياة لا تلائمني ولكني بها غصبا
هنا في البعد يا كبرى
ملايين من العربات تنهب بريها نهبا
جماعات وأقوام تخير أيهم دريا
تفاهات وأوهام قشور تكتسي لها
تصبّجني فتلطمني على وجهي ولم أجنبي بها دنيا
وتأتني كي تمسّيني فتشعل في دمي حريا

هنا في البعد يا كبرى
هنا في البعد يا كبرى
حياة تحزن القلب
ضجيج الناس يفرعني
وأنوار على الطرقات تفضحني
وأبواق تمزقني وتدقني
بعيداً عن دُرا وطني
بعيداً عن زمانكمو
زمان الأهل والسكن
هنا في البعد يا كبرى
تفاهات تجرّعني كؤوس النذل والعفن
وتنفث سُمها الفتاك في قلبي وفي بني
وتنفخ في شراييني صديد القبح والنتن

وتهجرني وتنفييني وتحرمني زمان الشهد واللين
زمان الأهل والسكن
زمان الحب والذكرى
يصيغ البحر أخيلتي وينسجها وينثرها
أناشيدًا من الأشواق تغزو كل أفكاري
أنا وحدي هنا في عرض هذا البحر يا سمرا
أنا وحدي وليس هنا سوى موج يصارعني فيصرعني
سوى اشتات أمتعة تنامني فتسرقتني وتبعدني
وتبعد كل أوكاري وتطمس كل أثارى
أنا وحدي هنا في البحر يا كبرى
أقول البحر يا سمرا!
وما أدراك ماذا البحر يا سمرا!

٢٢- وحي القصيدة

الحب والعطاء الصادق صفتان نبيلتان كانتا منذ الخليقة مفتاحًا للقلوب التي تحس وتشعر بكل براءة الفطرة الخيرة، وجسرًا للأرجل التي لم ينسها اللؤم وحب الأذى والكراهية إلى الضفة الأخرى من عالم الصفاء وشرف الضمير وحياة الإنسانية الحقة.

ولكن هل نجح الحب والعطاء الصادق في فتح كل القلوب وجذب كل الأرجل إلى عبور الجسر للضفة الأخرى؟ لا طبعًا. «والأمر بسيط» فمنذ أن خلق الله الخير وجد الشر معه ومنذ أن وجد الحب تواجدت الكراهية معه، ومنذ أن عرف الطهر عرفنا اللؤم بنفسه، ولكن إذا فشل الحب والعطاء في فتح باب ما، فهل يعني ذلك أن ينتهي، طبعًا لا... سيستمر الحب والعطاء باحثين عن حب آخر يستحق فضلهما متناسيين الباب الأول المليء لؤمًا وكراهية وكأنه لم يكن ولم يوجد قبلاً أم أنه كان ومضى على اعتبار أنه (لا شيء) وهذه تسع مقاطع تردها القصيدة لهذا (لا شيء).

تسع مقاطع للا شيء^(١)

[المتقارب]

(١)

غرسْتُكَ في القلب يا للغباء

غرسْتُكَ حلمًا يوجب الفضاء

ويسبِّح في ملكوت السماء

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٩٨٦/٧/١٤م القاهرة جمهورية مصر العربية، وأعيدت كتابتها وأدخلت فيها بعض التغييرات ونشرت في جريدة «اتجمينا اليوم» ضمن صفحات عددها الـ (١١٥) من السنة الثانية لها. الصادر بتاريخ ١٩٩٤/٣/٣م ومنها نقلنا وحي القصيدة.

غرسْتُكَ طيفاً شديداً الوفاء
غرسْتُكَ للقلب أشفى عزاء
فلما تمكَّن منك الإياء
وأحسست أنك أغلى النساء
تحولت داءً.. تحولت داءً

(٢)

غرسْتُكَ في القلب للعطر نهرا
غرسْتُكَ ورداً غرسْتُكَ زهرا
غرسْتُكَ للقلب شمساً ويسرا
غرسْتُكَ شهداً غرسْتُكَ خمرا
فلما شبعْتَ غروراً وكبراً
وعادت طباعك تشتاق مكرراً
تحولت غديراً.. تحولت غديراً

(٣)

غرسْتُكَ في القلب ناراً ونورا
غرسْتُكَ شمساً ويسراً منيراً
غرسْتُكَ للطهر فيضاً غزيراً
فلما بلغت مكاناً خطيراً
وطاولت بالغلواء الصقورا
تحولت جوراً تحولت جوراً

(٤)

غرسْتُكَ في الروح عوداً ندياً
وقويتُ ضعفك من مقلتيها
ووسدتُ خديك قلباً وفيها

فلما تلمست مهذا نديًا
وأحسست بالدفء في خافقيًا
سكنت بسُؤمكِ في رنتيَا

(٥)

غرستك في القلب كنزًا ثمينا
غرستك عرشًا وملكا مكينا
غرستك تاجًا يزين الجبينا
فلما رفعتك في العالمينا
تحولت طيننا تحولت طينا

(٦)

غرستك في القلب كل الأمان
غرستك رمزًا غزير المعاني
غرستك في القلب شوقًا حواني
يلوِّع أنسسي وكيف اعتراني
وشدَّب شخصك فيض بناني
فلما تخيرت شرط المكان
رميت بسهم من الغدقاني
وعباد.. توفُّرُ شرط الزمان
رميت بسهم من القسْـرِ ثانٍ
فيا لك من سهم غديرِ رماني

(٧)

غرستك في القلب كونًا مهابا
غرستك ملكًا تسامى وطابا
وقصرًا عظيمًا يشقُّ العبابا

فلما ولجتك بأباً قَبَابَا
وجدت سرّاً... وجدت سرّاً

(٨)

غرسك في القلب طيقاً أغن
وطرفاً كحياً لا شيد الوسن
تدفق فيضاً غزيراً وفن
فلما تَوَاقَنَ فيك الوهن
قلبت لقلبي ظهر المِجَن

(٩)

غرسك في القلب وأفا وواها
غرسك في القلب طهرًا تناهى
وحبات قَطُرٍ سَمَتَ بَعْلَاهَا
فلما تكاملت عزًّا رجاها
هدمت القصور على من بناها

٢٣ - العبارات المتحجرة^(١)

[الكامل]

ماذا أقول حبيبتى لتصديق
ماذا أقول حبيبتى كي تفهمين؟؟
جُفلي التي ضمنتها ما تعلمين
وهمست فيها بالذي قد تشتين
عادت إلي سقيمة خرساء كالحة الجبين
ولقد قطعت إلى رضاك الأرض سعيًا بالقدم
فإذا بطيفك سابح فوق البحور
وإذا بعرشك رابض عند القمم
وأنا أهسهس في الحجور
ماذا أقول حبيبتى لتصديق
ماذا أقول حبيبتى كي تفهمين؟؟

كُذِّبْتَنِي فِي هَمْسَةٍ هَمْسَتُهَا
وَزَعَمْتَ أَنِّي كُنْتُ قَدْ أَعَدَّتْهَا
كُذِّبْتَنِي فِي زَفْرَةٍ أَطْلَقْتُهَا
وَزَعَمْتَ أَنِّي كُنْتُ قَدْ نَقَحْتُهَا
كُنِيتَنِي فِي دَمْعَةٍ نَرَفْتُهَا
وَزَعَمْتَ أَنِّي بِالرَّيَاءِ مَزَجْتُهَا

(١) عبد الواحد حسن المنوسي، ١٩٨٦م القاهرة جمهورية مصر العربية.

راحلت سدئى كل الأحايث التي
ثرثرتها ويكيئها وشدرتها
نَفَدَتْ قواميسي التي استعملتها
نبلت رباحيني التي زرعها
وحسروف صبري كلها للمثها
وعلوت صوب الصمت ثم دفنتها
وبفضلة من أدمعي رشرشتها

وهجرتها ونسيتها وسلوتها
ماذا أقول حبييتي لتصفقين^(١)
ماذا أقول حبييتي كي تفهمين^(٢)
عَبْتُ أحاول أن أكونَ فلا أكونَ
عَبْتُ أحاول أن أكونَ فلا أكونَ

اشكو إليك صبابتي والحب يدنيني فتملأك الظنون
وأعود حين الخوف يقصيني لأخفي عنك أشواقي فتغمرك الشجون
حقاً حيثُ الحب هذا ذو شجون
وأننا هنا متذبذبٌ لا أستريحُ ولا أكون
ماذا أقول حبييتي لتصفقين^(٣)
ماذا أقول حبييتي كي تفهمين^(٤)

لا لم يعد لي ما أقول وما أضيف
لغتي التي استعملتها جفت كأوراق الخريف
لغتي التي كررتها عادت كأجوار الرصيف
كنبتني حتى قسا قلبي العنيف
كنبتني حتى نَوَى حبي العنيف

(١) و(٢) و(٣) و(٤) هكذا وردت في الأصل.

حاولتُ أن أسقيكِ من حبي الأليف
 حاولت أن أروييك من عشقي النظيف
 حاولت أن يبدو رضاك يُنال بالشيء الطفيف
 لكنني قد عدتُ أركض خائفًا ومن المخيف؟
 أنت التي واجهتني بالظن والشك السخيف
 نزلت سيول مدامعي حتى تهرتُ بالخريف
 رقت ستائر خافقي حتى تفرّت بالرفيف
 من أين لي أن أستوي ملكًا يُخاطب بالحفيف؟
 من أين لي أن أرتقي لمشارف الملك المنيف
 من أين لي أن أرتقي وأنا الضعيف؟؟
 لا لم يعد لي ما أقول وما أضيف
 إن لم يكن في الحبِّ غير الظلم والشكُّ المخيف
 فكفى به الإنسان أن يحيا قنوعًا بالهواء وبالرغيف
 لا لم يعد لي ما أقول وما أضيف
 لغتي التي استعملتها جفّت كأوراق الخريف
 لغتي التي كررتها عادت كأحجار الرصيف
 ماذا أقول حبيبتني لتصديق^(١)
 ماذا أقول حبيبتني كي تفهمين^(٢)
 ماذا أقول وقد تحجّرت العبارة
 من أين لي غير اللغات المستعارة
 فَبُنِي أَشْرَت فهل ستفهمك الإشارات؟
 فَبُنِي سَكَتٌ فهل ستتفق الحجارة
 قلبي غدا كالقبر ما فيه إنشاره

(١) و(٢) هكذا وردت في الأصل.

وبمسي يسكاد يضحي من فسرط الحراره
 ومشاغري عادت إلى قلبي كأكبار بلا تلك البكاره
 فبكارتي ضيعتها من غير أن أجد الأماره
 ماذا أقول حبيبتي لتصدقين^(١)
 ماذا أقول حبيبتي كي تفهمين^(٢)
 ماذا أقول وقد تحجرت العباره؟
 من أين لي غير اللغات المستعاره؟؟

إن كان في لغة التفاهم قد بدا عجز الحضاره
 فبأي ذنب تحكمين على الذي ملأ الشطاره
 فبكى وزفر واستشيط من الحراره
 واستعبرت عيناه في تلك الفزاره؟
 أو كل ذلك لا يُسمى بالشعور ولا الطهاره؟
 أو كل ذلك لا ينال عنان قلبك عن جداره؟
 إن كان ذلك ليس يكفي كي يكون هو الشراره
 فتعال يا قلبي لنلقي فوق ذكراها الستاره
 فمُنَاك قد ضاعت سُدَى ضاعت خساره
 وأنا الذي قد قلت ما قالوه كل الناس قبلي
 لا لم يعد لي ما أقول وما أضيف
 لغتي التي استعملتها جفّت كأوراق الخريف
 لغتي التي كَرَرْتُها عادت كأحجار الرصيف

(١) و(٢) هكذا وردت في الأصل.

٢٤ - إني موجود يا وطني^(١)

إضاءة

كتب صديقي الصحفي والأديب والشاعر عز الدين مكي يقول في صفحة آخر العنقود التي كان يحررها بجريدة «أنجمينا اليوم» بتاريخ ١٠ فبراير عام ١٩٩٤م والذي وافق آخر أيام شهر شعبان، كتب يقول تحت عنوان «مطلوب القبض على الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي»؛ «لو أني أملك حق القرار لأصدرت أمراً بالقبض على الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي بتهمة إهدار ثروة قومية ولحبسته في قصر يطل على نهر (الشاري) ليتفرغ فيه للإبداع» فرددت عليه بهذه القصيدة:

[المتدارك]

(مطلوبُ) القبض على شخصي
عننوانُ قارئه يحتاز
«أنجمينا اليوم» تسجله
في آخر عنقود الأخيار
في اليوم العاشر من فبرا
يسر، آخر أيام الإفطار
وصديقي «مكي» كاتبه
ما كان صديقي بالهزار
أعرفه رجلاً إنساناً
يأتي الحسنَى ويصونُ الجار

(١) عبد الواحد حسن السنوسي أنجمينا اليوم ٢٢ فبراير ١٩٩٤م، نشرت القصيدة في العدد ١٣ بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٩٤م لجريدة أنجمينا اليوم بعنوان «هني موجود يا مكي».

ويحاول أن يصنع شيئاً
ففي وطني المهزوم النهار
لكنّ الواقع يمنعه
نوماً وتعانده الأقدار
إنني موجودٌ يا وطني
موجودٌ مثل غريب الدار
وحدي في بيتي معزولٌ
لا سمّر هناك ولا سُمّار
مسقومُ الجسم بلا مرضٍ
مشتوت الخاطر والافكار
أوجاعٌ بلادي تؤلني
فنزيف جرحي ذا فؤار
فبلادي فوق شفا جرفٍ
هارٍ تنهار.. وكم تنهار
وأراها مكتوف الأيدي
لا قوة أملك لا أنصار
انظر لبنائني يتداعى
ومصيري تنهشه الأخطار
ما كنت لأطلب يا وطني
سكنًا في الشاطئ للأشعار
ما كنت لأطلب لي قصرًا
وحداثق تزهو بالأزهار
لو أن بلادي تسمعني
تسمعني رغم هوا الإعصار

إعصار حناجر تنهاوى
 تتقمص آلاف الأدوار
 الكل يفازلُ طلعتها
 ويمثل فارسها المغوار
 إعصارُ ضمائر مَيّنة
 تتقبّل حتى عار العار
 من أجل منافع فانية
 من أجل قرنك أو دولار
 إنني بئاًتكم استعداد
 أن أسكنَ في أحقرها دار
 في كوخ أو بيت فرا
 في كهفٍ ناءٍ أو في غار
 لو أن بلادي تسمعني
 من خلف ملايين الأسوار
 من خلف ملايين الثوار
 من أجل الدرهم والدينار
 يأتون إليها قد لبسوا
 أثواب الأبناء الأبرار
 حتى إن سكنت في يدهم
 لبسوا فيها ثوب الأشرار
 ويبدون ضمير حليوها
 حلبوا ثروتها كالفجار
 فالأمة ليست تعنيهم
 والوطن الغالي خيط بخار

فبلادي في عرف أولئك
لا تعدو من بعض الأبقار
ما كنت لأطلب يا وطني
شيئاً لو أن يدي تختار
لو أن بلادي تُبصرني
أو تبصر فرسي في المضمار
يعدو من أجل سعائتها
مهما يمتد بنا المشوار
لكني وحدي معزول
في وطني مثل غريب الدار
وضمير الوطنية ميت
قد القى الموت عليه ستار
وبلادي القسوة تنهشها
وتمزقها حُمى الأظفار
وأراها مكتوف الأيدي
لا حول أحوز ولا أنصار
لا أملك غير الحب لها
قد تفنى في الحب الأعمار

٢٥ - إجدابيا

[الكامل]

إضاءة

خرجت من مدينة إجدابيا قاصداً بنغازي... ذات أصيل من عام ١٩٧٩م ولم أعد إليها ثانية إلا ذات صباح من عام ١٩٩٥م بعد خمسة عشر عاماً من الغياب والنوى وكانت إجدابيا عزيزة على قلبي، ففيها كان مهد طفولتي وأيامها الذهبية الغالية وفيها تلقيت تعليمي الابتدائي في مدرسة «زيد بن ثابت» الحبيبة، ولقد تعودت السفر واعتدت ولوج المدن دون انفعالات، ولكن لأن لإجدابيا مكانة خاصة في قلبي من بين كل المدن على وجه الأرض؛ فقد أوجحت لي رؤيتها والسير في شوارعها التي تغيرت كثيراً بهذه الأبيات^(١):

إجدابيا.. لو أن إخلاصاً يكال إذا لك
سُئِكَ من وفاء القلب كيلاً وافيًا
أجدابيا.. لو أنني خيرت بين مدائن
أخرى وأنت لكنت لي أجدى بيًا

في حضنك اليمونٍ عشْتُ طفولتي
ونهلْتُ ثمةً سلسبيلًا صافيًا
فطلولُ ذاك العهد فيك تشنّني
وتشيدُ بي صرخًا قديمًا باليا

(١) عبد الواحد حسن السنوسي - إجدابيا - ليبيا ١١/١١/١٩٩٥م.

ومدارجُ الأطفال تسري في ممي
وتضحُّ ذكرى الطفل في شريانيا
ما إن ملأتِ بغيض حسنك ناظري
حتى استعاد القلب نبضاً سامياً
نبضُ الحب إذا استعاد حبيبهُ
فلهُ المشاعرُ أولاً ومثانيا
عشنا الغرامَ أنا وأنيتِ فحالنا
في الحبِّ لم يكُ قطُّ يوماً خاليا
كنّا كوالدة تهيم بطفلها
أو توأمين تعاشقا فتفانيا
كلُّ الدروبِ تعيدني لطفولتي
إن سِرْتُ فيها والدروبُ خواليا
فهنا هنالك أو هنالك أو هنا
دوماً أعود بها لحسن مَعاديا

٢٦ - قانون غزية/ أوعلى كنية^(١)

[الكامل، الوافر، المتقارب]

(١)

على كنية

جلست أمام منزلنا المطين ذات يوم أستريح

وهل الذي مثلي أنا في الناس يومًا يستريح

وطني جريح..

وسدته قلبي الجريح

فالجرح فوق الجرح ما انفك يسبح

وطني أنا وطنٌ عجب!!

وطنٌ قرأت لأجله ألف كتاب

فلم أجد غير الخراب

وضمائر ميتة يحكمها قانون غاب

وطني أنا وطنٌ عجب

وطن به يلقي الدخيل الأجنبي مراسم الترحاب

رغم التدخل واختلاس المال والأفكار والذهب المذاب!!

أما المواطن صاحب الحق فلا يلقي سوى سوط عذاب

فالحاضر الموجود من أبنائه تلقاه محكومًا بقانون الغياب

فحياته فيها اغتراب في اغتراب في اغتراب

والغائب المفقود من أبنائه وهم كنوهم السراب

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، انجمننا تشاد في يوليو، تموز عام ١٩٩٧م.

وطني أنا وطن عجاب
وطن إذا حشركم عنه بألف قصيدة وقصيدة
ما كان لي فصل الخطاب
وطني أنا وطن عجاب
وطني الذبيح
وطني الذي جرد فيه كل فرد خنجرا
ليصيب غَنَمًا أو لحقَّ الغير فيه يستبيح
نسجوا جميعا كيدهم واتفقوا أن يذبحوا وطني الذبيح
ذبحوه حتى العظم ثم انتهبوا أمواله
وتفرقوا يتفاخرون بعزه ويندنون باسمه
بل يقسمون برأسه وحياته، وطني الذبيح
هم كاذبون منافقون
لكنهم للشعب دوماً خادعون
والله يعلم أنهم كذبه
وصحائف التاريخ تشهد أنهم كذبه
وأنا شهيد معها من منبري هذا، على كذبه
(٢)

على كذبه
جلستُ أفكر حتى حدود الجنون
أفكر ما كان أو ما يكون
أفكر في بيع بيتي الوحيد
لأذهب نحو البعيد البعيد
لعلِّي أرتاد ذاك الجديد

وهل من جديد؟؟

على كتبه

أفكر في بيع أرضيتي

أمزق أوراق جنسيتي

لعلني أحقق أمنيتي

ببيت جديد يظللني فيه حسن الأمان

وحس الكرامة مع زوجتي

وطفلي معي فيه أو طفلتي

على كتبه..

جلست أفكر حتى حدود الجنون

أفكر ما كان أو ما يكون

ثلاثون عامًا على كتبه

أجالس شخصًا يسمى هموم

يقاسمني جلسة الدكة

ثلاثون عامًا على كتب

أراقب أوساخ هذي الأزق

تراكم تزداد في كل يوم

ثلاثون عامًا أراقب حولي خليط السموم

تطنُّ عليها جيوش الذباب

جيوش النهار وقبل الغروب

وبعد الغروب.. تروح وتأتي جيوش المساء

جيوش البعوض.. تدق الطبول

وتصبح مثل جيوش المغول

وتبدأ فور الوصول الهجوم
وترسل نحو الجيوش السهام
تمص الدماء وتنتف فيها بقايا السموم
لتنهب في الصبح ملء البطون لكيما تنام
ويبدأ جيش البعوض البديل
يُريش النبال
ويعرض رتل الصفوف الطوال
ليبدأ هذا المساء الهجوم
حروبٌ حروبٌ.. حروب هنا وحروب هناك
بغير انتصارٍ وغير انتكسارٍ
صباحًا مساءً شتاءً وصيفًا
يمزق فيها القوي الضعيف
ويُلقي به في مهاوى الزوال
ولكنْ محالٌ محالٌ محال
فسرعان ما يستعر الزمار.. يدور المدار
يعود إلينا الضعيف قويًا
فيفتك يفتك بالآخرين
بنفس الطريقة نفس المدار
يدور المدار
يحل مكان الصغار الكبار
وتذهب عنا شمس الصغار
وتغرب تغرب نحو الزوال
ولكن محال، محال، محال

يدور المدار، يدور المدار
لأننا ركبتنا على عربات الحروب
لأننا ركبتنا على عربات الدماز
ورغم التوقف بعض المساء
وجزء من الليل أو من أوان النهار
فسوف يدور المدار كشأن الإطار
إذا ما تحركت العربة
على كنبه

(٣)

على كنبه
جلست أراقب الأيام تمضي والزمان
أتجرع الصمت المهين
أتجرع الآلام من كنس الهوان
لا تحسبوا أنني جبان
فالصمت عجز حين تمتلك اللسان
لكنه إذ لا حياة لمن تنادي
بات عجزاً أن تنادي أمة الموتى
وترسل صرخة تمتصها الوديان
فلطالما ناديتها الأوثان
لكنه ما من مجيبٍ دعوتي
جنى رجيع صدى ندائي ذاب في أودية النسيان
الأذن الصماء في مسيرة الكلام أعتى عقبيه
تتعطل الألسن ما تتعطل الأذان

لا تحسبوا أنني جبانٌ
فلطالما كافحتُ أشباحَ التخلف والهوان
وبذلت من كنز العطاء على امتنان
وأضأت عمري شمعة تهدي طريق التائه الحيران
ونصبت نفسي مرشدًا يدل كل حائر توهان
جردت من نفسي طلائع ثورة تعاند الظروف والمكان والزمان
راهنّت عصراً عشته بحماستي ومبادئه ورضيت بالرهان
غامرت مدفوعاً بكل حميتي وتطلعي للوطن الواحد
رُفْتُ فوقه ألوية الحب كسائر الأوطان
ومضيت أحمل شعلتي في أول الطريق
غير أبى بظلمة السبيل وانعدام عنصر الأمان
ونظرت خلفي رامقاً طول الطريق
فوجدتني وحدي أسير
لا تابعٌ خلفي يسير ولا نصير
كلُّ مضي لسبيله كلُّ مضي لقبيله
وخسرت أشراف الرهان
ووجدتني وحدي غريقاً تصرخ الأنواء حولي
صرخة مجنونة مصطبخة
ويحثت عن طوافة تتقنني عن قشة عن خشبة
فوجدت بعد اليأس هذي الكنبه..
على كنبه

(٤)

على كنبه.. وما أدراك ما كنبه؟

هي العمل الذي ظلت تمارسه جموع شبابنا التعبه

لأجيالٍ وأجيالٍ تمرُّ ودونها عقبه!!

وما أدراك ما العقبة؟!

خلوُ قلوبنا الحيرى من الإيمان يغمرها

فلا الإيمان بالأوطان يعمرها

ولا الإيمان بالمستقبل المرجو يُشكرها

ولا الإيمان بالباري الذي بالروح أقرنها

وأسكنها حشايا الجسم والجلده

وطمانها وثبتها وأسكنها وكانت قبل منقلبها

فكيف يلام هذا الجيل إن ما هذه الإعياء إن يجلس على كنبه؟

على كنبه.. وما أدراك ما كنبه؟

هي العمل الذي ظلت تمارسه جموع شبابنا التعبه

لأجيالٍ وأجيالٍ تمرُّ ودونها عقبه

وما أدراك ما العقبة؟!

خلوُ رؤوسنا الوسنى من الأفكار غير الأكل والأزياء

واللذات والضوضاء والجلبه

خلوُ حياتنا العجلى من التدبير والتفكير فيما يَغمر الوطنُ

المكون من طول ديارنا الخريه

خلو الساحة الكبرى من الأبطال يبتدرون للحلبه

فساحات الحقول اليوم في بلدي خَلَّتْ من طيف زارعها

وساحات النضال خلت هنا من طيف سائقها ودارعها

وساحات العلوم خلت من العلماء والشعراء والكتّبة
ولم تخذل من الساحات إلا ساحة اللّٰهُ
هنالك تعدد العدّة
وتلقى في ملاعبها رباط الخيل والشّدّه
فثمة تُضرمُ النيران للحرب التي فيها
تتم هزيمة الإيمان والأخلاق
ويحصد معشر الأعداء في يسر حصاد النصر والقلب
فكيف يلام هذا الجيل إن ما هذه الإعياء إن يجلس على كتبه؟
ولم تخذل من الساحات إلا ساحة اللّٰهُ
ففي ساحات هذا الغول يتكلمنا
ويذبح كل يوم فوق منبجة ضحايا الكفر والردّه
ترى عرياته يحملن آلاف الشباب إلى مجاهله
فلا وصلوا إلى شاطئ أمين ثمّ يحفظهم ولا استبقتهم العربيه
فآلاف الشباب اليوم في بلدي
يتوه بلجة الظلمات في وضح النهار
والآلاف البنات اليوم في بلدي
بكرات ضحايا الجهل والإهمال مستلبه
فلا مستقيل للبت في بلدي سوى المفروض في واقعها المشحون
باللذات منتهبه
وحتى قصة التزواج لا تعدو سوى استبدال بعض مصالح
بالطول أو بالعرض محتسبه
وحتى معشر الأزواج مضطرون رغم الحب أن يستبدلوا العتبه
فكيف يلام هذا الجيل إن ما هذه الإعياء إن يجلس على كتبه؟

تمامًا مثل ما فكرت

على كتبه

هناك امام منزلنا المطيّن ذات يوم أستريح

(٥)

على كتبه .. جلست أراقب الأيام تمضي لا تعود

كل يوم هي تمضي لا تعود

وأرى بلادي بلغت شيخوخة العمر وأضناها الصمود

وأرى بنيتها جردوا أنفسهم من كل أشكال الضمير فجاوزوا كل الحدود

فالكل يأكل من بلادي عنوة نهبا وسلبا من عهد وعهود

فكانما هي جثة ميتة في قبرها قد سُدّت

وكأنما أولادها من حولها سوس ودود

عجبا لهم وبلادهم تشكو التقهر والتأخر والركود

لكنهم لا يفقهون القول إذ ليسوا يجيدون

سوى لغة التواكل والقعود

لا يستقيم الظل لولا يستقيم العود

لا يستقيم الظل لولا يستقيم العود

سألت نفسي ما لها بلدي أنا بالذات يكره أهلها

معنى الولاء لأرضها ولحبها المفقود؟؟

ما بالها بلدي تربي وتغذي ثم لا تلقى جزاء

غير صدّ وعقوق وجحود؟

ما بال أقوام بنوا إيمانهم بالمنطق القائل أن العقل شخص أبيض

والعقل لا يوجد في عقول سود

ما بال أقوام إذا ما أبصروا جلاهم

ذلُّوا وخزُّوا رُكُتًا وسجود
ما بال أقوام إذا ما أُنلوا لثموا أيادي منلليهم والخذود
ما بال، بل ما بالها ما بال
طرح السؤال على السؤال
فعاد يسألني السؤال
ولا جواب سوى الشرود.. والشرود متعبة
لا يملك الشارد في شرود
إلا اجترار المسغبة
لا حيلة يملكها لا قوة لا تجريره
وما أنا سوى مواطن غريق لم يجد سوى الشرود مركبه
فقاذه الشرود نحو ميناء يسمى كتبة.. على كتبه
(٦)

على كتبة.. جلست أمام منزلنا المطين ذات يوم أستريح
وهل الذي متلي أنا في الناس يومًا يستريح؟
فكرت في تلك البليه
تلك التي يدعونها بالقبليه
تلك التي أقت بنا في قعر هاوية قصيه
تلك التي اتقنا لها لجنونها
فقطلعت لغة الحوار وغيبت كل الحلول المنطقيه
وبها اثرنا الحقد مارسنا الحروب الهمجيه
وعلى مذابحها نبحتنا نفسنا يا وبع أنفسنا الغبيه
قومي أقول القبليه
عشنا بها مأساة فقدان الهويه

نُقْنَا بِهَا أَقْصَى صَنْوَفِ الْفَقْرِ وَالْإِمْلَاقِ نَقْنَا التَّبْعِيَّةَ
تَبْعِيَّةً فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ غَطَاءِ الرَّاسِ حَتَّى اللُّغَةِ الْمُحْكِيَّةِ
قَوْمِي أَقُولُ الْقَبْلِيَّةِ
مَا زَالَ قَوْمِي مِنْ غَزِيَّةِ
يَسْتَرِشِدُونَ بِرُشْدِهَا يَغْوُونَ إِنْ كَانَتْ غَوِيَّةُ
مَا زَالَ قَانُونُ غَزِيَّةِ
يَحْتَلُ فِي وَطَنِي الْمَمْرُوقُ عَرْشَهُ يَحْتَلُ أَرْكَانَنَا قُوِيَّةِ
فَغَزِيَّةُ هِيَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ أَعْمَقُ مِنْ هَوِيَّةِ
وَعَزِيَّةُ أَرْفَعُ قَدْرًا مِنْ شَعُورِ الْوُطَنِيَّةِ
وَطَنُ الْجَمِيعِ تَرَاهُ فِي التَّرْتِيبِ يَأْتِي ثَانِيًا أَوْ ثَالِثًا أَوْ آخِرًا
أَمَّا غَزِيَّةُ فَهِيَ تَأْتِي أَوَّلًا حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ حَالِ النَّاسِ
يَهْتَفُ قَائِلًا: وَاعْلُو غَزِيَّةً.. وَاعْلُو غَزِيَّةَ
مَجْدٌ قَدِيمٌ حَازَهُ هَذَا الْوُثْنُ.. هَذِي الْغَزِيَّةُ
هَذِي الَّتِي تَجَسَّدَتْ بِالْقَبْلِيَّةِ
قَوْمِي أَقُولُ الْقَبْلِيَّةِ
قَوْمِي أَقُولُ الْقَبْلِيَّةِ
هَذَا الَّذِي سَحَرَ الْقُلُوبَ بِسِحْرِهِ مِنْذُ الْعَهْدِ الْحَجَرِيِّ
هَذَا الَّذِي طَبَعَ الْقُلُوبَ بِطَابَعٍ مِنْ مَعْطِيَّاتِ الْبَرِّيَّةِ
هَذَا الَّذِي فِي بَلَدِي لَوْ أَنَّ كُلَّ عَصِيَّةٍ بَلُونُ
فَكَلَّ فِرْقَةٍ فِي بَلَدِي تَمْتَنُّ عَنْ لِدَاتِهَا بَلُونُ
وَكُلَّ عَصِيَّةٍ تَخْتَالُ فِي أُعْطَافِهَا لِأَنَّهَا بِزَعَمِهَا أَصْلِيَّةِ
وَكُلَّ فِرْقَةٍ فِي بَلَدِي تَزْعُمُ أَنَّهَا هِيَ الْأَسَاسُ
وَأَنَّ أَيَّ فِرْقَةٍ أُخْرَى بَخِيلَةٌ دَعِيَّةِ

لكن وطني المنبوذ لا يكسوه أي لون
لأنه وطن الجميع
ولونه شعورنا بالوطنية
تغمد الله شعورنا بالوطنية
برحمة من عنده ونسأل الله لأهلها
صبرًا وسلوانًا على الرزية
وهكذا عانت بي الأفكار بعد رحلة مسترقه
قامت بها الأفكار فوق ورقه
عادي بي الأفكار نحو واقعي كنيبةً حبيسةً منغلقة
وكانت الأفكار قبل في عوالم الأحلام حرة طليقة منطلقة
عانت وعدت للشروء مُعرض ومعرضه
عن كل ما يمتّ للأحلام بِصله
ما كانت الأفكار غير لحظات وامضه
ما كنت أحلم غير حلم اليقظة
سافرتُ عبره في رحلة مضطريه
وجدت نفسي بعدها قدّام منزلنا المطين
جالسًا أراجع الأحداث فوق كنبه
على كنيبة جلست أمام منزلنا المطين ذات يوم أستريح.

٢٧ - ذكرى الحرية^(١)

[الكامل]

(١)

وإذا المساء أتى وقنديل المساء
ومضى ينير الأرض من وجه السماء
وجلسْتُ أرقبُ ضوءه عند العراء
سألت عن ذكراكِ قنديل المساء
ذكراكِ أسألتني لقنديل المساء

(٢)

وإذا أبى غيثُ الزمان نوالاً
فرثني الورود وحطّم الأمالا
وفدا رجائي كله أطلالا
سألت عن ذكراكِ أطلال الرجاء
ذكراكِ أسألتني لأطلال الرجاء

(٣)

وإذا استدار القرصُ يُؤنن بالاقول
وكسا بصفرته تعاريج السهول
وأوث إلى الأعشاش أطيار الحقول
سألت عن ذكراكِ أطيار الحقول
ذكراكِ أسألتني لأطيار الحقول

(١) عبد الواحد حنين السنوسي، ١٩٩٨م.

(٤)

وإذا تهادى الليلُ في إثر النهار وأبصر
ومضت طيوفُ الأمس تلحُّ بالزمان الأغبر
وبدا ركابُ اليوم حين الصبح فينا أسفر
سألتُ عن ذكراك طيفَ الأمس
نكراك أسئلتني لطيفَ الأمس

(٥)

وإذا رياض الورد فاحت واستشاط عبيرها
وتأومت فيها البلابل واستعز زفيرها
وتنهدت فيها جداولها وأن غديرها
سألتُ عن ذكراك أهاتِ البلابل
نكراك أسئلتني لأهاتِ البلابل

(٦)

وإذا المواسمُ شمرت عن ساعديها للعباء
وسنابلُ القمح الحُمَّلة استقامت في ثراء
وتوقف الفلاح يرمقُ حقله في كبرياء
سألتُ عن ذكراك قاماتِ السنابل
نكراك أسئلتني لقاماتِ السنابل

(٧)

وإذا المساء تلبدت خلف الغيوم
وأوت إلى أمشاطها كلَّ النجوم
والبرق صوب ناظريه على الكروم
والرعد حطم غاضباً قيد الوجوم
وتراعت قطع الحصى والرمل من هول الهزيم
سألتُ عن ذكراك حبّاتِ المطر
نكراك أسئلتني لحباتِ المطر

(٨)

وإذا الخريفُ أتى يلُوحُ بفأسه
وتراعشتُ كلُّ الغصونِ مخافةً من يأسه
فالكُونُ قطبٌ وجهه يشكو مرارة كأسه
سألت عن ذكراك أغصان الشجر
ذكراك أسئلتني لأغصان الشجر

(٩)

وإذا المحاريتُ استدارت تحت أقدام التلال
وترعرعت تلك البذور بنغمة الماء الرُّلال
حتى غدت ثمرًا تفيضُ به السلال
وتسامقتُ أفنانها بالظل في قبض الجبال
والقافلين العابرين تفيؤوا تلك الظلال
سألت عن ذكراك كل العابرين
ذكراك أسئلتني لكل العابرين

(١٠)

وإذا طوَّتْ ذكراكِ أعدادُ السنين
فحكفتُ أنشرها بآثات الحنين
وتسائل الأصحاب أين الراحلين
سألت عن ذكراك كل السائلين
ذكراك أسئلتني لكل السائلين

٢٨ - كلنا في الضاد شرق^(١)

[الرمل]

الحمد لله الذي جعلني مسلماً وشرفني بالإسلام والحمد لله الذي جعلني عربي القلب واللسان وعلمني من العلم ما لم أعلم وجباني بقراءة القرآن أم العلوم وأسبغ على نعمه تدبر معانيه، إنما أقف اليوم بين أيديكم جندياً صغيراً من جنود هذه اللغة لأقدم واجباً من واجباتي التي اعتبرها مقدسة، قداسة هذه اللغة التي نزل القرآن الكريم بها وجعلها لغة التخاطب في الحياة الآخرة، فتقبلوا مني هذه القصيدة عنوان حب وشهادة وفاء وصك ولاء.

جاءَكَ الغيثُ إذا الغيثُ انهمرُ
يا تُرابيَا ضُمَّ هذا المؤتمرُ
بِبارِكِ اللّهِ لمن نادى له
وطمئنْ لبَيِّ نداءٍ فحضر
نحن ما جئنا لنلهو ساعةً
أو لنقضي بعضَ أوقاتِ السُّمرِ
أُمننا تجمُّعُنا أقدارنا
مثلما يجمعنا ماضٍ غير

(١) قرأت القصيدة في التمثلة العالمية الدولية وعالية الأدب الإسلامي، التي أقيمت في الفترة ما بين ٢٧ من رجب - ٢ شعبان ١٤٢٣هـ الموافق ٥ - ٨ من أكتوبر ٢٠٠٢م في رحاب جامعة الملك فيصل بأنجمينا، بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالملكة العربية السعودية ومركز رسائل النور بتركيا، والقصيدة الآن مكتوبة على الكمبيوتر ومحفوظة لدى الأمانة العامة بجامعة الملك فيصل.

كلُّنا في الضُّمادِ شَرِقُّ واحدٍ
دِرْيُنًا «صنعا» وإن طال السفر
جمعتُنَا لغةٌ ساميةٌ
لغةُ المحكم من أي السور
أنزل الله بها فرقانهُ
بيِّناتٍ هادياتٍ للبشر
خذا لها السبع الثاني مثلاً
أو فخذ «هودا» و«طه» و«الزمر»
خُذْ من القرآن ما شئتَ لما
شئتَ واصدع بالثاني وأتبر
بارك الله لِدِينِ ضَمُنَا
ووقانا من غواياتِ الكِبَرِ
فَعَسَانَا قَدْ اقْمَنَا حِجَّةً
لصلاح الأرض واستنصالِ شر
فهي ميراثُ لنا إن صلحتْ
ذاك ما سَطُرَ في مِثْنِ الزُّيَرِ
نحن يا قومُ حَرَمْنَا أُمْرَنَا
وعلى الجمر مشينا نحتصر
وَعَجْنَا الضُّمَادَ من أمانِنَا
فتجلَّى في بنيينا واختمر
من أراد الضُّمَادَ يلقاها هنا
بين فرثٍ ونجيبٍ مُنْهَمِرِ

نحن يا ضاؤ مشيناك خُطى
 وارتضيناك قضااء وقدر
 حفروا خندقهُم من حولنا
 وابسادونا وقوفًا كالشجر
 طمسوا تاريخنا أو حاولوا
 طمسه ليلاً وهل يخفى القمر
 كلما كابوا لنا كيداً غوى
 مثل كيد السحر يغوى من سحر
 قتلوا أعلامنا واستعملوا
 كبكبًا لم يُبق حياً أو يذرا^(١)
 كم من الشهداء قد ماتوا وكم
 ملأت أجسادهم تلك الحفر
 قُروا إفناننا من جهلهم
 قل لهم هيهات أن تَفنى مُضر
 نهبوا أملاكنا واستلبوا
 أرضنا كل نفيس منطمر
 لم يراعوا الله في أقواتنا
 كيف يرعى الله رعيان البقر
 خدعونا وأدعوا استغلالنا
 إنما ذاك خداع للبصر

(١) في البيت إشارة إلى حادثة الككب (الساطور) التي نضت عام ١٩١٧م بمدينة أبشي والتي استشهد فيها أكثر من ٤٠٠ عالم وشاعر.

تركوا طابورهم في أرضنا
 عيّناتٍ مثلَ فلانٍ المختبر
 وبهم صالوا وجالوا وشطننا
 فرضوا كلُّ بنغيضٍ محتضر
 لغة الأعجّام لا مِنّا ولا
 نحن في بادية أو في حضر
 فرضوها ثم قالوا إنما
 لغة القرآن شرٌّ مستطر
 لعنة الله عليهم كذبوا
 ليس منا كلُّ كذابٍ أشبّر
 عرفَ الحقُّ فلم يؤمنْ به
 ومتى يؤمن قلبٌ من حجر
 ختم الله عليه ختمه
 فهو لا يبصر إلا في سقر
 نحن يا إخوتنا تاريخنا
 سيرة للضاد من أذكى السّير
 وامتداد لخطى أسلافنا
 إنما النصارى نتاجُ الشرر
 نحن يا إخوتنا قد راينا
 بقُرُننا الكنا لم نندثر
 قد قضينا العمرَ نرجو حقنا
 في ميادين الوغى كُرُ وفر

وَبَقَّفْنَا كُلَّ غَالٍ فِدِيَّةً
 كَيْ يَرَى النُّورَ كَهَذَا الْمُؤْتَمِرِ
 وَاحْتَسِبْنَا اللّهَ فِي إِخْوَتِنَا
 نَهَبُوا قَبْلَ اجْتِنَاءِ الثَّمَرِ
 فَإِذَا مَا خَانَنَا التَّوْفِيقُ فِي
 بَعْضِ أَشْيَاءَ فَعَنَاهَا الْمُعْتَذِرِ
 نَحْنُ يَا ضَاأُ إِذَا الْخَيْلُ عَدَّتْ
 فِي كَيْدِ الصَّرْبِ جُنُنًا نَبْتَرِ
 نَطْعُنُ الْأَعْلَاجَ فِي أَنْحُرِهِمْ
 فَهِيَ إِحْدَى الْحَسَنِيِّينَ لَا وَزَرَ
 نَحْنُ يَا ضَاأُ لَنَا أَيْمَانُنَا
 فِي لُطَى الصَّحَرَاءِ إِذْ وَلُوا الْعَبْرَ
 أَرْضَ «مَنْقَلَمِي» وَ«صَلَّال» الَّتِي
 كَانَ فِيهَا عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِ^(١)
 إِذْ تَرَكْنَا فَوْقَهَا أَشْلَاتَهُمْ
 مَرْقَا مِثْلَ الْهَشِيمِ الْمُحْتَضِرِ
 وَتَرَكْنَا عِنْدَهُمَا أَرْوَاحَهُمْ
 طَعْمَةً لِلنَّارِ بِئْسَ الْمُسْتَقِرِ
 وَانْقَنَاهُمْ عَذَابًا حَاضِرًا
 وَعَذَابَ اللّهِ أَهْمَى وَأَمَرِ
 نَحْنُ يَا ضَاأُ قَدِينَاكَ قَدْنَى
 لَيْسَ يَفْدِيهِ ذَلِيلٌ مِنْكَسِرِ

(١) «مَنْقَلَمِي» وَ«صَلَّال» أَسْمَاءُ لَأَمَاكِنَ فِي تَشَادٍ.

بالدم الغالي وبالسروح معاً
 لا أنامَ الله عين المنحدر
 نحن ما صنعناك إلا بعد ما
 بلغ السيل زياه وانحدر
 زعموا أنك لا ترقى إلى
 سدة العلم، فمن أين المفر؟
 وعلوُّ الكون فيضٌ سال من
 بحرك الزاخر يوماً بالدر؟
 زعموا أنك ضيفٌ عندنا
 كيف يُستبضَعُ تمرُّ في (فجر)؟
 إن من يسخر يا ضاأُ بنا
 إنما يصطاد في الماء العكر
 إن يكن حبك خُمرًا فملأني
 كأسها حبًّا وهاتي نختمر
 (هل رأى الحب سكارى مثلنا)
 لا يفيقون من العشق الخطر
 أينما يشملنا حبُّ لِمَا
 هو حق يوم لا تُفني النُثر
 لغة الفربوس إذ تحكي بها
 حورٌ عينٍ في مآقيها حورٌ
 لا أفارق الله مَثْمُولاً لنا
 ما دعا لله داعٍ أو شكر

نحن يا إخوتنا في خنقٍ
واحدٍ رغم اختلافات النظر
ديننا إسلامنا يجمعنا
ولسانٌ يعريُّ مشتهر
ورسولٌ واحدٌ قدوتنا
هو خير الخلق من جنس البشر
نحن يا إخوتنا في كربةٍ
من أحابيل العدى جأوا وير
كم دهانا القرخ في بلوائهم
فشكرنا الله من مس الضرر
بلبل الكفار أجبالنا
وغررنا بثقافات الصور
داوموا إغرائنا واستعملوا
كل أسلوبٍ نسي منكر
زئوا للناس دنياهم فيها
قد سرى في الناس (أفيون) الخور
فنسوا أننا ملكتنا أمرهم
بهدي القرآن والتذكر العطر
فافتحوا أعينكم يا قومنا
واستفيقوا من رقابٍ وخدر
من يكن أسلافه أسلافنا
قطع النوم بأسياف السهر

أَيْنَ مِنَّا خَالِدُ سَيْفِ الْوَغَى
 مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مُسْلُولِ الْخَطَرِ
 وَعَلَيَّ لَا فَتَى إِلَّا مِنْ
 (أُخْذٍ) أَوْ (خَيْبٍ) حِينَ انْتَصَرَ
 وَأَبُو بَكْرٍ الَّذِي لَوْ مَنَعُوا
 مِنْ جَبَايَاهُ عَقَالًا مَا صَبَرَ
 وَأَبْنُ خَطَّابٍ الَّذِي فِي عَهْدِهِ
 قُتِبَ الْقُدْسُ بِمِفْتَاحِ الظُّفْرِ
 عَنَّا كَمَا كَانَ مَثَالًا يَحْتَذَى
 طَبَقَ الْأَفْقِ وَدَوَّى وَانْفَجَرَ
 أَيْنَ مِنَّا حَمْرَةُ لَيْثِ الشُّرَى
 سَيْدُ الشُّهَدَاءِ مَشْهُورِ الْخَبَرِ
 وَشَهِيدُ الدَّارِ عَثْمَانَ الَّذِي
 سَيَّرَ الْجَيْشَ وَأَقْرَى وَنَحَرَ
 وَأَبْنُ جِرَاحٍ أَمِينًا قَانِمًا
 يَحْكُمُ الثُّغُرَ وَيُزِيدُ مِنَ الْكُفْرِ
 أَيْنَ مِنَّا عَقْبَةُ الْخَيْرِ غَزَا
 بِخِيُولِ اللَّهِ بِيضَاءِ الْقُرَرِ
 وَالْمُثَنَّى وَأَبْنُ وَقَاصٍ وَمَنْ
 بِهِمُ الْإِسْلَامُ فِي الْأَرْضِ انْتَشَرَ
 وَصَلَاحُ الدِّينِ شَمْسٌ سَطَعَتْ
 فِي سَمَاءِ الْقُدْسِ صَبْحًا وَسَحَرَ

هَزَمَ الْمُتْلِبَانِ رَغَمَ جَمْعِهَا
والتقى بالسيف كيد من غدر
أبين منا فيحصل الحقُّ الذي
كان اسمًا من مسماه صدر
ملك من خير من زكى ومن
خير من صلى وحج واعتمر
زارنسا والخير في أعطافه
فابتنى فينا صروحًا وعمر
تاركًا ذكرًا كريمًا خالدًا
عابقًا بالمسك والزهر القطر
مسجدًا حاكي الذي في يثرب
أثرًا يا حبيذه من أثر
فتأملها عروسًا زُيِّنَتْ
بجمال العلم بالورد النضر
برزت في خدرها من بعدما
أطفأت شمعاتها الإحدى عشر
بارك الله رجالًا صارعوا
كل صعب من صعوبات الغير
واقاموا صرحها واستقبلوا
بمسلاح العلم أت مستتر
عرق الأعوام ما ضاع سدى
 وجهود الأمس ما راحت قير

فهي مستقبلُ أجيال لنا
كاد مستقبلها أن يحتضر
فبها راياتنا قد تعلى
وبها طوفانهم قد ينحسر
فاحمدوا الله الذي سَدَّنَا
وهَدَانَا سُلَيْمَاتِ الْفِطْرِ
إِنْ حَمَدَ اللَّهُ مَحْمُودٌ إِذَا
جَانِكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ انْهَمَرَ

محمد عمر الفال^(١)

١ - وَفَدُ فَهْدُ الْخَيْرِ

[الطويل]

نُحْيِيكَ يَا وَفَدُ وَهَا أَنْتَ شَاهِدُ
وقد كنتَ ربُّ الدارِ في القلبِ نازلُ
فما بين هذي الدارِ يا وَفَدُ في العُرى
وبين رياضِ (النَّجْدِ) هذي الشَّمالِ
تعاظَمَ فينا الخيرُ ما دام بيننا
ومادام وَفَدُ (الفَهْدِ) فينا يُواصل
وفودكم - يَا فَهْدُ - تهدي إلى الهدى
وتسعى إلى الخيراتِ ما سال سائل
أيَا خادِمِ الحرمينِ إنك ها هنا
وإن غُبِثَ عنا إن خيرَكَ واصلُ

(١) الشاعر الدكتور محمد عمر الفال شاعر تشادي ولد سنة ١٩٦٨ بمحافظة البطحاء الشرقية وتعلم القرآن الكريم على يد والده، ثم سافر إلى ليبيا وأتم فيها دراسته الابتدائية ثم سافر إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف ومنه نال الشهادة الإعدادية سنة ١٩٨٤ ثم سافر إلى سوريا وهناك درس المرحلة الثانوية ثم الجامعة، ثم سافر إلى السودان فنال درجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة أم درمان سنة ١٩٩٧م وبمناها نال درجة الدكتوراه في سنة ٢٠٠١ وقد التحق بصفوف ثورة «فرولينا».

وعمل محاضراً في كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة أنجمينا، ثم انتقل ليعمل محاضراً في كلية الدراسات الإسلامية الليبية.

وللشاعر ديوان مخطوط بعنوان «أصداء النفس»، ويعد من الشعراء المحافظين في تشاد، ويتسم الديوان غير المطبوع بمسحة دينية محافظة وملتزمة بأصول الشعر القديم، وفي الوقت ذاته يعبر عن همومه الذاتية وهموم مجتمعه من حوله.

مقابلة مع الشاعر في مبنى كلية الدعوة الإسلامية بأنجمينا، أبريل ٢٠٠٦م.

تُنَادِيكَ مِنْ بُغْدٍ وَهَذَا أَنْتَ هَاهُنَا
يُجَابِبُ عَنْكَ الْقَوْمَ فَخُذْ وَنَائِلُ
فَضَلْتَ عِبَادَ اللَّهِ سَعْيًا إِلَى الْعُلَا
وَلَا شَكَّ حَامِي الْبَيْتِ وَالْبَيْتِ فَاضِلُ
قَدُومُكُمْ يَا وَقْدَ (فَهْدٍ) يَغِيثُنَا
وَشَادِكُمْ مَخْلُ وَذَا الْغَيْثُ هَاطِلُ
إِذَا غَابَ عَنَّا فَيَصِلُ جَاءَ بَعْدَهُ
فَيَاصِلُ غَيْثٌ بَعْدَهُ وَفَيَاصِلُ
أَقِيمُوا بَنِي الْأَحْصَارِ فِينَا مَنَائِلُ
تَزِينُ سَمَاءَ الشَّادِ، وَالْأَرْضُ مَاجِلُ
غَشَاهَا زَمَانُ الْحَرْبِ حَتَّى تَعَاقِبَتْ
عَلَيْهَا جُنُودُ الْفَقْرِ: رُكْبٌ وَرَاجِلُ
تَنَابُوبٌ فِيهَا الْخَطْبُ حَتَّى كَانَمَا
إِذَا جَاهَا (قُسْنٌ) تَفْنَحُ (بَاقِلُ)
وَقَدْ كَانَ لِلْأَجْيَالِ مِنْ قَبْلُ فَيَصِلُ
بَنَى مَجْدَهُ بِالْمَالِ، وَالْمَالُ رَاحِلُ
سَمَا فَيَصِلُ يَبْنِي - وَمَنْ بَغْدُ فَيَصِلُ -
قَلَاعًا يَشِيخُ الدَّهْرُ فِيهَا، وَمَائِلُ
أَفِي الْأَرْضِ مَنْ يَبْنِي قَلَاعًا عَلَى الْمَدَى
تُقَارِعُ رُيْبَ الدَّهْرِ، وَالْدَّهْرُ زَائِلُ؟
بَنَاهَا فَنَاعَلَى ثُمَّ قَالَ عَلَى الْمَلَا
إِلَى مِثْلِ هَذَا الْمَجْدِ، مَا أَنَا فَاعِلُ

أُسابق هذا الدهرَ بالبذلِ جاهداً
وإنِ مِتُّ، باقى الحميدِ عني يناضلُ
فما الموتُ يخشى غيرَ أنْ لدى الفتى
رغائبَ خيرٍ حالِ عنها الحوائل
يموتُ الفتى لا شكَّ والموتُ لاحق
سوى أن موتَ الضَّيرينَ يُعاجل
فقدناك - يا مَلِكُ - وقد عِشْتَ بيننا
فها أنتَ فينا اليومَ ماضٍ وقابل
وحاضرُ عِلْمٍ فوقَ دينٍ فإننا
نحييك ما عِشنا كأنك ماثِل
بنى مركزاً للدينِ في (الشَّادِ) شاهقاً
فقائلةٌ مَنْ شادَ هذا وقائل؟
تخرُجُ منه الجيلُ والجيلُ لم يكن
له أبداً يوماً سواه بدائل
إذا سابقتُ أجيالهُ القومَ مالها
سوى السَّبْقِ يوماً حينَ يأتي الأوائِل
ولم يكُ ذاكَ الفوزُ إلا لأنه
وراءَ وراءِ الأمرِ هادٍ وعاملُ
رجالُ يرونَ المجدَ أنى تُنالُ
ولو هُئِمَّتْ ما يبتغونَ المعاول
قليلُ همُ في النَّاسِ لا شكَّ أنهم
- بما قَتَمُوا للخيرِ فينا - قلائِل
فمنهم وزيرُ العلمِ (أنمُ قُجَّةٍ)
رعى ما رعى والنَّاسُ: سالٍ وسائل

تَحْمَلُ عِيبَهُ (الضَّادِ) حَتَّى كَانَهُ
يَنْوُو بِأَحْمَالٍ لِهِنَّ خُمَائِلُ
وَمِنْهُمْ إِمَامُ الدِّينِ أَعْنَى (خُسَيْنَتُهُمْ)
فَقَدْ عَظُمَتِ أَفْعَالُهُ وَهَوَّنَا جِلُ
إِمَامٍ يَحِبُّ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ مَا وَنَى
يَلَا حَقَّهُ مِنْهُمْ لَنِيْمٌ وَجَاهِلُ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يُلْقَ بِأَلَا، فَمَا لَلدَى
عَلَى رَأْيِهِ إِلَّا رَحِيلُ وَرَاحِلُ

بتاريخ ٢٠٠١/١/١١ أنجمينا - تشاد

نظمت بمناسبة حفل تكريم خريجي

مركز الملك فيصل الإسلامي يوم ٢٠٠١/١/١٢ بقصر ١٥ يناير

٢ - لم يبق لي فيك عذر

[البسيط]

إن قلت: ما لك تلحاني وتعذلني
جبراً ما عثرت إياك بي قديمي
خطيئةً بَدرت في رَحْمِ مكرمةٍ
مني على عجل لولاك لم تُفَمِ
إنني أرى من يقع في مزلق لَزِجٍ
لا يعذر الدهر مرهوناً بجرم دم
أهكذا حكم كل الناس إن حكموا
على بريء من الأثام منقصم
قد كنتُ أحسب ما فعلني بمنخفض
إليك أنست، ولا قلبي بمنجرم
أرقتُ فيك دموعَ الشوق تسعفني
مبادئ نلتها من خير محتدم
ناضلت دونك من أعطوا مويتهم
في سالف الدهر غثوني من النعم
وما شكوت لظلي حرب يُؤججها
لحرق أمدافنا جيش من اللؤم
وصيرتني ملاكاً في بنات أبي
معارك خضتها في أحلك الظلم

أمام سورٍ من العادات يصرفنا
 عن اللّحاق بركب الصّحب في القَدَم
 ففَزْتُ فيها بسهم النصر جائزَةً
 من الضعاف صغار العزم والهمم
 لم يبقَ لي فيك عذْرٌ في محاجّتي
 هذا جماعٌ، لما أخفاه منك فمي
 أقول: لا تضرعي في ساح مغفرتي
 فإنّ مثلكِ لا يجثو على قدمي
 برئتُ منك براء النّنب يوم جنى
 أبناء يعقوبٍ فاحتالوا له بدم
 القُوا أخاهم من الأحقاد منتسكًا
 في قاع بئرٍ، ولم يلبوا المرتطم
 وانرفوا الدمع تصديقًا لفعلهم
 في صدر يعقوب خالي الذهن من نقم
 كذاك أنتِ، فلا يخفى خداعك لي
 وقد بَقِيَ أزمناً يسري خلال دمي
 ما أشبه اليومَ بالأمس الذي تُكرّث
 أخباره في كتاب الله، لا قلّمي
 قد كنت في غفوة ليلاً بُهرتُ بها
 واليوم أيقنتُ أن النور في حلمي
 إياك أن تقرّبي أنوار مسرّجتي
 فإن قُتِسي محروس عن الظلم

حاشائي أن ارتضي عنزًا لجانبة
كانت تُنسُ في قدسي وفي حرمي
حاشائي أن اقتفي رسمًا لظالمٍ
قد حار في أمرها مجموعة الأمم
سحبت كل رصيدي كنت أودعه
لأنّ (بَنَكْكَ) لم يسلم من التُّهم
حررت يوم ١٩٩٥/٦/٥م - الخرطوم

٣- موقوف ٢

[الكامل]

لا تحزني من عَرْشِكَ الْخَرِبِ
كَلًّا، وَلَا مِنْ أَمْسِكَ الدَّابِرِ
لا تَغْرِبِي يَا هِنْدُ ضَارِعَةً
إِيَّاهُ، إِنِّي لَسْتُ بِالْغَافِرِ
اِخْتَاهُ إِنَّ الْحُبَّ فِي زَمَنِ
فِيهِ الْقَفَافُ عَلَامَةُ الْفَاجِرِ
لا أَرْضِيهِ وَقَدْ بَدَأَ قَمْرِي
يُنَوِّرُ الْأَكْشَوَانَ لِلْسَائِرِ
لا تَحْدِثِي خِثْلَكَ أَسِيفَةً
مِنْ قُوتِ حُسْبٍ مَرُّ كَالزَّائِرِ
فَالنَّاسُ فِي أَهْوَانِهِمْ حُمُرُ
يَتَفَاخِرُونَ وَمَا لَهُمْ فَاخِرُ
لا تَغْجَبِي اخْتَاهُ مِنْ غَضَبِي
فَالْحُبُّ قَوْضَى، فَاقْدُ النَّظَرَ
اِخْتَاهُ إِنَّ الْحُبَّ مُخْتَلِفُ
عِنْدِي، وَفِي مَقْهُومِهِ الْخَاسِرُ
أَنْ لَا حَبِيبَ يَذِي التَّيَّارُ وَلَا
حُبُّ كَمَا كُنَّا عَلَى الْغَابِرِ

اخْتَاهُ إِنَّ الْوَصَلَ مَنْقَطُ
 فَاذْكُرِي جَوَى مِنْ حَقِّكَ الْعَائِرِ
 لَا تَأْسَفِي مِنْ حُبِّكَ النَّجَسِ
 كَلًّا، وَلَا مِنْ طَهْرِكَ السَّافِرِ
 لِلنَّاسِ فِي عُشَاقِهِمْ بَدَلُ
 إِنَّ صَحَّ ذَا أَوْ مِيلَ فِي آخِرِ
 لَا تَخْسَفِي يَا مَنَبَتِ الدَّمَنِ
 أَنِّي سَكَنْتُ الْقَلْبَ فِي الظَّاهِرِ
 خَضِرَاءُ حُسْنِ زَانِهَا حَوْرُ
 لَكُنْهَا أَلْعُورَةُ السَّامِرِ
 فَلْتَذْقِي يَا ظَلِيَّةَ الْعَطَنِ
 خَضِرَاءُ حُسْنِ خَائِرِ فَاتِرِ
 قَدْ قَالَ ذَاكَ الْمُصْطَفَى قَدْ مَا
 فَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَى نَوَى الْمَاكِرِ
 فَالْحُبُّ فِي قَلْبِي تُرْقُّهُ
 ذِكْرُكَ لَيْتَ الْقُلُوبُ كَالظَّاهِرِ
 يَا هِنْدُ إِنَّنِي عَنْكَ مَرْتَحِلُ
 فَاذْكُرِي إِلَيَّ أَنْ يَعْطِفَ الْجَائِرِ
 لَا تَرْكُضِي اخْتَاهُ فِي أَثَرِي
 إِيَّاكَ أَنْ تَسْمُرِي عَلَى الْخَاطِرِ
 قَدْ كُنْتَ فِي قَلْبِي مُعْظَمَةً
 وَالْآنَ أَشْكُو مِنْ هَوَى الْبَائِرِ

قَدْ خَابَ ظَنِّي فِيكَ أَنْزَعُهُ
 كَيْلًا تَبْقَى نِكْرُهُ الذَّاكِر
 قَدْ صِرْتُ فِي عَيْنِي حَيًّا أُنَى
 مِثْلَ الْقَذَاةِ عَلَى النُّقَا الطَّامِر
 قَدْ نُسِسْتُ فِي مُقْلَتِكَ يَدِي
 وَأَخْشَرْتَكَ عَلَى يَدِي الْفَائِر
 اخْتَاهُ لَا يَفْزُوكَ فِي طَلْبِي
 أَنِّي سَكَنْتُ الْقَلْبَ فِي الظَّامِر
 لِي شِيْمَةٌ لَمْ يُعْطَهَا أَحَدُ
 غَيْرِي، إِذَا مَا عِفْتُ كَالطَّائِر
 أَعْلَوْا سَمُوفِي الْعُلَا انْفَا
 - كَيْلًا أَنْتُسَ - فِي الْهَوَا الطَّامِر
 اخْتَاهُ مَا لِي فِيكَ مُطْلَبُ
 فَاذْكُرِي إِلَيَّ أَنْ يَسْمَعَ الْعَابِر
 اخْتَاهُ إِنَّ الْحَبْلَ مَنْقَطَعُ
 بَيْنِي وَبَيْنَكَ رِفْقَةُ السُّائِر

٤ - القلب النابض

[الكامل]

تُرِيدُ صَدِّي عَنْ هَوَايَ لَعْمَا
أَجِدُ السُّلُوبَ بَنِيهَا وَأَصْنَفُ
لا، لَنْ أَشُقَّ عَصَا المَوَدَّةِ بَعْدَمَا
عَلِقَ الفَوَادُ بِمَنْ أُعِزُّ وَيَكْنِفُ
لَوْ كُنْتُ تُبَلَّى مَا بُلِيتُ رَحْمَتَنِي
بِالْحَبِّ يُعْرِفُ مَنْ يَخِضُّ وَيُسْرِفُ
يَا عَاذِلِي حَكَمَ الإِلَهُ بِوُثْنَا
يَوْمَ انْتَحَنَى زَهْرُ الرِّيَاضِ يُرْفَرُ
رَغْمَ البُعَادِ يَلُومَنِي فِيكَ الْآنَا
مُ، وَلَمْ تَزَلْ أَمَالُنَا تُسْتَأْنَفُ
خَذَرُ الوُشَاةِ أُرِيدُ بُغْدِكَ رَاجِيَا
مَنْكَ السَّلَامَ، وَلَيْتَنِي اسْتَكْشَفُ
مَنْكَ الْجَوَابَ، وَقَلَّمَا يَسْتَصْفِرُ
لِي مَا رَجَوْتُ مِنَ السَّرُورِ فَتَأْسَفُ
رَضَدَ الوُشَاةِ بَحَقْنَا سَهْمَ الْعِدَى
وَلَقَدْ جَاهَدْتُ أَصْدُقَهُمْ وَأَعْنَفُ
تَبُتْ يَدَا الْمُتَقَاعَسِينَ عَنِ الْعُلَا
وَلَا بَقِيَتْ لَأَعْرِضَنَّ وَأَضْفِ

شامت وجوه اللاتحين على الهوى
 ودَعَوْتُ (عَبْدًا) بالكُنَى وأُخْرِفُ
 إسمًا يبدد نكسرُه فينا القوى
 وإذا رأيتُ خياله اتلُهِفُ
 أنا لن اموتُ ولي قُلَيْبُ نابضُ
 ولقد بُليتُ هوى الأحبَّةِ أهتَفُ
 (يا ليتَ شعري مَنْ بدا لي نَيْثُه
 ذا العام يبدأ بالوئام ويعطفُ)

نظمت بتاريخ ١٩٩٢/٣/٥م

دمشق

٥ - لك التحيات

[البسيط]

لك التحيات أهديها معطرة
لتعلمي أنني باقي على العهد^(١)
عهد المودة إذ تحلو مجالسنا
من فائح المسك أو من طيب الشهد
أيام نسترقُ اللقيا وترقبنا
عين الوشاة، فلا نامت إلى الأبد
ما بال عين الحسود الدهرَ ترصننا
تبت يدها وعانى حرقه الكبد
أجسُ دونك بالحمى تُعكر لي
صفو الحياة على ما كان من جلدي
تهواك نفسي إذا ما رحّت أصرفها
خلاف ما تشتهي إلاك لم تُقدِر
حتى طريث وصار الكون يحسدني
من أن ظفرتُ بذات الدين تُزب يدي
لولا الحياء ولولا الدين يعصمني
لكان لي في هواك اليوم معتقدي
فيك الخلال التي تُبدي بواكرها
أصالة المنبت المرعي بالجهد

(١) يلاحظ، أن القافية تنور بين الخين والقطع.

إن كان لي فيك حظٌ قد بدا قمرى
ينورُ الكونَ من ظُلَماءِ يومِ غدٍ
نِجني الأصالةَ بل نسقي الثمارَ معاً
من روضة الحب نغذوها على كبدٍ
سَلِفَتْ يا ساكنَ البطحاء فيك ندَى
تُنْدي رذاذاته ما جَفَّ من جسدي
أنا المريضُ وعندي فيك مُطْلَبِي
هَلْأَ سَعَيْتَ لأشفي فيك يا وعدي
١٩٩٥/٤/٢٨ م الخرطوم

٦- رفقة السوء

[الوافر]

يقول لي الرفاقُ ألا تأثي
وتنفقُ بعضَ وقتك في الفواني
وتشربُ في صِباك ولا تُبالي
بكُلِّ كان سَكرك أم بئانٍ
وتترك ما دأبتَ عليه يوماً
لتبلغَ جاهداً سُبُلَ الأمانِ
تُضيّعُ شبابك السَّوديَّ جَهْدًا
بما كَلَّفَتْهُ عِظَمُ المعاني
وتجري دائماً من غيرِ وقْنٍ
كأنَّك فاتحُ رُضِ الشَّشَنِ
أقول: فإنكم ترضون عيشاً
أذلَّ من البهائم في القِرانِ
عزيزُ القومِ ليس له فراغٌ
يُضيّعُ في المراقصِ والدُّنانِ
فإنني من سلالة قومٍ مجدٍ
أبثَّ هَماهم عَيشَ الهوانِ
وإنني استغلَّ فراغَ وقتي
بشأنِ الأهلِ أو أدبِ المثاني
كذلك يقول ربي في الثاني
فإن تستغفروا لكمُ جناي
نظمت يوم ١٩٩٨/٤/٣م أنجمينا

٧- الحنين

[البسيط]

إنني ذكرتِكِ يا نعماءِ مشتاقا
والقلبُ يخفقُ إجلالاً وإشفاقا
والنفسُ من حبكم تصفو ويصقلها
قلبٌ يحنُّ إلى الأحبابِ تواقا
لم يخلُ من بعدكم طيبُ الحياة وقد
لذت معاشنا بالقربِ إغداقا
حتى ظننَّا وكان الأُنسُ يشعلنا
والودُّ يجمعنا، والحبُّ يفاقا
إن الصوادر قد نامت نواظرها
مننا، فكان غرابِ البين نفاقا
يوماً فصبُّحنا بالبين مبتهجا
أن لا مُقام، فكان العزمُ إخفاقا
ليتَ الفراقُ من الأحبابِ منعدم
وليت لي لقطارِ البين إمواقا
لم أدِر ما البين حتى صافحوني ضحى
فكان توديعهم يُبأيّ إطرأقا
لو أمسكوا طرفَ المنديل في أثري
ولو حووا لكفاني ذاك إشفاقا

لكنهم أطرقوا إطرأً محتسبٍ
 لله مرتقبٌ في البين رقرأقا
 ففارق القلبُ مني أهلَ مرحمةٍ
 لهم أكون طوال العمر مشتاقا
 ليت المنايا تُناجينني وأقبلها
 ولا يكون وداعُ منكِ قرأقا
 قد كنت من قبل أرجو البين معتقداً
 أن التفارق يُبدي الحُسْنَ انساقا
 فالآن قد بانَ ما أجحفتُ من طلب
 فيه الفراقُ وبقي الوصلُ نفدأقا
 وصيرتُ في بلدٍ لا مَن يشاطرني
 فيها، وكان هناك الشملُ رفاقا
 أهيمُ لا أشتفي مما يُخالجني
 حتى يكون خيالُ منكِ طرأقا
 لا يسكن السروع مني حين أنكركم
 قلبي يفرّ من الأضلاع خفاقا
 تكاد تقتلني الأشواقُ يدفعها
 مني خيال من الأحباب برأقا
 إن غرّه البلبلُ الصداخ يطربني
 حسبتُ ذاك من الأحزان مرأقا
 وإن تثنّت مع الإيقاع يوم ضحكى
 قسيمةُ الحسن بي، ما حرّكتُ ساقا

لم القِ دونكِ أسبابِ الهناء ولا
طابتِ مجالسنا يا نغمُ إشراقا
والنَّومُ في غُرفٍ زالتِ موئنتُها
ممن يكون لها أنسٌا وترِيقا
كالنَّومِ في خِيَمِ الأعرابِ ههههه
ويملا الروحَ إبهاجا وأشواقا
متى يعود عزيرُ النفسِ يُسعدنا
ريحُ ثُقَلُح أو تهادا وأعلاقا
حررت يوم ١٩٩٨/٨/٧ م
انجمننا - تشاد

٨ - الألم الدائم

[الوافر]

إلى ألمٍ ومن ألمٍ مصيري
فما أرى عُذُوِي من رواحي
ومن صغبرٍ إلى كبرٍ أعاني
مصائبٍ قد ملئتُ بها كفاحي
كانَ سهامها ما تعنت
قنابلُ فُجِّرت في قصرٍ (طاح)
فظِلْتُ أنوبها حتى تثلثت
قناةُ عزائمي وعيفتُ راحي
سئمتُ مُصابها والخطبُ همُ
يروح ويغتدي من كل ساح
ورُحيتُ إذا نَحَبْتُ سُراةَ قومٍ
أجاء بك الهجين إلى الصُّراح؟
قضيتُ عواتق الأيام عمري
فما أرى عُذُوِي من رُواحي
فلسْتُ مبالِيا عن قولٍ لاح
عَرَفْتُ هدى السمو مع الصلاح
ضَرَبْتُ مشارقَ الأفاق أبغي
جحاجح تبطني قصر ارتياحي

بفعلت عظامم الأحداث جَهدي
تساقط ما لبستُ لها وشاحي
لمحتُ بِوَارِقِ الأيَّام تحكي
رويتُكَ، ما بلغتُ نرى الفلاح
بُليتَ مصارع الأحداث تترى
تبيد، وما يبين لك انشراحي
أراك تصافحُ الأمجاد تعلو
وما في الخلق من يرجو امتناحي
ثلاثُ عقودٍ عهدك قد تقضت
وحتى اليوم أنت من الطُّلَّاح
فقلت، أمامك الأنعام تحكي
بأنَّ لي النِّجاح مع النِّجاح
وقد يجدُ الخطيئُ رجال بأسٍ
بغانيةِ العفافِ عن السُّفاح
كذلك مشاهدُ التَّاريخ تروي
سباق ذوي المروءة في الصِّلاح
وتاريخُ الشباب إذا تزوا
ردا العُلىاء حُقُّ له امتداحي
١٩٩٤/٥/٥م ميدغري - نيجيريا

٩- تناقض الأخلاق

[البسيط]

في الناس يا قومُ إنسانٌ تضاهي به
أضعافٌ من أنجبَتْ في الأرضِ حواءُ
صَنَقُ صُلُوقٍ كانَ الصُّخْبُ شِيعَتَهُ
والرَّسَلُ قَدَوْتَهُ لَمْ تَعْنِهِ لَأِ
لا يَقْذِفُ الْكَلِمَةَ الْعَوْدَاءَ مِنْ غَضَبٍ
لِسَوْءٍ فَعَلٍ وَإِنْ مَسَّتْهُ ضُرَاءُ
ولا يجازي نوي الإحسانِ مائتةُ
كيلا يكونَ كمن في عقله داءُ
لو تبتليه طوال الدهرِ مختبرًا
وجدته صانعًا ما فيه شنعاءُ
مواسيًّا للآلئِ صانوا كرامته
أيَّامَ كانَ فقيرًا ما له شاء
ومنهمُ من إذا قُلِّبَتْ معبته
وجدته قربةً لم يَرْضَها الماءُ
إن شئتَ مَرَّقَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَا أَسْفٍ
أو شئتَ أَبْقَيْتَهَا أَوْ قُلْتَ: جَوَاءُ
لا يُحْسِنُ الْقَوْلَ إِلَّا حِينَ تَدْفَعُهُ
لُغَاةً مِنْ نَوِي الْإِكْرَامِ بِرُشَاءِ

لا يعرفُ الصدقَ إلا أنه سَفِهٌ
 وأنه بفِواتِ القُثمِ مَشَاءُ
 تراه مبتهجا من فاقية نزلت
 بدار اصحابه تعلوه سراء
 ١٢- يُؤَلَّبُ النَّاسُ إِنْ ضَاقَتْ بِهِ سُبُلُ
 كيلا تُحِلَّ عَلَى الْأَصْحَابِ نَقَمَاءُ
 لَإِذَا يُلَوَّنُ لِلْأَصْحَابِ سِيرَتُهُ
 كما تَلَوَّنُ فِي الْأَشْجَارِ جِرْبَاءُ
 فذاك بالصدق مفطورٌ تلوذُ به
 إِذَا غَشَّتْكَ مَعَ الْأَيَّامِ حَوْبَاءُ
 وَذَا يُزْخَرَفُ فِي الْأَقْوَالِ لَيْسَ لَهُ
 مِنْ بَعْضِ مَا تَدْعِي الْأَقْوَامُ إِطْرَاءُ

نظمت يوم ١٩٩٨/٦/٢٤م

أنجمينا - تشاد

١٠ - الغنى أو الفقر^(١)

[البسيط]

هذي المقادير يا قومي فَنَحْضُنْهَا
أَمْ سِنَّةُ اللَّهِ فِي الْأَرْزَاقِ تَبْنِينَا
أَنْ نَحَرَّكَ الْأَرْضَ وَالْأَنْعَامَ نَحْفَظْهَا
وَنُشْرِعَ الْعِلْمَ تَهْنِئَةً وَتَحْسِينَا
وَنَمْنَعُ الْقَطْعَ فِي الْأَشْجَارِ نَتْرُكْهَا
ظِلًّا ظَلِيلًا مِنَ الرَّمْضَاءِ يَاوِينَا
وَنُغْلِقُ الْجَوَّ وَالْأَنْهَارَ نَحْرُسْهَا
مِنَ الْعَدُوِّ أَشْرُ الْخَلْقِ تَكْوِينَا
عَاشُوا عَلَى الْأَرْضِ أَعْوَامًا وَقَدْ عِلْمُوا
أَنَا مَعَ الْفَقْرِ مَا زِلْنَا يِعَابِينَا
قَالُوا: نَبْتَئُ عَلَى أَرْضٍ يُحِيطُ بِهَا
فَقَرٌ، فَقُلْنَا: كَذَبْتُمْ ذَاكَ يَكْفِينَا
لَا فَقَرٌ فِي أَرْضِنَا الْمَيْمُونُ حَارِسُهَا
وَأِنَّمَا الْفَقْرُ مِنْ صُنْعِ الْمَرَابِينَا
قَدْ أَرَفَقْنَا بِيَوْمِ الْغَرْبِ يُلْزِمُنَا
بَلَدٌ نَرُدُّ إِلَيْهِ الْقَرْشَ عَشْرِينَا
وَإِنْ حَبَوْنَا بَقَايَا الْأَزْزِ فِي سَقَبٍ
صَارَتْ مَنَائِحُهُمْ لِلنَّمْلِ تَمْوِينَا

(١) قيلت بمناسبة خطاب رئيس الجمهورية / إدريس دبي في مدينة ماساكوري في شهر يونيو ١٩٩٨م، ١١/٧/١٩٩٨م
أنجمينا - تشاد.

لم ندرِ ما الوُجْهَةُ اللَّاتِي تَكُونُ بِهَا
 وصار إحسانُهم للفقر تمكيناً
 لا خير في موطن الأحرار إن عُقِدَتْ
 حرية القوم في شُحْذِ الملائينا
 انبتغي القوتَ من أصقاعِ نائيةٍ
 والماءَ نطلبُهُ - يا قومُ يكفينَا -
 وتحت أرجلنا الأنهارُ جاريةٌ
 وفوق هاماتنا الأمطارُ تروينا؟
 يا أيها الشعبُ إن كانت لكم أُنُفُ
 تُصغي لأحسنِ أقوالِ الحامينا
 فالحقُّ ما قاله إدريس^(١) قاندينا
 إننا عبيدٌ إذا كُنَّا مدينينا
 هيأ لنخرج هذا النقطَ مننفعا
 ونَغْمُرَ الأرضَ بُنياناً وتمينا
 إننا عزمنا على استخراج معدننا
 وإن أبى عُملَاءُ الشعبِ تعدينا
 ففي الحدودِ جنودُ الحقِ تحرسنا
 وفي الحقولِ أسودُ الغابِ تحمينَا
 فَلْيَهْنَأِ الشعبُ إذ راحَتْ قِيادَتُهُ
 تُظهر الأرضَ من سوءِ الإدارينا

(١) إدريس: هو الجنرال إدريس دجي رئيس جمهورية تشاد ما زال يحكم تشاد منذ الانقلاب الذي قام به وأزاح الرئيس
 حسين حبري وفر إلى الجزائر.

١١- نشيد / عمّار

عمّار يا حبيب قلوبنا تهيّب
ميلالك العجيب وكلنا نجيب

ذي ثمرة النضال

ذي ثمرة النضال

ذي ثمرة النضال

عمّار يا عمّاز قلوبنا تُخنّاز
لشخصك المختار بحبها المسدّاز

يا طلعة الهلال

يا طلعة الهلال

يا طلعة الهلال

عمّار يا صفيّز جعلتنا نصيّر
نُسالّم الحقيّز ونرحم الكبيّر

لنبلّغ الكمال

لنبلّغ الكمال

لنبلّغ الكمال

عمّار أنت قنوه لجيلنا وأسوه

كياسِرٍ وزوجه وابنهم وصبره

ومثلهم بلالٌ

ومثلهم بلالٌ

ومثلهم بلالٌ

وانت يا عُمَيْرُ قد جئنا عُصَيْرَ

من يومنا الأخيرُ كما أتى عُصَيْرُ

لتُصْلِحَ الفعالُ

لتُصْلِحَ الفعالُ

لتُصْلِحَ الفعالُ

قد جئت يا عمارُ لتعرف الأسرارُ

في عالم محتارُ يسوده الأشرارُ

أخيارهم أنذارُ

أخيارهم أنذارُ

أخيارهم أنذارُ

تعال يا عمارُ لنغمر القفارُ

ونعبر البحارُ ونرفع الشعارُ

حياتنا نضالُ

حياتنا نضالُ

حياتنا نضالُ

عمار يا عمار/ عمار يا عمار

١٢- أغاني المدن

[الوافر]

أغاني المجد يرسلها فؤادي
إلى شتى المدائن من بلادي
مدائن شيدت في عهد عز
وقاها الله من شر الأعادي
مدائن خربت من عهد قهر
لطاغي الدهر مذ (إزم وعاد)
فمن تلك المدائن (أم حَجَر)^(١)
كلن رمالها قرش المهاد
عروس الواد لم أخطب سواها
وليس لدونها أبدا وادي
عزيز النفس من يحمي حماها
ويطلب وثها قبل التفادي
على أحضانها أم تأخت
وفي أرجائها عظم البوادي
على هذا التراب قد اشترأيت
نهي الأجيال، ما شفت فؤادي
أم حَجَر ريبك لها معان
تصوغ لشعبها سبيل الرشاد

(١) أم حجر: مدينة تضادية مغللة في التاريخ وأشد الشاعر بآثارها وحضارتها.

أَصْوَغُ لَوْصَفَهَا تُرَدِّدُ الْمَعَانِي
تُتَالَفُ مَا يَجْفُلُهَا مَدَادِي
فَمَنْ رَامَ السَّكِينَةَ عَاشَ فِيهَا
وَمَنْ جَابَ الْبَطَاحَ رَأَى مِرَادِي
نظمت يوم ٢١/٥/١٩٩٨م
أنجمينا - تشاد

١٣ - الثورة على الجهل

[البسيط]

حُسِنَى الْعَالَمُ يُجْلِيهَا أُولُو ثِقَةٍ
بِالنَّفْسِ لَمْ تَسْتَطِعْ إِغْوَاءَهُمْ أَمْمُ
ثَارُوا عَلَى الْجَهْلِ وَالتَّجْهِيلِ حِينَ أَبَى
أَضْعَافُ أَضْعَافِهِمْ، فَالْخَالِدُونَ هُمُ
لَمْ يَشْتَكُوا أَلْمَا كَيْمَا يَخَالِطُهُمْ
وَهَرُّ الضَّعَافِ وَلَا زُلُتْ بِهِمْ قَدَمُ
وَجَرَدُوا السِّيفَ سَيْفَ الْعِلْمِ فِي شَعْبِ
كَانَ التَّخْبِطُ فِي أَمْدَافِهِ شَيْئٌ^(١)
كَمَا تَجَرَّدَ سَيْفُ اللَّهِ فِي أَمِّ
كَانُوا مِنَ الدِّينِ فِي حَرْفٍ وَلَمْ يَهْمُوا
حَتَّى أَقَامُوا - وَفِي الْأَوْطَانِ - غَيْرُهُمْ
مَنَارَةَ الْعِلْمِ، فَهِيَ الْيَوْمَ تَخْتَمُ
إِنْجَازَ مَا قَدِمَتْ أَبْطَالُهَا فَغَدَتْ
حَصَنَ الْحَضَارَةِ، زَالَتْ دُونَهَا الْقَمَمُ
يَا مَبْعَثَ النُّورِ هَلْ يَرْضِيكَ أَنْ لَنَا
فِي اللَّيْلِ وَالصَّبْحِ مِنْ ذِكْرِكَ مَبْتَسِمُ
يَا قَلْعَةَ الْعِلْمِ هَلْ لِي فِيكَ مَمْتَدِّحُ
فَالْمَدْحُ قَدْ تَرْتَضِيهِ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ

(١) المصواب: شيئا .

إنني وهبتك هذا اللُّز متسقًا
كالعقد في عنق الحسناءِ ينتظم
ما أجمل النظم والإنشاد ما نُثرت
منك العلوم، وهذا الجمع يقتسم
يا راية العلم سيري للعلا قُتُمًا
لطالب قاذك الاعلام، لا الأكُم
رعاية الله كانت فوق رايتكم
وهل تُنكس رأي قائما عَلِم؟

☆☆☆☆

مستودع العلم يحيينا ووا أسفا
أن لا يزال على أذهاننا سقم
إلّا يا قوم أن نبقى على جهل
ومبدأ العلم فينا (نون والقلم)
هل يصلح الناس مرضى لا شفاء لهم؟
ولا شفاء إذا جهّالهم حكموا
كم من مكائد قد جيكت ووا أسفا
في إخوة بينهم أنساب أو حرم
كم من مخزوة بلهاء ساهية
لم تدبر ما الفحش إلا اصطادها الوجم
فدنست في خباء الطهر حين جنى
من لا يخاف عليها والورى صمم
كم من حليلة زوج ليس يظلمها
إلا توئد في إغوائها الحشم

كم من خطيبة حُبِّ كاد يُسهرها
 إلّا تبين أن الحبّ منقسم
 فالشطر مصطنع كي لا يخالجه
 وهمُّ الشكوك، وفي ثانيهما الخدم
 أثبتنى البيت من أوهام كاذبة
 لولا التراحمُ راح العقد ينقصُ؟
 عرائس لم يدم في شهرها سعدُ
 إذا بها يتنبّى خلفها الندم
 وهكذا يتعرّى البيت عن قيم
 فيها الوداد وفيها الحب منخرم
 هذا على الضرب مجنون يتيه به
 وتلك أفضل من إيقائها العدم
 إن جاء من شأنه لا يستكين لها
 وفي العبوس تنامى عندها السأم
 لم تنتصب صُعداً إلا مدافعة
 بالغش والنهب، أو في الجنس تختصم
 إن قيل بالدار نهب ليس مقتسماً
 تهافتت عنده الأشراف والقزم
 لا يشتكي أحدٌ منا على أحدٍ
 إلا على تُهم من خلفها تُهم
 كأنما عُمت أبصارنا وكفى
 أن تستوي عندنا الأنوار والظلم

شَتَانُ مَا بَيْنَ شَعْبٍ ظَلَّ مَرْتَهَنًا
لِلْجَهْلِ، فِي وَهْدَةِ الْأَثَامِ يَرْتَطِمُ
وَبَيْنَ شَعْبٍ رَأَى فِي الْعِلْمِ غَايَتَهُ
فَسَارَ مُنْدَفِعًا تَقْتَاتُهُ هِمَمُ
فَاسْتَعْمَرُوا الْكَوْنَ إِذْ صِيغَتْ مَنَاهِجُهُمْ
عَلَى دَلَائِلِ قَوْلِ اللَّهِ، وَانْتَقَمُوا
مِنَّا، وَكَانَتْ عُرَى الْإِسْلَامِ تَجْمَعُنَا
وَمَسْرُوحَ الْكَوْنَ فِي قِرَانِنَا نِعَمُ
فَإِذَا رَكَ الْغَرْبُ ضَعْفًا ظَلَّ يَرْقُبُهُ
فِينَا، فَأَصْبَحَ مَرَعَانَا لَهُ طَعْمُ
إِذَا أَصْبَحَ الْجَيْلُ فِينَا جَيْلٌ مَفْسُودٌ
وَاصْلَحَ النَّاسُ فِينَا الصُّمُّ وَالْبُكْمُ
يَا خَيْرَةَ الشَّعْبِ هَبُوا مِنْ رِقَادِكُمْ
فَقَدْ طَفَى الْجَهْلُ وَازْدَادَتْ بِهِ النَّقْمُ

☆☆☆☆

مَا هَذِهِ الْفَرْحَةُ اللَّاتِي تُشِيدُ بِهَا
إِلَّا بَدَايَةُ تَخْطِيطِ الْإِلَهِ عَلِيمُوا
أَنْ الْمَكَارِمَ لَا تُبْنَى عَلَى جَهْلٍ
كَمَا الْفَضَائِلُ لَا تَأْتِي بِهَا اللَّؤْمُ
جَيْلُ الْمَعَارِفِ كُونُوا لِلزُّورِ رِسْلًا
تَبْشُرُونَ أَنْسَاءَ مَا لَهُمْ حِكْمُ
يَا فَتْيَةَ الْخَيْرِ إِنِّي لَا أَرَى حَكْمًا
كَالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ فَيَمَنْ كَانَ يَحْتَكِمُ

فَلَنَنْبُذَ الْجَهْلَ وَالتَّفْرِيقَ وَالفِتْنَا

والعنصرية، يا فتیان واعتصموا

بالنَّيْنِ، فالشَّعْبُ لَا يَرْضَى لَكُمْ أَبًا

ما لم يكن زانه الإسلام والقيم

(نظمت بتاريخ ١٩٩٨/٦/٢٤م)

بمناسبة احتفال جامعة الملك فيصل بأنجمينا - تشاد

بخريجها للمرة الأولى وذلك يوم ١٩٩٨/٦/٢٥م)

١٤ - سودان التّوالي

[البسيط]

سودانُ يا موطنَ الأحبابِ إنْ لنا
نكرى تعاوُدُ في أنْهانِنَا الطَّرَبَا
كم في ريموعك متّعنا نواظِرنا
حُسْنًا يضارع في تائيرِهِ النُّهبا
وفي ضفافِكَ جناتٌ مرصَّعةٌ
يمشي العليلُ عليها لا يرى تعباً
إن حاصر الدهر من أحداثه أحدًا
رأى السكينةَ فيها، والغنا طلباً
جنائنُ لم تدعُ من حسنّها هرباً
إلا استعداد هوى الأحباب واصطحباً
بدائعُ اتقنَ الرحمنُ صنعتها
لا لغو في ظلّها دوماً ولا لغباً
يرتأها الأعزبُ المحتار في وَلَه
وصاحب الزوج فيها يحسنُ الأنبا
تحنو عليها العذارى في محاسنها
حُنُو عاقرةٍ قد أنجبت (وَقبا)
وللولاتِ والولدانِ مرحةٌ
يلهونَ في حجرها لم يشتكوا وصبا

☆☆☆☆

سودانُ يا ممسكًا بالخيّن كنت لنا
 رمزَ الفداء وصرتَ المارد اللجيا
 إن القرارَ الذي حررتَه لهبٌ
 يُكوى به كل من يستنجد الخُرّبا
 لكنه نَقَمٌ للشعب دانيةٌ
 من كل فرد حمى الإسلام واحتسبا
 ظلُّ السياسة ممدودٌ فقصره
 أن يأخذ الشعبُ في امصاره السُّبّا
 أفي اتّخاذك منهاجًا تُسيرُ به
 أمرَ البلاد، يصيح الغرب منتحبا
 أين العدالةُ يا غربُ تهددنا
 إذا امتطينا حصانَ العزِّ محتسبا
 أين العدالةُ يا غربُ تُحاصرنا
 إذا اتخذنا قرارًا ليس منشعبا
 أن ياكلَ الشعبُ مما كان يزرعه
 ويلبَسَ القطنَ ما في صنّعه ذأبا

☆☆☆☆

سودانُ يا منشئَ الشُّباب في وطن
 سيقَت عليه القوي فاستعذب الكُرّبا
 (جويًا) تُنادي وليت الشرق يسمّعها
 والغربُ من زعره يستكثرُ الخطبا
 لبئسك (جويًا) فحزبُ الله ما غلبت
 قوّاته، ما التقى الجيشان واحتربا

(جوياء) تنادي وصوتُ النصرِ يطربُها
والشرقُ في نومه لم يسمع الطربا
إنَّ الخوارجَ في الإسلامِ حُكِّمهم
نفْيٍ وقطْعُ وساءَ القتلَ مرتقباً
إن كان ذا فكذا، أو ضعفه وكفى
لَمَّا أتوا حتفهم قد أصبحوا سلباً
(جوياء) أضفتِ إلى الإسلامِ ملحمةً
قد سطرَ الغربُ من آياتها كُتِباً
إنَّ كان للدهرِ في أحداثه نسب
فلن في يوم بدرٍ منك منتسباً

☆☆☆☆

سودانُ يا موطنَ الإسلامِ بمتَ لنا
فخراً يعانقُ في مشروعه السُّحبا
مشروعُ حكمِ رأى الأعداءِ غايته
أن يوقفَ المسلمونَ الغش والكُفبا
أعلنَتْه في بني الإسلامِ قاطبةً
وقلتَ للغربِ: يكفي حُسْنُ ذا دأبنا
خير البلادِ بلادُ ليس يحكمها
إلا توالٍ من الرحمن قد وَجَبَا
هذا التوالِي رضىنا أن نحكِّمهُ
فينا، وننبذُ أحزاباً غدت شغباً
لا للتحزبِ والإسلامِ يمتته
حكم الشريعةِ شورى، فاتركوا اللعِبنا

لا نبتغي نُظْمًا رعنًا واهيةً
تكلف الشعب في أوطانه حُرِّيا
قالوا نظامٌ جديدٌ في تفرده
بالزُّورِ تحكم فيه النملة النُّقْبا
قلنا لدينا - بني الإسلام قاطبةً
نحنُ يشاور في حكامه الشُعْبا
لا حزب في نُظْمِ الإسلام إن لنا
شورى تصد من يستجمع اللُّقْبا
لا فرق في ذاك بين العُرْبِ والغُرْبَا
والبيض والسود في التشريع، ذا كُتِبَا
إننا أبينا نظام الغرب نرفضه
ما كل ما يُهتدى يستجلب العجْبا
ليس العجيب من الأعداء تمنحنا
شراً يراؤ به أن ناكل الحطْبا
وإنما العجب للفضي إلى عجب
أن نحسب الشرَّ منهم خيرَ ما جُلِبا
بتاريخ ١٩٩٨/١١/٢٩م
انجينا - تشاد

١٥ - أقمار الخير ورسله^(١)

[الطويل]

لك العزم ما أنفقت يا شعبَ زايد^(٢)
فقد كنتَ مرجوًّا وقد كنتَ تلفع
فلو كان في الأقوام شعبٌ يهتُّ
- كما همك - الإحسانُ ما هبَّ زرع
ايا زائدَ الخير الرفيع مكانه
سموتَ فلم تُدرُكْ وخيرك مهتِّع
كما الشمسُ تبدو للعيانِ بعيدةً
ولكنَّ نور الشمس في الأرض يسطع
كذاك أولو الإحسانِ يعلنون في العلا
وخيرهم دأبٌ على الناس يُفزع
فأشرقَتِ الأنوارُ من كوكبٍ بدا
سرى، دونه الأقمار تسري وتنبع
سنا الشرقِ قد ضاعت بك، الشاد، تبرقُ
ومن قبلُ كانت (شادُ) بالشرق تلمع
إذا جفَّ منها - ال نهيان - منبع
من الخير منكم جادها بعدُ منبع

(١) نظمت هذه القصيدة بتاريخ ٢٩/٢/٢٠٠٠م، وهي قصيدة شكر وتقدير لشعب دولة الإمارات العربية المتحدة بوجه عام، ولسمو الشيخ: سرور وسيف وطحنون أبناء محمد آل نهيان، ولرسوليهما الكريمين خلف المهيري وجوعان المزروعى إلى تشاد بوجه خاص.

(٢) زايد: سمو المرحوم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة طيب الله ثراه.

أتبي الجذ أن تبقوا - وأنتم امرؤ -
 على ناطحات اللعلا، لا تَصْدَع
 وسرتم إلى العافين ليلا يقوكم
 عفاف وإقدام وفضل موسّع
 طُبِعتم على الإحسان من قبل طبعة
 فصرتم هوى الكتاب والناس تطبع
 إذا اخترمت أحداك بهرِ اعزّة
 قصدناكُم - يا آل نهيان - نطمع
 فإن كانت الأرحامُ تنوم محبةً
 فقد كان حبل الدين أدنى وأنفع
 فإخوانكم في الدين لم يَفْوَ جُدْهم
 حديثًا، فصار الفقر يرمي ويصرع
 فيما آل نهيان جُبِلتم مودةً
 فكنتم رُؤى الأحباب في القلب تترع
 ثلاثة أقمارٍ تتابغن خلفه
 علينا، فصارت (شاذُّ) بالخير تسطع
 سرورُ وسيف^(١) للعلا ليس يَكْهَمُ
 وطحنونٌ خير، ثالثٌ لا يُزْعَزَع
 سرورُ سرى للناس ليلا يمسرهم
 فغُنَّت له نفسٌ ونفسٌ توقع
 وسيف العلا ماضٍ على الناس فعله
 جوازُهُ إن طالبتِ الفعل تقطع

(١) سرور وسيف وطحنون: من رجالات دولة الإمارات من آل نهيان ومن أصحاب الأيادي البيضاء في أفريقيا.

وطحنُونٌ - لَا مَسْنَهُ فِي الدَّهْرِ كَرِيَةً -
 فَقَدْ كَانَ يُعْطِي الْخَيْرَ وَالشَّادُ تَرْضَعُ
 أَضْمَأْتُمْ سَمَاءَ (الشَّادُ) بِالْخَيْرِ تَرْهِي
 فَكُنْتُمْ لَهَا أَنْوَازَ قَدْزِي تَشْتَشْعُ
 فَلَيْنَ ضَاءَ مِنْكُمْ كَوَكْبُ ضَاءَ بَعْدَهُ
 كَوَاكِبُ خَيْرٍ لَيْسَ فِيهَا تَبَزُّقُ
 رَسُولُكُمْ فِي (الشَّادِ) شَادٍ إِلَى الْعَلَا
 وَهَادٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ مَا كَانَ يَزْرَعُ
 أَيَا خَلْفَ خَلْفَتْ ذَكَرَكَ عِنْدَنَا
 بِمَا كُنْتَ تَمْلِي مِنْكَ خَيْرًا وَتَبْدَعُ
 وَصَلَتْ بِصَارِ الْخَيْرِ، خَيْرًا مَدْنَتْهُ
 إِلَى (الشَّادِ) تَرَعَى فِي مَدَاهِ وَتَرْتَعُ
 وَمَسْتَكْشَفَ أَنْتَ الْمَهِيرِي^(١) فِي الْوَرَى
 بِلَاذًا بِهَا فَقَرَّ يَعْضُ وَيَلْسَعُ
 تَلَطَّفَتْ حَتَّى كُنْتَ كَالْمُهْرِ مَنْظَرًا
 وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَقَوْلُكَ يُسْمَعُ
 بُعِثَتْ رَسُولُ الْخَيْرِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ
 وَضَعْتَ بِهِ خَيْرًا، وَمَا لَكَ مَوْضِعُ
 أَمِينٌ رَعَاكَ اللَّهُ لِلْخَيْرِ رَاعِيًا
 فَتَنْفَذْتَ مَا يَرْجُو الْأَنْبَاءُ وَيَطْمَعُ
 وَهَلْ يَكْذِبُ الْأَقْوَامُ رَائِدُ قَوْمِهِ
 إِذَا كَانَ خَيْرُ الْفَرْعِ لِلْأَصْلِ يَرْجِعُ

(١) المهيري وجوعان: رسول الخير إلى شاد من قبل آل نهيان.

رسول الرضى فينا، رضيناك جملةً
فقد كنتَ روضَ (الشادِ) والشادُ يُلَقَّع
فإننا لنرجو أن تكونَ خلالنا
لتكمل ما خطت يداك، فنهجع
وثاني رسولِ الخيرِ (جوعانٌ) عندنا
فقد كان مرتاداً لنا، الخيرَ يصنع
ومن سقاهُ (الجوعانُ) لا شك أنه
رأى فيه ضدَّ الشيءِ بالشيءِ يُدفع
فكان لنا خيرًا - ولا جوعَ في اسمه -
وكان رسولَ الخيرِ، والاسمُ مُشَبِّع
رسولانٍ كانا في البلادِ محبةً
فصارا حديثَ الناسِ في الناسِ يشفع

١٦ - نعم الولد والتسل^(١)

[البسيط]

أرض الإماراتِ راعٍ والورى نَعْمُ
فحبّذا الأرضُ والإنسانُ والنُّزْلُ
رضا الجماهير في (شار) يُغالبه
سَيِّبُ الإماراتِ لما ضُنِّتِ الدولُ
سارت/ أبو ظبي/ غريبًا ليس يعجبها
من كان يخطبها، غير الألى سألوا
فيها رجال إذا استُدِّعوا فأخْرُفُهم
يختار أولهم بالخير، ما بَخِلُوا
ساروا مع المجد ما كَلَّتْ نفوسُهم
يستكشفون أناسًا أرضهم مَحَلُ
كم من معاهدٍ قد شيدت على يدهم
كم من مدارسٍ قد شادت بها الأولُ
من مشرق الأرضِ مدُّ الخير رائدُهم
من آل نهيان نحو الفرب ينتقل
فزايِدُ إبْنُ سلطانٍ ومن نسلوا
من آل نهيان، نعم الولدُ والتُّسلُ
ججاجعٌ وينو ملكٌ لنا سبقوا
بالخير كلُّ السورى والمرقى وَحَلُ

(١) نظمت هذه القصيدة بمناسبة افتتاح المدرسة العربية الثانوية للبنين بمدينة أبشة والتي بنيت بتمويل من سمو الشيخ طحون بن محمد آل نهيان - من دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك يوم الجمعة الموافق ٢٥/٢/٢٠٠٠م.

يا زائدَ الخير زادَ الله فيك سماً
يسمو به كُـلُّ مَنْ إِيَّاكَ يَرتحل
يا آلَ نهيان ما كانت لـ (لا) أبداً
مواطنٌ، حين يُخذى الجارُ والأقلُّ
فما أتاكم شريدٌ بانئسُ فَرِغْ
إلا عطفتم به والكون منشغل
وإنكم ما نهيتم طالباً أبداً
يا آلَ نهيان والمعروف مُرتذلُّ
تجري الدراهمُ في أيديكمُ بئذا
لا المالُ باق على الأيدي، ولا الكسل
خَلُّوا فضائلكم تحكي الأنعام وما
كانت آيائكمُ البيضاء تعتمل
ففي مرابحٍ (أُبشاً) ^(١) يُراوينا
سَيِّبٌ لطحنون ^(٢) تلميذُ الألى وصلوا
سكانَ (أُبشاً)، ما عاشوا يدغدغهم
سُوءُك الفذُّ يا طحنونُ والامل
قد أشرق النورُ غريباً في مدائننا
من شمسٍ طحنونُ، فانزاحت له الشُّعْلُ
طحنونُ يا طاحنَ الجهلِ الذي صَدِثَ
به العقولُ فما تنفكُ تَأْكُلُ
مَنْ مَثَلَ طحنونَ في قولٍ وفي عملٍ
إذا ارتضى ما يرى، يا حبذا الرجل

(١) أبشاً: مدينة تشادية تقع جهة الشرق.

(٢) طحنون، طحنون بن محمد آل نهيان من رواد المتفقيين في أفريقيا.

إن الرجال على شكل سواسية
لكن يميزهم في الفضل ذا العمل
بنى شموك يا طحنون صرّح غلا
لم يُنسه الجيل بعد الجيل، ما انتقلوا
بنيت مدرسة الأولاد في وطن
لم يحتملها سواك اليوم محتيل
بل زنت وقفاً لها والوقف محتجب
والوقف ماض كما جاءت به الرسل
لقد سننت لأهل الخير سنة من
لا يبتقي بدلاً، في فعله البذل
بنيتها بسديار كان يحكمها
عباسيون بهدي الله ما انخذلوا
دانست لهم نزل بالحق فانبسطت
شريعة الله بالإنسان تتصل
وذي بنائك في (ابنشا) يُراوِهن
كما يُراود جياً سيُبك العجل
أن تبتني معهداً للعلم يحفظهن
من بالهدى والتقى، بالحب مشتمل
وهل يضيرك يا طحنون ما طلبت
منك البنات وأنت المحسن البطل؟
نظمت بتاريخ ٢٢/٢/٢٠٠٠م أنجمينا - تشاد

١٧ - عطاءٌ بلا من^(١)

[البسيط]

خير العطاء عطاء ما له مِنُّ
يرضى به الأفل والتاريخ والوطن
مدحُ البهاليل لا مدحُ الألى انخلوا
هل يستوي الروضُ في الغلْياءِ والعَطْنُ
هل يستوي من يُريقُ المالَ مرتقبًا
في الله محتسبًا، ما مسه وفنُّ
ومن يُبددُ أموالَ العبادِ ضُحى
لُحْظٍ غانيةٍ لم يَغْلُهُ ثَمَنُ
اعني سُمُو الذي لم يُخص نائلُهُ
مهما تكاثرتِ الأحداثُ والفن
ذاك الذي ذهبَت أموالُهُ بَدَدًا
من آل نهيان منه الخير مرتهن
لا يُمسك المالَ إلا زَيْدٌ يَضْرِفُهُ
حتى استوى عنده الإسراؤ والغَلْنُ
هذي مدينةٌ (بلُ الطين) قد غرقت
من فيضِ جوبك حتى اغتاطتِ المِحَنُ
ثاني المساجدِ في (شاد) يُشَيِّدُهُ
من آل نهيان طحنونُ السذي ين

(١) نظمت هذه القصيدة بمناسبة افتتاح مسجد (بلتن) الذي بني بتمويل من سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان - من دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك يوم الجمعة الموافق ٢٥/٢/٢٠٠٠م.

آلاف آلاف ممن قصّروا مُنْذًا
 في سعيه للْعُلَا، تحدّو به الْفِطْنُ
 بنى الْمَعَالِي في شعب يُجْمَعُه
 الله اكْبَرُ وَالْقُرْآنُ وَالسُّنَنُ
 من ال نهيان ساعِ للْعُلَا بطل
 في قمة المجد يعلو، دونه الْقُنُ
 إن المساجدَ في (بِلْتِنِ)^(١) يَعْمُرُهَا
 من كان يَغْمُرُهُ الْإِيمَانُ لَا الْمُنُ
 لم يبقَ فيها سوى نقصٍ يُكْمَلُه
 أن تبتنّي معهدًا للجيل يحتضن
 وهل يَضِيرُك يا طحنونُ ما طَلِبَا
 ويحرّزُ جوبك قد ضاقت به السفن
 حيًا سُمُوكَ هذا الشعبُ مَبْتَهَجَا
 إذ ناله منك ما لم يمُحُ الزَّمَنُ
 إِنَّا لَنَرْفَعُ لِلْمَوْلَى أَيْادِنَا
 أن يحفظ الله قومًا، ما لهم إِحْنُ
 ويمنّح الشيخَ شيخَ الدولة النُّعْمَا
 أعني سُمُوكَ الذي ازدانَتْ به الْمُنُ
 إذ قَرَّقَ الْخَيْرَ في الْأَفَاقِ مُنْتَشِرَا
 فَسُرَّتِ الْخَفْسُ وَالْعَيْنَانِ وَالْأُنُ

(١) بلتن: مدينة تجارية ذات صيغة إسلامية.

١٨ - اعتزاز المسلم

[لطويل]

أنا المسلم الشادي إليك تحيتي
سلامًا من الرحمن والبركات
بها يسلم الباغي ومن خاف سطوتي
فإن أمان الخائفين صفاتي
لبي العز في الدنيا وإن مت عقيتي
جنان تفوق الوصف والنوعات
أنا الليث إن نُوزعتُ حقي وفي الوغى
أضد خميس الجيش بالطعنات
أنا الفارس المغوار إن نال من أخي
جداش عدي، ما تلين قناتي
أنا السمح في خلقي أنا السمح في الورى
أنا الضارب القاسي بحق عداتي
أعيش عزيزًا ما حييت ولو أبى
أكابر كُفّر إن تُقام صلاتي
بها اتقي ربي ويخشاني العدا
أنال جزائني يوم هاك وهات
بذاك يُقام اللين عن أس أمه
وينزاح عني من يجوب فلاتي

بِكَفٍّ أَنْوَدُ الشُّرْكَ فِي عُقْرِ دَارِهِ
 وَتَصْفَحُ أُخْرَى مِنْ يَرُومِ شَتَاتِي
 بَنِي الْكُفْرِ لَا تَبْكُوا عَلَى صَرْحِ مَنْهَجِي
 فَإِنَّ مُكَاةَ الْكَافِرِينَ أَذَاتِي
 لِي السُّبْقُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ وَمَنْ يَرَى
 تَخَافُسَ مَجْدِي تَزِيهِهِ بُنَاتِي
 عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ يَا خَيْرَ فَتْيَةٍ
 تَسَارِعُ صَوْبَ الْمَارِقِينَ أَبَاةٍ
 لَهَا الْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ مَا دَامَ عَزَاهَا
 وَمَا قَامَ شَرْعُ اللَّهِ بِالْصُّلُواتِ
 نَظَمْتُ يَوْمَ ٢٠/١٢/١٩٩٢ م

١٩ - الهياكل النيابية

[البسيط]

يا من يُصوِّتُ أو يُنْزِلِي بِزِمَّتِهِ
هَلْ أَمِنْ اخْتَرْتَ كَانَ النَّائِبُ الْكُفْئَا
أَتَحْسِنُ الظَّنَّ فَيَمُنْ كُنْتَ تَعْرِفُهُ
وَيُخْصِئُ الْفِعْلَ مَا لَمْ تُعْطِهِ شَيْئَا
إِنْ جِئْتَ تَوَقَّظْهُ لِلْاجْتِمَاعِ أَبِي
وَقَالَ: لِمَ أَمِرَ مَاذَا نَاقَشُوا بَعْدَهَا؟
وَأِنْ تَرَبُّعَ عَرْشِ الْبِرْلَانِ تَرَى
فِي رَأْيِهِ خَلَالًا يَهْزِي بِهِ طَرَفَا
وَأِنْ تَمُدُّ فِي كُرْسِيِّ النِّقَاشِ غَفَا
بَلْ نَامَ نَوْمَةً مَجْنُونٍ رَأَى بُرْءَا
وَهَكَذَا أَمْسَ هَذَا كَانَ يَخْدَعُنَا
وَقَالَ: إِنْ فَرَزْتُ أَرْضِي الشَّيْبَ وَالنُّشْنَ
يَا مَنْ تُمَثِّلُ شَعْبًا كَانَ مَطْلَبُهُ
مِنْكَ الدِّفَاعُ بِرَأْيٍ يَسْتَنْتَرُ السُّوَيْ
إِلَامَ تَفَرَّقَ فِي نَزْوٍ وَقَلْتُ أَنَا
حَامِي مَصَالِحِكُمْ لَا ابْتِغْيَ شَيْئَا
إِلَامَ تَرَفَّلُ فِي ثَوْبٍ تُزَفُّ بِهِ
كَمَا تُزَفُّ عَرُوسٌ فِي الضَّحَى بُطْنَا

يا نائب الشعب إن الشعب قال كفى
لا ناب في دارنا من يُثقل الوطننا
يا نائبون علينا ما لكم هَنَفُ
في البرلمان سوى بطن تُرى مَلأى
أهكذا المنهج الساري بِنِمتِكُم
لتخضعوا الشعب كي يبقى لكم قِنَا
تدور في حكمكم للشعب دائِرَة
لا تُضج في راكِم فيها ولا نِينَا
لقد سَنِمْنَا كلامًا كان أَفضَلُهُ
نَجَتَرُهُ - كارهين - القَيْح والقَيْنَا
هيا أقيموا مع الأحزاب مائدة
تُبيِّن للشعب من أرائكم مَرَأَى
ماذا جلبنا من الأحزاب تَعْدَاثُهَا
تسع وتسعون حِزْبًا فاقدا جُزءَا
ما ضررنا أننا أن لا يكون لنا
تسعون حِزْبًا لشعب يأكل الخَبْنَا
حِزْبَان لا غير، إِمَّا ذاك يحكمنا
رُحَا من الدهر، أو هذا الذي يُنْأَى
هذي وصاتي لكم يا قوم فانتبهوا
كيلا تكونوا كمن يستمرئ الخطَا
٢٤ / ١٠ / ١٩٩٩م أنجمينا - تشاد

٢٠- نشيد أفريقيا

[مجزوء الرجز]

نحن الشبابُ قوةٌ
فتناكبةُ ضدِّ العدا
إذا اتحدنا كلنا
صارت قوانا كالقذى
في أعين المستعمر
من الحاقدين سرمدا
نحن الشبابُ قوةٌ
فتناكبةُ ضدِّ العدا
☆☆☆☆

وهذه أفريقيا
حزينة تبكي الألى
صانوا البلاد ورفرت
أعلامهم نحو المعلا^(١)
حتى استقلت خلفه
وحسان قطف البتغى

(١) البيت من مجزوء الكامل.

إذا الحسروب تُبِـرت
لشعبها في المنتأى
نحن الشـبابُ قوة
فتأكـة ضد العدا

☆☆☆☆

هيا لنحمي القارة السـ
سـمراء رمزاً للفدى
هيا لنحمي قارة
أضحت تـسير القهقري
فـالغرب لا يريدنا
أن نـستفل أرضنا
لـذا يُؤجـج نـاره

من هـامنا وهـامنا
نحن الشـبابُ قوة
فتأكـة ضد العدا

☆☆☆☆

بالعزم يا إخواننا
نحمي السـديـار كلـها
كما حـمى أرض الشـوا
مِ الألعـي الفتـدى
ابن الشـرى متـرفـفاً
عن كل حـلٍ يـهـتدى

إِذْ قَالَ: لَا لِسِلْمِ عُرْ
بِ قَاصِرٍ وَالْفَ لَا
نَحْنُ الشَّيْبَابُ قِوَّةُ
فَتَاكَةُ ضِدِّ الْعَدَا
يَوْمَ ١٩٩٨/٨/٢٥ م
أُنْجَمِينَا - تَشَاد

٢١ - الذناب

[الطويل]

الا في خلال الناس ما هو يشهد
على لؤمهم في العالمين ويُنفذ
فبعض لبعض كالذناب يُحيطهم
نشاب ومن يغشى جماهم مهتد
خبرتهم زلخا من العمر ما لهم
صديق يُواسي في النوائب يرفد
يُلَوِّن في أخلاقه كل ساعة
كما تفعل الجرباء إيانا تقعد
يُريك من الأخلاق ما ليس ماكثا
كظل الضحى يبقى قليلا فيشرد
أفي كل يوم خذعة من صداقة
أرى وثما يدنو إلي ويبعد؟
وما زلت أرجو الصديق في كل خلة
ولكن ود الناس عندي مهتد
لأنني بلوت الناس في كل فترة
فما سامني إلا جبان وقمعد
وطالب معروف أراه مهتبا
وفي ثوبه لؤم من الخير أجرد

وإن سِرْتُ أبغي المجد في كل بلدة
 وجدتُ بها وَغَدًا من الناس يَحْسِدُ
 لذلك لا يحميك من لَوْمِ أَرِيْدِ
 مَرَرْتُ بِهِ إِلَّا حُسَامٌ مَهْنِدِ
 ولو صار حكم الناس عندي حصنتهم
 فلم يَبْقَ إِلَّا خَيْرٌ أو مُرْهَدِ
 وجُنُبْتُ خَيْرَ الناس شَرًّا أتى به
 بقايا من الفُسْأَقِ عاثوا وافسدوا
 يحارِبُنِي قوم إذا اشتدُّ ساعدي
 اتَّوْنِي مَرَارًا يحسدون وأعقد
 فأنفت في الأفاق كيلا تُصيبني
 شُرُورٌ، بما جاؤا إليّ وهمدوا
 كائنِي يَدْعُ في الرجال يهابني
 كرام، ويرعى، في جَمَائِ المبلد
 أرى الناس ما أعلنتُ عن جزء منهجي
 ويَئِنْتُ ما أبغي، تداعوا ونددوا
 وما كنت أبغي غيرَ مجدٍ أُعِدُّهُ
 لاكشف مجهولاً به الكون يسعد
 وما لي عيب غيرَ حُسنٍ يُزِينُنِي
 ولي همةٌ كبرى عن الذل تبعد
 ولي مطلب في الأرض لم أرض دونه
 حياةٌ بها عيشٌ هنيءٌ مُخَلَّدِ
 وإنني لأعطي الخَلَّ جَهْدِي وفكرتي
 ولا أَمْنَعُ المضطَّرَّ إن جاء يسهد

وإني رسولُ الخيرِ في كلِّ مسلِكٍ
 سلكتُ به يرجو عطائي مشرُودٌ
 ويَحْسَبُ خَيْرَ النَّاسِ أَنْ لَوْ وَصَلْتُهُ
 لَكَانَ لَهُ وَضَلِي مع الخيرِ سُؤْدُ
 وتَطْلُبُ وَدِّي كُلُّ حَقْوِدٍ خَرِيدَةٍ
 ترى مجدها في ساعدي وتخشده
 ألا يا رسولَ الخيرِ مثلكَ أرتضي
 وأهدي إليهِ القلبَ، يَهْدِي ويرشد
 دعائي إليك الصَّبُّ والسُّودُ يا فتى
 فهل لي عُذَّتَ اليومَ، والقَوْدُ أحمد
 أنجينا يوم ١٩٩٩/٩/٢٤ م

أحمد عبدالرحمن إسماعيل^(١)

١ - الوداع

[التقارب]

وداعاً يا أرض إجدابياً^(٢)
فقد شئتُ شئتُ شملنا ما فيها
وحبِّي الذي قد سما لِسُما
وأمسى أنيسُ السورى زاهياً
أَجُنُّ الشوشاةُ فلماً راوا
بشير المحبة كسادوا لِيَا

- شاعر تشادي ولد سنة ١٩٧٣م بمدينة أبشة/ مدينة العلماء والشهداء بالضرب من وادي «ام كامل/ مقبرة الشهداء»، والذي شهد مأساة الكبكب. لذلك تهيأت الأجواء النفسية والاجتماعية لشاعرنا، فتشكلت روحه الثورية وتصدت على الواقع المتروكي، نتيجة جغرافية المكان، وأعني ضفاف وادي شهداء منبحة الكبكب. ونشأ الشاعر في أسرة متكنية، فحفظ القرآن الكريم، وأتم دراسته الإعدادية في سنة ١٩٩١. ثم انتقل إلى العاصمة أنجمينا، والتحق بالمعهد العلمي ثم انتقل إلى ثانوية الملك فيصل، فنال شهادة الثانوية. ثم سافر إلى ليبيا لمواصلة الدراسة الجامعية سنة ١٩٩٤م، لكنه مرّ بتجارب قاسية في غربته: إذ كان يعمل ليرتق مع استكمال الدراسة، فتعرض للاعتقال من قبل السلطات الليبية، وأخيراً تم ترحيله إلى تشاد سنة ١٩٩٧م. فهذه الحياة الحافلة بالهم والفقر، وأمل الوطن، جعلت شاعرنا من رواد الشعر الوجداني في تشاد، فألهبت شاعريته، ووسمته بالصدق الفني في تجاربه الرومانسية.

(١) لقاء تم بيني وبين الشاعر في منزلي بالعاصمة أنجمينا ٢٠٠٢/٢/٢٠م.
ونظر: صورة المرأة في شعر أحمد عبدالرحمن إسماعيل، بحث متريز الطالبة قيسو جرم، إشراف د محمد فوزي ٢٠٠٤، كلية الآداب جامعة أنجمينا.
(٢) إجدابيا: مدينة ليبية.

وداعاً ايها ارض عَرْفَايَ قَدْ
 رمى بيثنا عُثْلِي الْفَسَدُ
 وإن كنتُ اجْتَارُ ما قد رموا
 وانحو السُّلُودَ بِعَزْمٍ وَصَدُ
 وتأتني الاماني بما أرتجى
 لأن العزيمَةَ مِنِّي وَتَدُ
 سَمَوَى إِنَّ حَبِّي بدا عاجِزاً
 مَهِيناً تَوَلَّاهُ تِيَهُ وَصَدُ

وام سُلَيْمَى تَسُوقُ الاسَى
 وقَسَحُ فِي وجه سَلَمَى الانا
 بريشة لَهَبٍ تُقَدِّبُنِي
 وتُتِفُّهَا نَكْسَتِي والوفا
 كلنا ضيّلون في ادم
 فجاءلنا نَفَرُها بالضُنَى
 فقُولِي خَسِثَتْ اُرَاسُ الْأَدَى
 ألم تَكُنْ غَيْرَ الْجَنّا وَالْخَنّا

فماذا تريدِينَ مِنِّي وقد
 وهبتُ إِلَيْكَ جَمِيلَ الثَناءِ
 فماذا تريدِينَ بَعْدُ ألم
 أَضَقُّكِ إِلَيْكَ بِماءِ الحِشَاءِ

إلى أن سَلِبْتُ مِنَ المحتوى
وأزريتني والهوى في الهواء
أكل طموحك أن تُشهدي
عذابِي مَهِينًا عديم الرجاء

وداعًا سليمةً يا جُجْمَه
بِذَا شَتَّتِ أَمْ شَاعَتِ الشَّرْنَمَةُ
فَلَسْتُ سِوَى نَفْجَةٍ قَذَرَعُوا
فلما استقاموا دعوك الأمانة
فلما سمعتِ راوا خِسَّةً
وإن قلتِ: قالوا ضِهْ أَنْتِ مَهْ

تسائلني ما الذي حلَّ بي
وبين يديكَ جوابُ السُّؤَالِ
فكيف السُّؤَالُ ومنكَ الأذى
وأنْتَ الظُّلُومُ وأنْتَ النِّبَالُ
تركْتَ بموعِي تَذِيبُ الحَصَا
وارقى بزموهُ حَوْلَ الخِيَالِ
وُئِسْتُ وَلَمْ أَدْرِ مَعْنَى الأذى
ومعنى السُّلَامِ ومعنى القتال

فلين قيل ما نَنْسِبُ مَوْعِدَ
فماذا تقول فهل تنطقُ
بماذا تُجِيبُ؟ فصعقًا على
قبيلٍ فعالمك يا أحمقُ

فماذا الجواب وقد كنت في
غيابات جيب بها تُخسِرُ
عجرت فذق طعمها المشتَهَى
لقد شاب فكرك والمنطق

فقلولي فديتُك يا مولدي
فكم من مُسْأَمَرَةٍ نُبِشِرُوا
طَلاَسِمَ مَاروتَ لي رُسِمَتْ
ومن مِخَرِ مَاروت قد أَكثَرُوا
فحلُّوا القلوب بِصرف الهوى
وياعوا سليمى فهل أَثَمَرُوا
فأنتِ حرامٌ عَلَيَّ فلن
أَكْذَلْ عيني بما أبكروا

فقلولي فديتُك يا مولدي
فما حالُ سَلَمَى فهل وَفَّتِ
بأغلى العهودِ عهدِ الهوى
لأن الشكوكَ سَبَّحَتْ دمعتي
أَحْسَى أَنَا بَيْنَ أَحْشَانِهَا
أَمْ أَنَسِي وَبُذِلَتْ بِجُبَانَةٍ
فقلولي أَمْ أَتُكِ أَيْضاً عَلَى
صُفوفِ النِّينِ بِرُوا مَوْتِي

وداعاً تُعَزِّدُ في نُجْرَتِي
وَتَسْكُبُ فِيهَا لُظَى مُسْتَعِزِ

تركتكِ والسُّمُوعُ يجري دُمًّا
على مِدمعي البائس المنكسر
ومحمودُ بالِ اقبولِ وَلَا
أُسيءُ الظُّنونَ بِحُكْمِ القَنَزِ
تركتكِ لكنني أملُ
لِقَاءٍ وَذَاعَ فَهَلْ يُنْتَظَرُ
انجمينا/ يوليو ٢٠٠٢
بيضت في ٢٨/٨/٢٠٠٢م

٢ - قَرِينِي

[مجزوء الرمل]

لَيْتَنِي أَلْقَاكَ عُمرِي
فَتَصِيرَينَ ثِيَابِي
وَأَصِيرُ الْقِسْ أُنثَى
مَعْبُودًا بِالنَّهْدِ أَوْ حِصْنًا حَصِينًا
لَيْتَنِي صِرْتُ خَلِيبًا
قَرِينِي لِي التُّغْرِ حِينَا
قَرِينِي يَا فَتَاتِي كَيْ أَكُونَا
مِرْوَدًا لِلْعَيْنِ، أَوْ لِلنَّهْدِ (شَيْوْنَا) آمِينَا
قَرِينِي قَدْ لَحَا وَجْهِي جَلَالًا
بَثُّ فِي نَفْسِي جُنُونًا
لَوْ أَنَّكَ السَّاجِي سِخْرُ
إِسْلَامِي الْمِرَاةَ يَوْمًا تَعْلَمِينَا
قَدْ أَتَاكَ اللَّيْلُ سَعْيًا
وَاهِبًا لَوْذَا وَتِينًا
صَمْعِي عَوْدَ الْقَمَارِي
وَانْشُرِي الرُّيْحَانَ فِينَا

قَدْ دَعَانَا الْحَوْضُ هَيَّا
 اللَّبْسِي الشُّفَافَ وَانْضِي
 انْزِلِي بِي فِي إِنْاءٍ يَحْتَوِينَا
 حَبْنِي مِنْ صَقِيعٍ، جَفِّفْنِي
 وَانْضِي بِي مِنْ سُرِيرِ الْعَاشِقِينَا
 هَذِّبْنِي يَا نُؤْيَاتِي قَلِيلًا
 اتركيني،
 وامكثي في (المقر) حتى
 تنعشي الدر المصونا
 أسرعي هيا افتحي الدولاب سَلِّي
 مسحة النعناع منه
 وانفثي العطر الثمينَا
 أسمعيني صوت شعري بون ناي
 واعزفي لحناً حنينَا
 وانتشي مني ومنه
 فكلانا يبتغي الإبحار فيك
 يبتغي أمناً أمينَا
 أطفئ الأنوار حيناً
 واتركي الأخضر ينلَى
 ينشر الأضواء فينا
 واخلي ثوب العذارى

ثاكلاً نادى الجبينا
إنه للوصل سد
إن رأينا الحب دينا
قريبني وامنحني لحظات
سلبت منا سنينا
اخزنيني في الحيا
علني إن نبت أنسى في محياك الأتينا

انجمينا ١٢٤ أغسطس ٢٠٠٢

٣ - لو كانت

[الكامل]

النصر هلُ وحقٌ لي أن أفتخر
النصر هل على يديك هلُ لي مجدٌ أغز
سأبقتهم فسبقتهم
وجعلت كل النصر من إعجاز نصرك ينيهز
فتقدمي يا ذرة المجد افتحي
لنؤن جنسك مسلماً كيما يثور ويفتخر
فتقدمي لتحطمي
خرافة الواو الأشير
النصر هلُ
ماذا أقول حبييتي فالقول فز

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئة والقدر
أننت في كل القرى جل البوادي والحضر
أننت في كل الكبار وفي الصغار بأن هلموا يا بشر
«حيوا الأميرة والقمر»

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئة والقدر
لطف في الناس الرقود
وقت الظهيرة والسحر

ووضعتهم صفًا بياك..

.. لاهجين مهنيين

«مبارك لك بالنجاح مبارك لك أيهذا المنتصر»

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئة والقدر

أنتت في الناس النيام

وقبتهم مترنمين في سكونٍ مثل عباد الصليب

مهنيين..

«مبارك لك بالنجاح مبارك لك أيهذا المنتصر»

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئة والقدر

أنتت في الرياض في الفراش أن

زفوا التي على يديها النصر خَرَّ

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئة والقدر

أنتت في الوادي وفي السهول

نَحَتْ لآلي المطر

أنتت في الطيور فوق عُصُوفِ الشُّجر

«أن غردي غنى لها لحن النصر»

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئة والقدر

غنيت الحاني الجميلة يا منى قلبي..

.. وهندست الفرائد والدُرر

ونسجْتُ بين يديك كل قصائدي
ورسمت وجهك لوحةً هي النفائس والعبير

☆☆☆☆

لو كانت الكينونة الكبرى تثنت لي أنا
لو كان في يدي قنر

أحضرت بين يديك كل النجوم
كيما تُحيي أخت هاتيك الثريا والقمر
«مبارك لك بالنجاح مبارك بالنصر»

لو كانت الكينونة الكبرى هنا..
أخذت وجهك الكريم كي أُخلِّق في العلى
في عوالمنا التي لم تَزُنْها عينُ رأت
ولا أحسَّتْها أحاسيس البشر
هناك أهدى للخدود قبلةً
وهمسةً

وكلمةً هي هذه...
«مبارك لك بالنجاح مبارك لك بالنصر»

أنجمينا ١٧/٨/٢٠٠٢م

٤- الأشواق

[التدارك]

أه أرحلتَ ولم تترك
نبأً وبسحتُ فلم أجِد
إلا همسات في أنفي
من مهلك جسات من مهد
يتدفق بمعي حين أرى
في الحارة صبحك يا ولدي
يتدفق إن خرجوا قُطُنًا
للنزهة في شطِّ الرَّمْد^(١)
والحسن^(٢) الزين^(٣) معي أبدًا
والطيث عسلي^(٤) في البلد
كغريب أبقى بينهم
كأسير يرجو فسك يد
أبديت لهم لنا سألو
ني ما لي غائبة وحدي
الفرح الزيف على وجهي
شَرَزْ يتطايِر كالبرد

(١) الورد: غدير.

(٢) أخو الشاعر.

(٣) أخو الشاعر.

(٤) أخو الشاعر.

لكنك تهجرني وأنتا
 كالطفل حنانك مفتقد
 تهجرني ترسل لي شوقاً
 تُنبئني شوقك ملء يدي
 عجباً من قول أنت له
 تفنى الساعات وما تبدي
 إلا مثقالاً من كفف.....
 هذا ما عندك لم تزد
 تُغيبُ بالوجدان قلب
 هُ إن تتأَنَّ رضا نجد
 أه من شوقك يأسرني
 فتعال خذ مني قيدي
 أه لو تنظر أحشائي
 تغلي والطمهولها جسدي
 هبني وعداً لا تخلفه
 ولئن خيَّرت أقول غدي
 فنهاره دهرٌ مذكُرحلت
 بيض الأيام إلى أمد
 من وعدك نبضاتي تدنو
 وثواني الساعة في بعد
 إنني لها.. لا.. لبيتك.. إن..
 غبت فلا تات بلا مجد
 ادعوك إلهي أجمع شملاً
 واحضر من غاب إلى البلد

٥ - سَمَرَاء

[المقارب]

وسمرا بحي الدقيل^(١) انتثت
لها مهجتي ألف مرة
وقابلتها في خشوع الدراويش
حين تخيم حضرة
وحيتها في انهزام العبارات
بالرمز مليون مرّة
وماتت بحلقي صنوف البلاغة
وماتت إشارات ضادي حصره
وفرت عقول
وبانت نواتي
تجابه في الخلد بالسر نُورُهُ
فأني لسان يقول العبارة
وَأني عُقيل جرى يُخَمّر فكره

☆☆☆☆

وتدخل سمراء فينا
ترافق شمسنا ويُنْرا
وتجلسُ بالقرب مني

(١) الدقيل: حي من أحياء العاصمة أنجمينا.

وَتَجْلِسُ بَشْرِي
تَفِيضُ بَحْنِي حَيَاءُ
تَفِيضُ وَقَارًا
تَفِيضُ عَفَافًا وَطَهْرًا
وَسَمْرَاءُ الْفَتِّ تَحَايَا
كَحَفَنَاتِ مُرْفَيْنِ فِي الْجِلْدِ تَسْرِي وَتَتَرَى
وَحَيْثُ قَوَادِي تَحَايَا
كَزَنَاتِ لَحْنٍ تُدَاعِبُ وَتَرَا
سَتَبْقَى التُّحَايَا بِقَلْبِي شَفْعًا
وَتَحْيَى سَمِيرًا بِخُلْدِي وَتَرَا
وَعَطَى سَمَانًا صُمَاتُ
فَلَا أَنَا أَدْرِي تَرَى كَمْ مَضَى
وَلَا هِيَ وَاللَّهِ مَنِّي أَدْرَى
وَفِي الصُّنْتِ حَانَتْ سَهْرًا
وَخَاطِبَتُهَا
وَمَا فِي خُطَابِي حُرُوفُ
وَمَا فِي خُطَابِي كَلَامُ
وَمَا فِي خُطَابِي نَبْرَه
وَسَاعَلْتُ سَمْرًا
سُلَالَاتُ حَوَا عَرَفْتُ كَثِيرًا
خَفِيدَاتُ حَوَا عَرَفْتُ كَثِيرًا
قَرَأْتُ عَنِ الْجَنِّ أَيْضًا كَثِيرًا

وَلَمْ أَرَ مِثْلَكَ فِي النَّاسِ عَذْرًا
 أَرَأَيْتَ دِمَائِي يَطْرَفُ حَيًّا
 أَذَابَتْ قُوَادِي يَنْظُرُهُ
 أَلَا يَبِي بِهَا
 مَذَاقًا لَتَقْوَى إِلَهِهَ وَيُكْرَا
 قَمَا أَجْمَلَ اللَّخَطَاتِ سُمَيْرَايَ
 حِينَ يُسْرِعُ لِلشَّمْسِ أَسْرَى
 وَحِينَ تُسْرِعُ نَفْسُ
 قَضَتْ فِي شَوَاطِي الضَّلَالَاتِ دَهْرًا

☆☆☆☆

وَقَلْبُكَ سَمْرَاءَ أَسْفَارٍ مِنْ رَحْلُوا
 فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ، وَلَمْ أَرَ مِثْلَكَ سَمْرَاءَ عَذْرَا
 رَمْتَنِي بِرَمِيحٍ، وَتُصْذِرُ فِي الْحَيْنِ حُكْمًا
 بِإِعْدَامِنَا قَبْلَ أَنْ تُلْقِيَ الرُّوحَ لِلرُّوحِ زَفْرَهُ
 فَهَلِ أَنْتِ سَمْرَاءُ حَفِيدَةُ حَوْأَ
 أَمْ أَنْتِ يَا شَمْسُ أُخْرَى
 فَقُولِي قُدَيْبِ
 فَمَنْ أَيْ تُنْيَا قَدِمْتَ
 فَمَنْ أَتَيْنِ أَنْتِ «أَقْهَرُهُ»
 فَقَالَتْ
 نَعَمْ: إِنَّ حَوْأَ أُمِّي
 وَلَكِنْ هُنَاكَ قُرُوقٌ بَدَتْ بَيْنَ جَنْبِ وَفَرْعِ

ومنها سماءُ سميت للسماء

وزانتة فرعي نضرة

ومنها فُروُقُ بَنَتْ بَيْنَ نَكْهَاتِ طِينٍ

وبين الزهور إذا أنفق الزهر عطره

وقلتُ بنبراتِ صوتِ حنينٍ

راثٌ مُهْجَتِي مِنْكَ طَرْفًا

تعاطتُ بِسَيْرٍ مِنَ الطَّرَفِ كَلَسًا

فبانتُ لَيْالِي سَكْرَى

فقالَت:

أَبَارِكْ كُلُّ هَوَاها

وَأَسْأَلْ رَبِّي تَحْقِيقَ بَشْرَى

انجمينا ٢٨/٧/٢٠٠٢م

٦ - نار الفراق

[مجزوء الرمل]

أنتِ في ذاكرتي
والنفس أغياها العتاب
ما لنا نَبْتِي بَيْنِيئا مَتَارِسَ الفراق
أنتِ في نِكرائي جَبِي
حينما اجتزت السحاب
في خيالاتي ارتباك وانقلاب
أنا في نكراك عمري
والسحاب الزاكض المجنون دوني كالهضاب
وهو أحياناً كَرَضَمات (تَيْسِي)
حين يَفْشاهَا السراب
هالتي في ذا الفضاء الرُحْب سِخْرُ
إنما الطُّيرَانُ يمحو ذا الثواب
عابس الوجه لأنني
فاقد نصفي، ونصفي أنت، قولي
أوزَعَمَ كلماتي أم صواب
تَفَرِّكِ البِشَامِ جَنبِي
يَخْضِنُ الخدُّ المَذَابِ
كُلُّما فَكَرْتُ حيناً
جاعني مثل السراب
يُبْقِذُ القلبَ المهينا

إن رأى فيه انتحاب
أنتِ منّي في فؤادي
في سويدي ذا الذي يشكو العذاب
أين منك الآن طيفي
أعناق نال طيفي أم سباب
أنا في ذكراك
والإبحار في فضاء الله خوفٌ مستطاب
هَمْسُكَ الشعرِ المقفَى
حين أروي منه شيئاً للصحاب
وهو في الخلواتِ وزدي
وهو فكرٌ في كتاب
ريقك الشَّهْدِ المصفَى
منه سكري، وانتشائي، وانجذاب
إنني في البعد حزنٌ وحزنٌ
وانينٌ مثل تصويت الغراب
أنا في ذكراكِ إن جاء الغروب
أو أميطت عن دياجينا الحجاب
أنا في ذكراكِ روجي
قد سباني في بعادي إشتياق

على سطح الخطوط الإفريقية

٢٠٠٢/٧/١٩م

٧- شاري^(١)

[مجزوء الوافر]

رجعت إليك يا نهري
ويا مسندي ويا قدري
رجعت إليك ولهائنا
وحبُّك في ممي يسري
وللغايات في السوادي
وللصفو السني يجري
ومساؤك سلسبيلي
أزاح السداء من صدري
وللمل التراممي في الـ
حواشي البيض والخضر
كان الله أنزله
لنأهية من البدر
رجعت إليك يا شاري
أيما شكلاً من التعبير
أنوق فيك أن أغدو
مذاق الشهد والخمر
فلا تبر ولا شهد
ولا خمير لئني شكر

(١) شاري: اسم نهر في تشاد ومن أكبر أنهارها.

فأنث الكوثرُ الصافي
 وياقسي الذئبع من عكر
 رجعتُ إليك شرياني
 على القلب والفكر
 فنزّني بجُرعاتٍ
 لتبقيني على سُكر
 ملأت الصُخوفَ فكر
 ملأت القيدَ في الأسر
 ملأت المُكثَ في فزع
 فرجعتُني إلى الجنر
 رجعتُ إليك مرعوبًا
 ومغلوبًا على أمري
 فسكّن روعة القلب
 فإن الخوف يستشري
 ستبقى بيننا دوما
 أريج الطيب والعطر
 وتعطينا بلا حصر
 طوال العمر والدمر
 ستبقى لقطا أبدًا
 فلم تُحبس مدى الدهر
 ١٩٩٦/٦م

٨- أَحْبَبْنِي

[الوافر]

أَحْبَبْنِي فَسَدَاكَ اللَّهُ سَيِّدَتِي
كَمَا أَحْبَبْتُكَ إِنَّ الْعِشْقَ أَفْنَانِي
عَوَاصِفُ عَشِقَتِي الْمَجْنُونُ تَلَطَّمَنِي
بِالسَّوَاجِ وَتَطَرَّحَنِي بِشُطَّانِ
أَنَا الْأَطْفَالُ كَيْفَ أَطِيقُ عَاصِفَةً
وَأَيِّنْ أَفِرُّ إِنَّ الْمَسْجُوعَ يُغْشَانِي
أَحِيطِينِي فَإِنَّ الْبَرْدَ يَقْرِصُنِي
وَضَمَمِينِي أَنَا وَالنَّهْدُ صِنَوَانِ
حُذِينِي زِينَةَ الرُّوحَاتِ وَابْتَعِيدِي
وَحَلِّي عَنْكَ ذَاكَ الْأَبْخَرُ الْفَانِي
بُعِثْتُ أُبِيدُ الظُّلُمَاتِ فِيكَ فَكَيْدُ
عَفْ مِثْلِكَ أَنْتِ يَشْكُو ظِلْمَ حِزْمَانِ
أَحْبَبْنِي تَرَنِّي فِي الْحُبِّ مُعْجِزَةٌ
فَحَبَّبِي الطُّفْلُ صَارَ الْيَوْمَ (نُوشَانِ)
انجمينا ٨/١١/٢٠٠٢م

٩ - البحث عن الغفران

[مجزوء الوافر]

بِنَاتِ الْحَيِّ قُلُنْ لَنَا
فَطِيْمَةٌ حَوْلَهَا جُنْدُ
فَلَا تَقْرُبْ مَعَاقِلَهَا
فَتَاْكُلْ لَحْمَكَ الْأَشَدُ
فَإِنَّ الْأَشَدَّ رَابِضَةٌ
وَمِنْهَا يَظْهَرُ الْجَدُّ
وَقَصْرُ فَطِيْمَةِ النَّانِي
خَوْثُهُ فَوَارِسُ عَفْدِ
فَمَنْ هَانَتْ لَهُ رُوحُ
فَإِذَاكَ الْحَصْنُ وَالسُّدُّ

فَقُلْتُ لِهَنْ لَا أَخْشَى
طَيُورَ «أَمْعَكَ»^(١) إِذَا تَشَبَّهُوا
إِذَا مَا بَانَ شَاهِدٌ
يَجِيءُ السَّامَ لَا الْخُفْدُ
تَمْسُوتُ قُبَيْلَ قَبْضَتِهِ
وَيَفْنَى الْهَزْلُ وَالْجَدُّ
فَظَنُوا السُّدَّ يَمْنَعُنِي
فَخَرَّ السُّدُّ وَالْإِدُّ

(١) طيور أمعك: نوع من الطيور ذو تفريد مزعج وصوت عالٍ وحركة عالية.

أَحْلُسُ فَوْقَ قَمِيهِ
فليس السَّقَمُ يُنْصَدُّ
وَأَمْشِي نَحْوَ غُرْفَتِهَا
وَمِثْلُ الضُّمُوءِ أَمْتَدُّ
وَإِنْ قَفَلُوا نَوَافِذُهَا
هَمَّاءُ كَيْفَ أَنْصَدُّ
وَإِنْ جَسَعُوا بِتَعْوِيدِ
يَحْطُ اللَّهُ مَا عَدُّوا
فَأَهْلَكَ كُلَّ مَا عَقَلُوا
فَإِنْ الْحَقُّ قَدْ يَشْتَدُّ
فَإِنَّ الذَّنْبَ سِيدَتِي
هُوَ أَنَا مِنْهُ ذَا النِّكَدِ
يَبْنَ نَحْيَا عَلَى حَالِ
أَبَاهَا اللَّهُ وَالْعَبِيدِ
فَكُنَّا نُوا كُلَّ مَا صَلُّوا
دَعَاوَا بِالنِّكَدِ فَانْصَدُوا
حَكِيمٌ فَسَوْقَ جَهْلِهِمْ
وَأَصْفَحَ إِنْ هُمْ لَكُنُوا
فَصُورَ الْفَخِّ إِنْ مَدَّتْ
بِئْسَ سَوْفَ تَنْهَدُ
سَأَلْتُ اللَّهَ يَهْدِيهِمْ
لِيَحْيَا الْوَدُّ لَا الضُّدُ
لَأَجْلِكَ أَنْتَ أَكْرَمُهُمْ
لَأَجْلِكَ أَنْتَ أَرْتَسِدُ

لَأَنْسِي كُلَّ الْأَمِي
 وَأُرْخِي إِنْ هُمْ شَدُّوا
 لَأَجْلِكَ أَنْتَ أَكْرَمُهُمْ
 وَإِنْ مَكُرُوا وَإِنْ هَدُّوا
 بِنَائِي لَنْ أَعَادِيَهُمْ
 لَأَنْسِي فَوْقَ مَا جَدُّوا
 أَتَيْتُ الْآنَ سَيِّدَتِي
 بِبَذَائِ مَا لَهَا نَدُ
 هَجَرْتُ دِيَارَ أَحِبَّابِي
 قَلَيْتُ دِيَارَ مَنْ جَدُّوا

١٠ - هوى أم وسواس

[المقدار]

المناسبة: كتبته حينما قابلتني فتاة، وألحت لي بالحب لكنني أعرضت عنها، بسبب ارتباطي بخطيبة فتاة أحبها وهي المرموز لها بولادة.

(١)

يا من تتسرّب في صدري
قل لي من أنت... لأنني لا أدري
يا من يتغلغل في خلدي
فأنا أدعوك لتدري أنني لا أدري

(٢)

يا من تتسلل مخبئاً مثل الفأرة
أدعوك لتدري أنني في حيرة
واعلم أنني الآن على جمره
رغم جهود العرافات ورغم جهود السحرة
أحترقت كل الآمال وذابت معها الأحلام النضرة
ومصير بات على أيدي قدره
بنحيب الحسّ أنين يخترق الصخرة
بعد اليأس أتيت الآن تذكّرنا وتصيح بنا بشري، بشري
عفواً اذهب بنس الذكرى

(٣)

يا من تتصقّى في نفسي
إني الآن على بأس
بعد تأمر شيخ الخزرج مع أوس
اختلطت كل الأشياء على نفسي
واختلطت هاتيك الأفراح مع البؤس
وغدت (ولادة) في يُونِ اصْبَحْتُ أراني في نُكْسٍ
لو كان بمقدوري أن أمحو نفسي...
أو كان بمقدوري أن أقلب أحرف نفسي...
أفعل...
لكني الآن أعاني من هوس النكس
يا ضيفي ارجع ليس الآن

(٤)

ارجع... إني لا زلت رضيعًا أجهل فن غرام
مذ غابرتك ولادة
قالوا في غريب كلام
ولذا أجد النفس بحالات ليست كالعادة
وبرغم الصديق أيا ضيفي أعتذر الآن
لا عفواً ليس الآن
لا أنكر أنني في حاجة
لا امرأة تشبه ولادة
وتجيد اللحن بأنواع إجادة

وطوقس الحب وكل عبادة
تجعل في النحر رموز الحب قلادة
تعرف كيف تهدمني
كيف تناعيني مثل الطفل حديث ولادة
أحتاج إلى امرأة تحتاج حماقتي
أحتاج إلى واحدة إن قلت أواه...
وثبت من تحت ملامتها صاروخ إبادة
كي تحميني من فرعي كالفرع...
وتشيد بي أحلاماً سامية وإرادة
أحتاج إلى أخرى أجتاز على عينيها كل مخاطر
أحتاج إلى كبرى اتلقى منها فن قيادة
أحتاج إلى بشرى أتخلص فيها من قيد وسادة
أحتاج إلى واحدة أنسى بين ذراعها الأحزان
ومكايد أهلك ولأدء
لكن لا عهد يصاغ
إذ إن العهد شهادة
يا ضيفي ارجع ليس الآن

(٥)

لا أنكر أنني شاورت الكهان
فصاح إلي
قالوا أهل الشأن
من أعنيها بين يدي
ان ادفع ثمن الإتيان

أعطاني المُلُسمُ به اسمي واسم المحبوبة واسم الجانِّ
ودنا من أنني قال سأخرق هذي الوراقات
فإذا ما اشتد دخانُ
احضر يا روحانُ ويا روحانُ
احضر ذات الثغر العنقودُ
احضر ذات الأمل المنشود
احضرها الآن الآن الآن
وبت أنادي يا روحان ويا روحانُ
وخلطت الشرك مع الإيمانُ
ومللت الرقص مع الهنيانُ
وسكبت الدمع ولي أسفانُ
ورجعت بثوب القسيسينُ
أروي للناس عقوبة أهل العشق
وأرسم في الأنهان النيرانُ
ويزهّد دراويش باعوا الدنيا لغد أسمى
ورجعت لأحيا في مرتبة فوق الإنسانُ
لكني أمشي بعضا أعمى
بعد مذاقي طعم الزهد أتيت الآنُ
كي تقنعني بهوى أسمى
هي ذي الكبرى
أو فاختر ما بين رياض أو قطبانُ
لا عقوا ليس الآنُ

(٦)

لا أنكر أنني وسطت إلى من أعنيها
أهل الودع وأهل الخط ومن يقرأ السرُّ على الفنجان
قالوا من أعنيها شبه خيال
من أعنيها أسطورة
نقلتها الأجيال إلى الأجيال
وستبقى لا لا شك محال
قالوا لي من تعنيها ليست من جنس الإنسان
وسكنت الآلهة في الوجدان
وصرخت وبي غليان
لا: هي من جنس الإنسان
لكن من أعنيها ليست من نسل الزنح ولا من نسل البيضان
من أعنيها سمرا قمحية
تسكن في المنفى لكن في دار الشط لها شريان
من أعنيها فيها سمة التقليدية
لا تهتم بزيف المنية
رغم ثقافتها وتجولها في البلدان
لم تلبس إلا قطن تشاد

(٧)

ونهبنا لأبحث عنها في كل مكان
في غابات الأمزون وبين روايي «العريان»^(١)
ونهبنا لأبحث فوق جبال «الهملاي» وتحت تلال «النحسان»^(٢)
لكنني عدت بخفٍّ خننٍ تحملني أحزان

(١) مكان مرتفع يقع شمال أبشة.

(٢) مكان يقع بالقرب من مدينة آيكا.

وسفرت العمر أفسر أحلامي والأوهام
بتصرف ولهان حيران
وذهبت لأسأل عنها كل الأشياء
وسألت البحر وموج البحر
وسألت الرعد وبرق الرعد
وسألت الليل سألت نجوم سماه
وأخيراً عدت بثوب الحمد
لم ألق سوى صمتي وندائي ليس له أصداء
(٨)

عدت وعادت كل الأهوال ورائي
عدت أفنتش عن أيامي البيض بشكل عشوائي
عدت إلى رأيي أدعوه شفاء
أدعوه ولاء
أدعوه لقاء
وأنتيت أيا ضيفي الآن تكرر كالفرسان
كي تأسرني .. توهمني وتقول غداً أبقى السلطان
لا: عفواً ليس الآن

(٩)

يا من تتسلسل مثل النبع إلى الإحساس
قل لي من أنت
أهوى كهوى ولادة أم وسواس
عد فالآمال بنفسي ملء البحر
فغداً ألقى ولادة والفجر

١١ - قسمة ونصيب

[المقارب]

أحبُّكِ حتَّى يطلُّ المشيبُ
أحبُّكِ حتَّى انقسامِ السدروبِ
وحتَّى أنوبَ رويدًا على
مطاهي الغرامِ عديمِ الضريبِ
أحبُّكِ أنتِ أتسدري لما
لأنكِ أنتِ دواءُ القلوبِ
بِرَاني هـواكِ فروحي الشفا
وليس السدواءُ بوصفِ الحبوبِ
فقلولي أحبكِ هذا السدوا
وَشَرِّحْ فؤادي طبيبِ القلوبِ
أخلِّي فؤادي بقولِ طريِّ
وحلِّي الحديثَ بقولِ مريبِ
وقوللي أحبكِ حتَّى الفنا
وكُفِّي اعاصيرَ عشقي الرهيبِ
تجلِّي ولا تحرميني الرؤى
أريني الكنوزَ وصديَّ الرقيبِ
تعالني (فواطمُ) كي نحتسي
كؤوسِ الهوى في زمانِ الهبوبِ
هـواكِ يُقطِّعُ مني الحشا
وينظّمُ شوقي عقودَ الهيبِ

وأبكي إليك بصوت الظبا
 وأمشي إليك بمشي بيب
 ويوم سألتك فيه الهوى
 فلأن الحديث بجو مهيب
 وهبتك ذاتي بأمر الهوى
 فبات المصير بأيدي النصيب
 بمحيا عيونك فاح الشذى
 فغطى العبير وصدّ الشعوب
 جلالك - فاطم - لما بدا
 تداعت نجومك نحو الغروب
 بطرفك سحر تجلّى لعيني
 فقولني فتاتي فإني مجيب
 سألني قسمة الأمر أين انتهت
 فقد مسّ حسي وذاتي لغوب
 ملاذي إليك فمن يا ترى
 أسيلُ إليه وإنسي غريب
 فخذ بيدي - حبيبي - ولا...
 تذروني وحيداً أسير النُحيب
 أصلي إلهي وأعوذ بك كي
 تحقق حلمًا لعبيدٍ سائب
 فطيمة تسأل من يشتري
 - فخذت الحديث بآني الحبيب -
 فؤاد يؤجل أن الهوى
 ويرمي فؤادي بسهم النصيب

١٢ - أَتَيْنُ عَاشِقُ

[للمتدارك]

(١)

أِهْ مِنْ نَارٍ تَشْتَعِلُ
تَلْهُو بِبَطْنِ حَفَاقٍ
تَغْلِي بِسَرَابِينِي
لَكِنْ أَتَلَذُّ بِالْإِخْرَاقِ
وَبِجُودِ قُيُودِي وَيُونَاقِي
أِهْ مِنْ هَوَسٍ لَا يَنْفَصِلُ
أَتَجَرُّ أَعِنْدَ الْحَضَرَةِ أَتَصِلُ
كَيْ أَتَحَسِّنَ فِي الذَّاتِ الْعَلِيَّا أَشْوَاقِي
أِهْ مِنْ سَهْمٍ مَرَّقَنِي
فَبِرْغَمِ نَزِيْفِي وَبِرْغَمِ دُعَاءِ الرَّاqِي
أَتَنَوَّقُ طَعْمَ جُرُوحٍ لَا تَنْجِلُ
إِنِّي أَشْكُو صَمْتًا
فُولِي لِي أَكْرَهُ وَجْهَكَ أَوْ
إِنِّي فِي حُكِّ انْغَسِلُ
إِنِّي أَشْكُو مِنْ حُبِّ كَالسَّيْلِ الْعَارِمِ يَزْتَطِمُ
أُحِبُّ أَنَا أَمْ أَعْرِقُ فِي بَحْرِ غَرَاqِ
أَوْ أَقْنِي فِيهِ تَرَى أَمْ أَتَشْتَلُ

إِيَّاهُ مِنْ مُنْعَةٍ إِغْرَاقِي
 يَا مَنْ صُبْهَتْ فِي قَاعٍ مِنْ نَفْسِي
 يَا مَنْ صُبِرَتْ جَلِيدًا فِي أَعْمَاقِي
 إِنِّي أَنْبَى الطُّهُورِ
 وَتَحْتِي النَّارُ فَهَلْ مِنْ وَاقٍ
 إِيَّاهُ يَا هَوَسَ الْأَفْكَارِ أَنَا
 مَسْخُورٌ فِيكَ وَمَا أَخْلَى السُّخْرُ
 حِينَ أَسَوَّدَ أَوْرَاقِي
 إِيَّاهُ يَا طَعْمَ الْأَلَامِ إِذَا الْأَلَامُ بَدَتْ تَكْتَمِلُ
 إِنِّي مَجْنُونٌ أَبَدًا، إِنِّي مَجْنُونٌ فِيكَ
 وَمَا أَجْمَلُهَا لَحَظَاتُ جُنُونِي حِينَ تَعْرِيدُ أَشْوَاقِي
 حِينَ أَقُومُ بِتَصَوِيرِ مَلَامِيحِ وَجْهِكَ فِي
 فِي سَاعَاتِ الْإِشْرَاقِ
 إِنِّي مَأْسُورٌ فِيكَ وَمَا
 أَخْلَى أَشْرِي إِذَا أَرَوِي الْوَدَّ بِنَمْعِ رَفَرَاقِ
 إِنِّي مَقْتُولٌ فِيكَ
 وَمَا أَخْلَى مَوْتِي حِينَ يَقُولُ النَّاسُ
 بِأَنَّكَ يَا خَنَسَا سَبَبَ فِي مَوْتِي وَإِغْرَاقِي
 أَخْبِئْنِي فِي أَعْمَاقِكَ أَوْ أَفْنِئْنِي
 إِعْطِينِي قَلْبَكَ أَوْ لَا تُعْطِينِي
 فَإِنَّا لَا نَطْلُبُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ أَبْقَى رَمَزًا لِلْعُشَاقِ

(٧)

أَحْسَسْتُ الآنَ يَا خَنَسَا أَنِّي أَجِئْتُ
إِتَّقَنْتُ بِأَنَّ هَوَايَ الْمَاضِي عَبْتُ
وَبِأَنِّي رَغَمَ مَصِيرِي الْمَجْهُولِ سَعِدْتُ
إِنِّي يَا خَنَسَا الآنَ بَدَأْتُ
وَعَجِبْتُ لِأَنِّي أَلَمَحُ وَجْهَكَ فِي كُلِّ اللَّحَظَاتِ
عَلَى الظُّلُمَاتِ عَلَى الْأَضْوَاءِ
وَأَرَاكِ عَلَى فَنَاجِ الْفَهْوَةِ عِنْدَ الْإِنْسَاءِ
وَأَرَاكِ عَلَى نُورِ الرَّهْرِ
أَرَاكِ أَرَاكِ عَلَى كُلِّ الْأَشْيَاءِ
أَوْ تَتَرَيْنَ بِأَنِّي بَعْدَ لِقَائِكَ يَا خَنَسَاءُ جِئْتُ؟
وَعَجِبْتُ لِأَنِّي كَيْفَ شَهِدْتُ وَلَائَةَ حَبِّي
إِنِّي الآنَ وَلِدْتُ
لَا تَسْأَلَنِي عَنْ تَارِيخِي الْمَاضِي
هُوَ شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ اللَّعِبِ
إِنِّي مِنْ عُجْنَةِ نَهْدِكَ مِنْ ضِلَعِيكَ خُلِقْتُ
وَأُجِسُ بِأَنَّكَ أَنْتِ أَنَا
فَلِمَاذَا لَا أَتَنَعَّمُ مِنْكَ «أَنَا»
وَأَنَا فِي ذِكْرِ هَوَاكِ قَطَرْتُ
فَخَذِنِي يَا «أَنَا» إِنِّي مِنْ نَوْرَانِي حَوْلَ الذَّاتِ تَعَبْتُ
فَخَذِنِي عِنْدَكَ كَيْفَ اسْكُرَ مِنْ عَيْنَيْكَ
وَمِنْ شَفَتَيْكَ

فَحُذِنِي عَنْكَ لِأَثُوبَ عَلَى لَمَسَاتِ يَدِكَ
 فَحُذِنِي كَيْمَا أَتَلَا شَى بَيْنَ جَنَاحَيْكَ
 أَفَّ لِحَفَائِقِ ثُنْيَايَ
 إِنِّي مِنْ أَحْكَامِ النَّطْقِ يَا خُنْسُ مَلَّتْ
 (٣)

أَخْبَيْتُ كَثِيرًا يَا خَنْسَا...
 لَكِنْ لَمْ أَلْقِ هُوَى مَجْنُونًا كَالنَّتْرِ
 أَخْبَيْتُ كَثِيرًا...
 لَكِنْ لَمْ أَلْقِ هُوَى كَهَوَاكِ
 يُعَلِّمُنِي كُلُّ لُغَاتِ الْبَشَرِ
 حُبُّكَ عَلَّمَنِي أَنْ أَلْقَاكَ عَلَى السَّمَمَاتِ
 وَفِي سَبَاحَاتِ الْمَطَرِ
 عَلَّمَنِي أَنْ أَتَنَسَّقَ طَيْفَكَ فِي أَذْرَاقِ الزَّفْرِ
 عَلَّمَنِي كَيْفَ أَنْاعِيكَ بِرَغَمِ الْبُعْدِ عَلَى رَنَاتِ الْوَتْرِ
 (٤)

إِنِّي مُشْتَاقٌ سَيِّئَتِي
 وَلِشَوْقِي مَكْرَمَةٌ وَخِصَالُ
 هِيَ إِنْ تَبْثُو تَنْهَارُ عَلَى الْقَوْدِ
 كُلُّ صُرُوجِ الْمَحَالِ
 فَأَرَاكِ بِرَغَمِ السُّنُودِ
 وَرَغَمِ الْحُصُونِ وَرَغَمِ الْمَحَالِ
 أَشْتَاقُ إِلَيْكَ أَتَسْلُقُ بُرْجَ الْخَيَالِ

كَيْ اِرَاكِ وَاَنْتِ تَزِيدِينَ يَا خَنْسَاءُ جَمَالاً

وَيَغَارِ الْجَمَالُ مِنْ سِحْرِ الْجَمَالِ

أَشْتَاقُ أَطِيرُ إِلَيْكَ بِدُونِ جَنَاحٍ

وَأَغَارِقُ مَلْفَفَكَ تَحْتَ الظَّلَالِ

أَهْ يَا خُنْسُ

بِرَغْمِ كَرَامَاتِ الْوَلِيِّ، وَرَغْمِ الْهَزَالِ

وَرَغْمِ تَلَاثِي صُرُوحِ الْمَحَالِ

يَتَعَرِّدُ فِي الْأَخْشَاءِ السُّؤَالُ

فَمَتَى يَا حَبُّ الْوِصَالِ؟

حسب الله مهدي فضلة^(١)

١ - رسول السلام ﷺ

[الخفيف]

دُعْ مَدِيحَ الْأَنْبَاءِ؛ فَهُوَ هَبَاءُ!
وَأَشْبَحَنَّ مَنْ عَبِيدُهُ الْأَمْزَاءُ
سَيِّدَ الرُّسُلِ، هَلْ لِحِجِّي مَجَالُ
فِيكَ، بَعْدَ الَّذِي جَلَّ الشَّعْرَاءُ
كُلُّ مَذْحٍ يُقَالُ فِيكَ ضَنْبُلُ
عَنْكَ، مَهْمَا أُطِيلَ فِيهِ الثَّنَاءُ
هَلْ يُطِيقُ اللِّسَانُ خَضَرَ مَزَايَا
أَثْبَتَتْهَا الْأَعْدَاءُ وَالْأَضْيَقَاءُ؟
جَنَّتْ بِالْحَقِّ وَالسَّوَرَى فِي ضَلَالٍ
تَنَكَّرُ الْأَرْضُ سَعِيَهُمُ وَالسَّمَاءُ

-
- شاعر نشأ في معاصر ولد سنة ١٩٧٤ في مدينة أبشة، قرأ القرآن الكريم، ودرس الفقه والتوحيد والسيرة النبوية على يد والده، ثم التحق بالمعهد الإسلامي بأبشة وحصل على شهادة الثانوية ١٩٩٦، وسافر إلى السودان للعمل. ثم عاد إلى وطنه والتحق بجامعة الملك فيصل بتشاد، وتخرج في كلية اللغة العربية سنة ٢٠٠٢ وفاز بجائزة الإيسكو للأعمال الأدبية المتميزة سنة ٢٠٠١ عن ديوانه الشعري غير المطبوع "نبضات أمّتي، إذ تميز ببناء عمودي محكم، وحسن توظيف للتراث الإسلامي وتنويع للقضايا التي يعالجها من منظور إسلامي. والشاعر يعد من رواد الشعر المحافظ، الملتزم بقضايا وطنه والعالم الإسلامي من حوله.
- لقاء تمّ بيني وبين الشاعر في الجامعة الإسلامية بالنيجر أثناء انعقاد المؤتمر الدولي لمالية الأدب الإسلامي في الفترة من ١٨ - ٢٠ أبريل ٢٠٠٢ ولقاء آخر في جامعة الملك فيصل نوفمبر ٢٠٠٣م.

عَشَّشَ الْجَهْلُ فِي الْعَقُولِ؛ فَأَمْسَى
 يَنْتَعِقُ الزَّنْبُ فَوْقَهَا وَالْإِرَاءُ
 قَدْ تَعَامَتْ عَنِ الرَّشَادِ وَضَلَّتْ
 فَاسْتَوَى عِنْدَهَا الدُّجَى وَالضُّيَاءُ
 بَل تَهَاوَتْ إِلَى الْحَضِيضِ فَأَضْحَى
 رِيْهَا السَّحَرُ وَالْهُمَى الْعُجْمَاءُ
 وَاحْتَذَتْ فِي الْحَيَاةِ شِرْعَةً غَابِ
 فَالْأَنَاسِي وَالضُّوَارِي سَوَاءُ
 بَيْنَمَا هُمْ فِي لَيْلِهِمْ أَنْزَلَ
 بِهِ يَصْنُجُ يُزَاحُ عَنْهُ الْغِيَاءُ
 أَشْرَقَتْ شَمْسُكَ الْمَنِيرَةُ فِي الْكَوْ
 نِ؛ فَضُمْتُ أُنْيَالَهَا الظُّلْمَاءُ
 كَالْخِيَالَاتِ لِلشُّكَاوَى إِذَا مَا
 أَشْرَقَ الْعَقْلُ، وَاسْتُعِيدَ الصُّفَاءُ
 أَوْ كَفَمَ عَلَى قُوَادٍ وَيَاسِ
 بَلَدْنَتْهُ انْتِبَاهَةٌ أَوْ رَجَاءُ
 فَاسْتَفَاقَ الْوَرَى عَلَى خَيْرِ صَوْتِ
 رَدْنَتْهُ الْأَقْطَارُ وَالْأَزْجَاءُ
 حِينَ نَادَيْتَهُمْ: «كَفَاكُمْ ضَلَالًا
 مَا إِلَهَذَا إِلَّا جَادُ وَالْإِنْمَاءُ،
 «انْظُرُوا الْكَوْنَ هَلْ أَتَى صُنْفَةٌ أَمْ
 ابْدَعْتُهُ هَذِي الدُّمَى الْخَرَسَاءُ»

«ام لها قُدرَةٌ بها يُجَالِبُ الْخَيْدُ
رُ، وَتُجَالَى الْكُرُوبُ وَالْأَنْوَاءُ»
«مَحْضُ وَفَمٍ عَلَى عَقُولٍ ضَعِيفٍ
نَسَجَتْهُ الْعَوَاطِفُ الْعَمِيَاءُ»
«إِنَّمَا اللُّهُ رُبُّكُمْ، فَالْيَهِ
يُزْفَعُ النَّسْكُ، مِنْهُ يُرْجَى الْعَطَاءُ»
«حَقُّهُ فِي الْوُجُودِ أَنْ يُسْتَمَدَّ الـ
نُفْجُ مِنْ شَرْعِيهِ، وَيُرْسَى الْقَضَاءُ»
«لَمْ يُرِدْ لِلْعِبَادِ عَيْشَ مَطَايَا
تَفْتِطِيبُهَا الْأَوْقَامُ وَالْأَمْوَاءُ»
«أَوْ لِحُوقًا بِالْقَاعِ وَالْكُونُ رُخْبُ
نَاضِرَاتُ أَفَاقِهِ الْقَلْبِيَاءُ»
«جِئْنَهَا عَاشَتْ الْخَلِيقَةُ عَيْدًا
فِيهِ مِنْكَ تَأْلُفُ وَضِيَاءُ
وَاسْتَظْلُ الْوَرَى بِوَاحَةٍ عَذْلٍ
مِنْكَ مُدَّتْ أَغْصَانُهَا الْفِيحَاءُ
حَيْثُ أَعْلَنْتَ قَبْلَ ثَمُورِهِ بَارِقُ»
سَنَ: (الْجَمِيعُ أَمَامَ شَرْعِي سَوَاءُ)
يَسْتَوِي الْكُلُّ عِنْدَ مِيزَانِ حَقِّ
لَمْ يَشْبُهُ تَصْنَعُ أَوْ رِيَاءُ
هَكَذَا اسْتَنْشَقَ الْأَنَامُ عَبِيرًا
مِنْ رِيَاضِ الْهُدَى لَهُ إِزْكَاءُ
ذَاقَ طَعْمَ الْحَيَاةِ بِالْقِيَمِ الْعُلَا
يَا، وَقَدْ حَيَّمِ الضَّنَا وَالشَّقَاءُ

واستشف العنى العميق لهذا الد
 كون؛ فانجاب شكهُ والغشاء
 كُنت ميلانه، وكُنت حياة
 انعشنته، كأنها الكهزباء
 خُصك الله أن تكون إماماً
 تَقْتَفِيكَ الهُدَاةُ والأصْفِياءُ
 خائضاً لُجَّةَ الحياة بفُلك
 حُصْنَتُهُ العِناية العُليا،
 أنت ربُّائه، وهيكَلُهُ القُر
 أن، وفوق الحَجة البيضاء

☆☆☆

يا رحيماً بالمؤمنين يُنادي:
 أُمْتِي! أُمْتِي! وإن هُم أساؤوا!
 إنني زهرة بهنّيك فاحث
 يُنْعِشُ النفس نفحها المِغطاء
 إنني بُلبُبلُ بروضك يشدو
 من ترانيمه الدُعاء والثناء
 قد سبّختني أفاءُ عالمك الرّأ
 كي؛ فحلّقت حيث يبدو البهاء
 ثم هُنت قُوائِي أغلالُ أرض
 أرجعتني حيث الرُّؤى السوداء
 أرسل الطرف راجئاً ثم يترد
 دُكنيها، بموَعهُ سَحَاء

لَمْ يَجِدْ مِنْ سَمَاتِ امْتِكَ الْمُنَى
لَى سَوَى صُورَةٍ بِهَا إِنْخِصَاءُ
كُلَّمَا هَبَّ نَاعِبٌ بِأَنْعَاءٍ
هُمُّ نَعَاةٍ لِرَزْفِهِ أَوْفِيَاءُ
ضَيُّعُوا قَارِبَ النِّجَاةِ بِبُخْرِ
هُمِّ هَشِيمٍ لَمْوَجِهِ، أَوْ غُثَاءُ!
فَاخْتَوَاهُمْ قَاعُ الْحَيَاةِ مَلَاذًا
وَاعْتَلَّنَتْهُمْ اِدْنَاؤُهُ وَالْجَفَاءُ
وَاسْتَطَابُوا مُسْتَنْقَعَ الشَّلِّ كَالثَّوْرِ
دُ! لَهُمْ فِيهِ مَزْتَعٌ وَارْتِوَاءُ!
يَفْتَنُّونَ الْعِدَّةَ بِالنَّفْسِ وَالْأَقْبِ
صَى أَسِيرٌ، تَغْلِي لَهُ الْأَحْشَاءُ
يَرْتَجِي نَصْرَةً، وَكَيْفَ يُرْجَى
مَنْ غُثَاءٍ إِغَاثَةً، أَوْ فِدَاءُ!
مَا لَهُ عِنْدَهُمْ سَوَى عِبَرَاتٍ
بَيِّدَ أَنْ لَيْسَ فِي التُّبَاكِ عَنَاءُ
لَوْ قَفُوا شَرْعَكَ النِّيزَ لَعَادُوا
أُمَةً يَخْتَمِي بِهَا الضَّعْفَاءُ
وَاعَادُوا مَجْدًا لَهُمْ قَدْ تَوَلَّى
زَائِنَةُ الْعَدْلِ وَالنُّنَى وَالْإِخَاءُ
حِينَ كَانُوا أَعْسَرَةً يَخْتَشِيهِمْ
قَنِيصُرُ السُّرُومِ، هُمْ لَهُ رُؤَسَاءُ

حين كانت نتائج السحب تُجَنَّبِي
 لهم، حيث تُطِيرُ الدُّمُوءُ
 تلك أمجائهم، وربي كفيل
 بالفتوحات حين يضفُّو النداء
 هكذا قلت، وقسوا غداً وصدق
 ومن الله سوف يأتي الوفاء
 فضلاء عليك من عند ربي
 وسلام به يطيب انتباه

٢ - أبكي مع السحاب

[الوافر]

كَفَانَا يَا سَحَابٌ مِنَ الْبُكَاءِ!
فَلَا سَأَلُوهُ لَمَطُ لُحْمٍ وَنَاءٍ
كِلَانَا يَنْزِفُ الْعَبْرَاتِ: هَذَا
بَكَى بَمَعًا، وَذَا يَبْكِي بِمَاءٍ
اَتَّبِكِي أَنْ تَبْلُ خُلُوقَ قَوْمٍ
نَضُّنْ عَلَيْكَ حَتَّى بِالثَّنَاءِ
تَذُوبُ لِكَيْ تَكُونِ لَهُمْ حَيَاةً
فَتُجَرِّى بِالشَّتَائِمِ وَالْهَجَاءِ!
اَحْقًا كُنْتَ لِلْبَنِيَانِ دَاءُ
قَدْ اسْتَفْصَى عَلَى أَهْلِ الدَّوَاءِ!
وَزَلَزْتَ الْبِلَادَ: فَلِلْمَجَانِي
سُجُودٌ، دُونَ نُسُكِ وَأَتْقَاءِ!
وَأَنْتَ قَدْ جَعَلْتَ النَّاسَ تَمْشِي
كَعَلَابِ سِيرِكَ خَوْفَ ارْتِمَاءِ!
عَلَى الْمُسْتَنْقَعَاتِ تَرَى جُجُورًا
تُذَكِّرُ بِالصَّرَاطِ بِلَا مِرَاءِ!
نَحَايِرُ أَنْ نَبْذُلَ فَنَلْتَقِيْنَا
كَعَلَابٍ تُعَذِّبُنَا بِدَاءِ

وَأُجِجَتِ الْبِعُوضُ فَشَرُّ حَرِيًّا
 عَلَى الشَّعْبِ الْمَجْرُدِ مِنْ كِسَاءِ!
 فَلِلْأَمَانِ فِي الْأَكْوَاحِ لَحْنُ
 شَجِيٍّ قَرُّ أَرْكَبَانَ السَّمَاءِ!
 وَهَلَامَاجِي^(١) تُنْشِئْنَ كُلَّ يَوْمٍ
 مَقَرًّا لِلْقِيَامَةِ فِي الْعَرَاءِ!
 دَعَاوِي فِي أَتْهَامِكَ، لَا تَخْفَهَا؛
 فَقَدْ أَكْفَيْكَ بَحْضًا لَا نَعَاءَ،
 فَهَلْ أَنْتَ الَّذِي جَعَلَ الْمُبَانِي
 فُقَاعَاتٍ تَكْنُوبُ مِنَ الْهَوَاءِ؟
 وَهَلْ دَوَّيْنَتَ أَمْسَوَالًا أَعْدَتُ
 لِتَرْصِيفِ الشُّوَارِعِ وَالْبِنَاءِ؟
 وَهَلْ بَخَرَجْتَ مَالَ الشَّعْبِ حَتَّى
 تَكُونُ فِي جُيُوبِ الْأَقْوِيَاءِ؟
 وَهَلْ أَخَمَدْتَ فِي الشُّبَّانِ عَزْمًا
 فَلَمْ يُظْهِرْ طَمُوحًا لارتقاء؟
 وَهَلْ أَغْمَدْتَ دُونَ السُّمِّ دَرْعًا
 بِهِ اخْتَجَبَ الْبِعُوضُ عَنِ الْفَنَاءِ؟
 وَهَلْ امْطَارُكَ اللَّائِي أَحَالَتْ
 بَنِي قَوْمِي إِلَى شَعْبٍ بِدَائِي؟
 أَلَيْسَ الذَّنْبُ نَتَبَهُمْ، وَلَكِنْ
 أَرَادُوا الْقَتْلَ كَبِشًا لِلْفِدَاءِ؟

(١) لاماجي: اسم المقبرة الرسمية للمسلمين في مدينة انجمينا.

فَكَفِّكَ بِمَعَكَ الْغَالِي، فَإِنِّي
أُرْجِّسِي مِنْكَ تَخْفِيفَ الْعَنَاءِ
فَقُلْ لِي: هَلْ مَرَّرْتَ وَأَنْتِ سَارٍ
بِابْشَى^(١) وَجُدْتَ لَهَا بِمَاءٍ؟
وَهَلْ قَبَّلْتَ لِي فِيهَا ثَغُورًا؟
وَهَلْ دَغْدَغْتَ وَجَنَاتِ الْحُفَاءِ؟
وَهَلْ حُمِّلْتَ لِي مِنْهَا تَحَايَا
تُزِيحُ الْقَلْبَ مِنْ خَرِّ التَّنَائِي؟
نَعَمْ! هَذَا اللَّائِي حَذُّتْنِي
وَذِي النُّسَمَاتِ وَأَقْبَتْ بِالشُّذَاءِ
وَلَكِنْ لَمْ تُبَرِّدْ خَرِّ قَلْبِي
فَلِلذِّكْرِى اسْتِعَارُ فِي الْحَشَاءِ
كِلَانَا يَكْتَوِي، وَالْقَلْبُ دَامٍ
وَلَا مَلَوَى لِمَظْلُومٍ وَنَاءٍ

(١) ابشى: مسقط، رأس الشاعر وفيها عشيرته وعادة ما تكون الأمطار فيها شحيحة.

٣- كُفْ يَا دَمْعُ

[الخفيف]

كُفْ يَا دَمْعُ؛ أَنْتَ أَوَّلُ دَانِي
أَنْتَ عِنْوَانُ مَحَنَّتِي وَشَقَاتِي
أَنْتَ جَرَّاتُ كُلِّ نَذْلٍ عَلَى ظِلِّ
حُمِيٍّ، وَسَلْبِي وَغِيَلَتِي وَاجْتِرَانِي
لَا تَسْلُ؛ حَسْبِي الدَّمْعُ دَمْعًا
وَالْجِرَاحَاتُ أَغْيُنًا لَا تُرَانِي
لَا تُفْتِنَنَّ قَلْبِي، فَحَسْبِي أَنِّي
أُمَّةٌ خُوِّلْتُ إِلَى أَشْلَاءِ
تَسْتَبِيحِ الْكِلاَبِ لَحْمِي وَأَضْلَى
نَارَ نَذْلٍ تَغْلِي بِهَا أُخْشَانِي
اسْتَغِيثُ الْوَزَى وَلَا تُمْ غَوْثُ
غَيْرُ عَيْنٍ غِيَاثُهَا بِالْبُكَاءِ
لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ الْبُكَاءَ، وَلَكِنْ
عَلَّمْتَنِي مَخَاذِلُ الْجُبْنَاءِ
مَرْقُوعًا مِنْ شَرِيطِ عَمْرِي فَصُولًا
كَالْأُتْرَاقِ بَيْنَ زُفْرِ السَّمَاءِ
كَانَتْ الشَّمْسُ تَسْتَضِيءُ بِنُورِي
وَالْمَحِيطَاتُ تَسْتَمِدُّ عَطَانِي

يضحك الكون حين أرضى ويهمني
بمعه حين تكفهرُ سمائي
ينبت العدل حيث تخفق رايا
تي، ويجلو تجي الضلال ضيائي
فاختفى كل ذاك مني كلهم
بثنته انتباهة في غراء
عدت اجري خلف السراب وحولي
ينسج الحاقدون فخ فئائي
واستحالت رياض مجدي يبابا
مجدبا دون بهجة او رواء
واغتلى عرش اثني كل باغ
خانن فمه امتصاص الدماء
فلتكف الدموع! انني معيد
عهد مجدي بإن رب السماء!
انني قادم بحقي وعذلي
فلأحاول كل الطغاة اختوائي!
سوف اخبوهذا الوجود حياة
حين اجتد دائم بدواني
فلأكن واحة السلام، لظلي
يلجأ الركب من هجير الشقاء
ولأكن كوثر الحببة قلبي
ينهل الحب منه كل الظماء

فإذا زَمَجَرَ الطغاةُ فسيفي
في يدي، رمزُ عزتي وإيائي
هكذا يستحيلُ نَوجي هَيِّزًا
هادمًا جارفًا صَروح المِراء!
هكذا يستحيلُ بمعى ابتسامًا
هكذا تنقضي عهدُ البكاء!

٤- في آفاق القرآن^(١)

[الرمل]

خَلَقَنِي يَا رُوحَ فِي عَلَيَانِهِ
وَاسْتَشْفَيْتَنِي الْحَقُّ مِنْ أَضْوَائِهِ
وَأَنهَلَنِي الْإِيمَانُ مِنْ يَنْبُوعِهِ
لَيْسَ أَزْكَى مِنْبَعًا مِنْ مَائِهِ
وَاسْتَبْجَيْتَنِي مَا شِئْتِ لَكِنْ نَحْوَهُ
فَالْهُدَى وَالْأَمْنُ فِي مِينَانِهِ
لَا تُصِخِّرِي نَحْوَ غَرِيَانِ الْهُوَى
كُلُّ حَقٍّ فَهُوَ مِنْ أَصْدَانِهِ
سَأْنِلِي التَّارِيخَ عَنْ إِعْجَازِهِ
وَكَشَفْنِي الْكَفُونُ مِنْ أَنْبَاءِهِ
نَقَّبْنِي فِي قَاعِهِ عَنْ أَثَرِهِ
عَدَّهَا فِي الْبَدْرِ مِنْ أَقْذَانِهِ
قَدَّرَهَا الشُّرُوكُ فِي مُسْتَنْقَعِ
لُؤْلُؤَاتِ فِطْرَتِهَا مِنْ دَانِهِ
مَنْ أَرَادَ التُّسْكَ سَوَّى رُؤْيَهُ
مِنْ جَمَادِ الْأَرْضِ مِنْ أَهْوَائِهِ

(١) القيت في الحفل الختامي لمسابقة تركي دبوس الديوس الأولى لتحفيظ القرآن الكريم في يوم الثلاثاء ٢٠ شوال ١٤٢١هـ الموافق ١٦ يناير ٢٠٠١م في قاعة قصر ١٥ يناير بالعاصمة النجدينا.

أُمَّةٌ لَمْ تَدِرْ مِنْ شَأْنِ الْعُلَا
غَيْرَ نَهَبِ الْمَالِ أَوْ إِفْنَائِهِ
لَمْ يَكُنْ لِلْعَذْلِ مَفْنَى عِنْدَهَا
غَيْرَ عَدْلِ الذَّنْبِ فِي بَيِّنَاتِهِ
كَمْ زَعِيمٍ سَادَهَا، لِكِنَّةِ
لَمْ يَزِدْ عَنْ نُوقِهِ أَوْ شَائِهِ
قَدْ أَذَابَ الْعَقْلُ فِي كَلْسِ الطُّلَا
وَأَسْتَقَى التَّفَكُّيرَ مِنْ أَمْعَائِهِ
كَيْفَ يَزُقَى مِثْلُهَا لِلْبَحْثِ عَنْ
غَايَةِ الْكَوْنِ أَوْ إِنْشَائِهِ؟
بَيْنَمَا اسْتَلْقَتْ وَخَارَتْ لَيْلَةٌ
غَابَ فِيهَا الشُّرْفُ فِي إِغْفَائِهِ
إِذْ تَجَلَّتْ رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ كَيْ
تُنْقِذَ الْعَالَمَ مِنْ إِغْمَائِهِ
مِنْ حِرَاءِ الْغَارِ أَبَدَتْ مَطْلَقًا
غَارَتْ الْأَفْسَالُ مِنْ إِعْلَائِهِ
مِنْهُ بِالْقُرْآنِ شَمْسٌ أَشْرَقَتْ
جَارَتْ ذَا الْكَوْنِ مِنْ ظُلْمَائِهِ
أَرْسَلَتْ مِنْ أَيْهِ أَشِئَةً
أَزْدَتْ الطَّاعُونََ فِي أَحْسَائِهِ
وَارْتَقَتْ بِالْأُمَّةِ الْوَسْئَى إِلَى
هَامَةِ التَّارِيخِ فِي اسْتِعْلَائِهِ

أَخْرَجَتْ مِنْهَا أَطْبَاءَ الْوَرَى
أَيُّنَ جَالِيْنُوسٍ مِنْ كَمِيَانِهِ؟
هَلْ نَرَى الْعَالَمَ مَنْ أَفْهَى لَهُ
مَجْهَرًا لِلْكَشْفِ عَنْ أَدْوَانِهِ؟
ثُمَّ أَرَدَى كُلُّ فَيْرُوسٍ بِهِ
بِأَذْلًا لِلرُّوحِ فِي إِيْرَائِهِ؟
مَنْ سِوَانَا؟ مَنْ سِوَى أُمْتِنَا
يَسْتَنْظِلُ الْكَوْنُ فِي أَفْيَانِهِ؟!
جَيْنَ كُنَّا أُمَّةَ الْقُرْآنِ لَمْ
نَقْتَبِشْ زُنُجَا سِوَى أَزْيَانِهِ
نَسْتَمِدُّ الْحَقَّ وَخِيَا لَيْسَ مِنْ
أَدْعِيَاءِ الْعِلْمِ أَوْ أَعْدَائِهِ
لَمْ نَقْضِ فِي وَحْلٍ (أَوْسَلُو) أَوْ نَتَيْه
فِي سَرَابِ الْغَرْبِ أَوْ صَحْرَائِهِ
جَيْنَ كَانَ النُّحْلُ يَشْدُو حَاكِيًا
شَدُونَنَا فِي اللَّيْلِ فِي إِقْرَائِهِ
ثُمَّ يَفْخِجُنِي الصُّبْحُ فِي تَقْلِيدِنَا
إِنْ رَأَى التَّخْلِيْقَ فِي أَجْوَانِهِ
هَكَذَا يَا رَوْحُ كُونِي نَحْلَةً
لَمْ تَمِلْ لِلنُّوْمِ أَوْ إِيْغْرَائِهِ
بَوْنِكَ الْقِرَانَ رَوْضًا نَاضِرًا
فَارْشُفِي مَا شَفِنَ مِنْ أُنْدَائِهِ

قَدِّمِي لِلْكَافِرِينَ مِنْ أَزْهَارِهِ
 شَهْنَةُ الْمَشْهُودِ بِاسْتِخْلَانِهِ
 لَا تُرَوِّمِي غَيْرَهُ رَوْضًا؛ فَكَمْ
 عَفْتُ طَيْبًا شَدُّ عَنْ أَشْدَائِهِ
 فَالْهُدَى فِي هَدْيِهِ، وَالْفَوْزُ فِي
 نَهْجِهِ، وَالْمَجْدُ فِي إِعْلَانِهِ

٥ - على ضفاف نهر النيجر

[الوافر]

(نيامي)^(١) نحوك انطلق الفؤادُ
يسابقُنني، مطيئُته السُّوداؤُ
يوذُعُنني بخفِقِ ثَمَّ يَسْرِي
باجنحةٍ لها تُطوِي البِلاد
به شوقٌ إليكِ وقد رانِي
بطيئًا إذ تجانبُنني الوهاد
فخلَّقْ نحوَ أفقِكِ هاتِفًا بي:
كفى زحفاً، فقد أضنى البعاد
أبقى في القفارِ وذاك روضُ
امامي، فيه علمٌ يُستفاد
به أحبُّبنا اجتمعوا لِيَسْقُوا
قرائنًا زلالاً يُستجاد
هي الآدابُ تُزهِرُ حين تُسقى
رحيقًا فيه حُبٌّ وانتقاد
وتضلُّبٌ في يد التقويمِ عودًا
فليس تهزأُ المِخَنُ الشِّداد

(١) نيامي: عاصمة جمهورية النيجر، والقي الشاعر القصيدة في أثناء إقامة مؤتمر عالمية الأدب الإسلامي في الجامعة الإسلامية في أبريل ٢٠٠٢م وكنت مشاركاً عن نقاد يبحث عن الشعر التشادي وكان الشاعر مشاركاً بإبداعه الشعري.

فَتُوْتِي أَكْلَهَا بِجَنَاءِ جِيلٍ
يَكُونُ بِهِ انْطِلَاقٌ وَاتِّمَادُ
فَمَنْ لِلْأَمَةِ الْحَيْرَى إِذَا مَا
نَوَّوْا الْأَدَابَ غَالِبَهُمْ رُقَادُ؟
وَمَنْ يَحْدُو الْكَتَائِبَ حِينَ تَسْرِي
إِلَى الْمِيدَانِ إِذْ يَدْعُو الْجِهَادُ؟
أَمَّا سَأَلْتُ دَمَوْعُ بِلْ دِمَاءُ؟
بِكُلِّ دَوِيْلَةٍ شَعْبٌ يُجَادُ
فَبُجُوا الْأَفْغَانَ وَالشَّيْشَانَ كَانُوا
بِفِغَاءٍ قَتَلُوهُمْ عَذْلُ مُرَادُ
فَمَا لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْبِغَايَا
تُعَزِّدُ فِيهِ، يَغْشَاهُ الْفَسَادُ؟
وَهَلْ أَطْفَالُ غُرَّةٍ قَدْ تَخْفَى
«أَسَامَةٌ» بَيْنَهُمْ، فَلَهُمْ يُكَادُ؟
نَعَمْ إِنَّ الْأَسْوَدَ إِذَا تَلَبَّثَ
فَفِي الْأَشْبَالِ ثَأْرٌ وَاضْطِهَادُ
وَإِنْ غَارَ النَّثَابُ عَلَى شَيْءٍ
فَلَيْسَ لِوَاحِدٍ مِنْهَا جِيَادُ
سَلُوا السَّاطُورَ^(١): مَا نَنْبُ الضَّحَايَا؟
إِذَا رَهْمَ لِلتَّطَرُّفِ وَالْعِنَادُ؟
وَمَا عَرَفُوا انْتِحَارًا وَانْفِجَارًا
فَكَيْفَ جَسَرَتْ دِمَاؤُهُمْ وَيَادُوا؟

(١) الساطور: آلة كحد السيف استخدمها الفرنسيون في قتل أربعمائة عالم في أبشة في موقعة شهيرة تسمى بالكبكب ١٩١٧م.

كُنَّا أُمَّةً فَرَضَ عَلَيْهَا
 تَلَقَّى الطُّعْنَ كَيْ يَحْيَا الْعِبَادَ
 فَهِيََا نَنْسُجُ النُّكَبَاتِ جَسْرًا
 إِلَى الْعَلِيَاءِ حَيْثُ الرِّشْلِ سَادُوا
 لَنَا فِي الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ هَادٍ
 وَحَادٍ حِينَ جُلُّ النَّاسِ حَادُوا
 وَمَا فِي غَيْرِ وَحَدِّنَا سَبِيلُ
 بِهِ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلَّ يُسْتَعَادُ
 إِذَا مَا (نَيْجِرُ) نُكِبَتْ بِجُرْحٍ
 فَمِنْ دِمَهِهَا تَجُودُ لَهَا تَشَادُ
 وَإِنْ نَادَتْ «إِسْيسِكُو»^(١) فِي انْطِلَاقِ
 تَوَاتَيْبٍ نَحْوَهَا سَيْنٌ وَصَادُ
 فَسِيرِي يَا نِيَامِي فِي طَرِيقِ
 بِهِ النُّورَانِ: إِسْلَامٌ وَضَادُ
 وَكُونِي وَاحِدَةً يَنْسَابُ مِنْهَا
 إِلَى إِفْرِيقِيَا خَيْرٌ يُرَادُ
 فَمَا هَذَا اللَّقَاءُ سَوَى بَشِيرِ
 بَلِّغْ إِلَيْكَ خَيْرَاتِ تُقَادُ
 وَهَذِي دُوحَةُ الْإِسْلَامِ أَرَسَتْ
 بِمَصَايِ^(٢) جَنْدَرَهَا وَلَهَا امْتِدَادُ
 تَمُدُّ غُصُونَهَا الْفِيحَاءَ يَأْوِي
 إِلَيْهَا مَنْ مُرَائِهِمُ الرِّشَادُ
 تَرِي بِرَحَابِهَا النُّحْلَ انْتِشَارًا
 وَجَنِيًّا كُلُّهُ فَنُّ مُجَادُ

(١) الإيسيسكو: المنظمة العربية للثقافة والعلوم والتربية.

(٢) ساي: مدينة في النيجر يوجد فيها الجامعة الإسلامية.

وإنتاجاً لذا الشهدِ الحَقِّ
 شفاهُ للأنامِ ومنه زاد
 مِن الإسلامِ قَدْ سَلَكَتْ سَبِيلًا
 فليس لغيره فيها القيادُ
 بها عيدُ العليِّ^(١) تراه يُعلي
 لواءَ العلمِ فهو له إِمادُ
 تَذَقُّقٌ نحو أُمَّتِهِ عطاءُ
 فكان له ابتكارٌ واجتهادُ
 تضائل نهرٌ نيجرَ إذ تَمُنِّي
 ينافسه فخالقه المرادُ
 فهَبْهُ سَقَى الترابَ فهل سيسقي
 عقولاً لم يُطَوِّعْها انقيادُ؟
 وهل يبني لأُمَّتِنَا ثرائاً
 به «القالى» يُخَلِّدُ «العماد»؟
 مائزُ كالنجوم لها سطوعُ
 وليس لها إذا عُذْتُ نَفادُ
 فبُشْرَى سائى، بل بُشْرَى لِقومِ
 تَلَقُّوا عِلْمَهُ وبِهِ أفادوا
 وبُشْرانا بجمعٍ ذي انغلاقٍ
 بنورِ شموسِهِ انزاحِ السَّوادُ
 نيامي في ٥ صفر ١٤٢٣هـ
 الموافق: ٢٠٠٢/٤/١٨م

(١) عبدالحلي: هو الأستاذ الدكتور عبدالحلي الودغيري رئيس الجامعة الإسلامية بالنيجر وهو مقربي ويتميز
 بمكارم الأخلاق والعلم الفزير.

٦ - خواطر هي ذكرى غزوة بدر

[الطويل]

تباركت - ربّي - شهرُ نصرِكَ قد أتى
وأُمتُّنا كالطُّير بين يديّ طفلي
تزعمها الفساقُ غضباً فاصبحتُ
تتبعه بسرداب الضلالة والذل
رأوا في اتّباعِ الغريبِ نوراً، قرأهم
تَجَهُمُ أفقٍ خالفه ظلمةُ الليل
فيا قومُ، إن رُمْتُمُ نجاةً فهاكمُ
قواربَ إنقاذٍ إلى الشاطئ السهل:
فما لكمُ غير الكتابِ سفينةُ
ولا ثَمَّ ريانٌ سوى سيّد الرّسل

☆☆☆☆

رسولُ الهدى، يَهْنِيكُ نصرُ مُؤَزَّر
به صُلَفُ الكُفّارِ مُرَغ في الوخل
نهضتْ لنشرِ الحَقِّ، والكَوْنُ مُظْلِمُ
فاظهرتْ مخفياً، وفقّحتْ ذا خبل
دَعَوْتُ إلى الإسلامِ قوماً أذابَهُمُ
تَلَجُّجُ أضغانٍ على مَرَجِلٍ بجلي
فانشرق نورُ الله في البعض؛ فامتدوا
وذابتْ جِرائيمُ التباغُضِ والغِلِّ

وَاَصْفَى إِلَى إِبْلِيسَ بَعْضُ، فَأَعْمَيْتُ
 بِصَانِرُهُمْ، كَالْبَهْمِ سَارَتْ بِلا عقل
 وَعَزَيْدَ شَيْطَانُ الضَّلَالَةِ صَارَحًا:
 أَرْضَى وَهَذَا الدِّينَ يَحْظَى بِذَا الطُّولِ؟!
 فَسَارَتْ جُيُوشُ الْكُفْرِ تَبْغِي تَغْلِبًا
 عَلَى الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِالطَّيْشِ وَالْجَهْلِ
 وَخَفَّ جُنُودُ اللَّهِ يَخْفِقُ قَوْقُهُمْ
 لِسَاءِ، مِنَ الرَّحْمَنِ قَدْ خُصَّ بِالْوَصْلِ
 فَلَمَّا التَقَى الْجَيْشَانِ: جَيْشُ مُرَادَهُ
 فَسَادُ، وَجَيْشُ هُمُ نَصْرَةُ الْعَدْلِ
 تَنَادَتْ جُنُودُ الْحَقِّ: يَا عَدُوَّ أَقْبِلِي،
 فَلِمَا الْهُدَى، أَوْ عِشْكِ السَّابِغِ الظُّلِّ
 هُنَاكَ أَمَدُ اللَّهِ بِالنَّخْرِ جُنْدُهُ
 وَقُلْ قُلُوبَ الشُّرَكَ بِالضُّرْبَةِ الْفَضْلِ
 فَفَقَرُوا وَطَارُوا فِي الْبَرِيَّةِ نَعْرًا
 كَأَقْوَامِ سَكْرَانٍ لَدَى عَوْبَةِ الْعَقْلِ
 وَاعْقَبَهُمْ جُنْدُ الْهَدَايَةِ مُضْلِلًا
 عَلَيْهِمْ سَيْوْفَ الْبَتْرِ وَالْأَسْرِ وَالْقَتْلِ
 أَتَوَكَّ بِهَمِّ أَسْرَى فَرِذَتْ تَلَقَّا
 وَعَامَلَتْ ذِي الْأَسْرِ مَعَامَلَةَ النُّبْلِ
 مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِالْفِدَاءِ وَلَوْ هُمْ
 أَصَابُوكَ لَمْ يَرْضَوْا سِوَى مُورِدِ النَّضْلِ

وَجَدْتَ عَلَى بَعْضِ بَعْضٍ تَفَضُّلاً
(وَمِثْلُكَ مَنْ يَعْفُو، وَمَالِكَ مَنْ مِثْل)

☆☆☆☆

نَعَمْ هَكَذَا الْإِسْلَامُ؛ سَيْفٌ وَمَصْحَفٌ
يُسَلُّ عَلَى الْبَاغِي، وَيَحْكُمُ بِالْعَدْلِ
مَتَى كَانَ دِينَ اللَّهِ بِمَنْعَةٍ نِلَةٍ
وَتَبْرِيزِ أَحْكَامٍ، وَقَوْلًا بِلا فِعْلٍ؟
أَلَمْ تَكُ بَدْرٌ مِنْ مَعَالِمِ دِينِنَا؟
أَلَمْ تَكُ فُرْقَانًا، كَمَا قَالَ نُو الطُّوْلِ؟
فِيَا رَمَضَانَ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ، عُدْنَا
بِخَصْرِ كَبِيرٍ، فِيهِ إِسْلَامُنَا نُغْلِي!

٧ - صفحة من الكفاح والصمود^(١)

[البسيط]

يا معهد الخير، في أعيابك انطلقت
تُعانيق النفس أخلام وأمال
فبذي القلوب تلاقى فيك يغيرها
فيض من الحب والإخلاص سيال
جاءت تُهنئ بالافراج هاتفة:
انصف قرن مضى أم تلك أجيال؟
خمسون عاماً باقى الجدى ساطعة
بها استنارت دياجير وأنغال
خمسون عاماً بسنم الدهر عازفة
لحن الخلود، لها القرآن أزجال
خمسون عاماً بصوت الحق داوية
لها بفئدة الأعداء زلزال
فأفناً أيا معهد الإيمان، واحك لنا
أمجاد عهد به التاريخ يختال
رئد لنا الصيحة العظمى التي انطلقت
من رائد، ما له في الناس أمثال:

(١) تحية لمعهد أم سيوفلو بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيسه ١٩٤٤ - ١٩٩٤ م.

«وَا حَسْرَتًا! وَطَنِي الْمَحْبُوبُ مُخْتَنِقٌ
عليه من ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ سِرْبَالٌ،
يُفْخِضِي عَلَى الضُّيَمِ، وَالْأَعْدَاءِ عَابِثَةً
بِهِ، لَهَا مِنْهُ تَعْظِيمٌ وَإِجْلَالٌ،
«وَالَّذِينَ خَلَفَ ضُبَابِ الْوَقْمِ مَنَتَكِسٌ
يَغْرُوهُ وَقْمٌ، وَفَوْقِ الْوَقْمِ انْقَالٌ،
«فَلَا تَنْشُرِ الْعِلْمُ: إِنْ الْعِلْمُ إِنْ سَطَعَتْ
انْشَوَارُهُ عَزَّتِ الْأَوْطَانُ وَالْأَلُ،
«وَلَا تَضِ فِي هَمَّةٍ، لَا الْقَيْدُ يَحْبِسُهَا
وَلَا الْمَنَاصِبُ تُغْرِيهَا، وَلَا الْمَالُ،
إِذَا ذَاكَ أَشْرَقَتْ الْأَرْجَاءُ، وَانْتَعَشَتْ
رَوْحُ الْهُدَى، وَفَسَى غَيْثٌ وَسِلْسَالُ
وَاسْتَنْشَقَ النَّاسُ أَنْسَامَ الْحَيَاةِ: فَمَا
عَادَتْ تُوعِقُهُمْ حُجُبٌ وَأَوْحَالُ
فَاغْتَاطَ مُسْتَعْمَرُو الْأَوْطَانِ، وَالتَّهْبَتُ
أَحْقَانُهُمْ، فَلَهَا فِي الْجَوْفِ إِشْعَالُ
حَاكُوا الدَّسَائِسَ حَوْلَ الشَّيْخِ: فَانْتَشَرَتْ
مِنْهُمْ عَلَيْهِ كِلَالِيَّةٌ وَأَخْبَالُ
لَكِنْ مَضَى الشَّيْخُ سَيْفًا دُونَهُ سَقَطَتْ
نُجْلُ الْخُسَالِ، وَقُلْتُ عَنْهُ انْصَالُ
مَضَى يَقْوُدُ إِلَى الرَّحْمَنِ مَرْكَبَهُ
لَمْ تَنْبِهِ عَنْهُ أَمْوَاجُ وَأَفْوَالُ

واستمسك الناس بالقرآن، واعتصموا
 رَغَمَ الْعِدَى، وتلاشى القَيْلُ والقال
 فغصُ مستعمِرُ الأوطان، وارْتَجَفَتْ
 به العظامُ، وشُلَّتْ منه أوصال
 وصاح: ما بال هذا الشيخ في دَأْبِ
 عليه فيض من التأييد ينهال
 وذي مَنَارَتُهُ بِالْعِلْمِ ساطعةٌ
 ما للخفافيش في الأنوارِ إقبال
 إن ينشُرِ العلمَ لا تذبُتْ قواعِدُنَا
 فإنما نحن عند الجهلِ أبطال
 فليُنَجِّ معيهُدُهُ، وليُنَجِّ منهجُهُ!
 وليُجِرْ بالنفسي؛ إن النُفْسي قَتَالُ
 فسجِّلَ المجدُ والتاريخُ ملحمةً
 للحقِّ، تشهد أن الشيخ رِئبال
 لم يَخُنْ هَامَتُهُ من زارِهِم؛ فَبَدَا
 كالطُودِ يعلو، ولِلْأَعْصَارِ إغوال
 بل صاح في ثقةٍ: «اللهُ يعصِمُنِي
 وليُخِمِ ذا الصرخ؛ فهو الفكرُ والبال»
 «دار التَقَرُّبِ بالإيمانِ لي وطنٌ
 والموتُ في الله إنعامٌ وإفضال»
 لا تبكِ يا معيهُدَ الإيمانِ إن خَفَقَتْ
 ذِكْرِي الكفاح؛ فإنَّ الدمعَ خَذَالُ

هَـذِي الشَّجِيئَةُ مِنْ أَيْنَاكَ هَاتِفَةٌ:
عَلِيْشُ^(١) رَمَزٌ، بِهِ الْإِسْلَامُ يُغْتَال
إِنْ يُبْعِدُوهُ فِي الْأَحْشَاءِ مَسْكَنُهُ
أَوْ يُسَكِّرُوهُ، فَصَوْتُ الْحَقِّ جَلْجَال
أَوْ يَحْسِبُوا أَنَّهُمْ مِنْ جَيْشِنَا نَزَعُوا
لَيْثًا، فَهَا نَحْنُ فِي الْمِيدَانِ أَشْبَال!

(١) عليش: محمد عليش عوضة شيخ تشادي ومن مؤسسي معهد أم سيوقو وله مكانة كبيرة في مدينة أبشة، درس في الأزهر ونال درجة العالمية وعاد إلى وطنه فأنشأ المعهد الذي يعد منارة للمعلوم الإسلامية والعربية وهو تحت إشراف الأزهر.

٨- ملحمة الشيشان

[الرمز]

فوق صخراء الجليد القاحلة
البحر النيران بائتت تُشغل
ذا يتيم، تلك أم تاكله
ذاك شيخ في صقيع أنزلوا
والدباب الروس تغوي اكله
من نجا من مخربات تهطل
أي نسيب ذي الضحايا فاعله؟!
لا تسألني فالصدى لا يسأل
لم أكن إلا أداة ناقلة
نؤخ اوطاني التي تستأصل
أمة الشيشان هبث قائله:
دينني الإسلام نغم النهل!

☆☆☆☆

فاستشاط الكفر القى برقعا
كم تحققي خلقه! كم ضللا
منطق الإقناع أضحى مدفعا
فوق أشلاء سُكوت جنابلا
يلفظ الصاروخ يهوي مُسرعا
نافثا جفدا وموتنا مُشغلا

كَمْ شَوْى شَيْبًا وَأَفْنَى رُضْعًا
 كَمْ بِيوتٍ وَأَعْمَاتٍ زَالِزًا
 فَتَتَّ الْعُنُونُ مِنَّا أَضْلَعًا
 وَيَغَارُ مِن بَمَانَا كَلْأًا
 مَجْلِسُ الْأَمِينِ رَأَى فِيمَا ادَّعَى
 مَا (الْكِرْمَلِينَ) بِقَوْمِي أَنْزَلَا

☆☆☆☆

ثُمَّ أَفْقَى فِي خُمُولٍ لِأَمِيَّا
 مُغْمِضًا عَيْنًا، وَرَأْسًا نَكُوسًا
 قَالَ: ذِي الْقَتْلِ رَعَايَا (رُوسِيَا)
 مَرْكَبُ الْإِرْهَابِ فِيهِمْ قَدْ رَسَا
 فَلْتُؤَدِّبْ مَنْ تَرَاهُ الْعَاصِيَا
 وَلْتُطَهِّرْ مَنْ تَرَاهُ اسْتَنْجَسَا
 إِنْ سَرَتْ فِيهِمْ سَمُومُ الْكِيمِيَا
 حِينَهَا «لِلشَّجَبِ» نَدَعُو الْمَجْلِسَا
 هَكَذَا الْأَعْدَاءُ تُزْجِي عَارِيَا
 مِنْ طَرَفِ الْجَفْدِ الَّذِي قَدْ أَفْلَسَا
 كَيْفَ سَارُوا نَحْوَ أَقْصَى أَسِيَا؟
 أَمْ بَنُو تَيْمُوزَ أَغْلَى أَنْفُسَا؟

☆☆☆☆

أَيِّنْ فَيَتَو؟ أَيِّنْ دَعْوَى الْعَوْلَى؟
 أَيِّنْ شُرْطِي عَلَيْنَا عَزِيذَا؟
 لَا تَسْأَلْ يَا قَلْبُ مِنْهُمْ مَرْحَمَةً
 كُلُّ مُشْغُورٍ عَلَيْنَا اسْتَسْدَا

أَيْنَ حُكَّامِ الشُّعُوبِ الْمُسْلِمَةِ؟
 أَيْنَ مِيثَاقِ غُرَانَا وَخُدَا؟
 لَا تَسْأَلْ: حَسْبِي جِرَاحِي الْمَوْلَى
 لَا تَسْأَلْنِي: نَكَرُكُمْ لَنْ يُخْمدَا!
 إِنْ تُرِيدَ مُحَرِّبُهُمْ أَنْ تَعْلَمَهُ
 سِرَ لَوَاشِنَطُنْ تَجَنُّهُمْ سُجْدَا
 فَاسْأَلْ عَنْهُمْ وَانْثُجْ شَطَرَ اللَّحْمَةِ
 لَا تُخَلِّدْ مَنْ لَارِضٍ اخْلُدَا

☆☆☆☆

يَا نَسُورًا خَلَقْتَ فَوْقَ النَّوَى
 عَافَتْ السَّفْعَ وَقَاعًا مُنْتِنَا
 قَمَّةُ الْقَوَاقِزِ صَارَتْ مَنْبَرًا
 لِلْجِهَادِ الْحَقِّ فِيهَا أَذْنَا
 فَاجْعَلِيهَا نَحْوَ عَيْنٍ مُعْبَرَا
 وَاتْرُكِي السَّفْعَ لَأَوْسَلُو مَوْطِنَا
 وَاكْتُبِي بِالْحَمِّ فِيهَا اسْطُورَا
 تَفْعُدْ نَهْجًا لِمَعَالِي بَيْنَا
 عَلَّمِي هَذَا الْبُغَاثَ الْأَنْعَرَا
 أَنْ نَيْلَ الْحَقِّ يَبْغِي بُرْزُنَا
 وَافْهَمِي الدُّبَّ بَيْنَ الْمِنْسَرَا
 لَمْ يَكُنْ لَحْمًا مُسَاعَا لَيْنَا

☆☆☆☆

يَا نَسُورًا، بِلْ نَجُومًا لَامِعَةً
 قَدْ حَوَتْ نَارًا وَنُورًا أَجْمَعَا

أَنْتِ مِنْ آيَاتِ رَبِّي السَّاطِعَةِ
 فِي زَمَانٍ بَارِتِيَابٍ أُتْرِعَا
 فَارْجُمِي تِلْكَ الدُّيَابَ الْجَانِعَةَ
 عَلَيْهَا فِي الشَّهْبِ تَلْقَى مَشْبَعَا
 بَلْ أَنْيِرِي لِلشُّعُوبِ الْخَانِعَةَ
 مَسَلَكَ الْعِرِّ الَّذِي قَدْ ضُيِّعَا
 إِنْ تَنَالِي النُّصْرَ فِي ذِي الْوَاقِعَةِ
 أَوْ تَمُوتِي، كُنْتَ دَوْمًا أَرْفَعَا
 أَنْتِ إِنْ كَانَ انْتِصَارُ رَافِعَةِ
 رَابِعَةً، رُبِّي قَضَى أَنْ تُرْفَعَا
 أَوْ تَكُ الْأُخْرَى قَنْعَمَ الدَّافِعَةِ
 نَحْوَ عَدْنٍ، فَهِيَ اسْمَى مَوْضِعَا
 فَاتْرُكِي أَوْسَلُو بِسَفْحِ قَابِعَةٍ
 وَاسْكُنِي الْأَفْقَ الرَّفِيعَ الْأَوْسَعَا

٩ - رثاء مجلس^(١)

[البسيط]

يا مَجْلِسَ الأَمَنِ، جُرْحِي لَيْسَ يَنْسِينِي!
مَأْسَأَتُكَ ارْتَسَمَتْ فِي الْقَلْبِ تَكْوِينِي!
مَأْسَاءُ جِيلٍ بَرِيٍّ، كُنْتُ وَأَعِدَّةُ
عَهْدِ المَحْبَةِ فِي أَغْصَابِ طَاعُونِ
كَمْ كُنْتُ تَرْسُمُ اخْلَاصًا تُرْخِرُهَا
بِرَاقَةِ تَكْتِسِي أَثْوَابَ تَزِينِ!
كَمْ كُنْتُ تَحْلَمُ بِالْجَنَاتِ تَنْشُرُهَا
قَبْلَ الْمَعَادِ تُوشِي بِالرَّيَاحِينِ!
«عَهْدُ الذَّنَابِ مَضَى، عُدْنَا بَنِي رَجَمِ
فِي وَاحِدَةٍ قَدْ أَظْلَلْتُنَا بِثَامِنِ»
«الْحَقُّ وَالْعَدْلُ قُنُسٌ، لَا يُدْنَسُهُ
بَغْيٌ، وَيُخْمِيهِمَا مِيثَاقُ تَكْوِينِ»
«فَلْتَرْقُصِ الأَرْضُ فِي الْعُرْسِ الْبَهِيحِ عَلَى
أَنْفَامِ زُغْرُوْدَةٍ تَشْدُو بِخَلْمِنِ»
لَكِنْ زُغْرُوْدَةُ الْأَفْرَاحِ مَا انْطَلَقَتْ
حَتَّى اسْتَحَالَتْ إِلَى نُوحٍ وَثَبِينِ!

(١) علقت الشعوب آمالاً عريضة على هيئة الأمم المتحدة ومجلسها المسمى بمجلس الأمن عند إنشائها، ثم تبخرت
الآمال، وأفاقَت الشعوب على المصائب، وتمتت الخلاص من مجلس الأمن، ولكن... فوجئت الشعوب المسكينَة عند احتفال
حلف الناتو بالذكرى الخمسين لتأسيسه، أنه قد يكون الخليفة المنتظر لمجلس الأمن، فتباكت مرة أخرى تريد العودة
إلى عهد مجلس الأمن - رغم ما فيه من سلبيات - وكان من بين صيحات التباكي على ذلك المجلس هذه القصيدة.

والأرض قد رقصت، لَكِنَّ كَثَاكِلَهُ
 اخْلَامُهَا تُنَدُّ مِنْ غَيْرِ تَكْفِينٍ!
 لَحْنُ السَّلَامِ تَلَاشَى فِي الدَّوَى لَدَى
 قَصَفِ الصَّوَارِيخِ أَحْشَاءَ الْمَسَاكِينِ!
 فَرِدُّوسُكَ الْمُرْتَجَى كَمْ صَبَّ مِنْ حَمَمٍ!
 كَمْ جَرُّعُ الْخَلْقِ مِنْ وِيْلَاتٍ غَسَلِينَ!
 هَذِي الشُّعُوبُ: فَمِنْ شَعْبٍ يُبَادُّ، إِلَى
 شَعْبٍ حُلُوبٍ، إِلَى بَاكِ وَمَسْجُونِ!
 يَا مَجْلِسَ الْأَمْنِ، هَذَا مَا جَنَيْتَ، فَمَا
 عَادَتْ دَعَاوِيكَ وَالْإِيمَانُ تُغْرِينِي
 لَكِنَّ صَوْتًا ضَعِيفًا صَبَرْتُ أَسْمَعُهُ
 مِنْ قَلْعَةٍ (بَنْيَوِيْزُك) يَنَادِينِي
 يَمْنُتُهُ مُضْغِيًّا مُسْتَجَلِيًّا، فَإِذَا
 بِالْمَجْلِسِ الْمُخْتَشَى بِيكِي، فَيُبَكِّينِي!
 قَالَ: «اصْبِرْ لِي وَانْعِمِي إِنْ قُلْتُ تَجْرِيْتِي؛
 فَإِنَّ خَنْجَرَ (فِيْتُو) سَوْفَ يُرْبِينِي»
 كُنْتُ الْبِرَاءَةَ فِي عَهْدِ الصُّبَا، فَإِذَا
 بِالْخُبْرِ عِنْدَ اكْتِمَالِ النَّضِجِ يَفْرُونِي!
 «وَيُجِي! فَمَا كَانَ أَعْضَائِي سِوَى بَشَرٍ
 لَيْسُوا مِنَ الصَّخْرِ أَوْ مِنَ يَابِسِ الطِّينِ»
 «كَمْ بَيْنَهُمْ مِنْ أَبٍ عُمْتُ مَحَبَّتُهُ
 كُلُّ الصِّغَارِ مِنْ أَمْرِيكَ إِلَى الصِّينِ»

«غَطَى عَلَى قَلْبِهِ الدُّوْلَانِ حِينَ بَكَى
«طِفْلُ الْعِرَاقِ؛ فَاتَّقَسَى فَاقْدُ اللَّيْلَ»
«كَمْ هَزْ أَفْنَدَةً (الْأَعْضَاءُ) مَجْزَرَةً
«دَارَتْ عَلَى شَعْبِ بُوشْنَا أَوْ فِلَسْطِينَ»
«مِنْ فَوْقِهِمْ شَهَرَ (الْفَيْتُو) فَتَمَّ تَرَى
«بَمَغِ التَّمَاسِيحِ فِي جِسْمِ الثَّعَالِبِينَ»
«كَمْ ثُرْتُ مُسْتَنْكَرَ الْإِرْهَابِ حِينَ غَزَا
«(رِيغَانُ) لِيَبِيَا بِغَارَاتِ الْقِرَاصِينَ»
«لَكِنْ شَعْلَةً إِرْهَابٍ يُسَلِّئُهَا
«(تَمَثَالُ حَرْيَّةِ الْأَقْصَى) فَتُخْزِنِي»
«قُلْتُ الْحَقِيقَةَ فِي (قَانَا) فَكِدْتُ عَلَى
«حَقِّ الْحَصَانَةِ أَصْلَى نَارَ تَخْوِينِ»
«إِثْمُ الْقِرَارِ بِهِ وَحَدِي أَبْوُءُ، وَكَمْ
«يُمْلَى وَيُنْسَخُ فِي سِرْدَابِ صَهْيُونِ»
«لَمْ يَبْقَ لِي غَيْرُ زَفَرَاتٍ أَضْمَنُهَا
«عَذْرُ انْتِكَاسِي لِغَابِ دُونَ قَانُونِ»
«أَهْدِي الْحَقِيقَةَ لِلْأَجْيَالِ؛ عَلَّ بِهَا
«تُرْسَى دَعَائِمُ إِصْلَاحٍ وَتَحْسِينِ»
«مَا عُذْتُ أَعْبَاءُ (بِالْفَيْتُو) وَسَطَوْتِهِ
«قَدْ مَتَّ مِنْ قَبْلُ فِي أَيَّامِ تَكْوِينِي»
«وَالآنَ أَمْضِي شَهِيدًا لَا يُعَذِّبُنِي
«إِلَّا مَخَافَةٌ أَنْ أُنْعَى بِمَلْعُونِ»
«ثُمَّ ارْتَمَى خَامِدَ الْأَنْفَاسِ، وَانْسَكَبَتْ
«مِنْهُ الدَّمُوعُ، وَلَا خَلٌّ يُعْرِضُنِي!

وارتجّت الأرضُ من حولي بقهقهةٍ
حمقى، تعريداً لاستخلافٍ مجنون
كان الخليفةُ حلفَ الأطلسى! فما
عاد الكلامُ ولا الأشعارُ تُجديني
عهدَ الذناب، متى الرجعى؟ فنشكو ما
عانت ضحاياك في عهد الشياطين!
بل ما الشكايةُ والصيحاتُ مُجيدةُ
إن لم تُترجّمْ إلى فعلٍ وتبيين
دربِ الكرامةِ قفر، لا يُعبّده
إلا الجماجمُ، تُشقى بالقرايين
أين السلام؟ وما في الجسم أنملةُ
إلا اكتوث، أو بها طعناتٌ سيّكين!
حَتّام أضمتُ والدنيا مُعزّبةُ
والكوّنُ يقذفُ حولي بالبراكين!
حَتّام أَسْلِمُ (للناتو) الزمام؟ ولي
نهجي المبين، وجُندي بالملايين!
فلأبني وأصّةً عدلي، لا يُروّعها
كابوسُ فيتو، ولا الناتو بتجبين

١٠ - بشأن الأمل^(١)

[البسيط]

يا ليلة هُجِرتِ فِكرِي وأشجاني!
وأطْلَقْتُ بلبابِ الشعرِ الحاني!
هُبْتُ بها نَفْحَاتُ الخَيْرِ نَاشِرَةً
على الوجودِ جناحَ الرحمةِ الحاني
طارَتْ بِأَنفَاقِها الأرواحُ سابِحةً
إلى عَوَالِمَ تسمو فوقَ تَبْيَانِي
فيها أُخْلِقُ في أجْواءِ عالِيَةٍ
منها أُطِلُّ على الدُّنيا بِقُرْآنِي
أَهْدِي الحَيَاةَ أنيرَ الدربَ مُحْتَدِيًا
نَهْجَ الرُّسُولِ وما يُفْلِيهِ إيماني
لا لُجْمَ تُلْجِمُنِي، لا حُجْبَ تحجِبُنِي
لا قَيْدَ يَخْبِسُنِي، لا سَجْنَ تُغَيِّرُنِي
لا يَأْسَ يُقْعِدُنِي، لا شَوْكَ يُرْجِعُنِي
عَمَّا أَوْفَلَ مِنْ رُوحٍ وَرُخَّانِ

☆☆☆☆

يا ليلةً بالشَّذَى الفُواحِ عابِقةً
فيها انتَبَاشُ أحاسيسي ووجداني!

(١) من وحي الليلة الختامية للمخيم الشبابي الإسلامي الثاني، الذي أقامه اتحاد شباب تضاد الإسلامي، بأنجمينا، في رمضان ١٤١٤ هـ.

رَبُّنَا إِلَى الْقَلْبِ أَمَالاً مُذْهِبَةً
قَدْ نُؤَيِّتُ قَبْلُ فِي أَهَاتِ أَحْزَانِي
عَادَتْ تُفَرِّدُ بِالْقُرْآنِ فِتْنَتُنَا
تُحْكِي مِزَامِيرَ دَاوُدَ وَعِثْمَانَ
تَنْسَابُ آيَاتِهِ بِالْخَيْرِ دَافِقَةً
كَالْجَنُودِ الْعَذْبِ يَرْوِي كُلُّ ظِمْآنٍ

☆☆☆☆☆

يَا فَتْيَةَ الدِّينِ، يَا إِشْرَاقَةَ عَمْرَتِ
أَضْوَاءِهَا الْكَوْنُ مِنْ سَهْلٍ وَوَبِيَانٍ
يَا أَنْجُمًا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ لَامِعَةً
يَعِشُوا إِلَيْهَا افْتِدَاءً كُلُّ خَيْرَانٍ
هَذِي الْبِشَائِرُ قَدْ هَلَّتْ بِفَجْرِكُمْ
تَجْلُو الظُّلَامَ، وَتَمْحُو كُلَّ بَهْتَانٍ
وَالْمَجْدُ يَرْمَقُكُمْ؛ فَلْتَنْفِلُ رَايَتُكُمْ
فِي مَوَكِبِ بِالْهُدَى وَالْعِلْمِ مُزْدَانٍ

١١ - الضفدع المغرور^(١)

[الخفيف]

ضفدعٌ في مستنقعٍ عاش بهراً
بين لذائذِهِ يُوالِي النُّقِيقَا
عابثاً لاهياً، يُناغِي قَرِيرَا
لا يُعَانِي ضَنْكَا ولا تَضِييقَا
ذاقَ حَمَرَ الغُرُورِ يوماً، جرائدِ
مُ التَّعَالِي شَقَّتْ إِلَيْهِ الطَّرِيقَا
صاحَ في مَجْمَعِ الضَّفَادِعِ: «حَسْبِي
عِيشَةٌ عِفْتُ بِرْهَا والعُقُوقَا»
«كم أعاني الشقاء في هذه الحُقَا
رَّة: حيثُ الطَّمُوحُ يَبْقَى غَرِيقَا»
«كم تَجَرُّعْتُ غَصَّةً من جحودِ الـ
خَلْقِ طُرّاً مواهبي والحُقُوقَا!»
«أولم يُبْصِرُوا اقْتِدَارِي على القَفَا
نِ، كَأَنِّي أغزو الفضاءَ السَّحِيقَا؟!»
«أَو عَيْنِي، أَلَمْ تَكُنْ نُرَّةً تَجُـ
لُو الدِّجَاجِي، ولا تُضَافِي بِرِيقَا؟!»
«لَمْ خَلَقِي، فهل رَأُوا مِثْلَهُ في
عَالَمِ الفَنِّ والمَزَامِيرِ يُوقَا؟!»

(١) هي قصة ضفدع رأيته في الليل يخرج من بركة صغيرة بجانب الشارع العام، ويقفز في وسط الشارع بضع قفزات، ثم دهسته إحدى السيارات المارة، فتخيلت له هذه القصة، وذلك في خريف ١٩٩٦م.

«هكذا اللُّعْلُعُ خُلِقْتُ، فما لي
في أَحَطِّ القيعانِ اَرْضَى اللُّصُوقا؟»
خَفَلَقْتُ نَحْوَهُ الضَّفَادِعُ حِينًا
أُمِلْتُ مِنْ جُنُونِهِ أَنْ يَفِيَقَا
ثُمَّ شَقَّ السُّكُونُ صَوْتًا لِكُبْرًا
ها، تُؤَدِّي إِلَيْهِ نُحْمًا رَقِيقًا:
«يا أخِي، هذه الغشاوة غَطَّتْ
مِنْكَ عَيْنُنَا قَدْ مَلَّتِ التَّحْدِيقَا»
«هل تَرَى في الوجودِ غيرَكَ خلقًا
يسْكُنُ البَرِّ والمَجَارِي طَلِيقًا؟»
«يقطن النهرَ والمِياةَ، فإن غَا
ضَتْ، فَتَحَّتِ الثُّرى يَجُوبُ الشُّقُوقَا»
«يرفع الصُّوتُ كيف شاءَ، وصوتُ الـ
خَناسِ كَمْ ظِلُّ خَافِتًا مَخْنُوقَا»
«لَمْ يُقَدِّبْ بالسَّجْنِ يَوْمًا، وَلَمْ يُفْ
تَلْ بِحُكْمٍ بَيْنَ السُّورَى مَشْنُوقَا»
«مَنْ لَهُ كُلُّ ذَا سِوَاكَ؟ فَهَلْ ذَا الـ
عَيْشُ يَا غُرُّ تَشْتَكِي مِنْهُ ضَيْيقَا؟»
فَاسْتَشَاطَ المَغْرُورُ مُنْتَفِخًا الْأَوَّ
دَا، وَاللَّى زَفِيرَهُ وَالشُّهِيْقَا
قال: «حَسْبِي، إِنِّي عَزَمْتُ انْطِلَاقًا
أَبْتَغِي العَيْشَ بَارِزًا مَرْمُوقَا»

ثم شئى بِقَفْزَةٍ فَارَقَ الْإِخْفَ
—وَأَنَّ فِيهَا، مَضَى كَمَاءُ أُرَيْقَا!
لَمْ يَمِيزْ غَيْرَ أَنْزَعٍ، وَالتَّقَى فِيهِ
هِيَ بِسَيَّارَةٍ تَجُوبُ الطَّرِيقَا
تَحْتَ أَقْدَامِهَا تَمَسَّرُ أَشْجَلَا
ءٌ، وَأَضْحَى بَيْنَ الرُّخَى مَسْحُوقَا!!
هَكَذَا الْعُجْبُ وَالْمَطَامُعُ بِحَرٍّ
كُلُّ مَنْ غَاصَ فِيهِ يَقْضِي غَرِيقَا!

١٢ - هكذا الأُمجاد تُبنى^(١)

[الطويل]

إِكْلِيلُ مَجْدٍ فِي جَبِينٍ تَلَقَّا
وَيَنْزُرُ عَلَى الْأَفْقِ التَّشَادِيَّ أَشْرَقَا؟
نَعَمْ مِنْهُ مَنْ الْإِلَهُ بِهَا عَلَى
تَشَادٍ، وَكَمْ أَعْطَى الْإِلَهُ وَأَغْنَقَا!
حَبَاهَا إِمَامًا فِي الدِّينَانَةِ رَاسِخًا
طَمُوحًا إِلَى الْعِلْيَاءِ بِالْحَقِّ نَاطِقًا
فَنِينَا - إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ - بِزُرُوقِ
تَسَنُّمَتَهَا إِذْ خَابَ بَغْضٌ وَأَخْفَقَا
تَرْقِيَتِ لِلْعَلَنِيَا الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا
عَلَى سُلَّمِ التَّعْلِيمِ وَالسِّدَرِ مُرْتَقَى
فَلَيْسَتْ كُرْسِيَّ الْإِمَامَةِ حُلَّةُ
وَيُئِنْتَ نَهْجًا كَانَ مِنْ قَبْلُ مُغْلَقًا
وَيُذِدَّتْ وَهْمًا فِي الْعُقُولِ مُعَشَّشًا
وَحَطَمْتَ قَبِيضًا لِلْعِزَائِمِ مُوْثِقًا
انْمُتُّنَا ظَلُّنَا الْإِمَامَةَ غَايَةً
إِذَا نَالَهَا الْإِنْسَانُ نَامَ وَأَطْرَقَا
نَسُوا أَنْ هَذَا اللَّيْنُ يَخِيْمُهُ فَتَى
إِذَا هَجَّعَ الْأَقْسَامَ طَارَ وَخَلَقَا

(١) تهنئة لفضيلة الإمام الدكتور حميد حسن أبكر رئيس مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد على نياله شهادة الدكتوراه كتهبت بتاريخ ١١/٥/١٩٩٧م.

فَعَلَّمْتَهُم بِالْفَعْلِ نَزَّسَا كَفَاهُمْ
 بَرَّوْشَا طِبْوَالاً أَوْ كَلَامَا مُنْمَقَا
 فَكَنَتْ لَهُم كَالْبَحْرِ يَسْمُو إِلَى الذُّرَى
 فَيَرْجِعُ غِيثًا لِلْخَلَائِقِ مُغْفِقَا
 فَجُدَّ وَاشْتَقَى هَذَا الشَّعْبَ بِالْعِلْمِ؛ إِنَّهُ
 لَأَظْمَأُ شَقِيبٍ فِيهِ يُؤْجَرُ مَنْ سَقَى
 وَقُمْ وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ وَاكْشِفْ غَشَاوَهُ
 أَصَابَتْ عَيُونَنَا أَوْ عَمَى كَانَ مُطْبِقَا
 وَلَا تَخْشَ وَخَزَّ الشُّوكَ فِي الدِّينِ؛ إِنَّهُ
 يُرْجَعُ مِيزَانًا، وَيُضْفَى تَأْلُقَا
 وَمَنْ حَسَدَ الْحُسَادَ لِلْحَقِّ رَفْعَةً
 وَمَنْ سَاخَا الْهَيْجَا الْفَوَارِسُ تُنْتَقَى
 وَيَالنَّارَ يَصْفُو التَّبَرُّ، وَالْدَهْرُ نَاطِقُ
 بَيْنَ هَذَا الْأَمْجَادُ تُبْنَى وَتُرْتَقَى

١٣ - حنين^(١)

[الخفيف]

نَسَمَاتِ الْأَسْحَارِ، هُبِّي عَلَيَّ
وَانْفَجِحِيَنِي بِاللَّهِ عَطْرًا زَكِيًّا
وَامْنَحِي قَلْبِي الْمُعْنَى سَلَامًا
عَلَيْهِ مَا كُنْتُ بِجِسْمِي مُلِيًّا
فاحملي لي العبيرَ من أرضِ (أب)
شئ^(٢)، وحيِّي بها فؤادًا زَكِيًّا
وَالثُّمِّي بُزْعُمًا تَفْتَحُ فِيهَا
عَابِقًا يَنْشُرُ الشَّذَى الْعِطْرِيَّا
لَمْ أَمْتَنَّ بِشَمِّهِ؛ إِذْ رَمْتَنِي
عَنْهُ أَيْدِي الْقَضَا مَكَائًا قَصِيًّا؛
طِفْلَةً مِنْ نَيْمِي بَرَاهَا إِلَهِي
فَهْنِي فِي الْقَلْبِ وَالشَّرَايِينِ نَحِيًّا
وَلَيْدَتْ كَالْهَلَالِ بَعْدِي، وَلَمَّا
يَكْتَجِلْ نَاطِرِي بِذَاكَ الْحُيَّا
فَلَهَا الْفُ صُورَةٌ فِي خَيَالِي
تَقْبَازِي فِي الْحُسْنِ نَقْشًا وَوَشِيَّا
فَهْنِي تَبْدُو عُصْفُورَةٌ تَتَغَنَّى
بِالْأَنَاشِيدِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا

(١) تحية إلى المولودة الأولى / أمانة حسب الله التي وُلدت في ابشة يوم ١٩٩٧/٥/٢٢م أثناء وجودي في أنجمينا.
(٢) أبش: مدينة تضادية تقع ناحية الشرق من تضاد وتعرف باسم معينة العلماء وتشتهر بالتعليم الديني نظرًا لوجود معهد للأزهر الشريف وكبار علماء تضاد.

تملأ النفس بهجةً، وتعيد الـ
 عيش صفواً والبيتَ روضاً بهياً
 وفيّ في الصبحِ نسمةٌ تشرح الحُذ
 ر ابتهاجاً، وتبعث الميْت حياً
 من بعيدٍ أرزولها، وقُؤادي
 خافقٌ نحوها يريد الضُيّا
 من بعيدٍ أضئها باشتياقٍ
 لائماً وجنةً وخُداً طرئاً

☆☆☆☆

كم تلملتُ في الليالي وحيداً
 ساهراً أرقبُ السُها والثُرُيا
 شاخصاً في الدجى أناجي، كئني
 ناسكٌ يرتجى نداءً عليّاً
 قد عهدتُ الأطيافَ تسري إلى النُا
 ني، فما للطيفين ضناً عليّاً
 إن يكن ضنُّ نوٍ دلالٍ، فهل ذا
 ضلُّ في غُبره الأثيرِ إليّاً؟
 أو تهاوى ضعفاً؛ فلم يتخملُ
 رحلةَ اليدِ والسُرى العاطِفيّاً
 فاسلماً حيثُ كُنْتُما في جَمَى الرخـ
 مان، يكتُبُ لنا اجتماعاً هنياً

١٤ - في رياض العلم^(١)

[مجزوء السريع]

خَلِّقْ - فَوَادِي - أَوْ تَبَخَّخْزْ
فِي الْأَفْقِ أَوْ فِي أَرْضِ عِبْقَرْ
وَانْسُجْ أَكَالِيلاً تُخْلِي
هَامَاتِ ذَا الْجِيْشِ الْمُظْفَرْ
وَانْثَرْ عَلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ إِخْـ
سَاسِكَ يَا قَوْثَا وَجْهِي
وَارْتَدْ رِيَاضَا كَانَ فِيهَا
لِلْعِلْمِ يَنْبُوعُ تَفْجُرْ
حَيْثُ الرُّؤْيَى تَنْسَابُ فِي الْـ
وُجْهَانِ انْسِيَابَا لَا يُفَكَّرْ
حَيْثُ انْطَلَقُ الْفِكْرِ يَطْوِي
بِيدَا بِهَا يَوْمًا تَعْتَرِ
يَزْتَادُ أَفَاقَا رِخَابَا
تَنْتَلِي عَنْ التُّرْبِ الْمُفْعَرْ
فِي مَوَكِبِ ذَاكَ بَدِيعِ
تَرْفُوبِهِ الْحَنِيَا وَتَفْعَرْ

(١) بمناسبة التحاقه بجامعة الملك فيصل بأنجمينا عام ١٩٩٨م.

مِنْ فَوْقِهِ الْأَمْلَاجُ حَفَّتْ
 تَشْدِيدُ بَيْتِ سَيْبِجٍ مُعْطَنُ
 فِي وَاحِدَةٍ مَدَّتْ ظِلَالاً
 يَهْفُؤُا لَهَا رُكْبٌ تَحْيُزُ
 أَشْجَارُهَا الْخَضِرَاءُ تُسْقَى
 مِنْ سَلَسَبِيلٍ تُمُ كَوْثَرُ
 جَبْرِيلُ فِيهَا نَابٌ عَنْ مِي
 كَانِيَلُ فِي السَّقْفِ وَأَمْطَرُ
 وَالرُّسُلُ رُوَادُ رَعْوَهَا
 غَرَسَا وَتَشْدِيدُهَا لِيَتَخَضَّرُ
 حَتَّى اسْتَوَتْ تَهْتَرُ دَوَاهَا
 قَدَمَدُ اغْصَانَا وَأَثْمَرُ
 مَا ظَلَلْتُ يَوْمًا بِإِلَادَا
 إِلَّا غَلَّتْ بِالْخَيْرِ تَرْخُزُ
 فَاضْدَحْ - أَيَا قَلْبِي - وَغَرْدُ
 فَالْبُلُوحُ بِالْأَفْصَانِ انْضَرُ
 كُنْ بُلْبُلًا بِالْحَقِّ يَشْدُو
 يَسْمُو عَلَى نَائِي وَمَرْقَرُ
 أَذْ كُنْ مَعَ الْأَشْبَالِ شِبْلًا
 تَحْمِي غَرِينَا فِيهِ تَرَازُ

فاجْعَلْ مِنَ التَّغْلِيمِ نَابًا
 كُلُّ الْعِذَا نَابٌ وَمَنْسَرٌ
 لَا تَخْشَ شَوْكًا فِي طَرِيقِ
 فَالْوَرْدُ بِالْأَشْوَاكِ يُخَفِّرُ
 كُنْ نَخْلَةً فِي خَيْرِ سَرَبٍ
 يَجْنِي وَيُزْنِي، لَيْسَ يَفْتَرُ
 فَلَنَجْنِي عِلْمًا نَبِيْنِ مَجْدًا
 وَلَنَجْمِعِ الشُّفْلَ الْمُبَفْتَرُ
 وَلَنَزِقْ صِرْحَ الْعِلْمِ نَضْعَدُ
 جِسْرًا إِلَى الْعَلْيَا وَمَغْبِرُ
 فَوْقَ الْفَضَاءِ الرَّخْبِ نَعْلُو
 مُسْتَنْقَعًا لِلنُّودِ وَالنُّزُ
 نُفْلِي لَوَاءِ السِّدْنِ نُفْصِي
 أَوْفَاءَ عَقْلِ قَدْ تَحْجُرُ
 نَقْتَادُ لِمِينَاءِ جِيَالُ
 فِي لُجَّةِ الْأَفْوَاءِ ابْخَرُ
 حَتَّى نَرَى الْأَوْطَانَ يَنْمُو
 فِيهَا الْهُدَى، وَالْجَهْلُ يُنْخَرُ
 بِلِ أُمَّةِ الْإِنْسِلَامِ تُلْقِي
 أَخْرَانَهَا عَنْهَا، وَتُنْصَرُ

يَخِيَا صِلَاخُ الدِّينِ فِينَا
 أَوْ فَيَصِلُ مِنَّا سَيَظْهَرُ
 فِي عُرْسِ طُهْرٍ فِيهِ رُقُوتُ
 حُسُودٍ إِلَى الرُّكْبِ الْمُطَهَّرِ
 وَازْدَانَتْ الْأَرْضُ ابْتِهَاجًا
 تَخْتَالُ فِي النُّضُرِ الْمُؤَزَّزِ
 وَالْقَائِدُ الْمَيْمُونُ صَلَّى
 فِي الْقُنُسِ يَشْدُو: اللَّهُ أَكْبَرُ!

١٥ - بُشْرَاكِ يَا لُغَةَ الْقُرْآنِ^(١)

[البسيط]

يَا ضَاوِدُ، يَا لُغَةَ الْقُرْآنِ، بُشْرَاكِ
اللَّهُ بِدُّدَ غَيْمًا عَنْ مُكَيَّاكِ
اللَّهُ حَطَمَ قَيْدًا ظَنُّ ضَارِيَهُ
أَنْ الْعِزَّائِمَ تَخْبُو بَيْنَ أَسْلَاكِ
صَاغُوا الْقَيْوَدَ لِقَتْلِ الضَّارِ فَاَنْقَلَبَتْ
تَاَجَ افْتِخَارٍ بِهِ الرَّحْمَنُ حَلَاكِ
حَتَّى انْحَنَتْ هَامَةُ التَّارِيخِ حِينَ رَأَى
عِزُّ الصُّمُودِ فَحَيَانَا وَحَيَّاكِ
فَلْتَهْنِئِي بِالتَّنَامِ الشُّمْلِ فِي حَدِيثِ
دَاوُدَ تَلَقَّى فِي تَارِيخِكَ الزُّاكِ
بِالْأَمْسِ مُؤْتَمِرٌ وَالْيَوْمَ نَدَوْتُنَا
شَمْسٌ وَيَسْدُرُ أَضْيَاءُ كُلِّ بَنِيَاكِ
هَذِي الْكَوَاكِبُ مِنْ ابْنَانِكَ اجْتَمَعَتْ
فِي يَوْمٍ سَعِدَ فَرَاغَتْ عَنْكَ ظِلْمَاكِ
وَأَزْدَانُ عِقْدِكَ مَزْفُوءًا بِكَوْكَبَةِ
مِنْ الْأَشْفَاءِ فِي شَوْقٍ لِلْقِيَاكِ
خَاضُوا إِلَيْكَ عُجَبَابَ الْجَوْفِ فِي ثَقَةٍ
لَمْ يَخْنِهُمْ مَوْجُ إِرْجَافٍ وَإِرِيَاكِ

(١) بمناسبة انعقاد الندوة العلمية الدولية التي نظمتها جامعة الملك فيصل بتشاد بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية تحت عنوان: (اللغة العربية في تشاد: الواقع والمستقبل).

كَانَ فَيُصَلِّ^(١) مِنْ عَيْنٍ يُؤَجِّهُم
 نحو الطريق مُزِيلاً كُلَّ أَشْوَاكٍ
 أو أن رَابِحٍ أو عَبْدُ الْكَرِيمِ^(٢) بَدَا
 يَبْنِي الْحُصُونِ وَيُرِيدِي مَنْ تَخَذَاكِ
 هَا هُم بِضِفَةِ (شَارِي)^(٣) نَازِلُونَ، لَهُمْ
 مِنْكَ انْتِلَاقٌ كَشَهَبٍ فَوْقَ أَفْلَاكٍ
 فَاسْتَذَكَّرَ النَّهْرُ عَهْدًا كُنْتَ رَافِعَةً
 فِيهِ السَّلَاطَةَ بِلا نَدٍّ وَلَا حَاكِي
 وَحَقَّقْتَ مَقْلَةَ الْإِسَامِ خَارِقَةً
 حُجِبَ السَّنِينَ لَتَمَحُو رِيَبَ شُكَاكِ
 عَادَتْ تَبُثُّ مِنَ التَّارِيخِ مَلْحَمَةً
 تَحْكِي الْبَطُولَةَ مِنْ تَارِيخِ ابْنَاكِ
 إِذْ بَيْنَمَا كُنْتَ فِي الْأَحْزَانِ غَارِقَةً
 تَشْكِيْنَ جَرْحًا مِنَ الْأَعْمَاقِ أَدْمَاكِ
 حِينَ اسْتَبَاحَتْ جَمَى الْأَسَادِ شَرْنَمَةً
 مِنَ الذَّنَابِ عَوَتْ فِي رَوْضِ مَغْنَاكِ
 جَاءَتْ عَلَى غَفْلَةِ الْأَشْبَالِ غَازِيَةً
 ثُمَّ ارْتَفَعَتْ حِينَ لَا نَاطُورَ يَرَعَاكِ
 حَتَّى إِذَا حَسَبُوا الْأَقْدَارَ نَائِمَةً
 أَوْ أَنْ عَقَمْتَ أَوْ أَنَّ الْقَهَرَ أَرْدَاكِ

(١) فيصل: الملك فيصل بن عبدالعزيز طيب الله ثراه بنى في كل عاصمة افريقية مسجداً وفي تشاد بنى مسجداً ومدرسة وجامعة ومستشفى.

(٢) رابح وعبدالكريم: بطالان تشاديان قالوما المستعمر الفرنسي.

(٣) شاري: شهر تشادي يعتمد على الأمطار ويقع غرب تشاد قاطعاً للكاميرون.

لئى النداء قوياً نابضاً فحكى
 أمواج بحرك أو إعصار صحراك:
 «رسمية أنت» فالأعداء في فرج
 والشعب في فرج، والسعد وإفك
 «رسمية أنت» هذي شمسك انبثقت
 من أفق عزم لو كثر الظلم بكاك
 «رسمية أنت» في الدستور شامخة
 من أين نال قبول الشعب لولاك!
 سلي الكباكب والساطور^(١): هل قطعت
 عنك القلوب؟ وكلُّ الشعب يهواك!
 سلي الفرنك أو التوظيف هل صرّفا
 عنك العقول؟ وهل أغرى بإشراك؟
 كلا! اطمئنني؛ فإننا أمة سجدت
 لله ليس للامي^(٢) أو لشيراك^(٣)
 قرّئي؛ فأنت مع الإسلام في دما
 صنوان أرساه من في القلب أرساك
 كنت الحياة وكان الروح، هل عرفت
 يوماً حياة بلا روح بإدراك؟
 فلتمض قافلة التعريب يقيمها
 وحى، ويحرسها المولى بأملك

(١) الكباكب والساطور: ألتان حادثان استخدمهما المستعمر الفرنسي في منبحة الكباكب الشهيرة ١٩١٧ وراح ضحيتهما ٤٠٠ عالم تشادي.

(٢) لامي: هو قائد جيش الاحتلال الفرنسي الذي قتل في معركة كسرى التي استشهد فيها زعيم المقاومة الوطنية رابح، وأطلق المستعمرون اسمه على العاصمة التشادية «فورت لامي» التي غيرت بعد الاستقلال فأصبحت (انجمينا).

(٣) هو الرئيس الفرنسي (جاك شيراك).

ولتبقى فيصلُ للإبداع رائدُهُ
 للضاد حصنًا، وشمسًا دون إحلاك
 وليبقى قائدُها الماحي^(١) ليمحو ما
 حاك الغزاةُ بنخبِالٍ واشمِراك
 وليبقى شيخُي إمام المسلمين^(٢) به
 ربي يبدد دعوى كُلِّ أفاك
 وليبقى تركي^(٣) للامجاد ينظمها
 نَظْمَ اللَّائِي في عقدٍ وأسلاك
 من قاد رابطةَ الإسلام مُنتَهجًا
 حَزَمَ الإدارة في إخلاص نُسْأَك
 فليُبقه الله للإسلام مدخرًا
 ولْيُجزَ بالخير هذا للحفل الزاكي

(١) هو الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي، رئيس جامعة الملك فيصل بتشاد.

(٢) هو الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر، رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد.

(٣) هو الدكتور عبد الله بن تركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية.

١٦ - الحقيقة الخالدة^(١)

[البسيط]

رَبُّاهُ، دَوَامَةُ الْأَفْكَارِ مَا فَتَحَتْ
تَدْوُرُ بِي بَيْنَ إِضْلَالٍ وَإِيمَانٍ^(٢)
هَذَا كِتَابُكَ فِي نُزْجِي، وَقَدْ عَشَيْتُ
عَنْ نُصُورِهِ عَيْنِي الْعَمِيَا بَلَّوَانِ
كَمْ قُلْتُ: هَذَا شِعَاعُ سَوْفٍ يَأْخُذْنِي
إِلَى فُضَاءِ الْهُدَى مِنْ جُبِّ أَحْزَانِي!
ثُمَّ اصْطَبَمْتُ بِهِ صَخْرًا يُلَمِّعُهُ
لِلْفَيْنِ دَمْعُ هَمٍّ مِنْ عَيْنِ أَسْوَانِ!
وَكَمْ هَتَفْتُ: نَسِيمُ هَبْ يَبْقُوعُنِي
بِقَارِي بِي نَحْوَ مِينَاءِ وَشْطَانِ
ثُمَّ اسْتَحَالَ أَعَاصِيرًا تَقَانَفُنِي
مِنْ ذَا لِهَذَا، لِأَهْوِي نَحْوَ قِيَعَانِ
وَكَمْ تَرَاقَصْتُ: نَهْرُ طَابِ مَوْرِدُهُ
أُرْوِي بِهِ نَفْسِي الْعَطْشَى وَوَجْدَانِي

(١) بلبسان الشاب الحائر الذي ترك كتاب الله تعالى مهملاً في الأراج، وانطلق يبحث عن الحقيقة بين التيارات والأفكار المستوردة، وأخيراً يكتشف أن الحقيقة كلها تكمن في كتاب الله الذي تركه وراء ظهره.
(٢) العروس تلمع مجنون والضرب تلمع مقطوع.

فَعَادَ جِرَّةَ أَجَاثَا وَاخْتَفَى جُرَّةَ
وَعُدْتُ تُخْرِقُ أَحْشَائِي بَنِيرَانِ
فَرُخْتُ أَطْلُبُ كَشْفَ الْمُتَبَهِّمَاتِ لَدَى
مَعَالِمِ الْكَوْنِ؛ مِنْ شُهْبٍ وَخُلْجَانِ
لَقُلْنِي عِنْدَهَا أَحْظَى بِمَعْرِفَتِي
حَقِيقَةً لَمْ يَشُبْهَا أَيُّ بَطْلَانِ

☆☆☆☆

فَصَافَحْتَنِي خِيُوطُ الشَّمْسِ سَاطِعَةً
بِالتَّبَرِّ تَضْيِغُ ثَوْبَ الْعَالَمِ الشَّاكِي
حَيْثُ فَاحِثٌ رُفَاتِ الْكَوْنِ فَانْطَلَقْتُ
أَسْلَاوَهُ تَلْتَقِي، وَرْدٌ بِأَشْوَاكِ
فَصِخْتُ: يَا شَمْسُ، يَا أُمَّ الْخَالِقِ، بَلْ
أَنْتِ الْحَقِيقَةُ؛ كُلُّ ثَمَتٍ عَلَيْكِ
مُنِّي عَلَيَّ بِنُورٍ يَسْتَضِيهِ بِهِ
قَلْبِي؛ فَإِنِّي أَعْمَى الْقَلْبِ لَوَلَاكِ
فَاطَلَقْتُ زَفْرَةَ الْمَصْدُورِ وَانْطَلَقْتُ
تَحْكِي أَسَاها بِنَقَمِ الْمُشْفِقِ الْبَاكِ
قَالَتْ: غَلَا النَّاسُ فِي قِنْدَرِي وَمَا عَلِمُوا
أَنِّي حَصَاةٌ طَلَعَتْ فِي بَخْرِ أَفْلاكِ
قَدْ أَجْجُوا فِي نَارِ الْإِثْمِ؛ إِذْ قَنَفُوا
بِي - فَتَنَةٌ بِي - فِي أَتُونِ إِشْرَاكِ

كم أهية لي تذيب الصخرَ أُطْلِقُهَا؛
إذ دُئِسوا صفحتي في العالم الزاكي!
لكُنْني ليس لي ما أستطيعُ بِهِ
تدبيرَ إشراقَةٍ أو حَبْكَ إِحْلاكِ
فاختر لنفسك - يا إنسانُ - منهجها
إن الحقيقة لم تخضع لإبراهيمي

١٧ - وقفة على آثار وارا^(١)

[البسيط]

غُضُّوا العيونَ: فهذا موطنُ الأبِ!
هذا الجلالُ الذي لم يُطَوِّ بالحُقُبِ
هذا الشُّموخُ الذي لم يَحْنِ هامَتُهُ
عصفُ الأعاصيرِ في جُصْبٍ وفي جَنِبِ
هنا مقامُ الفتى عبدِ الكريمِ^(٢) الذي
يَفْضِلُهُ الدِّينُ أَوْفَى بعد مُنْقَلَبِ
مَنْ قامَ في هِئَةٍ عَزَّتْ مِثْلُتُهَا
يَدْعُو إلى اللهِ في إقدامِ مُحْتَسِبِ
يصيح: «يا قومُ لا تَحْكُم عواطفُكم
على العقولِ؛ فما في الحقِّ من رَيْبِ»
«الحَقُّ أبْلَجُ، والبُهْتَانُ في ظُلَمِ
والحقُّ يعلو، وعُزُّ المَئِينِ كالحَبَبِ»
«أَنسَارُ خَالِقِكُمْ لِلْعَيْنِ بَابِيَّةُ
بِكُلِّ رُكْنٍ بهذا الكونِ مُزْتَقِبِ»
هناك البائِهم عَادَتْ لِفِطْرَتِهَا
وَأَيَّقَنُوا أَنَّهُمْ في مَسْئَلِكِ عَطِبِ
رَأَوْا تَقَالِيَتَهُمْ مِنْ مُجْهَرٍ فَبَدَتْ
فِيهَا الْجَرَاثِيمُ تحبُّ في حَشَا رَطِبِ

(١) (من وحي رحلة قمت بها إلى وارا - العاصمة القديمة لمملكة وادي - بتاريخ ١٩٩٢/٢/٣٣م)

(٢) عبد الكريم: قائد تشادي قاوم ومن معه من الأبطال المستعمر الفرنسي حتى تم استقلال تشاد.

قالوا: «أَتَبْنَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَانْحُ بِنَا
نَهْجَ الْهَدَايَةِ وَالتَّعْلِيمِ بِالْكِتَابِ»
فَسَاسَهُمْ بِقَوَانِينٍ قَدْ ائْتَضَحَتْ
لَمْ تَغْلُهَا مَسْحَةُ التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبِ
وَاعْقَبَتْهُ سُلَاطِينٌ قَدْ ائْتَهَجُوا
هُدَاهُ، وَاسْتَبَقُوا لِلْمَجْدِ وَالْقُرْبِ
وَالْيَوْمِ سَاحَاتُهُمْ مِنْ بَعْدِ هَيْبَتِهَا
يُنْثَرُ فِيهَا غُبَارُ الثُّعْلَبِ الطُّرِبِ
وَالْقَصْرِ بَعْدَ اخْتِشَادٍ صَارَ مَنْفَرْدًا
كَرَائِدٍ هَابِطٍ فِي كَوْكَبٍ خَرِبِ

اطْلَالٌ وَاراء، أَجِيبِي، خُبْرِي مَلَأُ
أَخْرَسَتْهُمْ هَيْبَةً عَنْ كُلِّ مُخْتَلِبِ
صِفِي لَنَا كَيْفَ كَانَ الْمُلْكُ مَزْهَرًا
لَسَاجِكِ الرَّحْبِ يَعْمُوشُ طَالِبُ الثُّشْبِ
صِفِي لِمَا مَجَلَسَ السُّلْطَانُ مُجْتَمِعًا
بِشَفِيهِ مِثْلُ ابْنَاءِ بَحْجَرِ ابِ
صِفِي الْجَنُودَ إِذَا رِيَعَتْ مَوَاطِنُهُمْ
هَاجُوا كَبْحَرٍ مِنَ الْأَمْوَاجِ مُضْطَرِبِ
صِفِي انْبِعَاطَ الْهُدَى كَالْكَهْرِيَاءِ بِهِ
رَأَى الطَّرِيقَ أَنْاسٌ فِي عَمَى الْحُجُبِ

أَلَمْ تَكُونِي مَنَارًا سَاطِعًا زَمْنَا
يَمْدُ إِفْرِيقِيَا بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ؟

قولني لنا: ما مَدَى أَفْكَارٍ مِّنْ حَكَمُوا
 هَٰذَا الْبَلَاءَ قُبَيْلَ الْغُرُوبِ وَالْقَلْبِ!
 بني تشاد، خَفَضْتُمْ قَدْرَ مَنْ صَنَعُوا
 تَارِيخَكُمْ، فَقَدْ أَوْفَى الرُّؤْيَى!
 مَا قِيعَةُ الْعَاقِلِ الْوَاعِي بِمَا أَثَرِ
 بِهِ يُخَلِّدُ ذِكْرُ الْأَضْلَ لِلْعَقِيبِ!
 لَا فَرْقَ بَيْنَ قَطِيعٍ ضَلَّ مَسْوِرُهُ
 وَأُمَمَةٍ فِي السَّوَى مَجْهُولَةِ النِّسَبِ!
 عَرَفْتُمْ قِيَمَةَ الْأَثَارِ إِذَا بَعْدَتْ
 وَأُفْهِمْتِ إِذَا بَدَتْ مِنْكُمْ عَلَى كَثْبِ!
 مَا نَجَّيْتَنِي مِنْ تَرَاثِ الْغَيْرِ إِنْ بَقِيَتْ
 أَثَارُنَا كُطَامٍ فِي الْخَلَا الرَّحِيبِ
 إِنْ لَمْ نَصْنَعْهَا طَوَى النِّسْيَانُ صَفْحَهَا
 بِقَدِّ لَقَيْنَ: مَسِيلِ الْغَيْثِ وَالنُّهْبِ!
 فَالَسِيلُ يُضْرِبُ فِي تَضْمِيمٍ مُنْتَقِمٍ
 جُنْرَانَهَا جَارِقًا مَا هَدَفَ فِي دَابِ
 وَالزَّائِرُونَ إِذَا الْإِعْجَابُ غَالَبَهُمْ
 مَنُوءُوا الْأَيْدِي لِالْأَثَارِ، لِلْسَّلْبِ!

١٨ - دمعۃ وفاء^(١)

[الوافر]

(أيديري المسلمون بمن أصيبوا)
إذن، كثر البكاء، وعلا النحيب
أصيبوا بالذي شُمُّ الرُّؤاسي
نَكَادُ لِهَؤُلٍ وَقَعَتْهُ تَذُوبُ
تَفَيَّبَ عَنْ سَمَاءِ الْعِلْمِ بَدْرُ
أَضَاءَاتٍ مِنْ سَنَاهُ لَنَا قُلُوبُ
تُوقِّي شَيْخُنَا، وَالْمَوْتُ حَقُّ
كَذَاكَ الشَّمْسُ يُذَرِّكُهَا الْمَغِيبُ
مَضَى إِذْ نَحْنُ فِي ظَمَأٍ، قَطُوبِي
لَمِنْ بِحَايَاتِهِ مُنْبِجِ الذُّنُوبِ
أَشِيخِي، هَكَذَا تَأْتِي النِّهَايَا
وَمَا لُخْلَفٍ مِنْهَا فُرُوبَا
لَطَمْنَا عِنْدَ مَوْتِكَ لَا عِنَادَا
وَلَكِنْ صَنِحَةُ النَّاعِي تَشِيْبُ
زَهَبَتْ إِلَى الْعِلَاجِ وَمَا عَلِمْنَا
بِأَنَّكَ مِنْ نَهَابِكَ لَا تَسُوبُ

(١) في رثاء معلّمي وشيخي في القرآن الكريم / القولي صالح جامع القيت في أول حفل يقام بعد وفاته لتخريج دفعة من تلميذاته اللائي حفظن القرآن على يديه بتاريخ ١٣/٢/١٩٩٧م.

نَهَبْتَ إِلَى الْعِلَاجِ، فَكَانَ قَبْرًا
 وَإِنْ حَكَمَ الْقَضَا عَجَزَ الطَّبِيبُ
 بِكَتْكُ مَسَاجِدُ، وَيَكْتُكَ دُورُ
 وَصَاحَ عَلَيْكَ شُبَّانُ وَشَيْبُ
 لِأَجْلِكَ عَمَّ (إِبْشَى) جِدَادُ
 وَفِي الْجَنَاتِ أَفْرَاحُ وَطَيْبُ
 فَتَمَّ فِي الْخُلْدِ؛ قَدْ مَضَتْ اللَّيَالِي
 وَأَنْتَ لِأَجْلِنَا يَقِظُ دُؤُوبُ
 حَيَاتُكَ كُلُّهَا كَانَتْ عُلُومًا
 تُنَرِّسُهَا، وَإِفْتَاءُ تَجِيبُ
 وَفَبِتَ لِخِزْمَةِ الْقِرَانِ عُمرًا
 طَوِيلًا، هَكَذَا يَهْبُ اللَّبِيبُ
 وَمَنْ جَعَلَ الْكِتَابَ لَهُ سَفِينًا
 إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ هُوَ الْمُصِيبُ
 هُوَ الْمَصْبَاحُ فِي ظُلَمِ النِّيَاجِي
 هُوَ الْمُنْجِي إِذَا هَجَمَتْ خَطُوبُ
 هُوَ الْبَحْرُ الْحَيْطُ بِكُلِّ عِلْمٍ
 يَفِيضُ هَدًى، وَلَيْسَ لَهُ نَضُوبُ
 هُوَ الْحَسْتَوُ مِنْ رَبِّ الْبَرَايَا
 وَكَمْ بِهِدَاهُ قَدْ سَعِدَتْ قُلُوبُ
 هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ؛ فَلَوْ قَفَّوْنَا
 سَنَاهُ لَمَّا اسْتَضَاقَ بِنَا الرُّحِيْبُ
 حَوَى أَخْبَارَ مَنْ سَبَقُوا وَمَاتُوا
 وَأَنْبَأَنَا بِمَا عَنَّا يَغِيْبُ

شبابَ تشادَ، هذا النهجُ فامشوا
 عليه كما مشى الشيخُ الأريبُ
 ولا تستضعفُوا سَهْرًا وكَذًا
 فليس يضير ذا أملٍ لُغُوبُ
 وَمَنْ غَرَسَ البَنُورَ جَنَى ثَمَارًا
 وَمَنْ غَرَسَ الْمُنَى قَلْبَ الشُّحُوبِ
 وليس العِلْمُ فرضًا في فَرِيْقِ
 وَلَكِنْ كُلُّنَا شَمَلُ الْوَجُوبِ
 كِتَابُ اللَّهِ يَدْعُونَا لَجَدًّا
 وَنَحْنُ سَبِيلُنَا الْأَمَلُ الْكَذُوبِ
 وهذا العَصْرُ ليس بِهِ مَجَالُ
 لذي جَهْلٍ، وليس به حَبِيبُ
 فهُيَا نَقْتَدِي بِمَسِيرِ شَيْخِ
 لَهُ إِذَا نَامَ أَقْوَامٌ وَكُوبُ
 تَخْرُجُ عَنْهُ شُبَّانٌ دُعَاءُكُمْ:
 لَهُ الْجَنَاتُ وَالْمَرْغَى الْخَصِيبُ
 عَلَيْهِ سَحَابُ الرِّضْوَانِ تَغْدُو
 وَمِيزَابُ مِنَ الذَّمِّ سَكُوبُ

١٩ - إلى شباب تشاد^(١)

[الوافر]

شباب تشاد، هَيَّا للمعالي
وَجُودُوا مُخْلِصِينَ بِلا كَلالٍ
وغوصوا البحرَ في طَلَبِ اللّالي
(فمن طلب العلا سهر الليالي)
تشادُ تريدُ مِنّا أَنْ نَكُونَا
حُمَماً لَنْ نَخَافَ وَلَنْ نَلِينَا
هُدَاةً نَنْطِقُ الحَقَّ المُبينَا
نُشِيدُ المَجْدَ فوقَ نُزَى الجبالِ
فَهَيَّا نَحْمِيدانِ العلومِ
فَنأخُذْ مِنْ جَدِيدٍ أَوْ قَدِيمِ
لَنَجْلُو ظُلْمَةَ اللّيلِ البَهِيمِ
وَنَنقُضَ كُلَّ فِكْرٍ للضُّلالِ
فإنَّ العِلْمَ في الدُّنيا سِلاحُ
إذا هَمَّ العِدَاةُ بنا وصاحوا

(١) بمناسبة افتتاح فرع لاتحاد شباب تشاد الإسلامي بمدينة أبشّة بتاريخ ١٩٩١/١٢/٩م وهذه هي أول قصيدة لي ألفتها هي احتفال أو مناسبة عامة.

نُصُونُ بِهِ غَرِينًا لَا يُبَاحُ
بِهِ تَرْقَى إِلَى أَوْجِ الْكَمَالِ
مَنْ الْقَاضِي بِشَرْعِ اللَّهِ فِينَا؟
يُعِيدُ الْحَقَّ لِلْمُسْتَخْضَعِينَ
وَيَرْدَعُ بِالْحُدُودِ الْمُجْرِمِينَ
وَيُخَيِّ ذِكْرَ فَارُوقٍ بِبَالٍ؟
مَنْ الْمُفْتِي لِحَلِّ الْمَعْضِلَاتِ؟
يُبَيِّنُ فِي الْقَضَايَا الْمَشْكِلَاتِ
وَمَا رَأَى الشَّرِيعَةَ فِي الْحَيَاةِ
وَهَلْ ذَا فِي الْحَرَامِ أَوْ الْحَلَالِ؟
مَنْ الطَّبُّ الَّذِي يَأْتِي يُدَاوِي
إِذَا الْأَدْوَاءُ هَاجَتْ (بِالْبَلَاوِي)؟
يُضَمَّدُ جُزْخَ مَنْ لَقِبِرِهَا
بِالْأَلَامِ، بِالنُّكَاثِ، طَوَالِ؟
نَرِيدُ مَهْنِدًا يَبْزِي الْقَبَابَا
يُشِيدُ مَنَازِلَ تَسْمُو السَّحَابَا
فَإِنْ بِلَانَا كَانَتْ رِجَابَا
تُؤَمِّلُ عَنْزَ ابْنَاءِ رِجَالِ
فَهَذِي بَعْضُ أَنْوَاعِ السَّبَاقِ
لِمَنْ رَامَ التَّنَافُسَ، يَا رِفَاقِي

فَقَدْ فُتِحَ الْجَالُ لِكُلِّ رَاقٍ
فَإِنْ تَفَرَّقُوا الْأَمْوَاءُ غُولُ
علينا - معشر الشُّبَّانِ - حَتْمٌ
اعيدوا ما مَضَى مِنْ حُسْنِ حَالِي،
فَإِنْ تَشَاءَ صَاحِبُ: «أَنْ هَلُمُّوا
وَنُورُ الْعِلْمِ يُشْرِقُ مِنْ بَنَانِي،
«إِذَا الْإِسْلَامُ يَخْفُقُ فِي سَمَائِي
فَلَا حَسْرَتٍ، وَلَا قَتْلُ الْأَمْوَالِي،
«وَابْنَانِي جَمِيعًا فِي وَلَاتِي
بِحَقِّ لَيْسَ بُهْتَانًا وَبِذَعَا
سَنَفْخِرُ عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ جَمْعًا
وَلَمْ تُسَلِّمْ بِغَيْرِ أَوْ قِتَالٍ
بِأَنَّكَ دَخَلْنَا الدِّينَ طَوْعًا
وَلَمْ نَقْبَلْ بِذُلٍّ فِي الْحَيَاةِ
وَقَفْنَا خِذًّا أَطْمَاعِ الْغُرَاةِ
فَلِلْأَوْطَانِ يَرْخُصُ كُلُّ غَالٍ
وَجُنُنَا بِالنَّفُوسِ الْغَالِيَةِ
وَلَمْ يَنْقَعُوا لِخُلُوقِ سُجُودٍ
وَاجِدَادٍ لَنَا كَرِهُوا الْقَيْودَ
شِعَارُهُمْ: «أَمُوتْ وَلَا أَبَالِي،

إِذَا مَا اسْتَفْضَبُوا لِبَسَا الْحَبِيدَا
 جَمِيعًا بِالسَّلَاحِ نَزَبُوا عَنْهَا
 فَلَسْنَا مِنْهُمْ إِنْ لَمْ نَحْضَنْهَا
 فَمَا رَضِيَ النَقِیصَةَ ذُو كَمَالِ
 وَلَا نَرْضَى انْتِقَاصَ الشُّبْرِ مِنْهَا
 لِإِنِّهَا ضَرْبٌ بِهٍ يُشْفَى الْغَلِيلُ
 وَمَا فِي غَيْرِ وَجَدْنَا سَبِيلُ
 بِهٍ الْأَوْطَانُ تُنْقَى بِالْهَزَالِ

٢٠ - حديث البدور^(١)

[الوافر]

أيا بدراً بِجَوْفِ اللَّيْلِ أَقْبَلَ
لِدَارٍ مِنْ مَنَافِئِهَا تَسْأَلُ
تَخْطِي عَالَمَ الْأَفْلاكِ يَسْقَى
كَمَلِكٍ مِنْ أَرْكَتِهِ تَرْجُلُ
أَتَدْرِي مَا جَنَنْتَ عَلَى مُعْنَى
مَشُوقٍ، قَلْبُهُ فِي حَرٍّ مِنْ جُلٍّ؟
هَجَنْتَ عَلَيْهِ وَفَوَّ عَلَى انْفِرَادٍ
يُقَلِّبُ فِي السَّمَاءِ طَرْفًا مُبْلَلُ
فَهَبْ مُهْزُولًا لِلِقَاكَ، ثَا
تَخِيلُ فِيكَ بَدْرًا عَنْهُ يَسْأَلُ
رَأَى نُورًا تَنْزِلَ مِنْ عُلوِّ
فَظَنُّ شَقِيقَةَ الْمَفْقُودِ أَقْبَلَ
فَتَى ضَاقتْ بِهَمَّتِهِ الْأَرْضِي
فَطَارَ إِلَى الْفَضَاءِ يَشُقُّ مَنْخَلُ
فَلَمْ نَسْمَعْ لَهُ خَبْرًا، أَغَارَتْ
عَلَيْهِ الشُّهُبُ؟ أَمْ فِي الْجَوْ قَدْ ضَلَّ؟

(١) سافر شقيقى الأكبر «محمد الأمين» إلى الجماهيرية الليبية للدراسة فيها عام ١٩٩٨، أيام الحصار المضروب عليها، وكان عليه الطواف عبر عدة دول حتى يصل إلى ليبيا، وانقطعت أخباره أثناء طوافه ذلك، فلم نجد عنه أية أخبار؛ مما أثار مشاعري وكتبت عنه قصيدة طويلة، ضاع بعضها بين أوراقى، وهذا جزؤها الأول.

أسائل كُلَّ طَيرٍ... كُلُّ نَجْمٍ
 وأسأل كُلَّ رِيحٍ هَبٍّ: هل.. هل..
 فقد هيَّجَتْ يا بَنَ الشَّهَبِ حُرْنِي
 نَكَتَ عَلَيَّ جُرْحًا لَيْسَ يُدَمِّنُ
 وَأَنْتَ خَلِيٌّ بِأَلِّ لَسَمِ تَفَارِقُ
 حَبِيبًا، أَوْ تَكُنْ يَوْمًا بِمُنْكَلٍ
 فَذَا بِنْتُ مِنْ أَشْعَثِهِ بِمَوْعٍ
 عَلَى الْخَدِّ الْأَسِيلِ بِهَا تَخْضُلُ
 وَغَارَتْ عَيْنُهُ حُرْنًا؛ فَكَانَتْ
 شَقِيقًا خَالَهَا الرُّوَادُ جَذُولُ
 وَاجْهَشَ قَائِلًا: «يَا صَاحِ، حَسْبِي
 حَنَانُكَ! ابْقِ لِي لِلْعُذْرِ مَحْمَلُ!
 بِقَلْبِي مَا بِقَلْبِكَ، بَنِيذَ أَنْسِي
 رَأَيْتُ الصُّبْرَ عِنْدَ اللَّهِ أَجْمَلُ

٢١ - العربية لغتنا

[البسيط]

تشاد، بُشراك! إن الشَّمْلَ مُلْتَنِمٌ
ابناؤك اجتمعوا، والودُ ضَمُّهُمْ
صاحوا بأجمعهم: لا للحروب، ولا
للظُّلم، إنا بحبلِ الله نَعْتَصِمُ
بلاننا أوهنت بالحرب؛ إذ تُرِكَتْ
تعيثُ فيها عُقُودًا بالرُّدى الوَغْمُ
كُنتَ معالِنا، فُدتَ ثِقافتُنا
هزنا حديثًا، وقيلتْ حولنا التُّهْمُ
واليومَ عادتْ لنا الأبوابُ، وأُضْضَحَتْ
لنا الطريق، وزالَ العِيَّ والصُّمُ
فلنُسْتَعِذْ هِمَّةً نَبْنِي البلادَ بِهَا
بالعلمِ والعزمِ يُبْنَى الشامخُ العلمُ
نُريئُها حُرَّةً عَظَمَى، دعائُها
العَدْلُ، والأمنُ، والقانونُ، والقَلَمُ
سمحاء تزخرُ بالأخلاقِ فيثيئُها
(فإنما الأممُ الأخلاقُ) والقِيمُ
تَلْقَى الدُّخِيلَ بِعَيْنِي مجهرٍ فُطِنَ
إن الدخيلَ على الأوطانِ مُتَّهَمُ

يا إخوتنا! دعوة الإخلاص أبسطها
لَكُمْ، وكُلُّكُمْ لِلْحَقِّ مُفْتَنِينَ:
هَلَّا سَأَلْتُمْ بِهِمْ بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ:
انْخَرْنَا بِالضَّادِ أَمْ بِالغَيْرِ نَتَّسِمُ؟
مَا الضَّادُ جِنْسٌ وَلَا أَرْضٌ يَحْدُّ لَهَا
وَأِنَّمَا هِيَ لَفْظٌ وَاسِعٌ عَمُّهُ
مَنْ قَالَهَا عُدَّ مِنْ أَغْصَانِ دُوحَتِهَا
نَمَاهُ زَنْجٌ أَمْ الْيُونَانُ وَالْعَجَمُ
أَمْ ضِمُّهُ الْبَحْرُ أَمْ فِي الْبِرِّ مَسْكُنُهُ
أَمْ كَانَ بِالْقُطْبِ يَفْرِي الدُّبُّ يَلْتَهُمُ
سَلْمَانٌ صَارَ بِهَا قُحَّا، لَهُ نَسَبٌ
لِلْبَيْتِ، تَنَهَّلَ مِنْ أَقْوَالِهِ الْأَمُّ
وَابْنُ الْمُقَفِّعِ أَمْسَى مِنْ أُنْمُوتِهَا
مَا قِيلَ: «تَبْرَأُ مِنْكَ الْعُرْبُ» إِذْ هَجَمُوا
لَكُنَّا نَخْلُقُ الْأَعْذَارَ فِي زَمَنِ
لَا عَذْرَ فِيهِ لِمَنْ نَامُوا وَمَنْ حَلَمُوا

٢٢ - كفالة اليتيم^(١)

[الكامل]

قال الصغيرُ وبمئةٍ مِئْرًا:
أُمَاهُ، أشعر أنسي أنهارُ
أُمَاهُ، هذا الجوعُ مَرَّقَ باطني
وسرَّتْ بأحشائي وقلبي النارُ
الماءُ اشْرِيئُهُ؛ لِيبردَ عُلتِي
فَكُنْما تَبْرِيدُهُ إسْعَارُ
لي ليلتانِ ألوكَ بغضَ «بَلِيلَةٍ»
قد خالطتْ حَبَاتِهَا الأحجارُ
لا طَعَمَ فيها، غيرَ أنْ لِرِجِها
نَتْنًا، وشابَ مَذَاقُها إمْرارُ
ها همَ رفاقي في الطريقِ تَوَائِبُوا
في خِفَّةٍ، فَكُنْهُمْ أَطْيَارُ
للعيدِ قَد لَيْسُوا الجَدِيدَ وَهَلُّوا
بثيابِهِمْ تَنَلُّالُ الأَنْسَوَارُ
في كَفِّ كُلِّ كَعَكَةٍ أَوْ لُغْبَةٍ
يلهو بها، أو عنده مِزْمَارُ

(١) كتبت هذه القصيدة تعبيراً عن مشاعر الفرحة والسرور التي أجدها في وجوه الأيتام وأمهاتهم، عند وصول مبالغ الكفالات التي تأتي إليهم، من الجهات الخيرية، وعلى رأسها بيت الزكاة الكويتي، عبر إدارة الأيتام بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد وأقسم رعاية الأيتام بالجمعية الخيرية للتنمية الثقافية والاجتماعية، اللتين أعمل فيهما، وهي:

وحدي بقيت أنا أُجْرُعُ غَصَّةً
في غَصَّةٍ، وبِعَيْنِي اسْتَفْبَارُ
أُمَاهُ، أين أبي؟ فما حَلْتُ بِنَا
إِذْ كَانَ يَغْمُرُ بَيْتَنَا اضْرَارُ
أُمَاهُ، أين أبي؟ فما عَادَتْ لَنَا
مُنْذُ غَابَ مَنَزِلَةُ وَلَا إِكْبَارُ
أُمَاهُ، أين أبي؟ وأين حَنَانُهُ؟
قَدْ كَانَ نَهْرًا دُونَهُ الْآنَهَارُ
لَا زِلْتُ أَذْكَرُ كَمْ حُبُّوتُ لِحَبْرِهِ
فَتَلَقَّيْتَنِي يَدَاهُ وَالْأَبْصَارُ
لَا زِلْتُ أَذْكَرُ كَيْفَ اضْحَى مَرْكَبًا
لِي صَدْرُهُ، وبِوَجْهِهِ اسْتَبْشَارُ
كَمْ دَغْنَعْتُ خَدِّي يَدَاهُ وَمِلْؤُهَا
حُبٌّ وَعَطْفٌ غَامِرٌ فَوَارُ
وَكُنْتُ فِي رَاسِي نُعُومَةٌ كَفَّهَ
لَمْ تَمُخْهَا إِلَّا يَامُ وَالْأَغْصَارُ
أُمَاهُ، قُولِي أَيْنَ سَارَ؟ فَإِنِّي
مَاضٍ إِلَيْهِ؛ فَقَدْ جَفْتَنِي الدَّارُ!
فَتَلَجَلَجْتُ أُمُّ الصَّبِيِّ وَاجْهَشْتُ
تَبْكِي وَتَنْشُجُ؛ هَاجَهَا التَّنْكَارُ
ضَمْنُهُ لِلصَّدْرِ الضَّعِيفِ وَقَلْبُهَا
فِي لَوْعَةٍ، وَدَمُوعُهَا أَنْهَارُ

قَالَتْ تُهَنِّئُهُ - وفيها حاجة
 لِهُدًى لَوْ أَنَّهَا تَخْتَارُ - :
 يَا ابْنِي أَبُوكَ مَعَ النُّجُومِ مَخْلُقٌ
 يَرُنُّو إِلَيْكَ وَكُلُّهُ انْظَارُ
 فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ يَسْكُنُ مَنْزِلًا
 تَشْدُو بِهِ وَتُرْفَرِفُ الْأَطْيَارُ
 مَخْضَرَّةً أَشْجَارُهُ، بَقَاةُ
 أَنْهَارُهُ، سُكَّانُهُ أَطْهَارُ
 لَا الْغِلَّ يَنْفُتُ فِي الْقُلُوبِ سَمَوَةٌ
 لَا فِي الْيَنِينِ يُعَشِّشُ الْإِقْتَارُ
 فَاصْبِرْ، تَعَلَّلْ بِالرَّجِيلِ؛ فَمَا لَنَا
 فِي الْأَرْضِ تَوَطُّيْنٌ وَلَا اسْتِفْرَارُ
 عَمَّا قَرِيبٍ نَلْتَقِي بِأَبِيكَ فِي
 أَنْفِقِ بِهَيْجٍ كُلُّهُ أَنْوَارُ
 كَيْفَ الْبِقَاءِ بِعَالَمٍ قَدْ خُجِّرَتْ
 فِيهِ الْقُلُوبُ وَضَلَّتِ الْإِبْصَارُ؟
 الْأَغْنِيَا فِي تَخْمَةٍ وَالْجَوْعُ فِي الْاَلْ
 أَيَّتَامٍ، فِي أَحْشَائِهِمْ نَحَارُ
 هَلْ نَجْتَدِي أَمْ نَكْتَوِي بِجَرِيمَةٍ؟
 كَلَّا! فَمِنْ ذَا تَلْتَفُّ الْأَحْبَارُ
 لَلَّهْ نَشْكُو مَا نَعَانِي؛ إِنَّهُ
 بَرُّ رَجِيمٍ قَضَلَهُ مِزْدَارُ

ماذا سمعت ابني؟ كأنّ ببابنا
 طرُفًا؟ نعم! فلْيَنخُلِ الزُّوَارُ!
 ما كان هذا الطارق الآتي سوى
 وفدًا به قد أرسل الأخيارُ
 رَفَ السَّلامِ وَبَثَّ في طِيَّاتِهِ
 بُشْرَى بِأن قد زالتِ الأكدارُ
 إني رسولُ المجلس الأعلى الذي
 مِن عِنْدِهِ تَسْرُكُمُ أخبارُ
 إن كان عائلكم قضى حُجُبًا ففي
 ذا المجلس الأعلى لَكُمْ انحصارُ
 ما زال ينمي للكرام شجونُكُمْ
 حَتَّى استجابَتْ فتيةُ أبرارُ
 مِن قائمي بيتِ الزَّكاةِ فإنَّهُم
 قومٌ على دربِ الهدى قد ساروا
 من أسيا يَسْقُونَ في إفريقيا
 قومًا ظمأءَ نالَهُم إغسارُ
 مَدُّوا على هذا اليتيمِ ظلالَهُم
 من بِرِّهِمْ يَلْتَمِي لَهُ مِقْدَارُ
 فترقرقت عينُ الصُّبْيِ، وأمه
 شَدَّتْ بأضلِّ لسانِها الأوتارُ
 ثم التفت غينا فما في لحةٍ
 عَجَلَى، ولكن دونها الأعمارُ

مَدًّا يَطْزِفُ لِلسَّمَاءِ وَتَمْتَمًا
 فِي دَعْوَةٍ مَا بَوَّهَ اسْتِئْثَارُ
 رِيَّاءَهُ، عَفْوًا إِنْ أَسَاءْنَا الظَّنُّ فِي
 كُلِّ الْوَرَى، فَلْيَتَحَّ ذَا اسْتِغْفَارُ
 لَمْ نَذِرْ أَنْ الْخَيْرَ فِي هَذِي الدُّنَا
 بَاقٍ، وَلَمْ يَغْصِفْ بِهِ إِعْصَارُ
 رِيَّاءَهُ فَاجْزِ الْحَسَنَيْنِ بِجَنَّةِ
 قَدْ سَاقَ بِشَرَاهَا لَنَا الْخُتَارُ

صبورة أرمياؤ محمد^(١)

١ - فلسطين

[البسيط]

مساوِكِ الوهمُ في أحبارهِ ألمٌ
ووجهكِ اليتيمُ تفتاتينهُ رَمَبَا
تلطَّحَ الفجرُ حتى صرَّتْ إنكرهُ
وأرعدَ الليلُ لكن لا أرى سحبا
سيلُ الجماجمِ في عينيكِ أعرفهُ
بحرٌ من الصُّمْتِ لا يستقطرُ الصخبا
أحبُّكِ القدس، حزنُنا لا يفارقني
وأشتهيكِ كطفلٍ ضيَّع اللعبَا
رايتُ وجهكِ يا أشلاءَ راهبةٍ
توسَّدُ الدمعَ والأحجارَ والحصبَا
لما وقفتُ على جرحي الملمهُ
تخنَّزَ الدمعُ فوق الجرحِ والنَّهبَا
أفتشُ الدربَ عن معنى لغزيتهِ
تورطُ الدربُ لما لم يجدْ سببا
مطاردُ بجيمٍ صار يُقْبِرُنِي
مُغْلَفٌ بجنونٍ فاضٍ وانسكبا

(١) شاعرة تشادية معاصرة من مواليد ١٩٨٠، درست في جامعة الملك فيصل بتفاد، ويتسم شعرها بالحس الميني والوجدان الثائر، والنغم الطويل، والمحافظة على عمود الشعر العربي، ولم تجمع أشعارها في ديوان، فهي قصائد مبعثرة تقدمها في بعض المناسبات.

بـرأةً وجهك المـخـنول سيدي
 السُّلُّ يقـبـع في أغوارنا حـقـبا
 إنني مررت بصهيونَ أسأله
 توفـج الطود لما قلت والنهب
 عواصف التَّيه جنت في جوانحنا
 وسعفة النخل تشكي العُزِّي والعطبا
 يا قبر أحمد مات اللون في شفتي
 وبعض هديك عن أذاننا حُجبا
 عفوا خطاي بشوك الدرب مطفاة
 مُدَّت إليك شفاهما أرمقت سغبا
 يا أمّتي وقصيدي كل أوربتي
 إذا كتبت تداعى القلب منتحبا
 يا أمّتي وبكاء الشعر يرهقني
 أشكو لك الحال أم أشكو لك العُزبا
 يا أمّة فُئمت أمجاد أولها
 وينخر الدود في أعضائها طربا
 ويعبث السُّوس في أعماق تربتها
 وتلعب الريح في أغصانها لعبا
 لا يَظْهَر الجُرحُ إلا في مجاهدةٍ
 وليس كالخُرِّ قُتَاكَا إذا وثبا

٢ - أشرق يا عام

[للتدارك]

أشْرِقْ فِي صَدِيقِ يَـا عَامِ
فَلَا كَمْ خَدَعْتَنَا اَعْمَـوَامُ
مُرَّتْ كَسْرَابِ خَائِلِنَا
وَسَبَّتْنَا فِيهَا اَوْهَامُ
عَشِنَاهَا نَرْسُمُ لَوَحَاتِ
يَتَغَنَّى فِيهَا رَسَامُ
وَإِذَا الْأَمَالُ عَلَى مُؤَيِّدِ
وَعَالِيهَا نَصْحَوْنَنَا
أَوْ لَحْنُ نَشِيدِ فِي فَمِنَا
تُطْرِينَا مِنْهُ الْأَنْفِغَامُ
أَوْ تَبْقَى رَهْنُ شِعَارَاتِ
تَتَبَارَى فِيهَا الْأَقْلَامُ

وَزَمَانُ طَال.. وَحَاصِرُنَا
طَابَ تَجَرُّعُهُ .. وَسَمَامُ
حَابِلُنَا اخْتَلَطَ بِنَابِلِنَا
فَانْدَهَشَتْ مِنْهَا الْأَفْهَامُ
وَتَنَابَلْنَا وَتَبَاغَضْنَا
وَانْدَسَتْ فِيْنَا الْأَفْغَامُ

الْفُرْقَةُ أَوْ هَلْ أَتَيْنَا
 فَا نَصَدَعَتْ فِيهَا الْأَحْكَامُ
 وَهَزَانِمُ تَنْتَرَى مَهْدُنَا؟
 وَتَخْلُفَ عَنْهَا الْإِقْدَامُ
 ضَاعَتْ يَا غَرْبُ هَوِيُّنَا
 هَا نَحْنُ بِقَايَا وَخُطَامِ
 هَا نَحْنُ قُلُوبٌ فِي هَمَلٍ
 وَنِيُولُ تُؤَمَّرُ.. وَتُضَامِ
 الْيَسْئُ الْمَوْحِشِ طَوَقُنَا
 فَانْهَارَتْ هِمَمٌ.. وَهَمَامِ
 وَعَدُوٌّ شَرُّسٌ يُضْلِينَا
 ذُلًّا - يَتَحَكَّمُ - غَشَامِ؟
 وَكَلَامُ الْقَهْرِ بِدَاخِلِنَا
 هَدُنَا مِنْهَا الْأَلَامِ
 مَا تَنْتِ يَا قَوْمُ خَمِيَّتِنَا
 وَذَوَاهَا السَّلَفُ الْأَعْلَامِ
 يَا عَامٌ مَلَلْنَا أَنْفُسَنَا
 وَلِذَا مَلَّتِنَا الْإِيَامُ
 وَضُمَانُ رُتَحْيَا هَارِيَّةً
 تَهْتَفُ فِي صَيْبِ النُّوَامِ
 وَقُلُوبٌ بِخُرُوقِ رِيْقَةٍ؟
 مَا شَابَ صِفَاهَا أَصْدَامِ

مَالِي يَا عَامُّ أَخَاطِبُكُمْ
 فَلَزِمْنِي أَنْتَ... وَأَرْقَامُ
 مَا خَلُّ بِنَا قَبَائِدِنَا
 وَجَنَانُهُ نَحْنُ... وَظِلَامُ
 إِلَهٍ أَمَرْنَا فَعَصَيْنَا
 وَنَهَى... فَاجْتَرَمْتَ أَثَامُ
 وَهَجَرْنَا مِنْهَجِ خَالِقِنَا
 فَلَكُلِّ مَنَّا أَصْنَامُ
 وَالْحِلُّ الْأَوَّلُ وَالْأَوَّلَى
 عُمُودُوا إِلَه... وَإِسْلَامُ
 فَعَسَى رَحْمَتُهُ تَدْرِكُنَا
 وَتَضَيِّقُ مِنَ الْحَزَنِ الْهَامُ

٣ - حضارتنا الزائفة

[البسيط]

هذي الحضارة في أننى معانيها
تعطي الجسم وتنسى جوهرًا فيها!
تُقيمُ للجسم سلطانًا وهيمنةً
وتنبري لعذابِ الروحِ تشقيها!
وأزرتها نفوسٌ ضلُّها جسدًا
فزينت في دهاءٍ سوءٍ حاديها!

☆☆☆☆

وشقوةُ الناسِ، مُذْ كانوا، نفوسُهُم
تؤزُّ أجسادهم شرًّا فتُزيها!
بنس الحياة إذا كانت توجَّهها
تلك النفوسُ، وقد نامت نواحيها!
فتستحيلُ حياةُ الناسِ مجزرةً
ويمخُرُ الشرُّ في شتى نواحيها!

☆☆☆☆

يا حسرتاه على الإنسانِ قد غميتُ
منه البصيرةُ وامتدَّت غواشيها!
يعمى عن الرشدِ في القرآنِ وأسفا!
ويُبصرُ الغيَّ في نبيهاتِ تنزيها!

سَمَى الْفَوَاحِشَ فَنَّا مِنْ سَفَاهَتِهِ
 وَرَاحَ يَسْفِكُ طُهُرَ الْعِيدِ حَامِيهَا!
 وَابْنُ مَا كَانَ مِنْ أَخْلَاقٍ مُؤْمِنًا
 يَرُوي طَهَارَتَهَا التَّارِيخُ تَنْوِيهَا!
 وَابْنُ أَجْنَحَةٍ طَرَنَّا بِهَا شُهْبًا
 فَدَانَتْ الْأَرْضُ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا!
 ابْنُ الْأَلَى حَمَلُوا الْقِرَانَ فِي رَشْدٍ
 فَعَمَّ نَوْرُهُمُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا!
 هُمُ الْأَبَاءُ، وَرَبُّ الْكَوْنِ أَرْسَلَهُمْ
 لِيُغْسِلُوا الْأَرْضَ مِنْ أَدْرَانِ طَاغِيهَا!
 شَقُّوا الطَّرِيقَ، وَنَوْرُ اللَّهِ مَرشَدُهُمْ
 وَسُنَّةُ الْمُصْطَفَى تَجْلُو خَوَافِيهَا!
 هَذَا (قَتِيبَةً)، شَرْقِ الْأَرْضِ حَزْرُهُ
 وَ(طَارِقُ) الْفَتْحِ، أَرْضِ الْغَرْبِ يَهْدِيهَا!
 حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُمْ مَا شَاءَ رِيسُهُمْ
 مِنَ الْأُمُورِ!! تَعَالَى اللَّهُ مُجْرِيهَا!

☆☆☆☆

فَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ الْمَاضِي الْمَجِيدِ؟ وَهَلْ
 صُنَّا الْأَمَانَةَ؟ أَمْ ضَاعَتْ غَوَالِيهَا؟
 خُنَّا الْأَمَانَةَ وَالْأَخْلَاقَ وَاسْفَا!!
 فَاجْتَاحَ دَوْلَتُنَا الْإِعْصَارُ مُنْهِيهَا!

☆☆☆☆

لو غُيِّرَ القَوْمُ ما في النفسِ لانْكَشَفَتْ
هذي المَفسدُ، وانْجابت طواغيتها!
وَيُنْذَرُوا بهبوطِ العيشِ اجنحةً
تسمو بِأَمْتِنَا واللَّهُ راعيها!!
فبالصُّلَاحِ يَظَلُّ القَوْمُ في شَمَمٍ!!
وياالْذَنُوبُ يُذِلُّ اللُّهُ جانيها!!

قائمة المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنوإسلامية، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.
- ٢- الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي دراسة تحليلية فنية نقدية، ط١، ٢٠٠٣م، العالمية، مصر.
- ٣- د.أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط.منهضة مصر، ١٩٩٠م.
- ٤- جريدة أنجمينا اليوم عدد ١٢١، ٢٨/٣/١٩٩٤.
- ٥- حبيب عمر: الشيخ عبدالحق السنوسي ومكانته الأدبية، بحث مقدم لنيل شهادة التأهيل التربوي.
- ٦- عباس محمد عبدالواحد: مقدمة ديوانه «الملاح»، تقديم د.محمد حسين، ط. أسعد، بغداد، ١٩٨٣م.
- ٧- د.عبدالرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
- ٨- فن الرثاء في الشعر العربي التشادي الحديث، بحث أعد خصيصا لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في اللغة العربية بجامعة الملك فيصل، العام الجامعي ٢٠٠١/٢٠٠٢م.
- ٩- الطالبة/ قمسو جرمه: صورة المرأة في شعر أحمد عبدالرحمن إسماعيل، بحث مترين، إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٤ كلية الآداب جامعة أنجمينا.

- ١٠- الباحث/ محمد بشير عثمان: عبدالواحد حسن السنوسي حياته وأدبه، مترين
بجامعة انجيمينا إشراف د محمد فوزي ٢٠٠٣م.
- ١١- د.محمد بن شريفة: من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، ط.
منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ١٩٩٥م.
- ١٢- محمد بيلو: إنفاق اليسور في بلاد التكرور. منشورات معهد الدراسات
الإفريقية، الرباط ١٩٩٦م.
- ١٣- محمد الحبيب: ملامح الأعمال الأدبية والأغراض الشعرية لعبدالحق السنوسي،
(بحث) ٢٠٠١.
- ١٤- د.محمد صالح أيوب: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق السنوسي
في دار وداي، رسالة دكتوراه بجامعة الملك فيصل بتشاد، ط١ ، ليبيا.

المحتوى

- تصدير، أ. عبدالعزيز سمود الباطين ٣
- إهداء ٥
- مدخل ٧
- تمهيد ١١

الشعراء

- الطاهر التليبي ٢١
- عبدالحق السنوسي ٢٥
- عبدالله يونس المجيري ٤٧
- محمد جرمة خاطر ٥٣
- حسين إبراهيم أبو الذهب ٩١
- عباس محمد عبدالواحد ١٠٣
- عيسى عبدالله ١٤٥
- عبدالقادر محمد أبه ٢٣٧
- عبدالواحد حسن السنوسي ٢٤٩

٤٤٩	- محمد عمر الفال
٥٠٥	- أحمد عبدالرحمن إسماعيل
٥٤٣	- حسب الله مهدي فضلة
٦١٧	- صبورة أرمياؤ محمد
٦٢٥	- قائمة المصادر والمراجع
٦٢٧	- المحتوى

المؤلف في سطور

- د محمد فوزي مصطفى خليل
- جمهورية مصر العربية - محافظة الدقهلية- السنبلاتين
- دكتوراه في الأدب والنقد بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى. كلية اللغة العربية. جامعة الأزهر ١٩٩٩م.
- ماجستير في الأدب والنقد بتقدير ممتاز، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٩٤م.
- عمل في بداية حياته في التدريس للمرحلة الثانوية بالأزهر الشريف.
- تم تعيينه في وظيفة مدرس بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية بالمريش جامعة قناة السويس.
- ابتعثه الأزهر الشريف للتدريس ونشر الثقافة الإسلامية في كليتي الآداب والعلوم الإنسانية جامعة أنجمينا بجمهورية تشاد، وكلية اللغة العربية جامعة الملك فيصل بتشاد لمدة أربع سنوات من سنة ٢٠٠٠ - ٢٠٠٤م.
- أوفدته وزارة الخارجية المصرية في مهمة قومية تحت اسم «خبير» للتدريس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة جمال عبدالناصر في جمهورية غينيا كوناكري في الفترة من ٢٠٠٥ - ٢٠٠٨م وتولى رئاسة قسم اللغة العربية.
- أوفدته وزارة الخارجية مرة أخرى للتدريس في جامعة السلام والمصالحة بجمهورية بوروندي للعام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠١٠م وتولى منصب المدير الأكاديمي للجامعة.
- شارك في عديد من المؤتمرات الدولية داخل مصر وخارجها.
- حصل على وشاح كلية الآداب جامعة أنجمينا.

● حصل على عديد من شهادات التقدير من جامعات إفريقية منها جامعة أنجمينا
بتشاد وجامعة جمال عبدالناصر بغيينا كوناكري وجامعة السلام والمصالحة
بيوروندي.

● عضو اتحاد كتاب مصر.

● عضو الجمعية المصرية للدراسات السردية.

● عضو مجلس إدارة نادي الأدب بالعريش.

صدر له الكتب الآتية،

● الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي، ٢٠٠٣م.

● جماليات الأمثال في الأدب الإفريقي. مصر - تشاد - غينيا، نموذجاً، دراسة مقارنة، ٢٠٠٩م.

● المستويات الجمالية في مسرحيات الأطفال، ٢٠١٠م.

● جماليات الفكاهة وتجليات القيم في مسرحيات الأطفال، ٢٠١١م.

● جماليات التشكيل، قراءة في نصوص معاصرة، ٢٠١٢.

● محاضرات في النقد الأدبي، ٢٠١٢م.

● أشرف على كثير من أبحاث درجة التمكن «المتريز» في الجامعات الإفريقية؛ ومن
أهمها: جامعة أنجمينا بجمهورية تشاد، جامعة الملك فيصل بتشاد، جامعة جمال
عبدالناصر بجمهورية غينيا كوناكري، وجامعة السلام والمصالحة بجمهورية بيوروندي.

المكتبة
Bibliotheca Alexandrina



1209717



الكويت
2013